القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية

(٣٥٨-٥٦٩هـ/ ٩٦٩-١١٧٣م)

دراسة في الحياة الاجتماعية

إعداد
خلود محمد الأحمدي

المشرف
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

أيار/ ٢٠١٠م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية ٣٥٨-٥٦٩هـ/٩٦٩-١١٧٣م دراسة في الحياة الاجتماعية) وأجيزت بتاريخ ١١/٥/٢٠١٠

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور عبد العزيز عبد الكريم الدوري، مشرفاً أستاذ - التاريخ الإسلامي	....
الدكتور صالح موسى درادكة ، عضواً أستاذ - التاريخ الإسلامي	....
الدكتور عصام مصطفى عقلة، عضواً أستاذ - التاريخ الإسلامي	....
الدكتور محمد حسين محاسنة، عضواً أستاذ - التاريخ الإسلامي(جامعة مؤته)	....

الجامعة الأردنية

نمــوذج تفــويض

أنا خلود محمد الأحمدي أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ مـــن أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ: ٢١/٥/٢٠١٠

الجامعة الأردنيـة
كلية الدراسات العليا

نموذج رقم (١٨)
اقرار والتزام بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير والدكتوراة

أنا الطالب: خلود محمد عايد الأحمدي الرقم الجامعي: ٩٠٦٠٢٦٢
التخصص: تاريخ الكلية: الآداب

عنوان الرسالة / الاطروحة
القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية
دراسة في الحياة الاجتماعية

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير والدكتوراة عندما قمت شخصيا" باعداد رسالتي / اطروحتي ، وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي /اطروحتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب:.................... التاريخ: ١٧ / ٥ / ٢٠١٠م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هـذه النسخة من الرسالـــة
التوقيع..........التاريخ ٢٠١٠

الإهداء

إلى من كان نور حياتي ،،، إلى روح أخي الحبيب

خالد ، في مثواه، وهو يهز إلي بجذع الحنين ، فيساقط علي حباً

جنياً ، إليه وأنا أتفيأ رضاه، فيخضر دربي حباً ورضا ،،،

شكر وتقدير

بعد الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أعانني على انجاز هـذه الدراسـة، لا يسعني إلى أن أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم الامتنان، الى استاذي الفاضـل الاستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، الذي تفضل برعاية هذه الرسالة منذ ان كانت فكرة حتى أصبحت على ما هي عليه؛ ولما منحني به من ثقتـه وعلمه واخلاصه؛ ولما قدمه لي من نصائح وارشادات اعجز عن تقديرها، فشكراً لك استاذي الكبير على عطائك المميز ولك كل التقدير والاجلال.

وكل شكري وخالص عرفاني لكل من الأساتذة أعضاء لجنـة المناقـشة الذين تفضلوا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة.

وأقدم كل الحب والتقدير والعرفان والامتنان لأسرتي التـي تحملـت معي عناء رحلتي العلمية، وصبرت على ظروفي كاملة وتقبلتها برحابـة صدر وطيب خاطر، وخففت عني متاعب كل ما واجهت فـي مـشواري العلمي، ووفرت لي كل السبل لإنجاز هذا العمل.

ثبت المحتويات

الرموز والمختصرات

أشير للمصادر والمراجع في الهوامش حسب النمط التالي:
يذكر في الهامش: اسم المؤلف او اسم شهرته، مع كلمة أو أكثر من اسم كتابه، ثم الجزء (في حالة وجود أجزاء) والصفحة.

<u>الرموز والمختصرات العربية:</u>

ت: توفي
ج: جزء
ص: صفحة
هـ: هجري
م: ميلادي، متر
مج: مجلد
كم: كيلو متر
مْ: درجة مئوية
سم: سنتيمتر
ق.م : قبل الميلاد
ط: طبعة
د.ت: دون تاريخ نشر
د.م: دون مكان نشر
د. ن: دون ناشر
ق: قسم
ع: عدد

<u>الرموز والمختصرات الانجليزية:</u>

P: Page

Vol: Volume

No: Number

A.H: Anno Hegirae

A.D: Anno Domini

القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية (٣٥٨- ٥٦٧ هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م)

دراسة في الحياة الاجتماعية

إعداد

خلود محمد الأحمدي

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة في العصر الفاطمي؛ هادفة إلى توضيح الأحوال السكانية، وأسس الحياة الحضرية، ومظاهرها في القاهرة.

لقد حاولت هذه الدراسة، التركيز على بعض الجوانب التي لم تحظ بالعناية الكاملة، والبحث الواسع. فتناولت خطط القاهرة، وركزت اهتمامها على سكان تلك الخطط، وعلى ربط المعالم الخططية بالسكان، وأصولهم العرقية، ومستوياتهم الاجتماعية، وعلى توضيح امتداد المدينة وتطورها.

وسعت الدراسة إلى التعرف على الأصول الأثنية للسكان، وفاعليتهم في المجتمع. كما بحثت أحوالهم الاجتماعية.

وبينت الدراسة أثر السلطة والمال على مكانة الافراد الاجتماعية، وتناولت الطبقات الاجتماعية التي تكون منها مجتمع القاهرة، وبينت الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأفراد كل طبقة.

وتضمنت الدراسة الحديث عن اسلوب معيشة الناس – على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية – في سكنهم وطعامهم، ولباسهم، وأعيادهم، ومناسباتهم، ووسائل تسليتهم.

مقدمة

لقد ركزت معظم الدراسات التاريخية على الجوانب السياسية، وقلما توفرت دراسات تاريخية علمية جادة، تبحث في الجوانب الاجتماعية، التي تلعب دوراً هاماً في تشكيل الأحداث السياسية لأي مجتمع؛ لذلك حاولت هذه الدراسة تغطية الجانب الاجتماعي في مدينة القاهرة – عاصمة الخلافة الفاطمية – إذ أن هذه المدينة جديرة بكل بحث يتعلق بها، أو يكشف بعض جوانب حياتها؛ حيث كانت مركز النشاط الاجتماعي والاقتصادي؛ باعتبارها حاضرة الخلافة.

تركزت منهجية البحث في هذه الدراسة على قراءة المصادر الأولية، التي تنوعت بين مصادر تاريخية، وأدبية، وجغرافية، وكتب التراجم والأنساب، وعلى جمع المعلومات واستقصائها من تلك المصادر، ومقارنتها، وتحليلها، وعلى الاقتراب من الفترة التاريخية موضع الدرس، وتحاشي التعميمات التي يمكن أن تنزع من البحث جديته، وخصوصيته.

لقد واجهت الدراسة طوال فترة البحث بعض الصعوبات التي تمثلت في عدم توازن المادة التاريخية، حيث كانت المعلومات المتعلقة بالجانب الاجتماعي، في فترات الاستقرار التي عاشتها المدينة، تغزر حتى تبلغ السيل، مما يوجد صعوبة في السيطرة عليها. بينما كانت تشح في الفترات التي عاشت فيها المدينة العديد من المشاكل والاضطرابات، والفوضى العسكرية، التي لا تتيح لراوي هذه الأخبار الاهتمام بسواها. وأمام حالات من المعلومات التي كانت تشح أحياناً حتى تبلغ القطرات؛ اضطررت إلى أن أقبل بالحالات الفردية؛ محاولة ربطها بالاطار العام للاحداث الاجتماعية.

احتوت الدراسة على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

تناول الفصل الأول طبوغرافية القاهرة في العصر الفاطمي، وقد تم خلاله دراسة الصلة بين أسباب انشاء المدينة وتخطيطها، والاعتبارات العسكرية والاقتصادية في اختيار موقع المدينة، والتطور العمراني المدني للقاهرة، ودرس العوامل المؤثرة في التطور العمراني للمدينة. وركز على توزيع الحارات، والمنشآت الدينية، والمدنية، وسعى إلى ربط المعالم الخططية بالسكان، وأصولهم العرقية، وإلى توضيح علاقة الخطط بأسس التنظيم الاجتماعي، والاقتصادي، والعسكري.

وتناول الفصل الثاني، التركيب الأثني لأهل القاهرة، ونفوذ العسكر، وأثره على مكانتهم الاجتماعية، وفاعليتهم في المجتمع، كما تحدث عن العلاقات بين المجموعات الأثنية.

ودرس الفصل الثالث، أثر السلطة والثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، وتناول الطبقات الاجتماعية التي تكون منها مجتمع القاهرة، والمستوى الاجتماعي والاقتصادي لأفراد كل طبقة.

وتناول الفصل الرابع طراز معيشة الناس – على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية – في سكنهم، وطعامهم، ولباسهم، وأعيادهم، ووسائل تسليتهم. وتضمنت خاتمة البحث نتائج الدراسة.

تمهيد

وضع مصر قبل الفتح الفاطمي ودخولها تحت حكم الفاطميين:

عني الخلفاء الفاطميون عناية خاصة بامتلاك مصر، منذ قيام دولتهم بالمغرب عام (٢٩٦هـ/٩٠٩م)؛ لما لموقعها من عظيم الأهمية سياسياً، وحربياً؛ وخصوصاً وأن ولاة مصر كانت اليهم ولاية الشام والحجاز، في ذلك الوقت، فكان امتلاك مصر امتلاكاً لهذين البلدين العظيمين، وتأسيس نفوذ الفاطميين السياسي والديني، في ثلاثة من المراكز الاسلامية الكبيرة، وهي الفسطاط، والمدينة، ودمشق(١).

كما أن امتلاك مصر معناه تمهيد الطريق للوصول إلى بغداد حاضرة العباسيين في ذلك الحين – باعتبار مصر المدخل الرئيسي للمشرق- والاطاحة بالخلافة العباسية سنية المذهب، وإحلال الخلافة الفاطمية اسماعيلية المذهب محلها(٢).

بدأت المحاولات الأولى للفاطميين لضم مصر إلى أملاكهم منذ السنوات الأولى لحكم الخليفة المهدي (٢٩٧- ٣٢٢هـ/ ٩٠٩- ٩٣٤م)، الذي قام بمحاولتين – عام (٣٠١هـ/ ٩١٣م/ ٣٠٧هـ/ ٩١٩م)- لم يكتب لهما النجاح. وتكررت المحاولات في زمن ابنه القائم بأمر الله (٣٢٢- ٣٣٤هـ/ ٩٣٤- ٩٤٥م) – عام (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م)- ولكنها لم تحقق شيئاً على الاطلاق(٣). ويرجع فشل هذه المحاولات إلى أن الدولة العباسية- التي كانت مصر ولاية تابعة لها – كانت لا تزال قادرة على إرسال جيوشها إلى مصر للدفاع عنها(٤).

وحاول الخليفة المعز لدين الله (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢- ٩٧٥م) إعادة الكرة لغزو مصر، وسار بجيشه إلى حدود هذه البلاد الغربية، فأوقف كافور(٥) تقدمه(٦).

---

(١) حسن ابراهيم حسن، **الفاطميون**، ص٨١، اسميسة، سعد رحومة، (٢٠٠٣م). انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر، الأسباب والدوافع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ص١٢١.

(٢) حسن ابراهيم حسن، الفاطميون، ص٨١.

(٣) عن محاولات الفاطميين المتكررة لفتح مصر، راجع: القاضي النعمان، **افتتاح**، ص٣٢٦، ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص١٩-٢٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٥٣- ١٦١.

(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٥٣.

(٥) خلف محمد بن طغج الأخشيد في حكم مصر أبناءه، أبو القاسم أونجور، ثم أبو الحسن علي بن الاخشيد، وكان القائم بأمر مصر، والمدبر الحقيقي لها في عهد كل من هذين الأبنين، هو العبد الحبشي أبو مسك كافور، الذي اشتراه محمد بن طغج الاخشيد، ثم أخذ يرقى في مناصب الدولة، حتى **أصبح** قائداً في الجيش، ومربياً لأولاد محمد بن طغج الاخشيد، وصارت له الوصاية عليهما مدة توليهما إمارة مصر، ثم **أصبح** بعد وفاتهما الحاكم الفعلي والرسمي فيها. انظر ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٣، سيدة كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص٦٠.

(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٥٣- ١٦١.

استطاع كافور بفضل حنكته السياسية(١) من الاحتفاظ بسيطرته على مصر، والقضاء على الفتن والاضطرابات(٢)، وتأخير امتلاك الفاطميين لمصر، ويشهد لذلك أن دعاة المعز في مصر كانوا يكتبون له قائلين: " إذا ازال الحجر الأسود " يعني كافور" ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، وبيننا وبينكم الحجر الأسود"(٣).

بعد وفاة كافورعام (٣٥٧هـ/ ٩٦٨م) – " اضطربت احوال الديار المصرية غاية الاضطراب"(٤)، وانخفض منسوب النيل، ووقع الغلاء، وانتشر القحط والوباء، واضطرب الأمن وكثرت الفتن، ونهبت الضياع، وزاد غضب الناس؛ لارتفاع الأسعار(٥). ولم توجد شخصية قوية تخلف كافور في البيت الأخشيدي تتمكن من السيطرة على مصر، فضلاً عن ضعف الخليفة العباسي المطيع (٣٣٤-٣٦٣هـ/ ٩٤٥-٩٧٣م)(٦) الذي لم يكن له من القوة ما يمكنه من التدخل لوضع حداً لهذا التدهور في مصر الذي يتبع دولته، فيولي من يذود عنه، ويصلح أحواله الداخلية. ولذلك اجتمع رجال الدولة في مصر على تولية أحمد بن علي الأخشيدي، وعمره لم يناهز إحدى عشرة سنة، وأصبح الحسن بن عبد الله بن طغج وصياً عليه، وقام الوزير ابن الفرات(٧) بتسيير الأمور المالية، وأسند لشمول الأخشيدي أمر تدبير العساكر(٨).

وهكذا تعددت المراكز في الدولة، وزادت سلطة الوزير، وأساء التصرف، وأخفق في احتواء الأزمة، وبدأت الأمور تفلت من يده شيئاً فشيئاً، وقبض على جماعة من أعيان البلد، وصادرهم، فهرب الكثير منهم، وعلى رأسهم يعقوب بن كلس(٩) إلى المغرب، والتقى بالخليفة المعزلدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م)، وأطلعه على ما تمر بها مصر من أزمات

---

(١) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٨، وانظر محمد سرور، مصرفي عصر الدولة الفاطمية، ص١١٠، أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ١٣٢.

(٢) حول هذه الفتن والاضطرابات: انظر ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٦.

(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٨، سيدة كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص٣٨٣.

(٤) ابن إياس، **بدائع**، ج١، ص٨٣.

(٥) المقريزي، إغاثة، ص١٢- ١٣، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص١٩.

(٦) حول أسباب ضعف الخلافة العباسية الناجم عن سيطرة الشيعة البويهيين. انظر ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٤٥٢، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٧٢.

(٧) ابن الفرات : جعفر بن الفضل بن جعفر: من أهل بغداد، نزل بمصر، استوزره كافور، ولما توفي كافور، استقل بالوزارة، وتدبير المملكة لأحمد بن علي الإخشيدي بالديار المصرية والشامية. توفي سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠١م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٣٤٩.

(٨) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص١١.

(٩) يعقوب بن كلس : أبو الفرج يعقوب بن يوسف، أصله يهودي، ولد في بغداد سنة (٣٢٨هـ/ ٩٣٠م)، ثم سافر مع أبيه إلى الشام، ورحل منها إلى مصر سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، وتقرب من كافور الاخشيدي، ولما أظهره إسلامه في شعبان سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م). زادت مكانته عند كافور، فأجلسه في **ديوانه** الخاص، وكان أول وزير للدولة الفاطمية في مصر، وزر للمعز والعزيز، ومات سنة (٣٨٠هـ/ ٩٩٠م). انظر ابن الصيرفي، الإشارة، ص٤٧-٥٢، ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٢٧-٣٥.

سياسية، واقتصادية[١]. وكانت هذه الأزمات فرصة سانحة اتخذها الخليفة الفاطمي لغزو مصر، حتى أنه رأى بأن امتلاك مصر قد أصبح ممكناً بدون حرب، حيث خاطب المشايخ الذين وجههم مع جوهر لفتح مصر قائلا : " والله لو خرج هذا وحده (أي جوهر الصقلبي) لفتح مصر، وليدخلن إلى مصر... من غير حرب"[٢].

أخذ المعز لدين الله في المحرم سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) في إعداد الجيوش، والأموال؛ لتجهيز حملته لغزو مصر، كما بعث إلى دعاته في البلاد المصرية أعلاماً، وأمرهم أن يوزعوها على الجند الذين يؤيدون بيعته؛ لينشروها اذا ما اقتربت عساكره من مصر[٣].

وعهد المعز إلى جوهر الصقلبي[٤] بقيادة الحملة التي أعدها لغزو مصر، وكان معظمها من القبائل البربرية. دخل جوهر الاسكندرية من غير مقاومة، ولما وردت إلى الفسطاط أخبار وصول جوهر إلى الاسكندرية، واستيلائه عليها، شاور الوزير جعفر بن الفرات الأعيان، واستقر رأيهم على مفاوضة جوهر في شروط التسليم، وطلب الأمان على أرواح المصريين وأملاكهم، وانتهت المفاوضة بكتاب الأمان الذي كتبه جوهر، وأعلنه للمصريين[٥].

إلا أنه تبين أن طائفة من الجند غير راضية عن عقد الصلح، وقالوا: " ما بيننا وبين جوهر إلا السيف"[٦]، وولوا قائداً من بينهم يسمى (تحرير الإمارة). وعندما علم جوهر بذلك، تقدم بجيشه إلى الجيزة، ودار قتال بين الجيش الفاطمي وبين الجند المصريين، وانجلى القتال بانتصار جوهر الصقلبي، وهروب باقي فلول الجند إلى الشام. عند ذلك بعث الأهالي والأعيان لطلب الأمان من جوهر مرة ثانية، وكتبوا اليه يهنئونه بالنصر، وسألوه الأمان من جديد، فأجاب القائد الفاطمي دعوتهم[٧]. وأعاد الأمان، وأذاع على الجند منشور يحرم فيه عليهم أن يقوموا بعمل من أعمال السلب والنهب، ثم خرج الأعيان إلى الجيزة لاستقبال جوهر، وهدأت الحالة في الفسطاط، وعادت الأعمال إلى ما كانت عليه[٨].

---

(١) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٢٢، سيدة كاشف، مصر في عهد الاخشيديين، ص٣٨٣.
(٢) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٣٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٥-١٨٦.
(٣) المقريزي، **المقفى**، ج٣، ص٨٩.
(٤) جوهر الصقلبي: هو أبو الحسن بن جوهر بن عبد الله (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عمل ببلاط الفاطميين ودواوينهم، حتى عرف بالكاتب، كما عرف بالقائد أيضاً؛ وذلك لأنه كان من أكفأ قواد الفاطميين، إذ استطاع اخضاع البربر المناهضين للخلافة الفاطمية في المغرب في سنتي (٣٤٧- ٣٤٩هـ/ ٩٥٨- ٩٦٠م)، وكان على رأس الجيش الذي قدم إلى مصر لفتحها عام (٣٥٨هـ/ ٦٩٦م). انظر مجهول، اللمعة، ورقة٣، علي حسن، **تاريخ**جوهر، ص١٧-٢٠.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٩- ١٨١.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٤.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٤، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٣٢.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٤، المقريزي، **المقفى**، ج٣، ص٩٧، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٣٢.

الفصل الأول

تأسيس القاهرة وتطورها

أولاً: أسباب تأسيس المدينة

ثانياً: موقع المدينة

ثالثاً: الخطط

أولاً: أسباب تأسيس المدينة:

عندما وجه المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) قائده جوهر الصقلبي لفتح مصر– عام (٣٥٨هـ/٩٦٩م)- حدد له الخطوة التالية للفتح، وهي: أن يبني مدينة للفاطميين" لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط" [(١)]؛ لتكون "دار خلافة ومنزل ملك"[(٢)]؛ وحتى تجسد مذهباً جديداً هو المذهب الإسماعيلي "مذهب الدولة الفاطمية"[(٣)].

وقد عزى المؤرخون بناء المعز لدين الله للمدينة إلى أسباب أمنية؛ لتكون حصناً منيعاً من الأخطار الخارجية التي يمكن أن تتعرض لها الدولة [(٤)]، ولتكون قلعة سكنية للفاطميين ، بحيث تعزل "الخليفة وأصحابه وأجناده... عن العامة"[(٥)]، إذ إنّ اختلاط الفاطميين بالمصريين، قد يعرضهم لأخطار الدسائس والعداء والثورات، حيث إن الدولة الفاطمية قامت على أساس الدعوة للمذهب الاسماعيلي في أرض لا يدين أهلها بهذا المذهب[(٦)].

ويمكن أن يعزى بناء المدينة – أيضاً- إلى عامل اجتماعي وحضاري، ويبدو انعكاس هذا العامل في قول جوهر للمنجمين الذين أحضرهم لوضع أساس المدينة: " أنها – أي المدينة – بنيت للجند، بحيث لا تخرج عن نسلهم أبداً"[(٧)]، إذ إنّ اختلاط أنساب الجنود بأنساب المصريين سيؤدي إلى تأثرهم بعاداتهم وأخلاقهم، وبالتالي تأثرهم بالجو الحضري، وجرهم إلى حياة الترف، مما يضعف سماتهم العسكرية التي تميزوا بها، والتي كان من الضروري الحفاظ عليها.

أطلق جوهر على العاصمة الخليفية الجديدة اسم المنصورية[(٨)]؛ تقرباً إلى خليفته المعز بإحياء ذكرى والده المنصور[(٩)]، وظلت تعرف بذلك حتى قدم المعز لدين الله إلى مصر – عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م) - فسماها القاهرة؛ تفاؤلاً بأنها ستقهر الدولة العباسية المنافسة[(١٠)].

ثانياً: موقع المدينة:

كان الموضع الذي اختاره جوهر للقاهرة، عبارة عن سهل رملي فسيح، يحده من الشمال

---

(١) المقريزي، **المواعظ،** مج ٢، ص٢٢٠.
(٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٢٠.
(٣) ابن الطوير، نزهة، ص١١٠، القلقشندي ، **صبح** ، ج٣، ص ٥٥٨، المقريزي، **اتعاظ** ، ج١، ص١٢٦-١٢٧.
(٤) المقريزي، **المواعظ،** مج٢، ص٢١٢.
(٥) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٣٦.
(٦) ابن الطوير، نزهة، ص١١٠، المقريزي، **اتعاظ،** ج١، ص١٢٦- ١٢٧.
(٧) المقريزي، **اتعاظ،** ج١، ص ١٨٤.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص١٨٤.
(٩) محمد سرور، تاريخ، ص٦٥.
(١٠) ابن عبد الظاهر ، **الروضة،** ص١٣، الدواداري، **كنز،** ج٦، ص١٣٨.

أرض فضاء، ومن الشرق جبل المقطم، ومن الغرب خليج القاهرة[١]، ومن الجنوب الفسطاط[٢].

كان اختيار جوهر لموضع القاهرة اختياراً ينمّ عن نظرة سياسية وعسكرية سليمة، إذ إنّ المنطقة تمتاز بمزايا طبيعية وعسكرية تؤهلها لتقوم فيها عاصمة حصينة، حيث إنّ جبل المقطم يحدها من الشرق، وخليج القاهرة من الغرب[٣]؛ فيشكلان سوراً دفاعياً يحمي المدينة من جانبيها الشرقي والغربي.

وتبدو الاعتبارات الاقتصادية في اختيار موقع المدينة، حيث إنّ وقوع خليج القاهرة غربها، جعلها مركزاً حيوياً لحياة اقتصادية نشطة، إذ إن اتصال الخليج المذكور بنهر النيل[٤]، أدى إلى تأمين الاتصال بالمدنية نهراً، وشحن البضائع إليها عن طريق النهر[٥].

كما إنّ الموضع الذي تقع فيه المدينة يبعد عن النيل نحو مِيل[٦]؛ مما يجعلها في مأمن من خطر الفيضان؛ "لئلا يصادرها ويأكل ديارها"[٧].

كما إنّ المنطقة التي أقيمت عليها المدينة تستوعب التوسع وتحتمل الزيادة في السكان، لوجود شقة يابسة شمال المدينة، تسمح بامتدادات عمرانية جديدة، ووجود منطقة خالية جنوب المدينة تسمح بإضافات مستقبلية على الخطط، وهذا ما حصل -فعلاً- عقب بنائها، حيث اتسعت مبانيها من الجهتين الشمالية والجنوبية[٨].

وكانت الرقعة التي اختارها جوهر لتشييد مدينته، أرضاً فضاء ليس بها عمران سوى بستان، ودير للنصارى[٩]، وقصر صغير يسمى قصر الشوك[١٠]. فلم تقيده في تصميمها أبنية مشيدة، مما يسمح له في وضع تصميمها وتنفيذه وتشييده بالشكل الذي يراه، وبالسعة التي يرتئيها.

---

(١) خليج القاهرة: يخرج هذا الخليج من النيل، حفره قدماء ملوك مصر (الفراعنة)، وعندما فتح العرب مصر، جدد عمرو بن العاص حفره؛ ليصل النيل ببحر القلزم (الاحمر)؛ وقد أُطلق عليه عقب تجديد حفره "خليج أمير المؤمنين"، نسبة إلى عمر بن الخطاب الذي أشار إلى تجديد حفره. وعندما أنشأ جوهر القاهرة بجانب هذا الخليج من شرقيه، **أصبح** يعرف بخليج القاهرة. لمزيد من التفاصيل انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١١٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٤٦٦ – ٤٦٨.

(٢) عند تأسيس القاهرة كانت العسكر – الواقعة شمال الفسطاط – والقطائع – الواقعة إلى الشمال الشرقي من العسكر بين جبل المقطم والعسكر– والفسطاط، قد صاروا مدينة واحدة متصلة العمران، يطلق عليها اسم الفسطاط أحياناً، واسم مصر أحياناً أخرى. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٠.

(٣) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٠٧، ٢٢٥ – ٢٢٦.

(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١١٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٤٦٦ – ٤٦٨.

(٥) المسبحي، **أخبار** ، ج٤٠، ص٣٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٧.

(٦) المِيل: مقياس للطول يساوي ثلث فرسخ، والفرسخ حوالي ٢ كم٤. انظر فالترهنتس، المكاييل ، ص٩٥.

(٧) ابن سعيد، ص٢٥ ،المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٨.

(٨) انظر ص ١٨، ٢١ من الأطروحة.

(٩) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٥، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٣٩.

(١٠) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٥، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٣٩.

على أن المعز (٣٤١ – ٣٦٥ هـ/ ٩٥٢ – ٩٧٥م) لما جاء إلى مصر لم يعجبه موقع القاهرة، فقال لجوهر "لقد بنيت هذه المدينة في وطئة لا هي بحرية ولا جبلية"(١). وكان قصد المعز أن يبنيها جوهر على سطح جبل الرصد(٢)، فتكون قلعة للفسطاط، أو بمنطقة المقس(٣)؛ "لتكون قريبة من النيل، عذبة مياه الآبار"(٤)، "إذ إنّ الآبار القريبة من النيل عذب ماؤها، وأما البعيدة عنه فماؤها مالح"(٥).

إلا أنّ قول المعز واعتراضه لا يستند إلى وجود مزايا جغرافية تجعل المكانين أفضل من موضع القاهرة، فسطح جبل الرصد جنوب الفسطاط لا يصح اتخاذه حصناً للفسطاط؛ لأنّ الخطر الوافد عليها يأتي من شمالها -ليس من جنوبها- متمثلاً آنئذٍ في القرامطة القادمين من الشام(٦)، ومن ثمّ فقيام القاهرة شمال الفسطاط، يجعلها "حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر"(٧). هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن قيام القاهرة شمال الفسطاط؛ يجعلها في مستقبل الرياح الشمالية – وهو اتجاه الرياح السائد في مصر(٨) – وهذا ما جعلها "أعدل وأجود هواء، وأصلح حالاً"(٩) من الفسطاط(١٠).

أما منطقة المقس على شاطئ النيل رغم ميزتها الجغرافية المتمثلة في توفير المياه العذبة للمدينة، فلم يكن اتخاذها موقعاً للمدينة الجديدة ذا صلاحية؛ لخطورة فيضان النيل على المدينة. في حين أن مشكلة توفير المياه العذبة للشرب يمكن تجاوزها بواسطة السقاءين، وهذا ما حصل فعلاً عقب بنائها، حيث كان السقاؤون يحملون قرب المياه من الآبار القريبة من النيل وينقلونها إلى المدينة(١١).

---

(١) ابن إياس، **بدائع**، ج١، ق١، ص١٨٨.
(٢) جبل الرصد: يقع جنوب الفسطاط. انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٠، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٣٩٣.
(٣) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٠، ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٣٦.
(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٠، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠.
(٥) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٦.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٢. حفر جوهر عند تأسيس القاهرة خندقاً في شمالها من جهة الشام؛ ليمنع اقتحامها من عساكر القرامطة. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٣، مج٣، ص٤٥٤، ٤٥٨ – ٤٥٩، علي مبارك، الخطط ، ج١، ص٣٥، عبد الرحمن زكي، امتداد القاهرة من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك، بحث منشور بكتاب أبحاث الندوة الدولية ل**تاريخ**القاهرة، ج٢، ص٦١٩- ٦٢٠.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٢. مدينة مصر: يقصد بها العسكر والقطائع والفسطاط. انظر ص ٨ هامش (٢) من الأطروحة.
(٨) البغدادي، **الإفادة** ص١٤٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٥ – ٢٢٦.
(٩) ابن رضوان، ص١٦١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٥ – ٢٢٦.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٥.
(١١) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٦.

ثالثاً: الخطط:

كان التخطيط يسبق البناء أيام الفاطميين، حيث كان المهندس المفوض في العمل يحضر "فيعمد إلى العرصة[١]، فيقسمها في ذهنه ويرتبها، ثم يعمد إلى جزء جزء من تلك العرصة، فيعمره ويكمله، بحيث يُنفع به على انفراده ويُسكن، ثم يعمد إلى جزء آخر، ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الأجزاء من غير خلل ولا استدراك"[٢].

إن التوجيه العام للمهندسين في تخطيط المدينة جاء من جوهر "حسبما أمره المعز"[٣]. أما المشرفين على البناء، فكانوا من كبار رجال الجيش[٤]، ويبدو أن هذا الإشراف شمل تنظيم الإنفاق على البناء، ومتابعة سيره، إذ إنّ جوهراً "أرصد كل أمير من أمراء عسكره بناء حارة"[٥].

وبما أن الغرض الأول للمعز من بناء القاهرة، هو أن يتخذها "دار خلافة ومنزل ملك لا ينزلها إلا الخليفة وعساكره وخواصه الذين شرفهم بقربه فقط" [٦]، فقد ظهر تأثير ذلك الغرض على تخطيطها، إذ حدد جوهر رقعتها عند تأسيسها بمسافة تتناسب مع عدد من سيقيمون فيها، بحيث لم تتجاوز الـ (٤٠٠ فدان)[٧]. ومع نمو المدينة وتزايد سكانها لم تعد قادرة على استيعاب ساكنيها، مما أدى إلى تطوير تخطيطها الأول الذي قرره لها جوهر، فوسعت المدينة خارج الحدود التي رسمها لها جوهر[٨].

يتضح التكامل بين أسباب إنشاء المدينة وتخطيطها، فيلاحظ من التخطيط العناية بالتحصين؛ إذ إن المدينة بنيت؛ لتكون حصناً للفاطميين وأنصارهم، يحتمون به من الأعداء[٩]؛ ولأجل ذلك شيدت للمدينة الأسوار، التي تضمن لها الأمن والحماية.

بعد أن حددت رقعة المدينة، شيَّد حولها سور خارجي – على هيئة مربع – كان الضلع الشرقي منه في محاذاة جبل المقطم، والضلع الغربي في محاذاة الخليج، والضلع الشمالي في مواجهة سهل رملي، والضلع الجنوبي في مواجهة الفسطاط[١٠].

---

(١) العرصة: تل من التراب. انظر البغدادي، **الإفادة**، ص١٤٠ – ١٤١.
(٢) البغدادي، **الإفادة**، ص ١٤١ – ١٤١.
(٣) النويري، **نهاية**الإرب ، ج٢٨، ص٨١.
(٤) المصدر نفسه، ج٢٨، ص٨١.
(٥) المصدر نفسه، ج٢٨، ص٨١.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٠.
(٧) علي مبارك، الخطط، مج٢، ص١١٠. الفدان: هو مقياس المساحة المصري المفضل، يقدر بـ (٦٣٦٨ متر مربع). انظر فالترهنتس، المكاييل، ص٩٨.
(٨) حول مراحل التوسع العمراني للمدينة انظر ص ١٨- ٢١ من الأطروحة.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٢.
(١٠) المصدر نفسه، مج٢، ص٢١٣.

ضم سور جوهر ثمانية أبواب، لكل ضلع بابان، اثنان في السور الشمالي، هما: باب الفتوح[١] وباب النصر[٢]، واثنان في الضلع الجنوبي، هما: بابا زويلة[٣]، واثنان في الضلع الشرقي هما: باب البرقية[٤]، وباب القراطين[٥]، أما أبواب الضلع الغربي فهما: باب القنطرة[٦]، وباب سعادة[٧].

وأحاط بدر الجمالي[٨] القاهرة – في عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧) - بسور آخر، ضم الامتدادات العمرانية التي نمت ظاهر المدينة[٩]. وفتح فيه سبعة أبواب، حملت نفس أسماء أبواب جوهر وقابلتها؛ لتكون عوضاً عنها. غير أنه استبدال البابين اللذين فتحهما جوهر في السور الجنوبي بباب واحدة، أطلق عليها اسم "باب زويلة الكبيرة"[١٠].

وضع جوهر أساس القصر الشرقي مع وضع أساس سور القاهرة[١١] – في يوم الثلاثاء في السابع عشر من شعبان عام (٣٥٨ هـ/ ٩٦٩م)[١٢] – "واختط الناس حوله"[١٣]. أي أن القصر كان محوراً أساسياً ثابتاً في التخطيط.

* احتل القصر الشرقي المركز الرئيس من القاهرة؛ إذ روعي في موقعه أن يكون في قلب

---

(١) باب الفتوح: يقع منتصف السور الشمالي للمدينة. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٤٤-٢٥٣.
(٢) باب النصر: يقع قرب باب الفتوح، على يمنة الواقف داخله. انظر كرسويل، ١٣٣٥ هـ، تأسيس القاهرة، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٨٥، ج٤، ص٤٦٣.
(٣) بابا زويلة: بابان متلاصقان يقعان منتصف السور الجنوبي. انظر بول كازانوفا، تاريخ، ص٣٦، كرسويل، تأسيس، مج٨٥، ج٤، ص٤٦١ – ٤٦٢.
(٤) باب البرقية: يقع منتصف السور الشرقي. انظر كرسويل، تأسيس، مج٨٥، ج٤، ص٤٦٤.
(٥) باب القراطين: يقع إزاء نقطة التقاء السور الشرقي بالسور الجنوبي. انظر كرسويل، تأسيس، مج٨٥، ج٤، ص٤٦٣.
(٦) باب القنطرة: يقع إزاء نقطة التقاء السور الغربي بالسور الشمالي. انظر بول كازانوفا، تاريخ، ص٣٨، كرسويل، تأسيس، مج٨٥، ج٤، ص٤٦٤ – ٤٦٥.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٢١٣، القلقشندي، **صبح**، مج٣، ص٣٩٧-٣٩٨، علي مبارك، الخطط، ج١، ص٣٦. باب سعادة: يقع إزاء نقطة التقاء السور الغربي بالسور الجنوبي. انظر كرسويل، تأسيس، مج٨٥، ج٤، ص٤٦٢-٤٦٣.
(٨) بدر الجمالي: هو بدر بن عبد الله الجمالي أبو النجم، ولد سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م)، وتوفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، تقدم في الخدمة عند الفاطميين حتى ولي إمارة دمشق للمستنصر سنة (٤٥٥هـ/١٠٦٣م)، ثم ولاه المستنصر إمرة الشام بأسره عام (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) ثم استدعاه المستنصر إلى مصر؛ ليتولى أمر البلاد، بعدما تعرضت لما يعرف "بالشدة العظمى"، لإصلاح ما فسد من أمور مصر، وأسند إليه منصب الوزارة مضافاً إلى إمرة الجيوش. انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٩-٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٣، ١٣٦.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٦٠. ظاهر القاهرة: يطلق اسم القاهرة على كل ما أحاط به السور الذي بناه جوهر، ثم ما حازه السور الذي بناه بدر الجمالي. أما ما خرج عن هذه الأسوار وأضيف مع اطراد اتساع المدينة فقد أطلق عليه "ظاهر القاهرة". انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٠، أيمن سيد، التطور العمراني، ص٦٤.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٠، ٢٦٠ – ٢٦٨، حسن الباشا وآخرون، القاهرة، ص١٩٠.
(١١) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٣، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٣٩.
(١٢) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٦.
(١٣) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٣٩٤ – ٣٩٥.

المدينة؛ إلى الجانب الشرقي منها[١]، حيث كان له دور كبير في المدينة، فكـان مركـزاً للحيـاة السياسية في القاهرة، و"داراً للخلافة الفاطمية"[٢]، ومعقلاً لنشر المذهب الإسـماعيلي – مـذهب الدولة الفاطمية – فقد كان داعي الدعاة يعقد مجالس الدعوة الإسـماعيلية التـي يلقيهـا علـى المؤمنيين بالدعوة في مبنى منه يعرف بـ "المحـول"[٣]، كـان مـن "أعظـم مبـاني القـصر وأوسعها"[٤].

كما كان القصر الشرقي "منزل سكنى الخليفة ومحل حرمـه، وموضـع جلوسـه لـدخول العساكر وأهل الدولة، وفيه بيت المال وخزائن السلاح"[٥]، كما كان يجتمع به الناس لتقرأ عليهم فيه السجلات الصادرة عن الخلافة[٦].

وبما أن جوهراً اختط القصر الشرقي "وفق ترتيب ألقاه إليه المعز"[٧]، فيفتـرض أن فكـرة وضعه في قلب المدينة هي فكرة المعز، الذي أراد من ذلك - كما يبدو - أن يكون هو المحـور والقلب وقصره هو الأساس، حتى يعبر بذلك عن الطابع الأساسي الذي ينشده، وهو إبراز عظمة سلطانه والمحافظة على قداسته، لاسيما وأن الإمام عند الإسـماعيلية شخـصية مقدسـة تتمتـع بالعصمة[٨].

ضم القصر الشرقي مجموعة من الأبنية والقصور الـصغيرة والقاعـات، أطلـق عليهـا "القصور الزاهرة"، وسُمي مجموعها "القصر"[٩].

وبالرغم من سعة القصر الشرقي وتوافر أسباب العيش اللائـق فيـه [١٠]، إلا أنّ العزيـز (٣٦٥ – ٣٨٦ هـ/ ٩٧٥ – ٩٩٦م)، بنى قصراً آخر في غربه، عُرف باسم "القصر الغربـي"، خصصه لسكنى ابنته ست الملك[١١]؛ ولعله هدف من بنائه إبعاد ابنته عن "القـصر الـشرقي"-

---

(١) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٤ – ١٠٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٤ – ٢٨٧.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٤ – ٢٨٧.
(٣) ابن الطوير، نزهة، ص١١١، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٢٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٥.
(٤) ابن الطوير، نزهة، ص١١١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٦.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٤.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص٢١٥.
(٧) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٨٤.
(٨) الشيرازي، المجالس، ج١، ص١٩.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٤.
(١٠) حوى القصر الشرقي خزائن عدة، توافرت فيها ضروريات المعيشة من مأكل ومشرب وملـبس وأثـاث للقصور. حول ذلك انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٤ – ٤٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٥٥ – ٣٩٩.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٩٥.

المركز السياسي للدولة- لما لمسه من توجه لديها في التدخل في سياسة الدولة[١]. ولم تذكر المصادر معلومات حول هوية ساكنيه بعد وفاة ست الملك عام (٤١٤ هـ/١٠٢٣م)[٢].

واحتراماً لهيبة القصور وساكنيها، أقام جوهر حولها الأبنية (الرسمية) التي تتولى حمايتها. إذ قامت الحجر – جمع حجرة – شمال القصر الشرقي، وهي التي كان يُقيم فيها الغلمان المختصون بحراسة وحماية الخلفاء والقصور[٣]، كما قامت بين القصرين (الشرقي والغربي) ساحة واسعة تسع عشرة آلاف جندي[٤]؛ من أجل تأمين الحماية للقصرين.

وقامت حول القصور المعالم العمرانية التي تفي بمتطلبات ساكنيها، إذ قام في الشمال الشرقي من القصر الشرقي "المناخ"، الذي يحوي المخازن المخصصة لتموين القصور، والجيش بالمواد الغذائية [٥].

وقام في الجنوب الشرقي من القصر الشرقي اسطبل الطارمة[٦]، وقام في غرب القصر الغربي اسطبل الجميزة[٧] – الذي سمي بذلك؛ لأنه كان في وسطه شجرة جميز كبيرة[٨] – وهذان الاصطبلان كانا مخصصين؛ لحفظ دواب وخيول الخليفة والجيش[٩].

* وضع جوهر أساس الجامع الأزهر في ٢٤ جمادى الأولى عام (٣٥٩ هـ/٩٧٠م)[١٠]. وكما اختلط الناس حول القصر الشرقي، فقد اختطوا أيضاً حول الجامع الأزهر[١١]، مما يدل على أنه هو الآخر – فضلاً عن القصر الشرقي – كان محوراً أساسياً ثابتاً في التخطيط.

أسس جوهر الجامع الأزهر في الجنوب الشرقي من القاهرة[١٢]، وبذلك نحاه جوهر عن قلب المدينة، حيث مقر إقامة الخلفاء الفاطميين، رغم أهمية وجوده إلى جانبهم؛ إذ أنّه – فضلاً عن القصر الشرقي – كان مركزاً لنشر المذهب الإسماعيلي[١٣]، فجعله في مكان قريب من الخلفاء؛ يسهل عليهم الإشراف عليه.

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٠.
(٣) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٥١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٥٣.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٤٧.
(٥) ابن الطوير، نزهة، ص١٤٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٥٦.
(٦) ابن الطوير، نزهة، ص١٣٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٥٧. الطارمة: بيت من خشب. انظر الجواليقي، المعرب، ص٢٢٤.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥١٨.
(٨) المصدر نفسه، مج٢، ص٥١٨.
(٩) ابن الطوير، نزهة، ص١٣٥ – ١٣٦.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص٩٠ – ٩١.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٢١٩، مج٣، ص٢٨.
(١٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٢١٨.
(١٣) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٠٧، مج٤، ق١، ص٣٨٩، رمزية الأطرقجي (١٩٧٩م). الأزهر في ظل الفاطميين، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع ٢٥، ص١١٥-١٢٠.

ولعل الاعتبارات الأمنية هي السبب في تنحية الجامع الأزهر عن قلب المدينة، إذ إنّ وجوده في مركزها – حيث يقيم الخلفاء الفاطميون – يقتضي توافد عدد كبير من الناس إليه؛ لأداء الصلاة، مما قد يشكل خطراً على سلامة الخلفاء وخواصهم.

ومع تنامي أهل المدينة كانت تتم توسعة هذا الجامع، حيث جدده العزيز (٣٦٥ – ٣٨٦ هـ/ ٩٧٥ – ٩٩٦م) [١]وعمر به أماكن[٢]، ثم جدده المستنصر (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ/١٠٣٥ – ١٠٩٤م)، كما جدده الحافظ لدين الله (٥٢٤ – ٥٤٤ هـ/ ١١٣٠ – ١١٤٩م)[٣].

أما مصلى العيد فقد أقامه جوهر ظاهر المدينة من جهة باب النصر[٤]، ولعله أقامه ظاهرها؛ لأنّ الحاجة لم تكن ماسة لإنشائه داخلها، إذ لم تكن تؤدى فيه سوى صلاة عيدي الفطر والأضحى[٥].

لقد اهتم المؤرخون[٦] بتقديم إحصاءات (تقديرية) لعدد المساجد في القاهرة، في فترات مختلفة – سواء الجامعة أم الاعتيادية – وبذكر تطور بنائها، وكأنها مقياس لتوسع المدينة أو ازدهارها.

ويبدو أنّ هناك صلة بين توسع المدينة، ووجود أكثر من مسجد جامع بها، فالأصل أن يكون للمدينة مسجد جامع واحد، فهي وحدة مدنية، ولكن قام للقاهرة مع اطراد اتساعها في عهد العزيز (٣٦٥ – ٣٨٦ هـ/ ٩٧٥ – ٩٩٦م) [٧]مسجد جامع آخر؛ لتلبية احتياجات النمو السكاني المطرد بها، وضع أساسه العزيز – عام (٣٧٩ هـ/٩٨٩م)،[٨] – ظاهر باب الفتوح، ولم يتمه فأكمله ابنه الحاكم (٣٨٦- ٤١١هـ/ ٩٩٦ – ١٠٢٠م) فعرف بـ "جامع الحاكم"[٩]، ويقال له "الجامع الأنور"[١٠]. وكان انتهاء بنائه في سنة (٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)[١١]، فكان الخليفة "يخطب به جمعة، وفي الجامع الأزهر جمعة وفي جامع ابن طولون جمعة، وفي جامع عمرو بن العاص جمعة"[١٢].

---

(١) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤١٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص٩٠-٩١.
(٢) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤١٠.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص١٠٠.
(٤) المصدر نفسه، مج٣، ص٤٦٢، مج٢، ص٤٧٨، علي مبارك، الخطط، ج١، ص٣٩.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٥.
(٦) انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٦٨-٨٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص٩٠ -١٦٧.
(٧) حول النمو العمراني الذي شهدته المدينة في عهد العزيز انظر ص ١٧-١٨ من الاطروحة.
(٨) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٦٨.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص١٠٧ -١١١.
(١٠) المصدر نفسه، مج٤، ق١، ص١٠٧ – ١١١.
(١١) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٦٨، ابن إياس، **بدائع**، ج١، ق١، ص١٩٧.
(١٢) المقريزي، **المواعظ** مج٤، ق١، ص١٠٢.

لقد فاقت مساحة الجامع الأنور مساحة الجامع الأزهر[(١)]، فكان يقال له الجـامع الكبيـر[(٢)]؛ ربما تمييزاً له عن الجامع الأزهر الذي يصغره مساحة.

وقامت للقاهرة ثلاثة مساجد اعتيادية، شُيد أولها عام (٥١٥ هـ/١١٢١م) في عهـد الآمـر (٤٩٥ -٥٢٤ هـ/ ١١٠١-١١٣٠م) [(٣)]، وسمي بالمسجد الأقمـر، وافتـتح للـصلاة عـام (٥١٩هـ/ ١١٢٥م)[(٤)]. ويقع شمال القصر الشرقي، لا يفصله عنه سوى ممر ضيق[(٥)]. وربمـا كان الباعث لإنشائه؛ تلبية حاجة ساكني القصور؛ بإنشاء مسجد قريب منهم.

وبنى الخليفة الظافر (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م) عام (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، مسجداً نـسب إليه عُرف بـ "المسجد الظافري"، وسُمي أيضاً بالمسجد الأفخر، يقع في وسط سـوق الـسراجين[(٦)]. ولعله كان مدفوعاً لبنائه؛ بحاجة أهل السوق لإنشاء مسجد قريب منهم يؤدون فيه الـصلاة، كمـا إنّ قيامه في السوق يحقق للأخير رواجاً تجارياً، حيث يكون إلى جوار تجمع المصلين.

وبنى الوزير طلائع بن رزيك[(٧)] مسجداً - عام (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) – نـسبه إليـه، يقـع ظاهر باب زويلة الكبير[(٨)]. وربما كان لبنائه صلة بازدياد الكثافة السكانية حوله، لا سـيما بعـد النمو السكاني الذي شهدته منطقة المسجد – في عهد الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١- ١١٣٠م) – والذي امتد من ظاهر باب زويلة الكبير حتى المشهد النفيسي[(٩)].

* روعي في تخطيط المدينة إيجاد شارع رئيسي موازي للخليج، قسم المدينـة إلـى قـسمين متساويين، أُطلق عليه "الشارع الأعظم"، كما أطلق عليه "قصبة[(١٠)] القـاهرة"[(١١)]؛ كونـه يمثـل المحور الرئيسي للمدينة؛ لارتباطه بجميع أجزاءها، حيث مدت دروب عدة عن يمينه ويـساره، ربطت بينه وبين شرق المدينة من ناحية جبل المقطم، وبين غرب المدينـة مـن ناحيـة خلـيج القاهرة[(١٢)].

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج ٤، ق١، ص١٠٣.
(٢) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٧٠.
(٣) ابن ميسر، **أخبار**، ص٩١، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٧٣.
(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٧٣، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤١١-٤١٢.
(٥) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٧٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٩.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص١٦٤. سوق السراجين: يقع عند بابي زويلة. المقريـزي، **المـواعظ**، مج٣، ص٣٣١.
(٧) طلائع بن رزيك: الملقب بالملك الصالح، أصله من الشيعة الإمامية في العراق، قدم مصر فقيراً، فترقى في الخدمة، حتى ولي منية ابن خصيب من أعمال الصعيد المصري، ثم ولي الوزارة في أيام الخليفة الفائز (٥٤٩-٥٥٥هـ / ١١٥٤م – ١١٦٠م) والعاضـد (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠- ١١٧١م). تـوفي سـنة (٥٥٦هـ / ١١٦٠م). انظر ابن خلكان ، وفيات، ج٢، ص٥٢٦- ٥٢٨.
(٨) النويري، نهاية، ج٢٨، ص٢١٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٤٥١.
(٩) حول النمو العمراني الذي شهدته المدينة في عهد الآمر، انظر ص ١٩-٢١ من الأطروحة.
(١٠) القصبة: قصبة البلد مدينته، وقيل معظمة، انظر ابن سيدة، المخصص، ج٦، ص٣٢٦.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٤٤، علي مبارك، الخطط، ج١، ص٣٨.
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢،ص٢٤٤-٢٥٣.

كما كان الشارع الأعظم عنصر الربط الأساسي بين القاهرة والفسطاط، إذ كان يربط باب الفتوح في الشمال بباب زويلة في الجنوب[١]، ويخترق الفسطاط[٢].

* وتبرز الاعتبارات الأثنية في توزيع سكان القاهرة، فقد كانت خطة جوهر في توزيع الحارات [٣] على الجيوش التي رافقته من المغرب[٤]، تقوم على إسكان كل صنف من جيشه في حارة حسب أعراقهم[٥]. وربما كان هدفه من ذلك؛ تلافي قيام المشاكل بينهم، هذا من جانب؛ وليأمن جانبهم ويضربهم ببعض إذا لزم الأمر من جانب آخر، لا سيما وأن سياسة الدولة الفاطمية سواء في المغرب أم في مصر قامت على أساس حفظ توازن القوى، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بعنصر آخر؛ للحد من نفوذه.[٦]

لقد اشتملت حارات الفاطميين على الدور والمساجد والأسواق والحمامات[٧]. ويرجح أن الحارات قسمت تقسيماً اجتماعياً وعسكرياً، ففضلاً عن كونها مركزاً سكنياً، كانت أيضاً مركزاً عسكرياً، فكانت حارة البرقية –كما يقول أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)- "مجمع دور الأجناد" [٨] منها تخرج السرايا العسكرية الفاطمية – التي تصدت للوزير عباس الصنهاجي[٩] وقواته الخاصة[١٠]- وإليها تعود[١١]، وإن عدم إشارة كتب الخطط [١٢] إلى معسكرات للجيوش في القاهرة التي شيدت "لتكون معقل قتال" [١٣]؛ ربما يشير إلى الطبيعة المزدوجة للحارة.

لم تتركز حارات القاهرة في منطقة محددة منها، بل وزعت في أرجائها، ولعل الهاجس الأمني هو السبب في ذلك، فإذا افترضنا أنّ كل حارة، هي مركز عسكري – فضلاً عن كونها مركزاً سكنياً- فعند تفريقها في أرجاء المدينة؛ تصبح في القاهرة عدة مراكز عسكرية، فيعمل أهل هذه

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٤٤-٢٥٣، أندريه ريمون، القاهرة، ص٥٠.
(٢) ابن الطوير، نزهة، ص١٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٦.
(٣) الحارة: كل محلة دنت منازلها والمحلة منزل القوم. انظر ابن سيده ، المخصص، ٥ج، ص٢١٠.
(٤) النويري، نهاية، ج٢٨، ص٨١.
(٥) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢١، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٤٠-١٤١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٠، مج٣، ص٣٧-٣٨.
(٦) انظر ص ٧٨ – ٧٩ من الأطروحة.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٦.
(٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ٢٣.
(٩) عباس الصنهاجي: أصله من المغرب، ترقى في الخدمة حتى ولي الغربية، وزر للخليفة الظافر، وقام بقتل الظافر، فقتله الفرنج بوصاية من نساء القصر سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)، انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٥-٥٦.
(١٠) حول تفاصيل الصراع بين الجيش الفاطمي والوزير عباس الصنهاجي، انظر أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص٢٣.
(١١) المصدر نفسه، ص٢٣.
(١٢) مثل كتاب ابن عبد الظاهر، **الروضة** البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، والمقريزي، **المواعظ** والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
(١٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٠.

المراكز على ضبط الأمن والنظام، وعلى تفكيك أية محاولة للثورة ضد السلطة المركزية.

قامت بعض حارات المدينة حول أسوارها، بحيث شكلت نقاط حراسة، لمداخل المدينة، وهي:

حارتا الروم: اختط الروم عند تأسيس القاهرة[١] حارتين، حارة عرفت بحارة الروم العليا[٢] عند باب النصر[٣] على يسار الداخل منه[٤]، والحارة الأخرى عرفت بحارة الروم السفلى[٥] عند بابي زويلة على يمين الداخل منهما[٦].كما قامت حارة الوزيرية عند باب سعادة[٧]، وقامت حارة زويلة بجوار البستان الكافوري[٨]، بحيث لاصقت السور الغربي للمدينة[٩]، وقامت حارة الفرحية عند باب القنطرة[١٠].

وانتشرت بعض الحارات حول القصور؛ من أجل تأمين الحماية لساكنيها. وهي:

حارة برجوان الواقعة شمال القصر الغربي[١١]، وحارة العطوفية التي قامت غرب المناخ السعيد[١٢]، وحارة البرقية الواقعة شرق القصر الشرقي[١٣].

كما التفت حارات أخرى حول الجامع الأزهر، من أجل حمايته على اعتبار أنّه مركز لنشر المذهب الإسماعيلي، وهذه الحارات هي:

حارة الديلم والأتراك غرب الجامع الأزهر[١٤]، وقامت حارة الباطلية غرب الجامع المذكور[١٥]، وقابلتها حارة كتامة[١٦].

ومع نمو المدينة وتزايد عدد سكانها لم تعد قادرة على استيعاب حارات جديدة في عهد قريب من تأسيسها، بدءاً من عهد العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، مما قاد بدوره العزيز إلى تطوير تخطيطها الأول الذي قرره لها جوهر، فوسع المدينة خارج الحدود التي رسمها لها

---

(١) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٧-٣٨.
(٣) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢١، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٤٠-١٤١.
(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢١.
(٥) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢.
(٦) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٤٠-١٤١، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٠.
(٨) البستان الكافوري: يقع غرب القصر الغربي. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٩.
(٩) المصدر نفسه، مج٢، ص٢١٩
(١٠) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٩، Ayman Fu'ad Sayyid, La Capitale de L'Egypte Jusqu, alepoque fatimide (al-Qahira et al-Fusta)- P.508.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٩.
(١٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٢١٨. المناخ السعيد. يقع في الشمال الشرقي من القصر الشرقي. المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٩٥.
(١٣) ابن دقماق، الانتصار،ج٤، ص٣٧، Ayman, Fu'ad Sayyid, op.cit, P. 181, 274.
(١٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٩.
(١٥) المصدر نفسه ، مج ٢، ص٢١٩، Ayman Sayyid Ayman Fu'ad Sayyid op.cit, P. 676
(١٦) ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٣٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٨.

جوهر. فقام بتأسيس مسجد جامع ظاهر باب الفتوح[(١)]، كما قامت في عهد العزيز حارة في ظاهر القاهرة الجنوبي، على يسار الخارج من باب زويلة[(٢)]، سميت بحارة اليانسية[(٣)].

إلا أنّ الكثافة السكانية التي شهدتها المدينة منذ عهد العزيز سرعان ما تلاشت اثر الشدة المستنصرية[(٤)]، التي نتج عنها خلخلة الكثافة السكانية في المدينة؛ نتيجة لوفاة عدد كبير من سكانها[(٥)]، وهجره البعض الآخر منهم[(٦)].

وإزاء هذه الشدة التي "اختلت بها أحوال مصر، وخربت خراباً شنيعاً"[(٧)]، دعا المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) لإنقاذ البلاد منها قائداً أرمنياً كان يتولى الشام، يدعى بدر الجمالي، وقد لبى الأخير تلك الدعوة[(٨)].

عندما دخل بدر الجمالي القاهرة عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، بدا واضحاً عليها أثر الشدة المستنصرية، فكانت – كما يقول المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) – "خاوية على عروشها غير عامرة"[(٩)]، والخراب الذي يشير إليه المقريزي إنما هو خلوها من السكان، لا تدمير معالمها، إذ نتج عن الشدة المستنصرية مجاعة رافقها وباء[(١٠)]، الأمر الذي لا يؤدي إلى تدمير معالم المدينة.

أباح بدر الجمالي -عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)- "للناس من العسكرية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة"[(١١)]، مما دفع قسماً من أهل الفسطاط للرحيل إلى القاهرة –نتيجة لخراب مدينتهم أثر الشدة المستنصرية الذي فاق خراب القاهرة- وتعمير منازلهم من أنقاض دور الفسطاط "مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله"[(١٢)] أثر الشدة المستنصرية، الأمر الذي أدى إلى تفوق القاهرة عمرانياً وسكانياً على الفسطاط [(١٣)]،التي كانت

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص١٠٧.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٤٦-٤٧.
(٣) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٤٦.
(٤) الشدة المستنصرية: اصطلح المؤرخون على تسمية الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر في عهد المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) - في الفترة الزمنية الممتدة من (٤٥٧-٤٦٤هـ/ ١٠٦٥-١٠٧٢م). والتي نتج عنها مجاعة رافقها وباء – بالشدة المستنصرية. انظر المقريزي، إغاثة، ص١٨٠-١٨١.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٩٩-٢٠٠، الصاوي، أحمد، (د.ت)، المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية زمن الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص٣١-٧٠.
(٦) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٥، الشامي، عبد العال، (١٩٧٣م)، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنيين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص٣٥٢- ٣٦٠.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٦٦.
(٨) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٧٦.
(٩) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٢٢.
(١٠) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٠٠.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٢٢.
(١٢) المصدر نفسه، مج ٢، ص٢٢٢.
(١٣) ابن رضوان، دفع، ص١٦١-١٦٢.

قبل الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٠٧٢م) تفوق القاهرة في "العظم وكثرة الناس"[(١)].

لقد فقدت القاهرة مكانتها كمدينة رسمية مخصصة لسكنى الخلفاء، وعساكرهم ومن شرفوه بقربهم فقط[(٢)]، عقب سماح بدر الجمالي لكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر في القاهرة. وربما هدف بدر الجمالي من إزالة خصوصية المدينة؛ فضلاً عن تعميرها، القضاء على عظمة وأبهة الخلفاء، إذ إنّ قصر المدينة على سكنى الخلفاء وخواصهم والجيش المرتبط بهم، يثبت فكرة هي أنّ الخلفاء هم محور المدينة وجيوشهم أساسها، مما يضفي عليهم نوعاً من القوة والعظمة، وهذا ما أراد بدر الجمالي سلبه منهم كخطوة منه؛ لإبراز قوته وعظمته وفرض سيطرته هو وجيشه الأرمني على المدينة، لا سيما وأنّ نية السيطرة كانت في خاطره منذ أن طلب منه المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م) المجيء إلى مصر، فاشترط عليه أن لا يأتي مصر إلا مع عساكره الأرمن، وأن لا يبقى من عساكر مصر أحد[(٣)].

أسكن بدر الجمالي عساكره الأرمن في حارات ظاهر القاهرة الشمالي (خارج أسوار جوهر) من جهة باب الفتوح[(٤)]؛ ربما كان ذلك لحرصه على إبقاء تميزهم العسكري، إذ إن سكناهم إلى جانب المدنيين –الذين انتقلوا إلى القاهرة إثر سماح بدر لكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء في القاهرة - المقيمين داخل المدينة [(٥)]، قد يؤدي إلى تأثرهم بعاداتهم وأخلاقهم، وبالتالي تأثرهم بالجو الحضري، وجرهم إلى حياة الترف، مما يضعف سماتهم العسكرية التي تميزوا بها، والتي كان من الضروري الحفاظ عليها.

شهدت القاهرة في عهد الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) حركة عمرانية واسعة، لم تشهد مثلها في عهود الخلفاء الذين سبقوه، إذ إن توافد المدنيين إلى المدينة، منذ قدوم بدر الجمالي إليها عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، قد أدى إلى استمرار البناء واطراد النمو السكاني بها، حتى وصل كما يبدو في عام (٥١٥هـ/ ١١٢٠م)- العام الذي بدأ به الآمر بتوسعة المدينة[(٦)] – حداً لم تستطع القاهرة استيعابه، مما قاد بدوره الخليفة الآمر إلى توسعة المدينة؛ من أجل استيعاب ساكنيها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن حلم الفاطميين في السيطرة والتوسع

(١) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤١٨.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢،ص٢٢٠.
(٣) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٧٦.
(٤) النويري، نهاية، ج٢٨، ص١٩٧، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٥.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٢.
(٦) المصدر نفسه، مج٤، ق١، ص٥٨-٥٩.

نحو المشرق، كان قد انتهى بفقدانهم آخر ممتلكاتهم فيه عام (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م)[١] ، الأمر الذي دفع الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٣٠م) إلى توجيه اهتمامه إلى المدينة ونموها وتوسيعها.

ركز الآمر عمران المدينة في جميع أنحائها الخالية، فقد أصدر أوامراً صارمة أجبر فيها الناس بتعمير أراضيهم ودورهم التي في موضع الخراب الذي خلفته الشدة المستنصرية، وهو يبدأ من ظاهر باب زويلة الكبير ويتجاوز حدود القاهرة[٢]، فيمتد حتى المشهد النفيسي[٣] بالفسطاط[٤]. وبعد تعمير موضع الخراب "اتصلت مباني القاهرة بمباني مدينة الفسطاط، بحيث صارتا كأنهما مدينة واحدة"[٥]، "لا يتخللهما خراب" [٦]، و"لا داثر أو دارس"[٧]. وأقام الآمر حارتين للعساكر في موضع الخراب المذكور، هما:

حارة المنصورة: التي تقع على يسرة الخارج من باب زويلة[٨]، وحارة المصامدة: الواقعة يمنة الخارج من الباب المذكور[٩].

ولعل الآمر كان مدفوعاً لإجبار الناس على تعمير موضع الخراب، وإقامة حارات للعساكر فيه؛ بخوفه من النزارية[١٠]، الذي كان خطرهم قائماً في عهد الآمر[١١]، حيث إنّ الأماكن الشاغرة قد تمثل تهديداً للدولة، فتعميرها وإقامة حارات للعساكر بها يؤمن حمايتها، إذ يعمل سكان الحارات العسكرية على ضبط الأمن فيها، وعلى تفكيك أية محاولة للثورة ضد

---

(١) نجح السلاجقة عام (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) في الاستيلاء على بغداد، وقطع خطبة الفاطميين منها، واستطاعوا مع **نهاية**عام (٤٦٨هـ / ١٠٧٦م) مد نفوذهم على أغلب مدن الشام، وقطع خطبة الفاطميين منها أيضاً، وتمكن الفرنج في عام (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م) من الاستيلاء على بيت المقدس، وبقية مدن الشام الساحلية. انظر ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٨، ص٢٣٨- ٣٤٦، ابن ميسر، **أخبار** ص ٦٩- ٧١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٦٢.

(٢) جامع ابن طولون هو الحد الفاصل من الناحية الإدارية بين القاهرة والفسطاط. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٠. ويقع جامع ابن طولون، مقابل بركة الفيل الواقعة على حافة الخليج الشرقية، انظر المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٣٣٩، علي مبارك، الخطط، ج١، ص٣٧.

(٣) المشهد النفيسي: يقع في الفسطاط بين القطائع والعسكر، انظر علي مبارك، الخطط، ج٥، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٣٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص٥٨-٥٩.

(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص٧.

(٦) المصدر نفسه ، مج٣، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٧) المصدر نفسه، مج ٣، ص٥٧.

(٨) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٩.

(٩) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٣٣، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٩.

(١٠) الطائفة النزارية: نسبة إلى نزار الابن الأكبر للمستنصر بالله الفاطمي، الذي كان أحق بالإمامة بعد أبيه وفقاً للمذهب الإسماعيلي، إلا أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، الذي كان متغلباً على الدولة بعد وفاة المستنصر، خشي إن ولي نزار الخلافة أن يبعده عن مركزه، فعمد إلى تولية أخيه الأصغر ونعته "بالمستعلي لدين الله" وهو في الوقت نفسه زوج أخته، الأمر الذي أدى إلى انقسام أتباع المذهب الإسماعيلي، إلى نزارية يؤيدون نزار، ومستعلية يؤيدون المستعلي الخليفة القائم في الحكم. راجع عن النزارية، ابن ميسر، **أخبار**، ص٥٩، ٦٣، ٩٧، ١٠٣، القلقشندي، **صبح**، ج١٣، ص٢٣٧، فرهاد دفتري، حسن الصباح وأصول الحركة الاسماعيلية، بحث بكتاب الاسماعيليين في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم ص٢٠١.

(١١) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١١١، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢٣٧.

السلطة المركزية.

وشهدت المدينة في عهد الآمر نمواً في ظاهرها الشمالي، إذ قامت به حارة الريحانية[1]، على يسرة الخارج من باب الفتوح[2]، كما حث الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٠١-١١٣٠م) الناس على التعمير في المنطقة الواقعة غرب الخليج[3]، ويبدو أن التوسع بها كان نشيطاً، بحيث أن والي القاهرة كان يحتاج إلى مناوبة أحد أعوانه لحفظ الأمن فيها[4]، ولا ريب أن وجود الخليج غرب هذه المنطقة قد ساعد على اضطراد العمران بها؛ بسبب اشتمالها على مصدر المياه.

كما خطت في عهد الآمر حارة للبيازرة[5] على شاطئ الخليج من شرقيه مقابل باب القنطرة[6]، وذلك عندما اشتكى رئيس البيازرة في مصر للخليفة الآمر، ضيق دار الطيور بمصر، وسأله أن يفسح للبيازرة في عمارة حارة على شاطئ الخليج؛ لحاجة الطيور إلى الماء، فأذن له الآمر في ذلك[7].

انتهى بمقتل الآمر ازدهار القاهرة – في العصر الفاطمي – فلم يرد ما يشير إلى توسع عمراني في المدينة عقب مقتل الآمر، ويبدو أن المشاكل والاضطرابات التي عاشتها الدولة الفاطمية في مصر منذ مقتل الآمر عام (٥٢٤هـ/ ١١٣٠م) حتى سقوطها عام (٥٦٧هـ/ ١١٧١م) [8]، هي التي أدت إلى تدهور عمران المدينة، إذ انشغل الخلفاء الذين جاءوا بعد الآمر في التصدي لتلك المشاكل، ولم يتفرغوا للعمران.

* لم تلق أسواق القاهرة في العصر الفاطمي عناية كافية من المؤرخين، عدا ما أورده عنها المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) الذي كان يكتفي غالباً بنسبة الأسواق إلى العصر الفاطمي، دون تحديد سنة قيامها[9]، الأمر الذي يوجد صعوبة في تتبع نموها وتطورها.

لقد كانت الأسواق محط اهتمام الفاطميين عند اختيار موقع القاهرة، فقد حرصوا على

---

(١) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٩٥.
(٢) الخاصكي آق بغا، التحفة، ص١، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٥٩.
(٣) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٨،
(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٢٧
(٥) البازيار:مدرب الحيوانات والطيور على الصيد . انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص٤٤٦، سعيد محمد، الألقاب، ج١، ص٢٦٥.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥٨.
(٧) المصدر نفسه، مج٣، ص٥٨.
(٨) ليس المجال هنا للحديث عن المشاكل والاضطرابات التي عاشتها الدولة الفاطمية في مصر، في الفترة الزمنية الممتدة من (٥٢٤هـ/١١٣٠م إلى ٥٦٧هـ/ ١١٧١م) حول ذلك انظر: الطوير، نزهة، ص٣٧-٥٠، ١٢٢-١٤٠، ابن ميسر، **أخبار**، ص١١٩-١٣٠، النويري، نهاية، ج٢٨، ص٢٩٨-٤٠٠، أيمن سيد، الدولة الفاطمية، ص٢٥٥- ٣٠٩، حسن إبراهيم حسن، الفاطميون، ص٢٩٢- ٣١١.
(٩) انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص ٣١٥-٣٣٥.

وقوعها غرب خليج القاهرة، إذ إن اتصال الخليج المذكور بنهر النيل[(١)]، يكفل تموين أسواق القاهرة بالبضائع عن طريق النهر[(٢)].

لقد استنفدت الأزمات الاقتصادية التي كان يعيشها المجتمع المصري عند الفتح الفاطمي لمصر عام (٣٥٨هـ/٩٦٩م) [(٣)]الأموال الوفيرة التي حملها جوهر معه من المغرب إلى مصر[(٤)]، مما أدى إلى ضعف السيولة النقدية في المدينة، وحال دون نشوء الأسواق بها عند تخطيطها الأول[(٥)]، فلم تنشأ بها سوى حوانيت صغيرة متفرقة في أرجائها[(٦)]؛ لتلبية المتطلبات الأساسية للسكان. وكانت القاهرة حتى قدوم المعز إليها عام (٣٦٢هـ/٩٧٣م) تعتمد على الفسطاط لتزويدها باحتياجاتها، حيث كانت تفتقد وجود ميناء تجاري بها يمدها بمتطلباتها[(٧)].

إن تزامن وصول المعز إلى مصر -عام (٣٦٢هـ/٩٧٣م)- مع انتهاء الأزمات الاقتصادية في البلاد[(٨)]، وبصحبته أموال هائلة من المغرب[(٩)]، فضلاً عن استقرار الفئة الثرية بالمدينة – ممثلة بالخليفة وحاشيته وأقاربه[(١٠)]- ذات القوة الشرائية، تطلب نشاطاً تجارياً واسعاً في المدينة، قامت الدولة لتلبيته بإنشاء ميناء تجاري في المدينة؛ ليتولى تزويدها بما تحتاج إليه من سلع، فقد ذكر المسبحي (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) في أحداث عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م) أن المراكب المحملة بالقمح كانت تصل منطقة المقس[(١١)]، وينقل ما فيها إلى القاهرة[(١٢)]، مما يدل على وجود ميناء تجاري بالمقس خاص بالقاهرة؛ إذ إن تلك المراكب لا بد لها من مرسى. ويبدو أن قيام ذلك الميناء تزامن مع قيام دار الصناعة[(١٣)] التي أنشأها المعز في المقس[(١٤)]، حيث إن وجود دار لصناعة السفن يستلزم قيام ميناء ترسو عنده تلك السفن، وقد رافق قيام ذلك الميناء

---

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص ١١٥، المقريزي، **المواعظ**، مج ٣، ص٤٦٦-٤٦٨.
(٢) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٠٧.
(٣) لقد بدأت تلك الأزمات منذ عام (٣٥٢هـ/٩٦٣م) وانتهت عام (٣٦١هـ /٩٧٢م)، انظر المقريزي، إغاثة، ص٦٠.
(٤) ابن سعيد، **النجوم**، ص١٠٢، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢١١.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٣٢.
(٦) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص ١٠٤.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٠٤.
(٨) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٦٣.
(٩) ابن زولاق، فضائل ، ص٤٦ -٤٧، ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٢٢٦-٢٢٧.
(١٠) أبو الفداء، المختصر ، ج١، ص٤٥٢.
(١١) منطقة المقس: تقع على شاطئ النيل، الذي يبعد عن القاهرة نحو ميل. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج ٣، ص٦٠٢.
(١٢) **أخبار**، ج٤٠، ص٣٩.
(١٣) دار الصناعة: اسم لمكان قد أعد لصنع المراكب البحرية التي يقال لها السفن، وهي بمصر على قسمين: حربية ونيلية. فالحربية هي التي تنشأ لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب، إضافة إلى المقاتلة، وكانت هذه المراكب الحربية تشكل "الأسطول". وأما المراكب النيلية فإنها تنشأ لتتنقل بالنيل، ومهمتها حمل الغلال وغيرها. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٦٠٢.
(١٤) المصدر نفسه، مج٣، ص٤٠٣.

بداية نشوء الأسواق في القاهرة[١].

ويبدو أن الأسـواق شـهدت نمـواً سـريعاً، فقـد تحـدث ناصـر خـسرو (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) –الذي قام برحلته إلى مصر بين سـنتي (٤٣٧-٤٤٤هـ/١٠٤٥-١٠٥٢م)- عن عظمة أسواق القاهرة قائلاً: وكانت في القاهرة عشرين ألف دكان يمتلكها الخليفة جميعاً، ويؤجر الكثير منها بمبالغ تتراوح ما بين دينـارين إلـى عـشرة دنـانير شهرياً[٢]، " وكانت دكاكين البزازين والصرافين وغيرهم مملـوءة بالـذهب والجـواهر، والنقد، والأمتعة المختلفة، والملابس، بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس"[٣]

إلا أن تلك الأسواق لم تلغ اعتماد القاهرة على أسواق الفسطاط بشكل نهائي، فيذكر المسبحي (ت٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) في أحداث عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م) أنّ طائفة من جواري وخدم القصر نزلت للشراء من أسواق الفسطاط[٤]؛ ربما لأنها كانت "أكثر أرزاقاً وأرخص أسعاراً من القاهرة، لقرب النيل من الفسطاط، فالمراكب التي تصل بالخيرات تحط هناك، ويباع ما يصل فيها بالقرب منها، وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة، لأنـه بعيـد عـن المدينة"[٥].

إن الأزمة الاقتصادية التي شهدتها مصر في عهد المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) في الفترة الزمنية الممتدة من عام (٤٥٧هـ/١٠٦٥م إلى عام ٤٦٤هـ/١٠٧٢م)، والتي نتجت عنها مجاعة رافقها وباء[٦]، فضلاً عن انعدام الأمن في المدينة؛ بسبب فوضـى الجند[٧]، ربما انعكس أثره على الأسواق وأدى إلى انكماشها وركود النشاط التجـاري فيهـا؛ نتيجة "لتفرق الناس من القاهرة"[٨]، وعزوف التجار عن استثمار ثرواتهم في مصر وفرارهم منها[٩].

(١) المقريزي، **المواعظ** ، مج٣، ص٣٣٢.
(٢) **سفرنامة**، ص١٠٤.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢١.
(٤) **أخبار**، ج٤٠، ص٣٧.
(٥) ابن سعيد، **النجوم**، ص٢٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٩.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٠.
(٧) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٥-١٠٦.
(٨) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٥.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص٥٣.

إن قدوم بدر الجمالي إلى مصر عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، وتصديه للأزمات الاقتصادية والفتن التي كانت تمر بها البلاد(١)، ونجاحه في جذب التجار الذين فروا من مصر إبان الأزمة الاقتصادية التي مرت بها البلاد(٢)، فضلاً عن نمو المدينة وزيادة عدد سكانها، أثر سماح بدر للمدنيين بسكانها(٣)، كان له أثر واضح في عودة الحركة التجارية إلى مصر، "فرخصت الأسعار وكثر الجالب من سائر الأصناف"(٤)، "وكثر تردد التجار في أيامه (أي بدر) إلى مصر بعد نزوحهم عنها"(٥)، وتحسنت أحوال التجار وانتعشت تجارتهم، مما دفع بعضهم إلى مدح بدر الجمالي بقصائد مطولة(٦). ويمكن القول أن النشاط التجاري في المدينة قد انعكس على الأسواق، وأدى إلى نموها؛ لتواكب الوضع الجديد، ولتفي بحاجات النمو السكاني، والتوسع العمراني الذي شهدته المدينة.

لقد شهد عهد الآمر توسعاً كبيراً في النشاط التجاري بالقاهرة، " فتردد المسافرون، والتجار، وجلبت البضائع، وزاد الحاصل في الخزائن من كل صنف، مضافاً إلى ما كان فيها"(٧)؛ بسبب اهتمام وزراء الآمر في تدعيم الحركة التجارية، فكان الأفضل بن بدر الجمالي" حسن السيرة في التجار" (٨). وكان المأمون بن البطائحي(٩) " يكرم التجار، ويكف الأذى والضرر عنهم" (١٠).

إن توسع النشاط الاقتصادي في وزارة المأمون ارتبط في بناء منشآت الخدمات الاقتصادية في القاهرة، فقام المأمون بن البطائحي عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) ببناء أول "دار ضرب" في القاهرة "صار دينارها أعلى عياراً من جميع ما يضرب في جميع الأمصار"(١١)، وقام المأمون في نفس العام ببناء "دار وكالة"(١٢) لمن يصل من العراقيين

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٥٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٧-١٤٥.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص٥٣.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٢٢٢.
(٤) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٤٠٣.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٨.
(٦) ابن ميسر، **أخبار**، ص٥٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٨.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٨.
(٨) المصدر نفسه ، ج٢، ص١٨٧.
(٩) المأمون بن البطائحي: أبو عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك بن أبي الحسن مختار، وزر للخليفة الآمر في الفترة الزمنية الممتدة من (٥١٥هـ / ١٠٢٢م إلى ٥١٩هـ / ١٠٢٦م)، أساء معاملة الناس، وقبح سيرة الخليفة الآمر، فقبض عليه، واستولى على أمواله، ثم قتله في سنة (٥٢١هـ /١١٢٧م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٢٩٩.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٢.
(١١) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٨، ابن ميسر، **أخبار**، ص٩٢، المقريزي، **المقفى**، ج٦، ص٤٩٦. وعن دار الضرب انظر ابن الطوير، نزهة، ص١٦٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٩١، ١٨٧.
(١٢) عن دار الوكالة: انظر ص ١٢٠ – ١٢١ من الأطروحة.

والشاميين وغيرهما من التجار[١]، وحسب تعبير ابن ميسر (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م) "لم يسبق إلى ذلك"[٢]. وإن ازدهار النشاط التجاري، وبداية قيام المنشآت الاقتصادية بالقاهرة في خلافة الآمر، ربما يشير إلى أن المدينة شهدت في خلافة الآمر نمواً ونشاطاً في أسواقها يفوق الفترة التي سبقتها.

يرجح انكماش أسواق القاهرة، وركود النشاط التجاري بها، منذ مقتل الآمر عام (٥٢٤هـ/١١٣٠م) وحتى سقوط الخلافة الفاطمية عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)، نتيجة للأزمات الاقتصادية المتتابعة التي عاشتها المدينة في تلك الفترة، وبسبب انعدام الأمن في المدينة في الفترة المذكورة، التي غدت فيها العاصمة وأسواقها مسرحاً للفوضى والاضطراب وكثرة اللصوص، حيث صار "نهب... الأسواق والدور والحوانيت... عادة مستقرة وشيئاً معهوداً في كل فتنة"[٣].

قام أكبر تجمع للأسواق في القاهرة على جانبي شارع القصبة[٤]، ولتجمعها عليه صلة بحركة النقل التجاري، إذ أنه كان عنصر الربط الأساسي بين القاهرة والفسطاط –إذ كان يخترق الفسطاط[٥]- وكانت القاهرة إلى حد إنشاء ميناء تجاري خاص بها تستمد كافة متطلباتها التجارية من الفسطاط، كما أنها كانت حتى بعد قيام ميناء بها تستمد بعض سلعها من الفسطاط[٦].

كما أن ارتباط شارع القصبة بكافة أجزاء المدينة –عن طريق الدروب التي امتدت يمنته ويسرته[٧]- ييسر لجميع سكان المدينة الوصول إليه، الأمر الذي يحقق للأسواق القائمة عليه رواجاً تجارياً، كما أن ارتباط شارع القصبة بكافة أجزاء المدينة[٨]، ييسر نقل البضائع من الأسواق القائمة عليه إلى كافة الأسواق الفرعية المنتشرة في أنحاء المدينة، مما يجعل أسواقه التي كانت "أعظم أسواق مصر"[٩]، الممول الرئيسي لكافة الأسواق الفرعية في المدينة، مما يحقق لها انتعاشاً تجارياً.

جاء توزيع الأسواق على جانبي القصبة بشكل يخدم التجمعات السكانية، فامتدت بعض أسواق المدينة على جانبي شارع القصبة غربي الجامع الأزهر[١٠]، بحيث تكون إلى جوار تجمع المصلين، مما يحقق لها أرباحاً وفيرة. وهذه الأسواق هي:

---

(١) ابن المأمون، **أخبار**، ص ٣٩، ابن ميسر، **أخبار**، ص٩٢.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص٩٢.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣٣.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص ٣١٥-٣٣٥.
(٥) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٤٤- ٢٥٣، اندريه ريمون، القاهرة، ص٥٠.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٧.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٤٤-٢٥٣.
(٨) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٤٤-٢٥٣، وانظر ص ١٥- ١٦ من الأطروحة.
(٩) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٦.
(١٠) المصدر نفسه ، مج٣، ص٣١٥-٣٣٥.

سوق باب الصيارف[١]، ويليه مباشرة سوق السيوفيين، ويقابل السيوفيين سوق الزجاجيين، الذي ينتهي إلى سوق القشاشين غربي الجامع الأزهر[٢]، وقام سوق السراجين عند بابي زويلة[٣].

وقامت أسواق أخرى على جانبي شارع القصبة، بجوار القصور[٤]، بحيث تكون إلى جوار الفئة الثرية من السكان، المتمثلة بالخلفاء وحواشيهم وأقاربهم، الذين تعددت متطلباتهم ومشترياتهم، وهذه الأسواق هي:

سوق القماحين الواقعة عند الجامع الأقمر[٥]، وسوق أمير الجيوش [٦] على رأس حارة برجوان[٧]، وسوق الرواسين، على رأس سوق أمير الجيوش[٨] المذكور.

وفضلاً عن الأسواق الرئيسية الآنفة الذكر نشأت أسواق –أخرى- فرعية ألحقت بحارات المدينة؛ لتلبية احتياجاتها اليومية الضرورية. فذكر ابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ/١٢٩٣م) أن "كل حارة من حارات القاهرة بلد مستقلة بالبزازين[٩] والبياعين، والجزارين، وغير ذلك"[١٠]، كما ذكر المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، "أن في حارة العطوفية من الأسواق ما لا يدخل تحت الحصر"[١١]، كما قامت في حارة الريحانية والوزيرية حوانيت عدة[١٢]. وعندما عمرت منطقة الخراب-الذي تولد عن الشدة المستنصرية- الممتدة من باب زويلة الكبير إلى المشهد النفيسي، نمت بها أسواق[١٣].

وذكر ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) أن يعقوب بن كلس "شرع في تحصين داره ودور غلمانه... وعمرت ناحيته بالأسواق"[١٤]، مما يدل على وجود أسواق قرب دار ابن كلس في حياته، ولم يرد منها سوى سويقة الوزير يعقوب بن كلس التي كانت تقع أمام داره[١٥]، وقد

---

(١) المقريزي، **المواعظ** ، مج٣، ص٣٢٣.
(٢) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٢٣-٣٤١، Ayman Fu'ad Sayyid, op.cit, P. 509.
(٣) المقريزي، **المواعظ** ، مج٣، ص٣٣١.
(٤) المصدر نفسه ، مج٣، ص ٣١٥-٣٣٥.
(٥) المصدر نفسه ، مج٣، ص٣١٩.
(٦) سوق أمير الجيوش: أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي. انظر المصدر نفسه، مج٢، ص٢١٩، مج٣، ص٣١٨.
(٧) المقريزي، **المواعظ** ، مج٢، ص٢١٩، مج ٣، ص٣١٨. حارة برجوان: تقع شمال القصر الغربي. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٩.
(٨) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٧.
(٩) البزاز: هو بائع الثياب. انظر الجاحظ، الحيوان، ج٣، ص٣٠.
(١٠) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٣٧.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٦.
(١٢) المصدر نفسه، مج٣، ص٣.
(١٣) المصدر نفسه، مج٣، ص٥٧.
(١٤) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص٢٧-٣٥.
(١٥) دار ابن كلس: كانت داراً للوزارة، أنشأها الوزير يعقوب بن كلس، وتقع مقابل حارة الوزيرية، وقد عرفت بعد وفاة ابن كلس "بدار الديباج"، وما زالت سكن الوزراء إلى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالي من الشام -

عرفت بعد وفاة الوزير يعقوب بن كلس بـــ "سويقة دار الديباج"، وعرفت في أواخـــر العـــصر الفاطمي بالسوق الكبيرة[١]، بعد أن اتسعت وازداد نشاطها التجاري.

ومن الملفت أن المصادر لم تشر إلى أسماء الأسواق التي كانت ملحقة بالحـــارات، ولعـــل صغرها وتحديد استعمالها من سكانها المحليين جعلها أقل أهمية.

* لقد بنيت أول حمام[٢] إسلامية في مصر على يد الخليفـــة العزيـــز[٣]، وإن بدايـــة نـــشوء الحمامات بمصر الاسلامية في العصر الفاطمي، يشير إلى اهتمام الفاطميين بالناحية الحضارية، ولا ريب في ذلك، حيث بلغ الفاطميون – كما يقول المقريزي - مبلغاً عظيماً من الحضارة[٤].

جاء توزيع الحمامات في القاهرة بشكل يخدم التجمعات السكانية، فقامت بعض حمامات المدينـــة بجوار القصور؛ لتلبية حاجة ساكني القصور بإنشاء حمامات قريبة منهم، وهذه الحمامات هي:
حمام الساباط بجوار القصر الغربي[٥]، وحمام الصنيمة، وحمام تتر، وحمام ابن أبي الدم، بجوار القصر الشرقي[٦].

وتوزعت حمامات أخرى في حارات المدينة؛ لتلبية حاجة ساكني الحارات بانشاء حمامـــات قريبة منهم، وهذه الحمامات هي:
حمام السيدة العمة في حارة الروم[٧]، وحمام الرصافي في حارة الديلم[٨]، وحمام الجيوشي فـــي حارة برجوان[٩]، وحمام ابن قرفة، وحمام ابن عبود، وحمام الكويك في حارة زويلة[١٠]. وقامت حمامات عديدة في حارة العطوفية[١١].

* افتقدت القاهرة في تخطيطها الأول مظاهر الازدهار المادي، فاتـــسمت بمظهـــر الجديـــة، فكانت خالية من مظاهر الترفيه من منتزهات وغيرها. ولعل نفاد الأموال التي حملها جوهر معه من المغرب إلى مصر، في معالجة الأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها البلاد[١٢]، هو الـــذي

عام (٤٦٦هـــ/١٠٧٤م)- ووزر للمستنصر، فنقل دار الوزارة منها إلى شمال القصر الشرقي، وأطلق عليها "دار الوزارة الكبرى". انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٣٨-٢٣٩، ٥١٩، مج٣، ص٣٤٤-٣٤٥.

(١) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٤٤-٣٤٥.
(٢) حول دور الحمامات في حياة الناس انظر ص ٢٢٤-٢٢٥ من الأطروحة.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص ٢٦١.
(٤) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٦.
(٥) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٠٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٦٣.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٦٤- ٢٦٥.
(٧) المصدر نفسه، مج٣، ص٢٦٢.
(٨) المصدر نفسه ، مج٣، ص٢٧٠.
(٩) المصدر نفسه ، مج٣، ص٢٧٠.
(١٠) المصدر نفسه، مج٣، ص٢٦٦- ٢٦٧، ٢٧٠.
(١١) المصدر نفسه ، مج٣، ص٣٧.
(١٢) ابن سعيد، **النجوم**، ص١٠٢.

حال دون قيام منشآت الترفيه في المدينة عند تأسيسها. ولا ريب أن سكان القاهرة عند تأسيسها من ذوي السمة العسكرية[١] كان لهم أثر في تقوية طابعها الجدي، إذ يفترض أن تكون منشآتهم بسيطة، لا يراعى فيها الجمال والترف.

لقد أدرك العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) الاعتبارات العملية في تخطيط المدينة، بخلوها من المنتزهات، فعندما أعاد تخطيطها الأول[٢]، أنشأ بها منظرتين[٣]؛ ترفيهاً ومتعة له، إحداهما تقع في بر الخليج الشرقي، بالقرب من باب القنطرة، تسمى "باللؤلؤة"[٤]، يرى الجالس فيها نهر النيل وما حوله من بساتين[٥]، والأخرى تسمى منظرة السكرة تقع في بر الخليج الغربي[٦]، كان يجلس فيها الخليفة للتفرج على الاحتفال المصاحب لفتح الخليج[٧].

إن الازدهار الاقتصادي الذي عاشته القاهرة من بعد الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٩٧٢م) إلى نهاية عهد الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) [٨]، أدى إلى تطوير السمة "الرسمية" الأولى للمدينة، فبدأ الطابع الجدي الذي اتسمت به يتلاشى، وحل محله مظهر حضري، وبدت مظاهر الازدهار المادي تعم المدينة متمثلة في المنتزهات. حيث أنشأ بها الخلفاء ووزراؤهم مناظر اقتصر التنزه بها عليهم[٩] وهي:

---

(١) ابن سعيد، العيون، ص١١، ابن دقماق، الانتصار، ج٤، ص٣٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٢٠.
(٢) انظر التوسع العمراني الذي شهدته المدينة في عهد العزيز ص ١٧-١٨ من الاطروحة.
(٣) المناظر: دور أنيقة أنشأها الخلفاء ووزراؤهم؛ لإقامتهم في فترات خروجهم للنزهة أو الاحتفالات. انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١١٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٢-٥٦٢.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٨-٥٢٩، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٤٦، ٥٢٤-٢٥٥.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٨-٥٢٩.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٣٧، علي مبارك، الخطط، ج١، ص٤٨.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٧٨، ابن الطوير، نزهة، ص١٩٧.
(٨) حول الازدهار الاقتصادي الذي عاشته القاهرة من بعد الشدة المستنصرية حتى **نهاية**عهد الآمر انظر ص ٢٤-٢٥ من الأطروحة.
(٩) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص ١١٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥٢٢-٥٦٢.

منظرة التاج[١] والخمس وجوه[٢]، وقبة الهواء[٣] ومنظرة باب الفتوح خـــارج بـــاب الفتـــوح[٤]، ومنظرة الجامع الأزهر، بجوار الجامع الأزهر[٥]، ومنظرة الغزالة على شاطئ الخلـــيج بجـــوار منظرة اللؤلؤة[٦]، وقامت منظرة دار الذهب على الخليج بجوار الغزالة[٧]، كما قامـــت منظـــرة البعل[٨] جانب الخليج الغربي[٩]، وقامت في المقس منظرة عرفت "بمنظرة المقس"[١٠]، كما قامت منظرة الدكة على ساحل المقس[١١].

وقامت في القاهرة بساتين، أعدت لنزهة الخلفاء ووزرائهم، وهي:

"البساتين الجيوشية"، ويمتد بعضها خارج باب الفتوح، والبعض الآخر منها يمتـــد خـــارج بـــاب القنطرة[١٢]. وربما كانت من إنشاء أمير الجيوش بدر الجمالي، فنسبت إليه. كما قامـــت بـــساتين أخرى بين القصرين (الشرقي والغربي)[١٣]، وقام بستان في أرض المقس، سمي " بالدكة".[١٤]

إن المشاكل والاضطرابات التي شهدتها الدولة الفاطمية في مصر، بعد مقتل الآمـــر عـــام (٥٢٤هـــ/١١٣٠م)، وحتى سقوطها عام (٥٦٧هـــ/١١٧١م) ، فضلاً عن الأزمات الاقتـــصادية المتتابعة التي مرت بها الدولة في تلك الفترة، حالت دون قيام منتزهات بها[١٥]، فانشغال الخلفـــاء ووزراؤهم بالتصدي لتلك المشاكل لم يتح لهم المجال الاهتمام بسواها.

توصلت الباحثة من خلال دراستها لخطط المدينة إلى ما يلي:

- اختير موقع القاهرة لاعتبارات اقتصادية وعسكرية، فروعي وقوعه على طرق التجارة، وهذا يوفر التمويل اللازم للجند وللناس. وشكل جبل المقطم وخليج القاهرة فـــي الموقـــع موانع طبيعية أمام أية هجمات خارجية.

---

(١) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٧، ابن ميسر، **أخبار**، ص٨٧.
(٢) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٦٧.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٨٤.
(٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص٦١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٦٨.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٢.
(٦) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٨، ابن الطوير، نزهة، ص١٠٣.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥٣٦.
(٨) البعل: الأرض المرتفعة التي لا يصيبها المطر إلا مرة واحدة في السنة. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص ٩٦٧.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٦٥.
(١٠) ابن المأمون، **أخبار**، ص٦٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٦٢.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٦٢.
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٨٢.
(١٣) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٦.
(١٤) ابن ظافر الأزدي، **أخبار**، ج٢، ص ٢١٥.
(١٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٢-٥٦٢.

- يتضح التكامل بين أسباب إنشاء المدينة وتخطيطها، فيلاحظ من التخطيط العناية بالتحصين؛ إذ إنّ المدينة بنيت لتكون حصناً للفاطميين وأنصارهم يحتمون بها من الأعداء؛ ولأجل ذلك شيدت للمدينة الأسوار التي تضمن لها الأمن والحماية.
- كان القصر الشرقي والجوامع محاور أساسية ثابتة في التخطيط، التفت مباني المدينة حولهما.
- تخلصت القاهرة من محتواها السكاني الطبقي، وفقدت مكانتها كمدينة "رسمية" مخصصة للخاصة، بعد أن أباح بدر الجمالي –عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)- للمدنيين على اختلاف طبقاتهم بسكانها. فجمعت حينئذٍ بين التحصينات العسكرية والأغراض المدنية، وصارت مركز التكتل للكثافة السكانية بعد أن كانت الفسطاط تمثل ذلك.
- لم يكن النمو العمراني للقاهرة عملية متصلة، فثمة فترات متناوبة من النمو والتقلص عاشتها المدينة، توقفت على الظروف السياسية أو الاقتصادية التي سادت بها.

خارطـــة تبيـــن خطـــط القـــاهرة فـــي العصـــر الفـــاطمي

اعداد الباحثة

الفصل الثاني

البنية السكانية

- تمهيد

أولاً: المغاربة

ثانياً: الصقالبة

ثالثاً: الأقباط

رابعاً: الأتراك

خامساً: السودان

سادساً: الأرمن

سابعا: العرب

تمهيد :

لقد شهدت القاهرة تعددية أثنية، حيث حوت خليطاً من أجناس متعـددة الأصـول، وأنمـاط الحياة الاجتماعية؛ إذ سكنها المغاربة، والصقالبة، والأقباط، والأتـراك، والـسودان، والأرمـن، والعرب[١].

كان العصب الرئيس لسكان القاهرة عند تأسيسها من حيث العدد والمكانـة مـن العـسكر، بحيث أطلق عليها اسم " المعسكر"[٢]؛ لأنها بنيت لتكون مركزاً للخليفة، والقوة العـسكرية التـي تسنده[٣]. وظل التفوق العددي في المدينة للعسكر حتى بعد الـسماح للمـدنيين بـسكناها- عـام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) [٤]– إذ يذكر المؤرخون في أحداث عام (٥٦٤هـــ/ ١١٦٩م) – أي قبـل سقوط الخلافة الفاطمية بخمس سنوات- أن سكان القاهرة أكثرهم مـن الجنـد، وأهـل الدولـة وأتباعهم [٥].

سوف يتناول هذا الفصل الأصول الأثنية للسكان، وفاعليتهم في المجتمع. ولما كانت الـسلطة عاملاً رئيسياً في تحديد المنزلة الاجتماعية[٦]، فسوف يدرس هذا الفصل نفوذ العسكر وأثره على مكانتهم الاجتماعية. وفي الوقت الذي يمكن فيه وضع سمات عامة لأوضاع العسكر الاجتماعيـة من كل جنس، حيث كانت أدوارهم وأعمالهم في المجتمع واحدة، فإنه لا يمكـن وضـع سـمات عامة لأوضاع المدنيين الاجتماعية، حيث تفاوتت مكانتهم الاجتماعية بتفاوت أدوارهم وأعمـالهم في المجتمع، وتبعاً لذلك ستتم دراسة الأوضاع الاجتماعية لأصناف المدنيين في الفصل الثالـث من الأطروحة، في إطار الحديث عن الطبقات الاجتماعية[٧].

أولاً - المغاربة[٨]:

اعتمد الفاطميون في تأسيس دولتهم بالمغرب على قبيلة من سكان البلاد المحليين البربر[٩]،

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص١٢٦، مج٢، ص٢١٨-٢١٩.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٦.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٠.
(٤) حول ظروف السماح للمدنيين بسكنى القاهرة انظر ص ١٨-١٩ من الأطروحة.
(٥) ابن الأثير **الكامل**، ج ٩ ، ص ٢١٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٢٠.
(٦) حول أثر السلطة في تحديد المنزلة الاجتماعية انظر ص ٨٤-٨٥ من الأطروحة.
(٧) انظر الفصل الثالث من الأطروحة.
(٨) اصطلح المؤرخون على تسمية القبائل البربرية التي صاحبت الجيش الذي قاده جوهر من المغـرب لفـتح مصر، بالمغاربة (انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٣) ربما تمييزاً لهم عن المشارقة (الأتراك والـديلم) الذين سموا بذلك نسبة إلى بلدان المشرق الإسلامي التي جاءوا منها إلى مصر. حول ديار الأتراك، انظـر ص٥٠ من الأطروحة.
(٩) عن قبائل البربر وأقسامها وأماكن استقرارها. انظر ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ص١١٥-٢٠٧، بوخالفة، نور الهدى، (١٩٨٦م) الإسلام والتعريب في الشمال الإفريقي في القرون الثلاثة للهجرة، رسالة ماجستير غيـر منشورة، الجامعة الأردنية، ص٤٠.

وهي قبيلة كتامة[١]، حيث توافرت بها خصال جعلتها محط أنظار القوى الفاطمية الراغبة في السيادة والسلطان في المغرب، إذ كانت أوفر القبائل البربرية عدداً[٢]، وتميز رجالاتها بمقدرتهم القتالية، فقد طبعتهم بيئتهم الجبلية[٣]بطابع الخشونة والجلد والشجاعة[٤]، ومعاناة الحروب[٥]، فلم يكن " في قبائل افريقية أشد شوكة من كتامة" [٦].

وقد أضاف الخليفة القائم (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م) إلى صفوف الجيش الفاطمي في المغرب – فضلاً عن قبيلة كتامة – قبيلة صنهاجة[٧]، التي امتازت بكثرتها العددية، بحيث " لا يكاد قطر من أقطاره (أي المغرب) يخلو من بطن من بطونها" [٨]. وقد تأثر أفراد هذه القبيلة بطبيعة بلادهم الجبلية والصحراوية[٩]، التي أكسبتهم حب الفروسية ومعاناة الحروب، مما دفع القائم إلى تجنيدهم في صفوف الجيش الفاطمي.

ولعل القائم كان مدفوعاً إلى ضم قبيلة صنهاجة لصفوف الجيش الفاطمي – رغم وجود قبيلة كتامة التي امتازت بقوتها ووفرة أعدادها فيه – لتدعيم قواته من الكتاميين بقوى أخرى؛ لأجل تأمين الوجود الفاطمي في المغرب – لاسيما بعد فشل الكتاميين في التصدي لثورة أبي يزيد[١٠] طوال عهد القائم[١١] – وتحقيق السياسة الفاطمية التوسعية التي ترمي إلى السيطرة والتوسع نحو المشرق[١٢]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فلعل الثورات التي قام بها أفراد قبيلة

---

(١) حول دور قبيلة كتامة في تأسيس الدولة الفاطمية، انظر القاضي النعمان، **افتتاح**، ص ١٥٦-١٧٠، ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٣٨-١٥٠، موسى لقبال، دور قبيلة كتامة، ص ٤٥-٤٠٦، فرحات الدشراوي، الخلافة، ص١٦٥-٣٩٩.

(٢) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٦٨.

(٣) تشغل ديار كتامة المنطقة الجبلية الواقعة فيما بين بجاية وقسنطينة. انظر ابن خلدون، **العبر**، مج٦، ص١٧٥-١٧٦.

(٤) ابن خلدون، **العبر**، مج٦، ص١٧٤. أكد ابن خلدون على أن طبائع البشر وأفكارهم إنما تتأثر جميعها بالظروف ال**جغرافية** المحيطة. انظر ابن خلدون، **العبر**، ج١، ص٣٨٧-٣٩٧.

(٥) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص٦٦.

(٦) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٦٨.

(٧) التجاني، **رحلة**، ص٣٢٥، العمايرة، محمد، (١٩٩٩م)، الجيش الفاطمي (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩٠٩-١١٧١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص٦١.

(٨) ابن خلدون، **العبر**، مج٦، ص١٧٩.

(٩) انتشرت قبائل صنهاجة في أماكن متفرقة من المغرب، فمنهم من أقام في جبل درن، وريف غمارة، ومنهم من أقام في الصحراء الفاصلة بين المغرب والسودان. انظر ابن خلدون. **العبر**، مج٦، ص١٧٩-١٨٣، بوزياني الدراجي، القبائل، ج٢، ص٥٥-٥٩.

(١٠) عن ثورة أبي يزيد الزناتي ضد الخلافة الفاطمية عام (٣٣٢هـ/٩٤٧م). انظر القرشي، **تاريخ**، ص٢٦٥-٢٧٣، بني خالد، موسى أحمد، (١٩٩٠)، ثورة أبي يزيد الخارجي ضد الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص٤٠-١٥٠.

(١١) القرشي، **تاريخ**، ص ٢٦٥-٢٧٣.

(١٢) انظر ص ٣-٥ من الأطروحة.

كتامة ضد الفاطميين في عهد المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م)(١) كانت دافعاً للقائم لـضم قبيلة بربرية أخرى لصفوف الجيش الفاطمي، تجنبه سطوة كتامة، فإذا ازدادت سطوتها لجأ إلـى تلك القبيلة للحد من نفوذها.

لقد تشكل جيش الفتح الفاطمي لمصر من قبيلة كتامـة(٢)، وصـنهاجة(٣)، وقبائـل بربريـة أخرى، لم تحدد المصادر إلى أيَّ القبائل البربرية تنتمي. بعضها من مدينة زويلـة(٤)، وبعـضها سموا بالباطلية(٥)، والبعض الآخر منها سموا بالبرقية –نسبة إلى أرض برقة(٦) التي جاءوا منهـا إلى مصر(٧) – يرجح أنهم من قبيلة لواته، على اعتبار أن قسماً من أفراد تلك القبيلة قد انتـشروا في أرض برقة(٨).

إن وجود قبائل بربرية في جيوش الفتح الفاطمي لمصر، غير قبيلتي كتامة وصنهاجة؛ يـدل على أن الفاطميين قاموا بتدعيم جيوشهم في بلاد المغرب بقبائل بربرية أخـرى غيـر هـاتين القبيلتين. وفي الوقت الذي ألحت فيه المصادر على ذكر الدور العـسكري والـسياسي، لقبيلتـي كتامة وصنهاجة في تاريخ الخلافة الفاطمية في المغرب(٩)، لم ترد أيّ إشارة لدور تلك القبائـل، وذلك ربما يشير إلى ضعف أهميتها، وعدم مشاركتها مشاركة فعالة في أحداث المغرب.

لقد تميز جيش الفتح الفاطمي لمصر بضخامته؛ إذ وصفة المصريون عقب وصـوله إلـى بلادهم بأنه " مثل جمع عرفات كثرة وعدة "(١٠)، إلا أن المصادر لـم توضـح القـوة العدديـة والمكانة العسكرية لأفراده. ولكن يبدو أن كتامة كانت تمثل العصب الـرئيس لهـذا الجـيش، إذ

---

(١) حول الثورات التي قامت بها قبيلة كتامة ضد الخليفة المهدي، انظر القاضي النعمـان، **افتتـاح**، ص٢٤٧-٢٦٧، ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٦٤-١٦٥.
(٢) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٨.
(٤) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص٧٦١، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢. زويلة: ضاحية مـن ضـواحي مدينة المهدية، أسسها الخليفة عبيد الله المهدي (٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م). انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص١٥٩-١٦٠.
(٥) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٩. تعزو المصادر تسميتهم بالباطلية إلى أن المعز لما قدم من المغرب إلى مصر عام (٣٦٢هـ/٩٧٣م)، وقسم العطاء في الناس، جاءوا إليه يسألوه عطاءً، فقال لهم فـرغ مـا كـان حاضراً، ولم يبق شيء، فقالوا: نحن على باطل، فسموا بالباطلية. انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢١.
(٦) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى، يقع بين الإسكندرية وافريقية. انظر ياقوت الحموي، **معجـم البلدان**، مج١، ص٥٧٣-٥٧٥، الحميري، الروض، ص٩١.
(٧) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٢، ابن دقماق، **الانتصار**، ج٤، ص٣٧.
(٨) ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ص١٣٩.
(٩) حول دور قبيلتي كتامة وصنهاجة في **تاريخ**الخلافة الفاطمية في المغرب، انظر: القاضي النعمان، **افتتـاح**، ص١٥٦-١٧٠، ابن عذاري، المغرب، ج١، ص١٣٨-١٥٠، فرحات الدشراوي، الخلافة، ص١٦٥-٣٩٩.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٢.

يذكر المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) أن أعداد الكتاميين الذين جاءوا لفتح مصر كانت من الكثرة بحيث أدى ذلك إلى انهيار نفوذ كتامة في مواطنها في بلاد المغرب[١].

وإن تخصيص ديوان للكتاميين في مصر للنظر في شؤونهم[٢]، دون غيرهم من القبائل البربرية، يدل على أن الكتاميين كانوا أكثر عدداً، وأوسع نفوذاً من القبائل البربرية الأخرى.

وتظهر الاعتبارات الأمنية في التنظيم الاجتماعي الذي سار عليه جوهر في إسكان المغاربة في المدينة، فيبدو أنه حاول السيطرة عليهم عن طريق تفتيت وحدتهم، بتفريقهم كتلاً تتوزع حاراتها في المدينة، في مواقع إستراتيجية لها أهمية سياسية ودينية[٣]؛ ربما ليكونوا رقباء وعيوناً عليها.

فقد قامت جنوب الجامع الأزهر – الذي كان فضلاً عن القصر الشرقي مركزاً لنشر المذهب الاسماعيلي – حارة كتامة[٤]، وقامت حارة الباطلية شرق الجامع الأزهر[٥].

وقامت حارة البرقية – التي ضمت بربر برقة – شرق القصر الشرقي، ويبدو أنها كانت من السعة، بحيث احتوت الجماعة التي سكنتها، والتي وصفها ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) " بالجماعة الكثيرة" [٦].

وقامت حارة زويلة – التي سكنها جماعة من البربر – قرب باب سعادة[٧]، بحيث شكلت نقطة حراسة لمدخل المدينة من جهة باب سعادة. ويبدو أن أعداد الزويليين كانت كثيرة بشكل جعل هذه الحارة "عظيمة ومتشعبة"[٨].

لم تشر المصادر إلى أماكن سكنى قبيلة صنهاجة، وقد يشير ذلك إلى ضعف أهميتها؛ نتيجة لضعفها العددي، بسبب قلة أعداد الصنهاجيين الذين صاحبوا جيش الفتح الفاطمي لمصر؛ نتيجة لحرص المعز (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) على إبقاء جل قبيلة صنهاجة في إفريقيا؛ لتقوم بتثبيت النفوذ الفاطمي فيها. كما كان – على ما يبدو – إتجاه الولاة الفاطميين في افريقيا نحو إبقاء الصنهاجيين في أفريقيا؛ لحاجتهم إلى جهودهم، فعندما طلب العزيز (٣٦٥-

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩٠، ابن تغري بردي – **النجوم**، ج٤، ص٤٦.
(٢) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٥، أحمد، أميرة (١٩٩٥). الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ص٣٩.
(٣) انظر الخارطة المرفقة **نهاية**الفصل الأول من الأطروحة، والتي يتبين عليها توزيع حارات المدينة.
(٤) ابن دقماق، **الانتصار**، ج٤، ص٣٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص١٨.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٩.
(٦) **الروضة**، ص٤٢.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٩.
(٨) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢.

٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) من باديس بن زيري الصنهاجي – أحد نوابه بإفريقيا – ألف فارس من أبطال صنهاجة اعتذر متعللاً بحاجته إليهم[١].

لقد أمر المعز قسماً من المغاربة بالسكنى في أطراف الفسطاط[٢]؛ ربما ليكونوا عيوناً ورقباء عليها؛ تحسباً لأخطار الدسائس والعداء والثورات، التي قد تنجم من أهلها الذين شكل أهل السنة قسماً منهم[٣]، لاسيما وأن المعز وأسلافه من الخلفاء الفاطميين كانت لهم تجارب صعبة في العيش مع الأوساط السنية في افريقيا[٤].

ولكن المغاربة خالفوا أوامر المعز في السكنى في أطراف الفسطاط "فنزلوا الدور (أي دور الفسطاط) وأخرجوا الناس من دورهم، ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة"[٥]، الأمر الذي أثار حنق أهل الفسطاط وجعلهم يستغيثون بالمعز؛ كي يخلصهم من سطوة المغاربة، فاستجاب المعز لاستغاثتهم وأصدر أمراً بترحيل المغاربة من الفسطاط إلى نواحي عين شمس[٦]، ريثما يتم تنظيم أماكن لسكناهم بالقاهرة. وما لبث المعز في شعبان من عام (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م) أن قام بنقل المغاربة المقيمين في عين شمس إلى القاهرة[٧].

ويبدو أن ترحيل المعز للمغاربة من الفسطاط، جاء لمنع حدوث مشاكل اجتماعية بين المغاربة والمصريين قد تهدد الأمن والنظام. كما أن نشوب نزاع بين المغاربة (أعوان الفاطميين) والسنة من أهل الفسطاط[٨]، قد يؤدي إلى معارضة السنيين للمذهب الاسماعيلي، الأمر الذي قد يحول دون تمكين النفوذ الفاطمي في مصر، مثلما كان حاله في بلاد المغرب؛ بسبب معارضة السنيين وإنكارهم للمذهب الاسماعيلي[٩].

كون المغاربة – عقب وصولهم إلى مصر – قوى فاعلة في المجتمع المصري، حيث هيمنوا على كافة شؤون الدولة، فلم يدع جوهر عملاً "إلا جعل فيه مغربياً شريكاً لمن فيه"[١٠]؛ حتى يكتسب المغاربة من المصريين- ذوي الخبرة - المهارات اللازمة للوظائف العامة في

(١) ابن عذاري **البيان**، ج١، ص٢٣٨.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢١٠.
(٣) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٢.
(٤) حول المقاومة السنية للفاطميين في افريقيا انظر المالكي، **رياض**، ج٢، ص٧٤-٩٦.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢١٠.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٠، عين شمس: بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ (١٥كم). انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج ٤، ص١٧٨.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢١٠.
(٨) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٢
(٩) المالكي، **رياض**، ج٢، ص٧٤-٩٦.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٩.

الدولة؛ تمهيداً لإحلالهم محلهم من جهة، ولأجل فرض الصبغة الفاطمية على البلاد من جهة أخرى.

لقد اعتمد جوهر على المغاربة في فرض السيطرة على مصر، إذ وجه – عام (٣٦١هـ/٩٧٢م) – القائد أبي محمد الحسن بن عمار المغربي[١] لإخضاع ثورة أهل تنيس[٢] ضد الحكم الفاطمي[٣].

حرص المعز (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) منذ وصوله إلى مصر عام (٣٦٢هـ/٩٧٣م) على تأكيد أهمية المغاربة في إدارة الدولة، فقد اعتمد عليهم في مواجهة أعداء الدولة، إذ عهد بتأمين الصعيد، وجنوب مصر إلى القائد حمزة الكتامي – متولي مدينة أسوان[٤] – وسير القائد مشعلة الكتامي على رأس حامية؛ لتولي الحكم في مدينة تنيس ومعالجة أمر ثورة قامت فيها[٥].

لقد بدت بوادر الضعف العسكري على المغاربة في مصر منذ عهد العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) حيث فشلوا في إعادة النفوذ الفاطمي على الشام عام (٣٧٦هـ/٩٧٨م) – بعد أن سيطر الجيش التركي بقيادة أفتكين على معظم مدن الشام التابعة للفاطميين[٦] – وقد عزى العزيز فشل المغاربة في جبهة الشام إلى تقاعسهم عن القتال[٧]. مما دفعه إلى البحث عن كفاءات عسكرية يعزز بها قواته من المغاربة، فكان الحل – كما رأى العزيز – باللجوء إلى الأتراك الذين تميزوا بمقدرتهم القتالية[٨].

جاء تجنيد العزيز للأتراك إيذاناً ببروز قوى اجتماعية أخرى غير المغاربة، وبالتالي فقدان المغاربة دورهم الرئيس في الجيش والدولة، فقد أهمل العزيز المغاربة، ووجه جل اهتمامه إلى الأتراك، حيث أمر جميع المغاربة بالترجل[٩] للقائد التركي منجوتكين[١٠]، وقدم – عام (٣٧٠هـ/٩٨٠م) – الأتراك على المغاربة في العطاء[١١].

---

(١) لمزيد من المعلومات حول القائد أبي محمد الحسن بن عمار انظر ص ٣٩ من الأطروحة.
(٢) تنيس: جزيرة تقع في بحيرة قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط. انظر الحميري، الروض، ص١٣٧-١٣٨.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٣٠.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦. أسوان: أحد المدن المصرية القديمة الواقعة في إقليم الصعيد، على الشاطئ الشرقي لنهر النيل، وكانت مركزاً لحركة التجارة بين مصر وبلاد النوبة. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص١٩١.
(٥) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**ج٣، مج١، ص٤١٧.
(٦) ابن سنان، **تاريخ**، ص٢٣٤-٢٣٥.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٨٧.
(٨) حول ظروف تجنيد العزيز للأتراك، والخصائص العسكرية التي تميزوا بها انظر ص٥٠-٥١ من الأطروحة.
(٩) الترجل: هو النزول عن ظهر الفرس. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص١٠٠٣.
(١٠) ابن سعيد، **النجوم**، ص١٠٤-١٠٥.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٩٩.

يبدو أن إدخال الأتراك في الجيش لم يقع موقع القبول في نفوس المغاربة، وقد حالت سيطرة العزيز عليهم دون تعبيرهم عن استيائهم، الأمر الذي عبروا عنه في عهد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، مستغلين صغر سنه[١]، حيث تخلف عدد كبير من قادتهم وجنودهم عن مبايعته – في أواخر رمضان سنة (٣٨٦هـ/٩٦٦م)- واشترطوا لهذه البيعة شرطين، هما: إسناد الوساطة[٢] إلى رجل من المغاربة، وأن تصرف لهم مخصصات مالية تقسط على ثمان دفعات في السنة[٣]. وتبدو من هذين الشرطين رغبة المغاربة في استعادة مكانتهم في الجيش والدولة التي نال منها إدخال الأتراك.

وقد حقق الحاكم للمغاربة ما أرادوا، فأعطى الحاضرين منهم ما يخصهم من أموال، وكذا باقي المغاربة الغائبين، وانتدب الحسن بن عمار للوساطة[٤]، وألزم سائر الناس وكبار رجال الدولة بالترجل لابن عمار أينما سار[٥].

ويبدو أن تنفيذ الحاكم لشروط المغاربة منحهم شعوراً بالقوة، وأدى ذلك بهم إلى تشكيل طبقة عسكرية بدأت تستبد بالأمور. فقد أدت توليه ابن عمار الوساطة إلى استبداده بالحكم – دون الحاكم مستغلاً صغر سنه – وإلى تفاقم نفوذ المغاربة الذين سعوا في إحداث الفوضى؛ لتحقيق المزيد من النفوذ، فقد تجمعوا – مرة أخرى – في شهر ذي القعدة من سنة (٣٨٦هـ/٩٦٦م) عند المصلى؛ للمطالبة بدفعة جديدة من العطاء، فرضخ الحاكم لطلبهم، وشرع في النفقة عليهم[٦]. وقد اشتط ابن عمار في نهب أموال الدولة وتوزيعها على المغاربة، في حين قطع أرزاق منافسيهم من الأتراك[٧].

وقد ساء الأتراك اضطهاد المغاربة لهم، وتسلطهم على مقدرات الخلافة، واستئثارهم بالنفوذ من دونهم، مما جعل الصراع بين الطرفين – المغاربة من جهة والأتراك من جهة أخرى – يأخذ منحىً عنصرياً، بحيث أصبح كل طرف يحاول القضاء على الطرف الآخر دون

---

(١) تولي الحاكم الخلافة وهو في الحادية عشرة وأشهراً. انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢٥.

(٢) الوساطة: رتبة دون الوزارة، وكان ظهورها في الدولة الفاطمية عقب وفاة الوزير يعقوب بن كلس (٣٨٠هـ/٩٩٠م) حيث لم يعتمد الخليفة العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) على وزراء بعد ابن كلس، بل اعتمد على وسطاء ليكونوا واسطة بينه وبين أصحاب الدواوين وموظفيها وسائر أفراد الدولة، واستمر الأمر على ذلك حتى تولى الوزارة الجرجرائي للخليفة الظاهر عام (٤١٨هـ / ١٠٢٧م). انظر حمدي المناوي، الوزارة، ص١٧٥.

(٣) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٧-١٧٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٤) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٧-١٧٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٩.

(٦) المصدر نفسه، ص١٧٩.

(٧) المصدر نفسه، ص١٨١، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٠.

الاهتمام باستقرار الدولة. فقد تحالف الأتراك بقيادة برجوان الصقلبي[١] – الذي ساءه تسلط المغاربة على مقدرات الخلافة واستئثارهم بالنفوذ – ضد المغاربة، ودارت بين الطرفين عدة معارك تمخض عنها انتصار حلف برجوان[٢].

وأخذ المغاربة بعد هزيمتهم أمام الأتراك يتحينوا الفرص لاستعادة مكانتهم في الجيش والدولة، وبدت تظهر محاولات قادتهم للاستئثار بالسلطة، مما دفع الحاكم إلى الاستبداد بهم، فقد قام عام (٣٩٤هـ/١٠٠٤م) بتدبير مؤامرة لقتلهم، وقد اعتمد الحاكم في تنفيذ مؤامرته تلك على الأتراك. وبتنفيذه لهذه المؤامرة تمكن من كسر شوكة المغاربة، الذين لم يجدوا مفراً من بطش الحاكم، إلا أن يلجأوا إلى اسلوب الاسترحام عسى أن يجدي في رفع الغمة. فخرج الكتاميون في شعبان عام (٣٩٤هـ/١٠٠٤م) إلى باب الفتوح، وطلبوا عفو الحاكم فاستجاب لهم "وكتب لهم سجلاً قرئ بالقصر وبالجوامع بالرضا عنهم، وإعادتهم إلى رسومهم في التكرمة"[٣].

وقد تمهد الأمر كثيراً للحاكم في أعقاب تلك المؤامرة، إذ بات الجميع يتوجسون خيفة أن تشملهم سياسته الانتقامية، وصارت فعلة الكتاميين الأخيرة مثالاً احتذته بقية الفرق المغربية مثل: الزويليين والبرقيين والصنهاجيين، الذين تجمعوا في شهر ربيع الآخر سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) يطلبون من الحاكم أن يصدر لهم عهوداً بالأمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأمر بكتابة سجلات أمان للجميع[٤].

ويبدو أن كل فرقة من فرق المغاربة شكلت وحدة اجتماعية وعسكرية مستقلة قائمة بذاتها، لا تربطها بالفرق الأخرى أي رابطة تدفعها إلى اتخاذ موقف واحد وجماعي، الأمر الذي أتاح للحاكم السيطرة عليهم، بحيث صار من الصعب التنسيق بين قادتهم من أجل القيام برد فعل حاسم ضد العقوبات التي أنزلها بهم الحاكم، وقد تأكد هذا الاتجاه فيما بين هؤلاء المغاربة، حينما خرج الكتاميون وحدهم في أعقاب مؤامرة سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٤م) إلى باب النصر ورؤوسهم حاسرة؛ لاستدرار عطف الحاكم وعفوه. ورغم أن باقي الفرق المغربية حذت حذو الكتاميين والتفت حول

---

(١) برجوان الصقلبي: خصياً صقلبياً، ربي في دار الخليفة العزيز، وكان من خدامه، فلما حضرت العزيز الوفاة وصاه على ابنه الأمير أبي علي منصور لثقته به،ولما مات العزيز أقيم ابنه المنصور في الخلافة ولقب بالحاكم. وكان وقت توليته الخلافة له من العمر إحدى عشرة سنة وأشهراً. وقد رد الحاكم تدبير أمره إلى برجوان، فعهد إليه بأمر الحرم والقصور، إلا أن الحاكم ما لبث أن استشعر استئثاره بالأمور، فقام بقتله عام (٣٩٠هـ/١٠٠٠م). انظر ابن الصيرفي، الاشارة، ص٢٧-٢٨، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٦٣.

(٢) ابن القلانسي، **تاريخ**، ص٨٠، المقريزي، **المقفى**، ج٣، ص٤٣٩-٤٤٠.

(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٥٧-٣٥٨.

القصر في شهر ربيع الآخر سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) مطالبة هي الأخرى بعهود أمان لها، غير أنها لم تضطر إلى فعل ذلك إلا بعد أن سرت شائعات بأن الحاكم على وشك التنكيل بها[١].

ويبدو تضاؤل فاعلية المغاربة كقوى فاعلة في المجتمع في عهد الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م)، الذي تجنب الاعتماد عليهم وعلى الأتراك في تسيير شؤون الدولة، واعتمد في ذلك على العبيد[٢]، حيث قام بتعينهم في المناصب التي كان يشغلها المغاربة[٣].

وقد نجم عن الأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة في عهد الظاهر، تدهوراً في أحوال المغاربة المالية، التي يبدو أنها قد وصلت إلى درجة كبيرة من السوء؛ بسبب تأخر صرف مستحقاتهم المالية، وقد عبروا للظاهر عن سوء أحوالهم الاجتماعية والمالية، فبينوا له أنهم صاروا على وشك الهلاك؛ بسبب الجوع والفقر، وإذا استمرت أوضاعهم المالية على هذا النحو فلن يستطيعوا القيام بواجباتهم لصالح الدولة، والانتصار لها عند الشدائد[٤]. وذلك يدل على أنهم لم يرتبطوا بالخلافة بولاء روحي، إذ أصبحوا غير مستعدين لنصرة الخلافة إلا في مقابل الحصول على الأموال.

وعندما لم يستطع الظاهر شراء طاعة الجند المغاربة بالمال – نتيجة للأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة في عهده – تقاعسوا عن نصرة الخلافة، فعندما ألحت ظروف الشام على إدارة الظاهر أن تلجأ للكتاميين، وأعلن القائد عز الدولة معضاد – الخادم الأسود – في شعبان سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) عن عزم الخلافة على استدعاء الكتاميين والأتراك وسائر الجند؛ لإمدادهم بالسلاح اللازم؛ لتثبيت الحكم الفاطمي في بلاد الشام، كان رد الكتاميين على هذا "قد شغلنا الجوع وطلب الخبز عن هذا"[٥].

ولم يكتف المغاربة – إزاء عدم قدرة الظاهر على إمدادهم بالأموال – بالتقاعس عن الخلافة، بل حاولوا إثارة الفوضى في الدولة عن طريق الشغب مع الأتراك، فقد شن المغاربة ضد الأتراك عام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) حرباً دارت رحاها في مدينة الفسطاط، كان النصر بدايتها حليفاً للأتراك، ثم ما لبثت كفة المغاربة أن رجحت وألحقوا بالأتراك هزيمة ساحقة، واضطروهم إلى الخروج من الفسطاط، على أنه لم يتم للمغاربة الظفر إلا بمعاونة العامة لهم[٦]. يتبين من ذلك تدني المستوى العسكري للمغاربة، حيث أن الأتراك حديثو العهد بالخدمة – إذا ما قورنوا

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص ٣٥٧-٣٥٨.

(٢) بدأ تجنيد العبيد في الجيش الفاطمي منذ عهد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) الذي أراد أن يجعل منهم قوة مقابلة للأتراك. انظر ص ٥٨-٥٩ من الأطروحة.

(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣. حول أسباب اعتماد الظاهر على العبيد في تسيير شؤون الدولة انظر ص ٦٠ من الأطروحة.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦.

(٥) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٦١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩.

(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٤١-٤٢.

بالمغاربة – تمكنوا في البداية من الانتصار عليهم، وحتى النصر الذي حققوه إنما يعزى إلى تعاون العامة معهم.

وقد تشير الحروب التي شنها المغاربة ضد الأتراك إلى ما وصلت إليه أوضاعهم في عهد الظاهر من سوء، الأمر الذي يضطرهم رغم سوء أوضاعهم المالية إلى شن حروب ضد الأتراك، مرهقة لهم عسكرياً ومادياً، ربما تكون من وجهة نظرهم الفرصة الوحيدة للتعبير عن رغباتهم الاجتماعية في حياة أفضل.

وقد تفاقم ضعف المغاربة في عهد المستنصر، بحيث أخفقوا في التصدي للفتن التي تعرضت لها البلاد[١]، مما دفع المستنصر إلى الاستعانة ببدر الجمالي – والي الشام وقتئذٍ- لإقرار الأمن في البلاد[٢].

إن ضعف المغاربة العسكري، جعل بدر الجمالي يقضي على وجودهم في الجيش الفاطمي[٣]، فعقب وصوله إلى مصر – عام (٤٦٦ هـ/ ١٠٧٤م) – صار الجيش من الأرمن، وتلاشى المغاربة من الجيش الفاطمي، وصاروا " من جملة الرعية "[٤]

ويمكن القول أن مكانة المغاربة في الجيش والدولة، أخذت تتراجع تدريجياً إلى أن تلاشت عقب مجيء بدر الجمالي إلى مصر؛ نتيجة لسياسة الدولة المستمرة في إدخال عناصر جديدة في الجيش؛ لتسد بها الفراغ الذي أحدثه ضعف المغاربة العسكري، الذي نجم عن مبالغة الخلفاء الفاطميين في العناية بهم، وفي إغداق الأموال عليهم[٥]، حيث أدى ذلك إلى حدوث تطور اجتماعي في حياتهم، فاتسعت أحوالهم بعد شظف العيش الذي كانوا يحيونه في بلادهم[٦]، " وهلكوا في ترفها وبذخها (أي الدولة الفاطمية) " [٧] الأمر الذي أضعف طاقاتهم الحربية وجعلهم يفضلون حياة الترف على حياة الجندية ومتاعبها.

اتسمت علاقة المغاربة بالمصريين بداية استقرارهم في مصر بالجفاء؛ نتيجة لسلوكيات المغاربة ذات النزعة الفوضوية إزاء المصريين، والتي كانت - كما يبدو - انعكاساً لتأثرهم ببيئتهم الجبلية والصحراوية، التي طبعتهم بطابع القسوة وحدة المزاج[٨]. ويبدو أن المعز قد لمس بنفسه أثناء وجوده بالمغرب مدى غلظتهم، الأمر الذي دفعه عند مغادرته

---

(١) حول الفتن التي تعرضت لها الدولة في عهد المستنصر انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٢) حول ظروف مجيء بدر الجمالي إلى مصر انظر ص ٦٩ – ٧٠ من الأطروحة.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢.
(٥) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص١١٢.
(٦) المصدر نفسه، ص ١١٤.
(٧) ابن خلدون، **العبر**، ج٨، ٣٠٢.
(٨) المصدر نفسه، مج٦، ص١٧٤.

إفريقيا إلى مصر، أن يوصي نائبه في الحكم هناك يوسف بن زيري الصنهاجي باستعمال الشدة مع البربر[١].

ولعل نجاح المغاربة في فتح مصر، منحهم إحساساً بالقوة والتفوق على أهل البلاد، فأرادوا بتصرفاتهم السلبية إزاء المصريين أن يعبروا عن قوتهم وتفوقهم على أهل البلاد.

وقد تجلت سلوكيات المغاربة السلبية تجاه المصريين، بالتطاول على بعض الأشراف من الحسنيين والحسينيين الذين كانت لهم الحظوة في المجتمع المصري؛ لأنهم من آل البيت، وهددوا بقتل كل من يزعم أنه شريف، وقال قائلهم: "وفي الدنيا شريف غير مولانا؟!"[٢]. فلما سمع المعز ذلك أنكره، واعتذر للأشراف وطيب خواطرهم[٣].

وقام المغاربة في آخر ذي الحجة سنة (٣٦١هـ/٩٧٢م)، بنهب "مواضع بمصر (الفسطاط) فثارت الرعية، فاقتتلوا قتالاً شديداً ------ وغرم جوهر للناس ما نهب منهم"[٤]. وتخلل الاحتفال بذكرى عيد الغدير الموافق (١٨ ذي الحجة سنة (٣٦٢ هـ/ ٩٧٣م) أن "نهبت المغاربة جماعة من الرعية، فركب جوهر في طلب النهابة" [٥].

وتسلط المغاربة في شهر محرم عام (٣٦٢ هـ/٩٧٣م) على نواحي الفسطاط "فنزلوا الدور وأخرجوا الناس من دورهم، ونقلوا السكان وشرعوا في السكنى في المدينة"[٦]. وقد حنق المعز على المغاربة حين اتصل به تسلطهم على الفسطاط، ومخالفتهم أوامره بسكنى أطراف المدينة، فأمر بترحيلهم إلى نواحي عين شمس[٧]، ريثما يتم تنظيم أماكن لسكناهم في القاهرة، وقام المعز في شعبان من عام (٣٦٣ هـ/٩٧٤م) بنقل المغاربة المقيمين في عين شمس إلى القاهرة[٨].

وقد زاد تسلط المغاربة على المصريين في عام (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) " فكثر عبث أشرارهم وامتدت أيديهم إلى أخذ الحرم في الطرقات، وعروا جماعة من الناس، فكثرت الشكاية منهم"[٩].

إلا أن علاقة المغاربة بالمصريين ما لبثت أن تحولت من الجفاء إلى الانسجام، حيث حتمت المصلحة السياسية على الطرفين التعاون؛ إذ إن اصطناع الخلفاء للأتراك والعبيد أدى إلى ضعف نفوذ المغاربة؛ الأمر الذي حتم عليهم التعاون مع المصريين؛ كي يقفوا إلى جانبهم في

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٤٧.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠١.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٩.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٠.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٠.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢١٠.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٠.

صراعهم مع العبيد والأتراك، وفي الوقت ذاته وجد المصريون في المغاربة حليفاً لهم يجنبهم تسلط الأتراك والعبيد عليهم.

ومن صور العلاقات السياسية بين المغاربة والمصريين، تعاون المغاربة مع جماهير السكان في الفسطاط – عام (٤١٠هـ/١٠١٩م) – أثناء حريقها الذي دبره ونفذه العبيد، حيث تصدوا للعبيد وأوقفوهم عند حدهم[١].

كما أن تعاون أهل الفسطاط مع المغاربة في القتال الذي دار بينهم وبين الأتراك في شوارع المدينة عام (٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م)، قد أسفر عن ترجيح كفة المغاربة، الذين هزموا الأتراك وأجلوهم عن الفسطاط، وذلك بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم في بداية الاشتباكات[٢]. ويمكن أن يعزى تعاون سكان الفسطاط مع المغاربة ضد الأتراك، إلى استيائهم من الأتراك الذين استأثروا بأموال الدولة، وسعوا لتحقيق أطماعهم على حسابهم[٣].

كما أن علاقات العمل حتمت على المغاربة والمصريين التعاون، فقد أورد جروهمان عقد بيع يثبت قيام علاقات تجارية بين المغاربة والمصريين من الأقباط، ورد فيه شراء يخسنس بن شنودة النصراني من عبد العزيز بن مقبل المغربي منزل بأربعة دنانير، وذلك سنة (٣٤١ هـ / ٩٥٢م)[٤].

كما أورد جروهمان عقد بيع آخر، يثبت قيام علاقات تجارية بين المغاربة والمصريين، ورد فيه شراء ريحان بن نشوان – من العبيد البربر – من أسطورانس بن بيسه النصراني منزلاً في العشر الأول من شوال سنة (٤٥٩هـ /١٠٦٧م)[٥].

ويفترض زيادة التفاعل الاجتماعي بين المغاربة والمصريين بعد انصهارهم في الحياة المدنية، وذلك عقب أن قضى بدر الجمالي على وجودهم في الجيش الفاطمي– عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) - [٦] " وصاروا من جملة الرعية" [٧].

إن عدم وجود أي إشارات لعلاقات سلبية بين المغاربة، وطبقات المجتمع المصري بعد أن صاروا أحد قطاعاته، ربما يدل على تفهم المغاربة وجهات المصريين، واكتسابهم عادات

---

(١) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٠، ص١٣٩-١٤٠، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص١٨١-١٨٢.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٤١-٤٢.
(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩.
(٤) جروهمان، **اوراق**، ج١، ص ١٦٣.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٢١٦.
(٦) حول ظروف قضاء بدر الجمالي على وجود المغاربة في الجيش الفاطمي انظر ص ٤٢ من الأطروحة.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢.

الحضر، وذوبان خصائصهم الاجتماعية بروحها البربرية الخشنة وسط عادات وتقاليد المصريين " الذين كانوا في نهاية اللطافة واللين في الكلام" (١)

لقد ساهم اختلاط المغاربة بالمصريين، في إدخال التقاليد المغربية على المجتمع المصري، كما يبدو في بعض ألبسة وأطعمة المصريين(٢).

ثانياً - الصقالبة:

أطلق لفظ صقالبة على المجموعات البشرية التي عاشت في الأراضي المجاورة لبلاد الخزر عند بحر قزوين(٣).

لقد شكل الفاطميون أثناء وجودهم في المغرب جيوشاً نظامية من الصقالبة (٤)، رغبة منهم بتدعيم قواتهم من الكتاميين بقوات أخرى، لا سيما وأن الصقالبة تميزوا بمقدرتهم القتالية، فكانوا " ذو صولة(٥) وبطش" (٦)، ولعل الفاطميين أرادوا – أيضاً – من تجنيد الصقالبة أن يوجدوا منهم قوة مقابلة لكتامة، نتيجة للثورات التي قام بها أفراد هذه القبيلة ضد الفاطميين في عهد المهدي (٢٩٧- ٣٢٢هـ/ ٩٠٩- ٩٣٤م) (٧).

لقد أوكل المعز قيادة الجيش الفاطمي الذي وجهه لفتح مصر إلى قائد صقلبي يدعى جوهر؛ وقد يعبر ذلك عن أهمية الصقالبة ومكانتهم عند المعز، الذي بالغ في إضفاء الأهمية على شخص جوهر وعلى عظمة دوره؛ كي يخلص الجند في طاعته ويترفق به زعماء كتامة؛ فعندما وجهه لفتح مصر، وجه حديثة لشيوخ كتامة قائلاً: "والله لو خرج هذا (أي جوهر) وحده، لفتح مصر ... وليبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا" (٨).

أطلق على الصقالبة الذين رافقوا جيش الفتح الفاطمي إلى مصر "الروم"(٩)، في بعض الأحيان، وكان جوهر الصقلبي يسمى في المصادر - أحياناً – بجوهر الرومي(١٠). فهل أطلقت

---

(١) ابن دقماق، **الانتصار**، ج٤، ص١٠٨.
(٢) انظر مبحث المأكل في الأطروحة، ص ١٨١، واللباس ص ٢٠٧.
(٣) ابن فضلان، رسالة، ص٦٧، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤١٦، بروفنسال، مقال صقالبة، دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص ٢٠٥.
(٤) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص ٢٤٧، ٢٦٧، ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٦٤- ١٦٥، حول مسالك الرقيق الصقلبي إلى المغرب، انظر توفيق عامر، الحضارة، ص١٧٧- ١٨٦، عبد الإله بنمليح، الرق، ص ١٩٠- ١٩٨.
(٥) الصولة: شدة الوثبة. انظر ابن منظور، لسان، مج٥، ص٤٣٣- ٤٣٤.
(٦) البكري، **جغرافية**، ص ١٨١.
(٧) القاضي النعمان، **افتتاح**، ص ٢٤٧- ٢٦٧، ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١٦٤- ١٦٥،
(٨) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٣٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٥-١٨٦.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٢٥٣.
(١٠) المقريزي، **المقفى**، ج٣، ص٤٩٦.

عليهم تلك التسمية؛ لأنهم كانوا يشكلون جزءاً من الجيش البيزنطي[١]؟ أم أن وقوع بلادهم على حدود الولايات البيزنطية[٢] جعل المؤرخين ينسبونهم إلى الروم؟؟ حتى أن ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) – نقلاً عن ابن الكلبي (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م) – جعل الروم أخوة للصقالبة[٣].

أسكن جوهر الصقالبة - عند تأسيس القاهرة – في حارتين حارة عرفت بحارة الروم العليا، وحارة أخرى عرفت بحارة الروم السفلى[٤]. وقد سميت ثلاث حارات من حارات المدينة بأسماء أشخاص صقالبة، وهي: حارة الجوذرية – المنسوبة إلى جوذر الصقلبي[٥] – وحارة برجوان – المنسوبة إلى برجوان الصقلبي[٦] – وحارة اليانسية – المنسوبة إلى يانس الصقلبي[٧].

إن تسمية حارات بأسماء أشخاص يدل على وجود علاقة سكنية بين الحارة ومن سميت باسمه، أي أن الشخص سكن في الحارة المسماة باسمه، لاسيما وأن حارات القاهرة "سميت باسم مقدمها أو الطائفة التي نزلت بها"[٨].

غير أن تسمية الحارات بأسماء أشخاص لا يستلزم أنها اقتصرت عليهم، فمن المحتمل أن يكونوا قد سكنوها مع أسرهم، وربما أتباعهم الذين ينتمون لنفس جنسهم؛ على اعتبار أن حارات القاهرة وزعت على أساس أثني [٩].

ويبدو وضوح الصقالبة في الخطاب السياسي في المغرب[١٠]، من حيث التوجه إليهم مباشرة من أجل استقطابهم وكسب ودهم؛ ربما لأنهم كونوا قوى فاعلة في المجتمع المغربي، حيث كان لهم دور مقدر في الجوانب السياسية والعسكرية[١١]. في حين يلاحظ غيابهم في الخطابات الرسمية الموجهة إلى الكافة في مصر[١٢]؛ لأنهم لم يكونوا قوى فاعلة في المجتمع

---

(١) عمل الصقالبة كجند نظامي في الجيش البيزنطي. انظر ارشيبالدلويس، القوى، ص٣٠-٥٧.
(٢) ابن فضلان، رسالة، ص ٦٧، ياقوت الحموي **معجم البلدان**، ج٢، ص ٤١٦.
(٣) **معجم البلدان**، ج٢، ص٤١٦.
(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢١، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٤٠-١٤١، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠-٤٠٢.
(٥) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٥٤، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص ٤٠٠-٤٠٢.
(٦) ابن خلكان، وفيات، مج١، ص٢٧٠، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٦٣، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٠٤.
(٧) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٤٦.
(٨) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص٨١.
(٩) حول حارات القاهرة وتنظيم السكن فيها انظر ص ١٦-١٨ من الأطروحة.
(١٠) القاضي النعمان، ال**مجالس**، ص٢٤٦.
(١١) المصدر نفسه، ص٢٥٦-٢٥٧، الجوذري، سيرة، ص١٣-١٥.
(١٢) انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٦٠.

المصري، إذ لم يشكلوا فرقاً عسكرية في جيوش الفاطميين في مصر[١]؛ نتيجة لضعفهم العددي.

ويمكن أن يعزى ضعف الصقالبة العددي في مصر؛ إلى قلة أعداد الصقالبة الذين صاحبوا جيش الفتح الفاطمي لمصر منهم؛ نتيجة لحرص الفاطميين على إبقاء جلهم في المغرب؛ حتى يساهموا في تأمين الوجود الفاطمي فيه من جهة، وحتى يحققوا التوازن العسكري في جيوش الفاطميين في المغرب، بجعلهم قوة مقابلة للصنهاجيين – الذين كانوا يشكلون أساس الجيش الفاطمي في المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر[٢] – من جهة أخرى. لاسيما وأن سياسة الفاطميين في المغرب وفي مصر قامت على أساس تحقيق التوازن العسكري بين عناصر الجند المختلفة، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، واشتدت شوكته، لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بعنصر آخر للحد من نفوذه[٣].

يتبين من الأخبار الشحيحة الواردة عن الصقالبة في الفترة المصرية، أنهم استخدموا في وظائف الدولة الإدارية، والمتعلقة بشؤون القصر والخلافة، فكان رشيق الصقلبي على شرطة الفسطاط في سنة (٣٧٧هـ / ٩٨٧م)[٤]، وترقى أبو الحسن يانس الصقلبي في الخدمة زمن العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، فولاه العزيز شرطة الفسطاط سنة (٣٧٨ هـ /٩٨٨م)[٥]، وعهد إليه الحاكم بحراسة القصور الخليفية في سنة (٣٨٦ هـ /٩٩٦م)[٦]، ثم خلع عليه ووصله بأموال كثيرة، وولاة برقة في سنة (٣٨٨ هـ / ٩٩٨م)[٧]. وتولى خود الصقلبي شرطة الفسطاط عام (٣٨٨ هـ / ٩٩٨م)[٨].

وولي ريدان الصقلبي وظيفة حمل المظلة[٩] أيام العزيز[١٠]، كما ولي مسعود الصقلبي وظيفة صاحب الستر[١١] في أيام الحاكم بأمر الله[١٢]، وولي نسيم الصقلبي وظيفة صاحب الستر أيام الحاكم وابنه الظاهر[١٣]، وولي صبوح الصقلبي الشرطة سنة (٤١٤ هـ/ ١٠٢٣م)[١٤]،

(١) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٩٤.
(٢) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص١١٥.
(٣) انظر ص ٧٨-٧٩ من الاطروحة.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص ٣٠٠-٣٠١.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠٢.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٣١٨.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٣٤.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٣٤.
(٩) حامل المظلة: يقوم بحمل مظلة، يظلل بها الخليفة من أشعة الشمس. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص ١٥٧، ١٦٣.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣١٩، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص١٢٣.
(١١) صاحب الستر: يتولى ضرب من يأمر الخليفة بضربه. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص ٥٤-٥٥.
(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٢، **المقفى**، ج٣، ص٤٩٧.
(١٣) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٧٦، المقريزي، **المقفى**، ج٣، ص٤٩٧.
(١٤) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٢.

وشغل مظفر الصقلبي عدة وظائف، منها الشرطة والحسبة وحمل المظلة، وذلك أيام الحاكم وابنه الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م)(١)، إضافة إلى ولاية دمشق في سنة (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م) (٢)، وتولى طارق الصقلبي دمشق في عام (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨م) (٣).

لقد كان حضور الصقالبة في الميدان العسكري والسياسي حضوراً فردياً، إذ لم يشكل الفاطميون فرقاً عسكريةً صقلبية في الجيش الفاطمي في مصر(٤)، إنما اصطفوا من الصقالبة أفراداً توسموا فيهم المقدرة العسكرية، وأوكلوا إليهم مهمات سياسية وقيادية. حيث قاد جوهر الصقلبي الجيوش الفاطمية غرباً وشرقاً(٥)، وظهر من الصقالبة الحسين بن جوهر الصقلبي الذي عين قائداً للقواد في عهد العزيز والحاكم، وقد جعل إليه الحاكم أمر التوقيعات والنظر في أمور الناس وتدبير المملكة(٦).

وبرز من الصقالبة برجوان الصقلبي الذي ربي في دار العزيز، وتولى أمر القصور، وأصبح وصياً على الحاكم عندما ولي الخلافة صغيراً(٧)، ولعب دوراً بارزاً في الصراع بين الأتراك وكتامة أيام الحاكم(٨).

لقد تدرج البروز - الفردي - السياسي والعسكري الصقلبي من بروز محتشم إلى اكتساح للميدان السياسي والعسكري، إذ وضح ازدياد نفوذ الصقالبة – الذين تولوا مناصب سياسية وقيادية– بدرجة ملحوظة في عهد الحاكم، مما جعله يقلب ظهر المجن لهم، ويعمل على الإطاحة بهم، فيذكر المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) أن برجوان الصقلبي "لما بلغ النهاية قصر في الخدمة"(٩)، حتى وصل به الأمر إلى درجة الاستخفاف بالحاكم، والاستبداد بالأمور دون الخليفة(١٠)؛ ولأجل ذلك أوعز الحاكم إلى أحد خدام القصر بقتله، وقد تمت مؤامرة قتله أمام أحد أبواب القصر الفاطمي عام (٣٩٠ هـ / ١٠٠٠م)(١١).

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٤، ٣٨٧، ج٢، ص٢٩.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص ٧.
(٣) الذهبي، سير، ج١٥، ص١٨٧.
(٤) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٩٤.
(٥) مجهول، اللمعة، ص٣، علي حسن، **تاريخ**جوهر، ص١٧-٢٠.
(٦) المقريزي، **المقفى**، ج٣، ص ٤٩٦.
(٧) الصفدي، الوافي، ج١٠، ص١١٠، المقريزي، **المقفى**، ج٢، ص ٥٧٢-٥٧٣.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٩.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٩.
(١٠) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص ٢٧٠-٢٧١.
(١١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٧٠-٢٧١، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٩.

ولعل هناك صلة بين ميل الصقالبة للإستبداد، وبين قيام الحاكم في عام (٣٩٩هـ/١٠٠٩م) بحرق حارة الصقالبة الموسومة بحارة الروم[١]، وبقتل عدد كبير من الصقالبة في نفس العام[٢].

ثم إن الحاكم فوجئ عقب القضاء على ثورة أبي ركوة عام (٣٩٧هـ / ١٠٠٧م)[٣]،بانتشار الشائعات التي تفيد بأن الحسين بن جوهر واسطة الخليفة ورئيس جهازه الإداري، على اتصال بالثائر أبي ركوة، مما دفعه لتدبير مؤامرة لقتله تمت عام (٤٠١هـ/١٠١٠م)[٤].

ويبدو أن العد التنازلي للبروز – الفردي – السياسي والعسكري الصقلبي بدأ مع نهاية عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)، بحيث لم يرد في المصادر ما يشير إلى انتشار أفرادهم في مناصب عسكرية أو سياسية بعد عهده. ولعل ميلهم للإستبداد في عهد الحاكم جعل الخلفاء الذين جاءوا بعد الحاكم يتوجسون خيفة منهم، ويستبعدونهم عن الوظائف العليا؛ خوفاً من استفحال طموحهم.

ثالثاً: الأقباط:

هم سكان مصر الأصليين[٥]، وقد شكلوا غالبية سكان مصر في العصر الفاطمي، إذ يذكر ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، أن " معظم رساتيق مصر وقراها في الحوف والريف، وأهلها نصارى قبط" [٦]. وذكر المقريزي نقلاً عن أمية بن أبي الصلت – الذي زار مصر سنة (٥١٠هـ/١١١٦م) في خلافة الآمر- أن " سكان مصر أخلاط من الناس مختلفو الأصناف، والأجناس من قبط وروم وعرب وأكراد وديلم وحبشان، وأرمن، وغير ذلك من الأصناف، إلا أن جمهورهم قبط نصارى"[٧]. وذكر المقدسي – الذي زار مصر في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري – أن " عامة ذمته (أي مصر) نصارى يقال لهم القبط، ويهود قليل"[٨].

كانت القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) مقراً للخلافة تقتصر السكنى فيها على الخليفة، وعساكره، وخواصه، والعاملين في الدولة [٩]، وتأسيساً على ذلك يمكن القول أن الأقباط الذين سكنوا القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر كانوا في الأساس من العاملين في الدولة، الذين أوجدت لهم صلتهم بالدولة مكاناً

---

(١) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص ٢٢-٢٣.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص ٣٧٣.
(٣) عن ثورة أبي ركوة ضد الخلافة الفاطمية عام (٣٩٦ هـ/١٠٠٦م) انظر ابن كثير، البداية، ج١١، ص٣٣٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦١.
(٤) الأنطاكي، **تاريخ**، ص ٢٨٧-٢٨٨.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٢١٢.
(٦) صورة، ص١٥٠.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص١٢٦.
(٨) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠١-٢٠٢.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٢.

للعيش في القاهرة، يقول ابن سعيد: " وأكثر ما يتعيش بها (أي القاهرة) اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب"[١].

ويفترض تزايد اعداد الأقباط النصارى في القاهرة، عقب سماح بدر الجمالي لأهل الفسطاط بالسكنى فيها[٢]، حيث شكل الأقباط النصارى قسماً من سكان أهل الفسطاط[٣]. وبما ان الأقباط شكلوا السواد الأعظم من الذميين، فسيتم الحديث عن أحوالهم الاجتماعية في سياق الحديث عن الأوضاع الاجتماعية لأهل الذمة[٤].

رابعاً - الأتراك[٥]:

يرجع استخدام الأتراك في الجيش الفاطمي إلى عهد العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) الذي استخدم في جيوشه جماعة من الأتراك والديلم، الذين قدموا من الشام إلى مصر مع قائدهم افتكين. وكان هذا القائد التركي قد هرب من العراق إلى بلاد الشام – بعد فتنة الأتراك في بغداد سنة (٣٦٣ هـ / ٩٧٣م) [٦] – وبصحبته أربعمائة جندي من الأتراك والديلم[٧]، وتمكن من الاستيلاء على دمشق بمساعدة أهلها، وإخراج الحامية الفاطمية منها، كما استطاع بمساعدة القرامطة إلحاق الهزيمة بالجيش الفاطمي الذي أرسل إليه من مصر بقيادة جوهر الصقلبي، إلى أن تمكن العزيز من الخروج بنفسه على رأس الجيش الفاطمي، وألحق الهزيمة به، وبالقرامطة في سنة (٣٧٦هـ/٩٧٨م)، وأسره وجنوده من الأتراك والديلم وأحسن إليهم، وأصطحبهم إلى مصر وجعلهم جنداً نظامياً [٨].

---

(١) ابن سعيد، **النجوم**، ص ٢٨. حول علاقة الاطباء في السلطة الحاكمة، انظر ص ١٢٢-١٢٥ من الأطروحة.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٢.
(٣) المقريزي، **البيان**، ص١٥٠.
(٤) انظر مبحث أهل الذمة ص ١٥٨ – ١٧٦ من الأطروحة.
(٥) تعد منغوليا موطن الترك الأصلي، وقد تشتت الأتراك الذين كانوا يقطنونها؛ بسبب ما كان يقع بينهم من حروب، فاتجه الكثير منهم إلى تركستان. وزال وجود الأتراك نهائياً من منغوليا عقب طرد المغول لهم في بداية القرن (٣هـ / ٩م)، فهاجر المطرودون منهم إلى تركستان وتوطنوا بها. وانتشر بعض أفرادهم في بلاد ما وراء النهر (أي في الأقاليم الواقعة وراء نهر جيحون). وتمكنوا في منتصف القرن (٣هـ / ٩م) من الاستيلاء على هذه البلاد، وأقاموا لهم فيها أسرات حاكمة. وبذا استقرت دولة الأتراك في بلاد ما وراء النهر، التي نفذ منها الأتراك إلى العراق وعملوا جنداً نظامياً في الدولة العباسية. لمزيد من التفاصيل انظر الاصطخري، المسالك، ص١٦٣، ابن حوقل، صورة ص٣٨٧، بارتولد، الترك، ص٢٠.
(٦) الأنطاكي، **تاريخ**، ص١٧٩-١٨٠، ابن القلانسي، **تاريخ**، ص١٠-٢٤، ٢٩-٣٥.
(٧) الديلم: من جند أسرة بني بويه الديلمية الشيعية التي كان موطنها بين طبرستان والجبال وجيلان وبحر الخزر، ثم استولت على السلطة في الدولة العباسية في بغداد عام (٣٣٤ هـ/٩٤٦م). لمزيد من التفاصيل انظر عبد العزيز الدوري، دراسات، ص١٧٥-٢١٠، Beshir: Fatimied Military organization, Der Islam, Berlin, New york, 1978, p. 42
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص ٢٨٨.

إن تجنيد العزيز للأتراك جاء – على ما يبدو – تلبية لحاجات عسكرية، إذ إن فشل الكتاميين في إعادة النفوذ الفاطمي إلى بلاد الشام عام (٣٧٦هـ/٩٧٨م) جعل العزيز يبحث عن كفاءات عسكرية جديدة يعزز بها قواته من المغاربة، فكان الحل – كما رأى – باللجوء إلى الأتراك والديلم الذين تميزوا بمقدرتهم القتالية، حيث كان الأتراك يعيشون في بلادهم(١) حياة البداوة(٢)، التي أكسبتهم الشجاعة وحب الفروسية ومعاناة الحروب(٣)، التي أصبحت هي "تجارتهم ولذتهم وحديثهم حتى صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة وأهل الصين في الصناعات"(٤). كما تميز الديلم بشجاعتهم وبقابليتهم الحربية(٥).

ولا يستبعد أن استخدام العزيز للأتراك جاء وفق نظرة والده المعز (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) أو تحقيقاً لما تكهن به، إذ يبدو أنه كان لديه اتجاه نحو استخدامهم في الجيش؛ لما تمتعوا به من خصال قتالية، حيث قال لجوهر – كما يروي ابن سعيد - بمناسبة تقديمه أحد الغلمان الأتراك – من أسرى الجيوش الأخشيدية – إليه: "يكون عندك مكتوماً حتى ترى أنه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة، ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره"(٦).

أسكن العزيز الأتراك والديلم في حارة واحدة، إلا أنه جعل كلاً منهم على حدة في زقاق منفصلة عن بعضها؛ "لتخالفهما في الجنسية"(٧)، وجعل العزيز حارة الأتراك والديلم بجوار الجامع الأزهر(٨). وإن وقوع هذه الحارة حول الجامع الأزهر يعتبر مظهراً لتقدير أصحابها.

إن المصادر التي عالجت الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت بها الدولة الفاطمية في مصر تشير غالباً إلى الأتراك دون الديلم(٩)، وحتى عند إشاراتها النادرة للديلم تقرنهم دائماً مع الأتراك(١٠). وقد يشير ذلك إلى تفوق الأتراك على الديلم في الاستئثار بالسلطة والنفوذ – ربما لتفوقهم على الديلم من الناحية العددية – يثبت ذلك تنكيل بدر الجمالي بالأتراك فور وصوله إلى مصر

---

(١) حول موطن الأتراك انظر ص ٥٠ هامش (٥) من الأطروحة.
(٢) الجاحظ، **رسائل**، ج١، ص٥٥، Chase F. Robinson, Medleval Islamic city, Reconsidered, an interdisciplinary Approach to samarra, p 119.
(٣) الجاحظ، **رسائل**، ج١، ص٥٣، ابن صاعد الأندلسي، طبقات، ص١١٧، Osman. A. Ismail, Mutasim and The Turks, p. 19.
(٤) الجاحظ، **رسائل**، ج٣، ص١٦٦.
(٥) عبد العزيز الدوري، دراسات ص١٧٧.
(٦)ابن سعيد، **النجوم**، ص ١٠٥-١٠٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٥٩.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٧.
(٨) المصدر نفسه، مج٢، ص ٢٧.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٨٨، ج٢، ص ٦،٢٦.
(١٠) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٢.

– عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م) - نتيجة لتفاقم نفوذهم[١]، في حين لم يرد أنه مس الديلم بسوء، وذلك يدل على قلة عددهم، وضعف دورهم.

لم ترد إشارات تدل على وجود تيار مستمر لجلب الأتراك والديلم – من أماكن استقرارهم – إلى مصر، وذلك يدل على أن زيادتهم العددية في مصر جاءت بتوالدهم لا بقدوم روادف جديدة منهم، وقد أكد ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) ذلك بقوله: إن جل الأتراك والديلم ولدوا في مصر[٢].

وبفضل صفات الأتراك العسكرية من جهة، وضعف المغاربة من جهة أخرى، تمكن الأتراك من الاستئثار بالسلطة والنفوذ في عهد العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م)، الذي لم يجد وسيلة يدعم بها سلطته سوى الأتراك، الأمر الذي دفعه إلى تقريبهم، حيث قدمهم في العطاء على الكتاميين[٣]، وأمر جميع القادة الكتاميين بالترجل للقائد التركي أفتكين[٤]، ولكي يضمن ولاءهم منحهم كل ما يضفي عليهم أهمية، وعظمة، فأمر لهم "بالذهب والفضة والجوهر، وأمر لهم بالخيل واللباس والضياع والعقار"[٥].

يبدو أن استئثار الأتراك بالنفوذ لم يقع موقع القبول في نفوس المغاربة، الأمر الذي أدى إلى نشوب صراع بين الطرفين في عهد الحاكم؛ لمحاولة كل منهما الاستئثار بالامتيازات والنفوذ دون الآخر، بحيث أصبح كل طرف يحاول القضاء على الطرف الآخر دون الاهتمام باستقرار الدولة، فنشبت حروب عديدة بين الطرفين، نتج عنها هزيمة المغاربة[٦]

وأخذ المغاربة بعد هزيمتهم أمام الأتراك يتحينون الفرص لاستعادة مكانتهم في الجيش والدولة، وبدأت تظهر محاولات قادتهم للاستئثار بالسلطة، مما دفع الحاكم إلى الاستبداد بهم[٧]، وتجنب الاعتماد عليهم، واعتمد على الأتراك في تسيير شؤون الدولة[٨].

يبدو ضعف مكانة الأتراك في عهد الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م)، الذي اعتمد في تسيير شؤون الدولة على السودان[٩]، مع تجاهله التام للأتراك والمغاربة [١٠].

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج ٣، ص٣٢.
(٢) **سفرنامة**، ص ١١٠
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٩٩.
(٤) ابن سعيد، **النجوم**، ص١٠٥
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٨٨.
(٦) حول هذه الحروب انظر ص ٣٩ – ٤٠ من الأطروحة.
(٧) حول محاولات الحاكم للحد من نفوذ المغاربة انظر ص ٤٠ – ٤١ من الأطروحة.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٤.
(٩) حول بداية تجنيد السودان في الدولة انظر ص ٥٨ من الأطروحة.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣، حول أسباب استعانة الظاهر بالسودان وتجاهله للمغاربة والأتراك انظر ص ٦٠ من الأطروحة.

لقد ازداد اعتماد الدولة في عهد المستنصر على السودان، الأمر الذي تعارض مع مصالح الأتراك، وأثار حقدهم، إذ عز عليهم أن ينافسهم السودان، لاسيما بعد أن تفوقوا على نفوذ المغاربة. الأمر الذي دفعهم إلى شن حروب عديدة – بقيادة ناصر الدولة ابن حمدان[١] الذي توسم به الأتراك الكفاءة العسكرية – ضد السودان[٢]، كان النصر فيها – في نهاية الأمر – حليفاً للأتراك، الذين تمكنوا في سنة (٤٦٠ هـ / ١٠٦٨م) من هزيمة السودان وقتل أعداد غفيرة منهم، بحيث "لم ينج إلا القليل منهم وزالت حينئذٍ دولتهم"[٣].

إن انتصار الأتراك على السودان أكسبهم قوة في الدولة – لاسيما بعد انحسار نفوذ المغاربة[٤] – فقويت شوكتهم وتمكنوا من الاستئثار بالنفوذ والحكم "فخلت الدولة لهم، وطمعوا في المستنصر، وقل ناموسه عندهم"[٥]. ونتج عن استبداد الأتراك واستئثارهم بالأموال أن "خلت الخزائن فلم يبق شيء البتة وهم يطالبون"[٦] بالأموال[٧]، دون تقدير للأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة، فعندما اعتذر المستنصر بعدم الأموال عنده، "طلب ناصر الدولة محتويات خزائن الدولة، فأخرجت إليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت إلى الجند"[٨]. وقد وصل جشع الترك إلى درجة من القوة، حيث قاموا بنهب الأموال من قصور الخلفاء "من غير أن يستحق أحد منهم درهماً واحداً منها"[٩]، وهجموا على القصور "وأخذوا ما فيها من قناديل الذهب ومن الآلات"[١٠].

لم يكن لدى الأتراك انتماء أو ولاء أقوى من الانتماء للمنفعة والمصلحة، إذ سرعان ما نبذوا ابن حمدان ودب الخلاف بينه وبينهم[١١]؛ "من أجل أنه قويت شوكته وتفرد بالأمور دون الأتراك، حتى فسدت نياتهم عليه"[١٢]، وما لبثوا أن سارعوا إلى المستنصر وطلبوا منه إخراج

---

(١) ناصر الدولة ابن حمدان: هو الحسن بن الحسين حمدان التغلبي، آخر من كانت له إمارة من آل حمدان أمراء حلب وغيرها. قتل سنة (٤٦٥ هـ / ١٠٧٤م)، على يد جماعة من الأتراك يتزعمهم القائد التركي الدكز. انظر الذهبي، **تاريخ**(حوادث ٤٦١ -٤٧٠هـ)، ص١٦٥، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص٢٤، ٩٢.

(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص٢٤-٢٦، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٥-١٠٦.

(٣) ابن ميسر، **أخبار**، ص ٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٢.

(٤) حول ظروف انحسار المغاربة والضعف الذي ألم بهم انظر ص ٣٨-٣٩، ٤٢ من الأطروحة.

(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩

(٦) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٥٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩.

(٨) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩

(٩) المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص ٤١٦، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٧.

(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٢٤.

(١١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٣.

(١٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٣-٣٤.

ابن حمدان من القاهرة، فاستجاب لهم وأرسل إلى ابن حمدان يأمره بالخروج من القاهرة، ولم يسع ابن حمدان إلا أن خرج إلى الجيزة، فنهبت دوره ودور حاشيته وأصحابه[١].

لجأ ابن حمدان إلى الانتقام ممن ألب الأتراك عليه، واتفق مع تاج الملوك شادي[٢] على قتل الوزير خطير الملك والقائد التركي الدكز[٣] "شيخ الأتراك والمقدم عليهم"[٤]. وبالفعل تم اغتيال الوزير الخطير في إحدى مواكبه، على حين تنبه الدكز للمؤامرة، فنجا من القتل واستطاع أن يجمع عدداً كبيراً من الجند لقتال ابن حمدان، ونتج عن القتال هزيمة ابن حمدان وفراره إلى الجيزة[٥]، التي اتخذها مركزاً جديداً يعاود منه نشاطه المعادي للخلافة الفاطمية[٦].حيث أقدم في عام (٤٦٢ هـ / ١٠٦٩م) على مراسلة السلطان السلجوقي ألب أرسلان يطلب منه إرسال جيش؛ لمساعدته على إقامة الدعوة العباسية في مصر، وقد تشجع السلطان السلجوقي على المسير بنفسه إلى مصر، لولا قيام الروم بالتوجه إلى خراسان في ذلك العام، فعدل عن ذلك[٧].

ولما علم المستنصر بمراسلة ابن حمدان للسلطان السلجوقي، جهز جيشاً كبيراً التقى مع قوات ابن حمدان عام (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، ولكن الهزيمة كانت من نصيب جيش المستنصر، وتمكن ابن حمدان من الاستيلاء على معظم الوجه البحري، وقطع الغلال والمواد التموينية عن القاهرة براً وبحراً، كما قام بقطع الخطبة للخليفة المستنصر في حلب[٨].

واضطر المستنصر رغبة منه في احتواء الأزمة إلى مصالحة ابن حمدان، الذي اشترط لتحقيق الصلح أن يظل مقيماً في الجيزة، وتدفع له الدولة أموال مقررة، ويكون تاج الملوك شادي نائباً عنه في القاهرة في مقابل تعهده بإرسال الغلال إلى القاهرة والفسطاط[٩]. إلا أن تاج الملوك شادي سعى في الانقلاب عليه، ومنع إرسال الأموال المقررة إليه، واستبد بالأمور في العاصمة، فاستاء ابن حمدان من ذلك وأخذ يستعد لشن هجوم على القاهرة - في أوائل سنة (٤٦٤ هـ / ١٠٧١م)- فجمع جيشاً كان يتألف معظمه من عرب قيس؛ لقتال المنشقين عليه[١٠].

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٣، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص ١٣-١٤.

(٢) تاج الملوك شادي: أحد كبار قادة الجيش التركي. انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٣.

(٣) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٣.

(٤) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص١٣.

(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٤.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣-١٤، حمدي المناوي، الوزارة، ص١٧٦.

(٧) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣١، محمد جمال الدين سرور، مصر، ص٧٧.

(٨) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٦، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣١

(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٦، الذهبي، **تاريخ**الإسلام، (حوادث ٤٦١ -٤٧٠)، ص١٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٢-١٣٤.

(١٠) ابن ميسر، **أخبار**، ص ٣٧-٣٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٢-١٣٤.

وعندما علم تاج الملوك شادي بما عزم عليه ابن حمدان، سار مع نفر من أنصاره الأتـراك إلى الجيزة؛ لإيقاف ابن حمدان عند حده، وأثناء القتال الذي دار في الجيزة بين قوات ابن حمدان و قوات تاج الملوك شادي، تمكن ابن حمدان من القبض على تاج الملـوك شـادي ونفـر مـن أنصاره الأتراك، ثم واصل زحفه إلى القاهرة عن طريق الفسطاط، إلا أنه فقد سـيطرته علـى جنوده الذين أشاعوا النهب والسلب في أحياء الفسطاط وأشعلوا فيها النيـران[١]. ولمـا اسـتفحل أمرهم، عول المستنصر على محاربتهم، فأنفذ إليهم فريقاً من جنده يشتمل على "طائفة لهم قـوة وفيهم منعة"[٢]، ودارت بين الفريقين عدة معارك انتهت بهزيمة إتباع ابن حمدان وفـراره إلـى ناحية البحيرة[٣].

لقد أدى إفلاس الخزينة في عهـد المستنـصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) إلـى "اضمحلال أمره (أي المستنصر) وبطلان ذكره وتفرق الناس من القاهرة"[٤]، و "ممالأة كثير من الأتراك له"[٥]. وذلك يدل على أن الأتراك لم يرتبطوا مع المستنصر بولاء روحـي، إذ تحـالفوا معه حينما تمكن من تأمين وضعهم المالي، وانفضوا عنه عندما عجز عن الإنفاق عليهم؛ نتيجـة لخلو الخزينة من الأموال أثر تسلطهم عليها [٦]من جهة، ونتيجة للأزمات الاقتصادية التي كانـت تمر بها البلاد[٧] من جهة أخرى.

وعندما تيقن ابن حمدان عجز المستنصر بعد أن انفضت عنه القوى التي كان يعتمد عليهـا، شرع في المسير على رأس قواته إلى القاهرة، فدخل الفسطاط في شهر شعبان سنة (٤٦٤ هـ/ ١٠٧٢م) وسيطر عليها، ودخل القاهرة خلال ذلك الشهر. وعندما شعر الأتراك برجحـان كفـة ابن حمدان، وسيطرته على المستنصر مالوا إلى مصالحته[٨] .

غير أن ابن حمدان لم يهنأ بالانفراد بالأمر في القاهرة طويلاً، إذ سرعان ما انقلـب عليـه قادة الأتراك، وقاموا بقتله في شهر شعبان من سنة (٤٦٥ هـ / ١٠٧٣م)، وفتكوا بأفراد أسرته في السنة ذاتها[٩]. وذلك عندما شعروا بمحاولاته الاستئثار بالأمور دونهم[١٠]، حينما أخـذ فـي

---

(١) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص ٢٥٩، جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٢٦-٢٢٧.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٣. البحيرة: كورة واسعة من نواحي الاسكندرية. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج١، ص٣٥١.
(٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٥.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٣.
(٦) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩.
(٧) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٢٧١، المقريزي، اغاثة، ص٦٠.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٣-١٣٤، عبد المنعم ماجد، الإمام المستنصر، ص١٧٨.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٥.
(١٠) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٥.

إبعاد كبار قادتهم عن القاهرة إلى الولايات "وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي ولا يمكنه العمل مع وجودهم (أي الأتراك)" [(١)].

ولم يكن قتل ابن حمدان نهاية لمتاعب المستنصر، إذ سرعان ما حل الدكز محل ناصر الدولة في الاستبداد بالمستنصر، الذي ضاق به وبأتباعه ذرعاً، ولما آيس المستنصر من إيجاد حل لإيقاف الأتراك عند حدهم، اضطر في سنة (٤٦٦ هـ / ١٠٧٤م) إلى استدعاء واليه على الشام بدر الجمالي، إذ أرسل إليه يطلب منه الحضور؛ ليتولى تدبير شؤون الدولة، وإصلاح ما فسد منها، وتطهيرها من كافة المفسدين[(٢)].

وعقب وصول بدر إلى القاهرة شرع في التودد إلى قادة الأتراك الذين طغى نفوذهم على المستنصر في العاصمة، وتعمد أن يذكر المستنصر أمامهم بالسوء "وخدعهم بما أبداه من المحبة لهم وكثرة التملق"[(٣)]. ثم نجح في تدبير مذبحة جماعية لهؤلاء القادة[(٤)]، وأخذ في "القبض على الأتراك وتتبعهم حتى لم يدع منهم أحداً يشار إليه"[(٥)]. وبذلك تمكن من استئصال شأفتهم "فلم يبق أحد منهم في مصر والقاهرة حتى قتله"[(٦)].

يتبين من دراسة الأتراك ما يلي:

* بفضل ضعف المغاربة العسكري، وتغلب الأتراك على السودان من جهة، وما تمتع به الأتراك من صفات عسكرية من جهة أخرى، زادت فاعلية الأتراك كقوة فاعلة في المجتمع، وأصبحوا أصحاب السلطة العليا، وأخذ اعتماد الخلافة عليهم يزداد، الأمر الذي منحهم إحساساً بالقوة والتفوق، فحاولوا إبراز قوتهم وتفوقهم بهدف أن تبقى سلطتهم هي الأقوى، فبدت تظهر أطماعهم في الاستئثار بالنفوذ والسلطة.

* كان لتقريب الأتراك ولتعاظم نفوذهم آثار سيئة مؤلمة في نظام الخلافة، فالترك شعب بدوي ميزته الوحيدة مقدرته القتالية؛ ولم تكن لهم تقاليد حضرية سابقة – يسميهم الجاحظ بدو العجم[(٧)] – أو إدراك لشؤون السياسة ولا خبرة لهم بالإدارة ومجردون من كل ثقافة[(٨)]. فلا غرابة إن كان تقديم الترك عاملاً مهماً في إرباك الخلافة وإضعاف مؤسساتها العامة. إذ سرعان ما استفحل نفوذهم وعملوا على التلاعب بمقدرات الخلافة. ونتج عن استبدادهم واستئثارهم بالأموال فراغ

---

(١) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٦.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٩-٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦-١٣٧.
(٤) ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦-١٣٧.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٧.
(٦) ابن ميسر، **أخبار**، ص ٤٠.
(٧) **رسائل**، ج٣، ص١٦٦.
(٨) عبد العزيز الدوري، النظم، ص١٢٣، دراسات، ص١٤، العصر العباسي، ص٢٦٠.

الخزينة، وتدهور الأحوال المالية، حيث كثرت حركات جشعهم دون تقدير للأزمات الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة. وإليهم يسند الدور الأكبر في إحداث الفساد والإرباك الاجتماعي، بحيث أصبح نفوذ الترك من أهم مشاكل الخلافة التي دفعت بالمستنصر إلى دعوة بدر الجمالي – والي الشام – للقضاء على نفوذهم.

* لم يكن لدى الأتراك انتماء أو ولاء أقوى من الانتماء للمنفعة والمصلحة، فولاء الأتراك كان يتحول حسب مصالحهم الشخصية، ولمن يبذل لهم الأموال. فتارة ينضمون إلى ابن حمدان، وتارة أخرى ينضمون إلى المستنصر، فكانوا يتذبذبون في ولائهم بين هذا وذاك بما يتفق ومصالحهم.

* لقد أسهمت المواريث الاجتماعية التركية في حياتهم العسكرية، إذ حافظ الأتراك على موروثهم القبلي[١] وتمسكوا به، فكانوا من الناحية الاجتماعية شخصيات قبلية لا رجال دولة، فكان قواد الأتراك ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شيوخ عشيرة لا قادة عسكريين، فكان مقدمهم يلقب بشيخ الأتراك[٢]. ولم يعايشوا مفهوم الدولة ولم ينصهروا بها، ولم يرتبطوا بها بولاء روحي، حيث تحالفوا معها في الوقت الذي تمكنت فيه من توفير متطلباتهم، و انفضوا عنها عندما عجزت عن توفير إحتياجاتهم. في حين كان تعصبهم وولاء بعضهم لبعض قوياً– كما في نظام القبيلة – إذ شكلوا كتلة اجتماعية وعسكرية، كانت تربطها روابط تدفعها دائماً إلى اتخاذ موقف واحد وجماعي. فلم يرد ما يشير إلى حدوث منازعات فيما بينهم سوى ما قام به القائد التركي تاج الملوك شادي عندما تحالف مع ابن حمدان ضد القائد التركي الدكز – مقدم الأتراك – حتى يحل محله في قيادة الأتراك، إلا أنه ما لبث أن عاد وتحالف مع الأتراك، ونبذ ابن حمدان. ولعل تكتل الأتراك وتعاونهم مع بعضهم هو الذي حقق لهم مزيداً من النفوذ.

* جاء الأتراك إلى مصر حاملين معهم تقاليدهم القبلية، مما جعل المصريين ينظرون إليهم نظرة متدنية. فعندما شاهد عامة المصريين أفتكين التركي والأسرى الأتراك – عقب مجيئهم إلى مصر مع العزيز عام (٣٧٦هـ/٩٧٨م) - بهيئتهم الرثة، قالوا سخرية واستهزاءاً عن قائدهم أفتكين: "ما هذا التركي**!؟**"[٣] ولما بلغ العزيز ذلك أمر إظهاراً لأبهة الدولة بأن يشهر[٤] قائدهم أفتكين بأجمل حال[٥].

---

(١) كان التنظيم الاجتماعي التركي تنظيماً قبلياً. حول قبائل الترك وتفرعاتها، وموجز عن **تاريخ**ها القديم، انظر بارتولد، "مادة ترك" في دائرة المعارف الإسلامية، ج٥، ص٣٤-٥٧.
(٢) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص١٣.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٨٨.
(٤) شهره: أي أظهره. انظر ابن منظور، لسان، ج٥، ص٢١٨-٢١٩.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٨٨.

* لقد أثارت سيطرة الأتراك نقمة المصريين، خاصة بعدما ثبت لهم أنهم لا يسعون إلا إلى الاستئثار بالأموال وتحقيق أطماعهم، وقد تجلى كرههم لهم عندما تعاونوا مع المغاربة ضدهم عام (٤٢٠هـ/١٠٢٩م) الأمر الذي أسفر عن ترجيح كفة المغاربة وانتصارهم عليهم[١].

وقد انطلقت السنة المصريين بالعديد من الأمثال الشعبية التي تعبر عن كرههم للأتراك، فقالوا: "آخر خدمة الترك علقة"[٢]. أي أنه إن أخلصت لهم وخدمتهم يكافئونك في آخر خدمتك بالضرب. وكذلك سخروا من الترك قائلين "زي شحات الترك جيعان ويقول موش لازم"[٣]. وقالوا: "زي التركي المرفوت يصلي على ما يستخدم"[٤]. وقالوا: "زي التركي ما فيه الاشنبات"[٥].

ويمكن تفسير أساليب الفوضى والنهب التي مارسها الأتراك في سبيل حصولهم على الأموال، بأنها كانت انعكاساً لتأثرهم الشديد ببيئتهم الصحراوية[٦]، التي طبعتهم بطابع الخشونة وحدة الخلق، وجعلتهم "عجماً جفاه"[٧]، يلتمسون معاشهم في ظلال السلب والنهب.

خامسا - السودان:

لقد استخدم الطولونيون السودان في جيوشهم[٨]، وتبعهم الأخشيديون في ذلك[٩]. ولم يتم استخدام السودان كجند نظامي في الجيش الفاطمي إلا منذ عهد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م)[١٠] الذي سار – على ما يبدو – على سياسة أبيه العزيز في تجنبه الاعتماد على عنصر بعينه في تسيير شؤون الدولة. إذ إن اعتماد الحاكم على الأتراك دون المغاربة ؛ ربما أثار مخاوفه من محاولة الأتراك الاستئثار بالسلطة، الأمر الذي دفعه إلى تجنيد السودان في الجيش، حتى إذا زاد نفوذ الأتراك لجأ إليهم للحد من تسلط الأتراك، لاسيما وأن السودان تميزوا بخصائص عسكرية عالية، فقد اشتهروا بالشجاعة[١١]، والمهارة في رمي القوس[١٢] والقدرة على

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٤١-٤٢.
(٢) محمد شكري المكي، **مخطوط مجمع الأمثال العامية**، دار الكتب المصرية، ورقة١.
(٣) المصدر نفسه، ورقة ٤٢.
(٤) المصدر نفسه، ورقة ٤٢.
(٥) المصدر نفسه، ورقة ٤٢.
(٦) يذكر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) أن الأتراك كانوا "ساكني صحارى". انظر الجاحظ، **رسائل**، ج١، ص٥٥.
(٧) الطبري، **تاريخ**، ج٩، ص١٨. وعن صفات الأتراك: انظر خلود الأحمدي، سامراء، ص٦، ٦٥-٦٦.
(٨) الأسدي، التيسير، ص٦٧، ابن إياس، **نزهة**، ص١٣٣، هويدا رمضان، المجتمع، ج١، ص٢٧٧. Beshir: Fatimid, p4.
(٩) ابن إياس، **نزهة**، ص١٣٣، سيدة كاشف، مصر في عهد الطولونيين والأخشيديين، ص ٢٥٧، ٢٥٨.
(١٠) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص١٨١-١٨٢.
(١١) الجاحظ، **رسائل**، ج١، ص١٣٨.
(١٢) البلاذري، فتوح، ص ٢٧٦

رفع الأحجار، وحمل الأثقال التي تعجز عن حملها جماعة[١]، فـضلاً عـن تميـزهم بطـاعتهم وإخلاصهم لأسيادهم، حيث كانوا "لا يعرفون رباً إلا ساكن قصره"[٢].

كما أن سيولة الاتصال التجاري والبشري بين مصر وبلاد النوبـة[٣] - نتيجـة للقـرب الجغرافي بينهما – قد أتاح للدولة الفاطمية بدءاً من عهد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) وحتى سقوطها، التزود من الرقيق النوبي[٤]، الذي تعددت روافده إلى مصر، ويمكن حصرها في ثلاثة طرق هي:

* الضريبة: التي فرضها المسلمون على ملك النوبـة منـذ أن وطـأت أقـدامهم أرض مصر[٥]، والتي تضمنت إرسال ٣٦٠ رأساً من الرقيق إلى مصر سنوياً[٦].

* التجارة: لقد قامت علاقات تجارية بين مصر والنوبة، فكان التجار المصريون يـذهبون إلى النوبة لبيع الأمشاط والمرجان، ويستوردون منها الرقيـق والجلـود[٧]. وإن إطـلاق مسمى "عبيد الشراء"[٨] على السودان في مصر، لمما يؤكد أن تجـارة الرقيـق والـشراء الرسمي للعبيد من قبل الدولة الفاطمية، هو أكثر الطرق التي جلب بها السودان شيوعاً.

* الهدايا: لقد حرص ملوك النوبة على إرسال نفر من الرقيق والإمـاء الـسوداني إلـى الخلفاء الفاطميين في مصر – فضلاً عن الضريبة المقررة – بصفة هدايا[٩].

ومع تجنب الحاكم استخدام المغاربة في تسيير شؤون الدولة، فقد اعتمد على الأتراك فـي ذلك[١٠]، ولم يرد ما يشير إلى احتلال السودان مكانة متقدمة على الأتراك في عهده؛ ربما لحداثة دخولهم في الخدمة العسكرية، وبالتالي ضآلة أعدادهم التي لم تتح لهم البروز على سواهم.

---

(١) الجاحظ، **رسائل**، ج١، ص١٣٨.
(٢) مفرج، ج٣، ص٢٩٢.
(٣) النوبة: تقع في جنوب اسوان في صعيد مصر، وكان يحكمها ملك خاص بهـا، وكـان النوبيـون يـدينون بالنصرانية، ولم تكن النوبة تابعة للخلافة الفاطمية. انظر ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٩٦، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج٥، ص٣٠٩، عطيه القوصي، **تاريخ**، ص٤١.
(٤) ناصر خسرو، **سفرنامة**،ص٩٦، ل. سيمنوف، (١٩٧٢م). حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مـصر، المجلة ال**تاريخ**ية، بغداد، ع٢، ص١٩٨.
(٥) البلاذري، فتوح، ص٥٩.
(٦) لما فتح عمرو بن العاص مصر أرسل فرقة من جيشه بقيادة "عبد الله بن أبي السرح" لإخضاع بلاد النوبة؛ لأجل تأمين حدود مصر الجنوبية. وقد تمكن ابن أبي السرح من هزيمة النوبيين، وعقد معهم هدنة تعهد فيها ملك النوبة بإرسال أربعين عبداً سنوياً إلى والي مصر. انظر البلاذري، فتـوح، ص٢٧٦-٢٧٧، عبـد الله سليم، (١٩٧٨م)، العلاقات بين مصر والنوبة في العـصر الفـاطمي (٣٥٨-٥٦٨هــ / ٩٦٩-١١٧١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ص ١٢٠.
(٧) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص ٩٦.
(٨)الانطاكي، **تاريخ**ص٢٧٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٤.
(٩) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣١، ٥٦
(١٠) حول ظروف تجنب الحاكم استخدام المغاربة في تسيير شؤون الدولة، واعتماده في ذلك علـى الأتـراك. انظر ص ٤٠- ٤١ من الأطروحة.

لقد أصبح السودان في عهد الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) الركن العسكري للدولة، حيث شهد عهده هبوطاً في نفوذ الأتراك، والمغاربة، الأمر الذي ساعد على زيادة فاعلية السودان كقوى اجتماعية في المجتمع والدولة، حيث عمل الظاهر على إسباغ رعايته واهتمامه الشديدين بهما، في حين تجاهل المغاربة والأتراك في تسيير شؤون الدولة، حيث أوكل للسودان مناصب إدارية وأخرى عسكرية كانت بحوزة المغاربة، إذ يشير المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) إلى أن الظاهر قام في رجب عام (٤١٥ هـ/١٠٢٤م) بتعيين بُقى الخادم الأسود في منصب شرطة القاهرة والفسطاط بعد أن كان يشغلهما جلال الدولة ابن كافي الكتامي. كما عين بقى الخادم الأسود في منصب الحسبة الذي كان يشغله دواس بن يعقوب الكتامي[١]. كما خضع ديوان الكتاميين في عام (٤١٥ هـ/١٠٢٤م) لإشراف القائد الأسود عز الدولة أبي الفوارس معضاد الخادم[٢]، بعد أن كان يشغله المغربي شمس الملك مسعود بن طاهر الوزان[٣].

ولعل اعتماد الظاهر على السودان دون غيرهم في تسيير شؤون الدولة، جاء بتأثير زوجته الجارية النوبية التي شرعت في الاستكثار من العبيد السود[٤]، إذ "أخذت في شرائهم وجعلتهم طائفة لها واستكثرت منهم"[٥]، وسعت من أجل زيادة نفوذهم "فخصتهم بالنظر وبسطت لهم في الرزق ووسعت عليهم، حتى أمطرتهم بالنعم"[٦]، حتى أصبح لهم من القوة والبأس شأناً عظيماً، بحيث "صار العبد بمصر يحكم حكم الولاة"[٧].

ويبدو أن رغبة زوجة الظاهر (أم المستنصر) في زيادة نفوذ السودان في الدولة، تعارضت مع مصالح الأتراك، وجعلهم يعتقدون أن الخليفة المستنصر وأمه يرميان إلى كسر شوكتهم والقضاء عليهم، مما أثار حقدهم، إذ عز عليهم أن ينافسهم السودان، لاسيما بعد أن تفوقوا على نفوذ المغاربة. وقد عبر أحدهم عن استيائه، واستياء الأتراك من سياسة أم المستنصر، بقيامه عام (٤٥٤هـ/١٠٦٢م)

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣.
(٢) عز الدولة أبو الفوارس معضاد: خادم أسود ترقى في خدمة الظاهر حتى **أصبح** قائداً. انظر المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٤٥-٥٠.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٥. شمس الملك أبو الفتح ابن طاهر الوزان، تولى الوزارة في ذي الحجة عام (٤٠٩هـ / ١٠١٨م) إبان خلافة الحاكم، وظل فيها حتى صرف في جمادي الآخرة سنة (٤١١هـ / ١٠٢٤م) انظر المقريزي، **المقفى**، ج٦، ص١١٢.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠٦.
(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص٢٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٦، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص١٨.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٦.
(٧) ابن ميسر، **أخبار**، ص٢٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج، ص١٠٦.

بالتعدي على بعض عبيد الشراء، الأمر الذي دفع السودان إلى قتله، مما أسفر عن نشوب قتال بين الطرفين انتهى بهزيمة السودان(١).

إن انتصار الأتراك على السودان أكسبهم نفوذاً وقوة في الدولة – لاسيما بعد انحسار نفوذ المغاربة - فقويت شوكتهم وتمكنوا من الاستئثار بالنفوذ والحكم، ونهبوا أموال الدولة، الأمر الذي أثار حنق العبيد، ودفعهم لشن حرب ضد الأتراك عام (٤٥٩هـ/١٠٦٧ م)، "انكسر فيها السودان وانهزموا"(٢).

ويبدو أن هزيمة العبيد أمام الأتراك أدت بهم إلى التحرش المستمر بالأتراك، الأمر الذي دفع ابن حمدان – قائد الأتراك – للذهاب في نهاية عام (٤٥٩هـ/١٠٦٧م) مع جماعة من الأتراك للشكوى للمستنصر، ففوجئ عقب وصوله إلى المستنصر بقوة من العبيد أرسلتهم أم المستنصر للنيل من الأتراك، ما لبثوا أن باغتوا الأتراك وهجموا عليهم وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، مما أسفر عن نشوب حروب شديدة بين الطرفين(٣) "كانت فيها لابن حمدان النصرة على العبيد، فأسرف في القتل فيهم حتى لم يبق بمصر والقاهرة منهم إلا القليل"(٤).

وقد عزم ابن حمدان بعد تلك الحرب على استئصال شأفة السودان، حيث سار عام (٤٦٠هـ/١٠٦٨م) بجماعة من الأتراك إلى الصعيد لمحاربة السودان – الذين "قد كثر شررهم وفسادهم"(٥) – فنشبت بين الطرفين حرب(٦) "آلت إلى كسرة الأتراك وعودهم منهزمين"(٧)، ثائرين على المستنصر متهمين إياه بإمداد العبيد وتحريضهم(٨)، ولما أنكر المستنصر ذلك وأرضاهم بالنفقة، عادوا لقتال العبيد حتى هزموهم، وقتلوا كثيراً من أعدادهم؛ بحيث "لم ينج إلا القليل منهم وزالت حينئذٍ دولتهم"(٩).

لقد اختفى السودان من الساحة العسكرية، منذ تنكيل الأتراك بهم حتى عهد الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) الذي قام بإعادة تجنيدهم في الجيش(١٠)؛ ليسد بهم الفراغ الذي أحدثه غياب الأرمن عن الساحة العسكرية(١١).

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٢٤-٢٦، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٥-١٠٦، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص١٨-١٩.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣١.
(٣) المصدر نفسه، ص٣١-٣٢. الذهبي، سير، ج١٥، ص١٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩-١١٠.
(٤) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٢.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٢.
(٦) المصدر نفسه، ص٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١١-١١٢.
(٧) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٢-٣٣.
(٨) المصدر نفسه، ص٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١١-١١٢.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٢.
(١٠) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٣٨.
(١١) تم تجنيد الارمن في الجيش الفاطمي مع مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م)، وتلاشوا من هذا الجيش عقب الحرب التي شنها ضدهم رضوان بن ولخشي في عهد الحافظ، وما لبثوا أن عادوا للظهور في الجيش الفاطمي عقب عهد الحافظ. انظر ص ٧٠-٧٦ من الأطروحة.

لقد تمتع السودان بنفوذ واسع منذ عهد الحافظ وحتى سقوط الخلافة الفاطمية عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)، إذ شكلوا في هذه الفترة عماد الجيش الفاطمي – نتيجة لغياب الأتراك والمغاربة عن الساحة العسكرية[١]، وأن إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي عقب عهد الحافظ لم يؤثر على مكانة السودان في الجيش، حيث تلاشى الأرمن أمام القوة العددية التي تمتع بها السودان[٢] - والقوة التي استندت عليها الخلافة في الإطاحة بالمتآمرين عليها، حيث استعان بهم الخلفاء للوقوف إلى جانبهم في صراعهم مع وزرائهم، الذين عملوا على الاستئثار بالنفوذ والسلطة من دونهم، ويبدو أن تسلطهم على الوزراء كان من العنف، بحيث كانوا إذ "قاموا على وزير قتلوه واجتاحوه وأذلوه واستباحوه واستحلوه" [٣]. فحينما تفاقم نفوذ الوزير رضوان بن ولخشي وطلب من الحافظ عشرين ألف دينار وليس له حق فيها، بعث إليه الخليفة الحافظ مقدمي السودان لقتله، فقتلوه وأخاه - في ذي القعدة عام (٥٤٢هـ/١١٤٧م) - وأخذوا رأسيهما إلى الخليفة [٤]. كما استعانت بهم ست القصور[٥] على قتل الوزير طلائع بن رزيك؛ بسبب مضايقاته المستمرة لأهل القصر، فقتلوه في ١٩ رمضان سنة (٥٥٦هـ/١١٦١م) [٦].

ولما ثقلت وطأة صلاح الدين على أهل القصر الفاطمي وتجلى استبداده بالامور ، وعزمه على "ازالة الدولة" [٧]حنق عليه رجال القصر ودبروا المكائد للتخلص منه، وكان يتزعمهم جوهر مؤتمن الخلافة[٨]، وقد اتفق رأيهم على مكاتبة الفرنجة ودعوتهم إلى مصر، فإذا خرج صلاح الدين إلى لقائهم قبضوا على من بقي من أصحابة بالقاهرة، وانضموا إلى الفرنجة في محاربته والقضاء عليه[٩].

على أن صلاح الدين ما لبث أن وقف على ما دبره له أعداؤه، فشدد الرقابة على مؤتمن الخلافة، وأرسل إليه جماعة من قواته الكردية [١٠] تمكنوا من القضاء عليه أواخر سنة

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢. حول ظروف غياب المغاربة والأتراك، عن الساحة العسكرية انظر ص ٤٢، ٥٦ من الأطروحة.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩.
(٣) أبو شامة، **الروضتين**، ص٣٠
(٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص٣٢، ابن ميسر، **أخبار**، ص١٣٨.
(٥) ست القصور: أخت الخليفة الظافر (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م) الصغرى. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٨٩-٢٩٠.
(٦) عماد الدين الأصفهاني، البستان الجامع، ص٣٤١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٨٩-٢٩٠.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٠٥.
(٨) جوهر بن عبد الله مؤتمن الخلافة: خصي أسود كان بقصر العاضد الفاطمي، وله الحكم على أهل القصر، لقب بزمام القصر، وبمقدم السودان، وكان إليه الإشراف **الكامل** على شؤون القصر، توفي عام (٥٦٤هـ / ١١٦٩م). انظر أبو شامة، **الروضتين**، ص ٤٥٠-٤٥١.
(٩) ابن واصل، مفرج، ج١، ص١٧٤-١٧٥، ابن الفرات، **تاريخ**، م٤، ج١، ص٦٧-٦٩.
(١٠) الأكراد: شكلوا جزءاً من جيش نور الدين زنكي في الشام، ثم انتقل هذا العنصر إلى مصر مع حملات شيركوه – الذي جاء من الشام إلى مصر لتمكين شاور ضد ضرغام – إلى مصر إذ صاحبت شيركوه جماعات كردية، اعتمد عليها صلاح الدين في محاربة قوات الجيش الفاطمي من السودان والأرمن. وقد

(٥٦٤هـ/١١٦٩م). فأدى ذلك إلى ثورة جند الخليفة من السودانيين - وكانوا يزيدون على خمسين ألفاً - وإنضاف إليهم الأرمن، وقد دار بينهم وبين قوات صلاح الدين قتال عنيف في المكان المعروف بين القصرين بالقاهرة، وحلت بهم الهزيمة، ومضت فلولهم إلى الجيزة(١)، وما زال صلاح الدين يتتبعهم في الجيزة "بالجيش فأبادهم بالسيف، ولم ينج منهم إلا الشريد، وأمر صلاح الدين بتخريب المنصورة (حارة السودان) وصيرها بستاناً وذهبت آثارهم من مصر"(٢). كما "أخذ صلاح الدين في القبض على دور العبيد والأرمن وأسكن فيها أصحابه معه بالقاهرة"(٣).

ويمكن أن يعزى موقف السودان في مواجهة صلاح الدين، إلى رغبتهم في المحافظة على مكانتهم في الجيش والدولة التي أضحت مهددة باستقرار صلاح الدين بالوزارة، الذي حاول إحلال جيشه الكردي محلهم، وقام بتوزيع مساحات كبيرة من أراضي مصر كاقطاعات لجيشه الكردي(٤).

يتبين من دراسة السودان ما يلي:

* لقد أضفت كثرة السودان العددية بعداً إيجابياً على مكانتهم الاجتماعية، فمع اطراد نمو أعدادهم منذ عهد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) وبلوغها الذروة بداية عهد المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) "صار منهم بالقاهرة ومصر وما في ظواهرهما من القرى قدر خمسين ألفاً"(٥)، مما منحهم قوة وبأساً عظيماً، بحيث "صار العبد بمصر يحكم حكم الولاة"(٦).

ومع إعادة تجنيد السودان في الجيش الفاطمي في عهد الحافظ(٧) (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) تضخمت أعدادهم، وأحدث نموها المطرد تغيراً ملموساً في البنية الاجتماعية، منحهم شأناً عظيماً، فصار لهم "بديار مصر في كل قرية ومحلة وضيعة مكاناً مفرداً لا يدخله وال ولا

شكل الأكراد نواة الجيش الأيوبي الذي حل محل الجيش الفاطمي في مصر مع قيام الدولة الأيوبية. انظر محسن حسين، الجيش الأيوبي، ص٦٨.

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ص٤٥٠-٤٥٢، ابن الفرات، **تاريخ**، م٤، ج١، ص٧٠-٧١، ابن تغري بردي، **مورد**، ورقة ٥٦ب-٥٧أ، Lanne pool: saladin and the fall of the King dom of Jerusalem, Beirut, 1964, P. 100-102.

(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣٠.

(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٠٥.

(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩.

(٦) ابن ميسر، **أخبار**، ص٢٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٦.

(٧) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٣٨.

غيره احتراماً لهم"[١].

وقد نسبت إلى العبيد حارات عديدة في القاهرة نمت بنمو أعدادهم[٢]، تميزت بعظمتها وسعتها[٣]، وهي:

- حارة العطوفية: المنسوبة لطائفة من العبيد يقال لهم العطوفية، نسبة إلى مقدمهم عطوف الخادم[٤]. وقد اختطت في عهد الحاكم[٥]، وكانت "من أجل مساكن القاهرة، فيها من الدور العظيمة والحمامات والأسواق مالا يدخل تحت الحصر"[٦]، بحيث استوعبت فضلاً عن العطوفية، طائفة أخرى من العبيد يقال لها الجيوشية[٧]. ويرجح أن وجود السودان زال من هذه الحارة عقب تشتيتهم على يد الأتراك عام (٤٦٠هـ/١٠٦٨م)[٨]، فعندما قام صلاح الدين بالتنكيل بالسودان – عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م)- ورد أنه أزال مساكنهم التي في القاهرة الكائنة في حارة المنصورة[٩]، في حين لم يرد أنه قضى على مساكنهم الكائنة بالعطوفية، مما يرجح زوال وجودهم منها عقب تشتيتهم على يد القوات التركية.

- حارة الحسينية: اختطت بعد الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٠٧٢م)، أقام بها طائفة من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية، ويبدو أنها كانت من السعة، بحيث استوعبت فضلاً عن الحسينية طائفة أخرى من العبيد يقال لها الريحانية[١٠].

- حارة الفرحية: تقع داخل باب القنطرة[١١]، سكنها طائفة من العبيد يقال لهم الفرحية[١٢]، كما أقام قسم من طائفة الفرحية في المقس[١٣]، ولما ضاق عليهم انتقلوا إلى قبالة منظرة اللؤلوة التي كانت منتزهاً للخلفاء الفاطميين، وبنوا هناك حارة عرفت بحارة اللصوص – لتعديهم فيها على الناس- [١٤] وعندما اتخذ الآمر اللؤلوة منتزهاً له منع السودان من سكنها؛ حتى يُقيم بها حواشي

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥٣.
(٢) المصدر نفسه، مج٢، ص١٠٩.
(٣) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٦، ٥٣.
(٤) عطوف الخادم: أحد خدام القصر، كان قد خدم ست الملك أخت الحاكم، قتله الحاكم بجماعة من الأتراك، وقفوا له في دهليز القصر، واحتزوا رأسه سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م) انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٦-٣٧.
(٥) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٨-٤٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٦.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٦.
(٧) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٨-٤٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥، ٣٦.
(٨) ابن ميسر، **أخبار** ص ٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٢.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٣٠.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٥٣.
(١١) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٩، ص٧٢. Ayman Fu'ad Sayyid, op.cit, p.508
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥، ٣٩.
(١٣) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٧.
(١٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١١٢ المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٧٢.

الخليفة لحراسته، وأمر بنقل طائفة الفرحية من قبالة اللؤلؤة إلى خارج باب زويلة[١]، وبنوا هناك حارة سميت بحارة المنصورة، وعرفت أيضاً بحارة الهلالية[٢]. ويبدو أن سكانها كانوا من الكثرة، حيث أنها "كانت كبيرة متسعة جداً"[٣].

* لعب السودان أدواراً هامة في تاريخ الدولة الفاطمية وكونوا قوى فاعلة في مجتمعها، وقد زادت فاعليتهم في المجتمع عقب إعادة تجنيدهم في الجيش في عهد الحافظ – عن الفترة التي سبقتها[٤] – حيث شكلوا عماد الجيش والقوة التي استندت عليها الخلافة في الإطاحة بالمتآمرين عليها، إذ استعان بهم الخلفاء للوقوف إلى جانبهم في صراعهم مع وزرائهم الذين عملوا على الاستئثار بالسلطة دونهم[٥].

كما كان للعبيد أثر فعال في بقاء الدولة الفاطمية، إذ لم يستطع صلاح الدين القضاء على الخلافة الفاطمية الاعقب هزيمتهم، إذ أنه بعد قضائه عليهم " قوي أمره وتلاشى العاضد وانحل أمره"[٦]، مما مكن صلاح الدين من القضاء على الخلافة الفاطمية عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)[٧].

وكما كون السودان قوة فاعلة في المجتمع من حيث إحداث الاستقرار فيه، فقد كان لهم أيضاً دور في إحداث الفوضى فيه، إذ تحولوا في بعض الأحيان إلى عصابات تثير الفوضى وتقلق الأمن، فقاموا بحركات تمرد وعصيان، ساهموا من خلالها في إحداث إرباكات اجتماعية، وعدم استقرار اجتماعي، وإرهاق اقتصادي لدى المناطق المغزوة.

إذ يبدو أن إعتماد الدولة على العبيد في تسيير شؤونها، أعطاهم شعوراً بوضعهم الخاص في الدولة، ومنحهم إحساساً بالقوة، والتفوق على أهل البلاد، وجعلهم يسعون لتحقيق مصالحهم الاقتصادية على حساب سكان البلاد، فعندما قام السودان بنهب بلد الأشمونيين[٨]، وقام أهلها

---

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٣٧.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٣.
(٤) حول أسباب زيادة فاعلية السودان في المجتمع في الفترة التي تلت عهد الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) عن الفترة التي سبقتها، انظر ص ٦٢ من الأطروحة.
(٥) انظر ص ٦٢ من الأطروحة.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٣٠.
(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣٥-٣٣٦.
(٨) الأشمونيين: ولاية تقع في الوجه القبلي جنوب البهنسا، وكانت عملاً واسعاً، كثير الزرع، مركزها الأشمونيين على الشاطىء الغربي للنيل، أما ولاية البهنسا فتقع قبلي ولاية الجيزة في الجنوب، وقاعدتها مدينة البهنسا بالبر الغربي من النيل، وهما في إقليم الصعيد. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٠٠، ٥١٦، ابن مماتي، قوانين، ص١٠٤- ١٠٧.

برفع شكاية إلى معضاد الخادم الأسود – صاحب الشرطة – كان جوابه "متقبل من عبيد مولانا"[١]. ويذكر المسبحي (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) أن في جواب معضاد ما يدل على فساد الأحوال وإطماع العبيد في النهب[٢].

وهجم العبيد في سنة (٤١٠هـ/ ١٠١٩م) على الفسطاط بأمر من الحاكم وكسروا دكاكينها، ونهبوا ما فيها، ثم كبسوا سوق النحاسين وعدة مواضع أخرى ونهبوها نهاراً، وأحرقوا قيسارية الخليج وعدة منازل على الساحل "وأسروا خلقاً من النسوان وافترسوهن، وتهارب جماعة منهم إلى الجامع تحرماً به"[٣].

واجتمع في عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) ألف عبد عند سفح جبل المقطم، وقصدوا نهب مصر، فأرسل الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) إليهم قواده؛ ليمنعوهم من فعل ذلك، وأباح دمهم لأهل مصر[٤]، فاستعد الناس لقتالهم؛ ليمنعوهم من فعل ذلك، وتقووا بإذن الخليفة لهم بقتل من يتعرض لهم من العبيد، وخرج قواد الظاهر وطالبوهم بالعودة إلى حارتهم، فردوا بأنهم ما فعلوا ذلك إلا لاشتداد الجوع حتى أكلوا الكلاب، فوعدهم قواد الخليفة بالنفقة فيهم، فرجعوا إلى حاراتهم[٥].

وقد تجمع العبيد في عهد الظاهر مرة أخرى، ونزلوا الفسطاط وقصدوا السواحل، ونهبوا دار سيدة تدعى ست ياقوت بساحل الشعير، وأشعلوا فيها النار، ونهبوا ما وجدوه في الدكاكين من القمح والشعير والحبوب، وكبسوا المنازل الخاصة بأهل الساحل، فخرج إليهم عامة المصريين بالسلاح، وحاربهم الرجال والنساء من أعلى المنازل بالحجارة والطوب والجرار، فهزموهم وأغلق الناس الطرق وحفروا دون الطرق خنادق، فلم يستطيعوا الاقتراب، ونزل إليهم قواد الخليفة فطردوهم من البلاد إلى المقس وقتل البعض منهم[٦].

ويبدو أن حالات الفوضى التي كانت تحدث عقب أي حرب كانت فرصة مناسبة للسودان ليقوموا بأعمال السلب والنهب، فعندما انتشرت حالة الاضطراب والفوضى العامة بعد حرق

---

(١) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٤٠، ص٨٢.
(٣) الانطاكي، **تاريخ**، ص٣٤٦-٣٤٧.
(٤) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٨٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٦-٣٧.
(٥) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٨٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٦-٣٧.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٨٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٣٦-٣٧.

شاور للفسطاط عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م)، قام السودان بنهب أموال عامة أهل الفسطاط، وفي أثناء الحريق كان النهابة يحفرون ويبحثون عن الخبايا[(١)].

وقد تشير ثورات السودان ذات المدلولات المالية- التي رافقت الأزمات الاقتصادية التي مرت بها الدولة[(٢)]- والتي كانت عدم كفاية الأقوات وقلة الأرزاق من بين الأسباب المحركة لها، إلى تردي أوضاعهم الاقتصادية، الأمر الذي دفعهم لشن تلك الفتن لأجل تأمين احتياجاتهم الاقتصادية بكل طريقة أو وسيلة ممكنة، دون تقديرهم للظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة، والتي حالت دون مقدرتها على توفير أسباب العيش اللائق لهم. وقد تكون تلك الفتن من وجهة نظرهم فرصة للتعبير عن الرغبات الاجتماعية لهم في حياة أفضل.

ويمكن أن تعطي نتائج حروب السودان صورة عما تحدثه مثل هذه الحروب من أثر اجتماعي واقتصادي سلبي، من حيث تخريب المدن وتدهور أوضاعها، فقد كانت نتائج حروب السودان من الشدة على المصريين؛ لما يرافقها من قتل ونهب، فقد "عم الكافة أذاهم وإفسادهم"[(٣)]، "فكان الضرر بهم عظيماً؛ لامتداد أيديهم إلى أموال الناس وأهاليهم"[(٤)]. وتبعاً لذلك أصبح العبيد لا يعرفون عند المصريين إلا باللصوص؛ نتيجة "لتعديهم عليهم"[(٥)].

وقد أثار السودان الرعب في نفوس الناس، حتى أن المسبحي (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) يروي أن دُبًّا عظيماً سقط على المصريين من الجبل إلى داخل المقابر، فخاف الناس منه وتهاربوا مندفعين، فظن الباقون الذين رأوهم "أنها كبسة لحقتهم من العبيد"[(٦)]، فتهاربوا وسقط بعضهم على بعض[(٧)]. ويذكر ابن تغري بردي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) أن السودان كانوا يقفون في الأزقة يصطادون النساء بالكلاليب فيأكلون لحومهن[(٨)]، ورغم ما في هذا الخبر من مبالغة، إلا أنه يشير إلى شراسة السودان وحالة الرعب التي أثاروها في نفوس الناس.

وقد تجلت غلظة العبيد وروحهم العدوانية، عندما قاموا عام (٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) بنبش قبور الموتى المدفونين بكنيسة مريم القنطرة بالفسطاط، وطرحوا عظامهم، فأكلت الكلاب لحم من كان قريب العهد منهم[(٩)].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣١٩.
(٢) انظر المقريزي، اغاثة، ص ٣٧- ٤٠.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١١.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص ٥٣-٥٤.
(٥) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١١٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٧٢.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١١٢. وانظر أيضاً المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤.
(٧) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١١٢.
(٨) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص١٧
(٩) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٧٩.

ويمكن تفسير غلظة السودان وروحهم العدوانية، بأنها كانت انعكاساً لتأثرهم ببيئتهم الصحراوية[١] التي طبعتهم بطابع الخشونة وحدة الخلق. وقد تعطي تلك الطباع دلالة على شراسة السودان في الحروب، وبالتالي مدى الأضرار التي يمكن أن يلحقوها بالمناطق التي يهاجمونها. ولعل شراستهم هي التي دفعت الحاكم لتكليفهم دون غيرهم بحرق الفسطاط ونهبها - عام (٤١٠هـ/١٠١٩م) - رداً على ما قام به أهلها إزاءه[٢].

* شكل السودان كتلة اجتماعية وعسكرية مترابطة، إذ كانت تربطهم روابط متينة، تتمثل في المصالح المشتركة، التي كانت تدفعهم دائماً لاتخاذ موقف واحد وجماعي، فكان انتماؤهم لبعضهم قوياً، إذ رغم توزعهم على عدة فرق عسكرية[٣]، لم يرد ما يشير إلى حدوث خلافات أو إنشقاقات فيما بينهم. كما أن حركة الانشقاق التي يقوم بها سوداني كانت تجر ورائها أعداداً كبيرةً من السودان، إذ إنّ انشقاق مؤتمن الخلافة – مقدم السودان – عن صلاح الدين الذي أدى إلى مصرعه على يد جند صلاح الدين، جر جميع السودان للثأر من صلاح الدين على مقتل مقدمهم مؤتمن الخلافة[٤].

سادساً - الأرمن:

أطلقت تسمية أرمن على المجموعات البشرية التي استقرت في المنطقة الممتدة من دجلة إلى البحر الأسود، ومن الفرات حتى الخزر[٥].

بعد أن تمكنت الدولة البيزنطية من إخضاع أرمينيا لسلطتها عام (٤٥٥هـ / ١٠٦٢م)، عقدت اتفاقاً مع أمراء أرمينيا يتم بموجبه تنازلهم عن أقاليمهم في أرمينيا، على أن تمنحهم بيزنطة بدلاً منها اقطاعات في بلاد الشام في إقليم قليقية[٦] وقيادوقيا[٧]، ومدناً عديدة في أعالي الفرات أبرزها الرها[٨]، مضافاً إليها مدينة أنطاكية[٩] والمناطق المحيطة بها. ومن جراء هذا

---

(١) تكتنف النوبة – التي وفد السودان الى مصر منها - صحراء جافة جرداء تنعدم فيها مظاهر الحياة. انظر مصطفى المناوي، **جغرافية**، ص١٢٠.
(٢) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج١٥، ص١٣٩-١٤٠، ابن العميد، **تاريخ**، ص ١٥٠.
(٣) ذكر المقريزي من الفرق العسكرية السودانية: الريحانية والجيوشية والفرحية والعطوفية والحسينية. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٥، ٣٦، ٤٥٣.
(٤) ابن تغري بردي، **مورد**، ورقة ٥٦ب-٥٧أ.
(٥) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٢١٣، بارتولد، مقال أرمينية، دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص٦٣٧، هارون بني عامر، (٢٠٠٢م)، الأسرة الجمالية ودورها في الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ص١٨.
(٦) قليقية: تقع شمال شرق البحر المتوسط على منعطف تركيا وسوريا عند خليج مرسين واسكندرونة. انظر فتحي عثمان، الحدود، ص٢٢٦.
(٧) قيادوقيا: تقع إلى الشمال من قليقية. انظر المؤرخ المجهول،أعمال، ص٤٦.
(٨) الرها: هي من الناحية السورية من بلاد ما بين النهرين، تبعد حوالي ٢٠ ميلاً عن نهر الفرات، ومائة ميل عن انطاكية. انظر فوشيه، **تاريخ**الحملة، ص٥٢.
(٩) انطاكية: مدينة كبيرة شديدة التحصين، منيعة الموقع، تقع على ضفة نهر العاصي. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٦٦-٢٧٠.

الاتفاق شهدت تلك المناطق هجرات أرمينية متتالية(١). وعقب أن تمكن السلاجقة من الانتصار على البيزنطيين في معركة ملاذكرد عام (٤٦٣ هـ/١٠٧١م)، وفرضوا هيمنتهم على جُل أرمينيا، وفدت إلى تلك المناطق هجرات أرمينية – أخرى – واسعة تمت آخرها وأكبرها مع نهاية عام (٤٦٣ هـ/ ١٠٧١م)(٢).

إن وجود الأرمن في بلاد الشام أتاح للمستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) الاستعانة بأحدهم ويدعى بدر الجمالي في ولاية دمشق؛ عام (٤٥٥هـ/١٠٦٣م) (٣)؛ وما لبث بدر أن فارق دمشق عام (٤٥٦هـ/١٠٦٤م)، "فراراً من أهلها؛ لثورتهم عليه"(٤). ويبدو أن كفاءة بدر الإدارية حالت دون استغناء المستنصر عنه، فقد ولاه عام (٤٥٨هـ/١٠٦٦م) الشام بأسره(٥).

ويبدو أن ثورة أهل دمشق على بدر قد دفعته عندما تولى إمرة الشام إلى تجنيد بني جلدته من الأرمن في جيوشه(٦)؛ ربما ليكونوا فرقة خاصة به، يأتمرون بأمره ويكونون عوناً له وقت الحاجة، يساندوه فيما لو تعرض لثورات من أهل الشام. ويبدو أن أعداد الأرمن في جيوش بدر كانت من الكثرة، بحيث فاقت أعداد الفرق العسكرية الأخرى، وهذا ما أشار إليه المؤرخ المسيحي موهوب بن منصور – الذي عاش في القرن (٦هـ/١٢م) - في قوله: "وكان معظم عسكر أمير الجيوش أرمن"(٧).

وعندما عجز المستنصر عن التصدي للفتن والأزمات الاقتصادية التي مرت بها مصر في عهده(٨)، اضطر إلى استدعاء بدر الجمالي؛ لنجدته وإصلاح حال الدولة(٩)؛ لما أثبته بدر من مقدرة في ولاية الشام، وألح عليه بسرعة الحضور (١٠).

وقد لبى بدر هذه الدعوة التي تمنحه الفرصة لفرض نفوذه وسيطرته على مصر، لاسيما بعد أن وعده المستنصر بأن يكون هو المتولي والمسيطر على شؤون الدولة(١١)، مما يشبع ميوله

---

(١) أديب السيد، أرمينية، ص ٢١٣-٢٢٠، عاطف مرقص، (١٩٨٦م)، الأرمن وعلاقاتهم بالبيزنطيين والمسلمين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، ص ١٦٢.
(٢) سعيد عاشور، بحوث، ص٢٢٨، عبد الحفيظ علي، المسلمون، ج٢، ص١٧٢.
(٣) ابن الصيرفي، الإشارة، ص٥٥، ابن ميسر، **أخبار**، ص٥٢-٥٤، الصفدي، الوافي، ج١٠، ص٩٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٧.
(٤) ابن ميسر، **أخبار**، ص٢٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٨.
(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص٢٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩
(٦) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٠٢٦
(٧) المصدر نفسه، ج٣، مج٢، ص١٠٢٦.
(٨) حول هذه الفتن والأزمات، انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٩) ابن الصيرفي، الإشارة، ص٥٥، ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(١٠) المقريزي، **المقفى**، ج٢، ص٣٩٥، ابن حجر، **رفع** الأصر، ج١، ص١٣١.
(١١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.

الجانحة نحو "السطوة والبطش"[١]. ومما يثبت أن رغبته في السيطرة هي التي دفعته للموافقة على المجيء إلى مصر، إشتراطه على المستنصر في حال حضوره إلى مصر أن لا يأتي إلا مع عساكره الأرمن[٢]؛ وألا يبقى من عساكر مصر أحد[٣]، حيث يصعب عليه هو وجيشه الأرمني السيطرة مع وجود عساكر أخرى. ومع دخول بدر الجمالي مصر "قامت دولة الأرمن بديار مصر"[٤]

وفي خطوة أخرى من بدر لأجل تحقيق سيطرته على البلاد، أقبل على تنفيذ الشرط الذي اشترطه على المستنصر المتمثل في القضاء على عساكر مصر، وقد ابتدأ برؤساء الأتراك المستبدين في البلاد، إذ عين – ذات ليلة – لكل أمير أرمني قائداً من الأتراك ليقتله، وما أن ظهر صباح اليوم التالي حتى كانت رؤوس قادة الأتراك بين يدي بدر[٥] "واستولى كل رجل من أصحابه على دار أمير من الأمراء وأحاط بجميع ما كان له"[٦]. كما تمكن بدر بواسطة جيوشه الأرمينية من استئصال شأفة الأتراك من مصر "فتتبعهم حتى لم يدع منهم أحداً يشار إليه"[٧]. ولكي يضمن السيطرة المطلقة على البلاد قام بحل الطبقة العسكرية المغربية من الجيش الفاطمي[٨]، رغم أنه لم يكن لها حول ولا قوة[٩].

إنّ قضاء بدر على الأتراك وحله للطبقة العسكرية المغربية، وغياب السودان عن الساحة العسكرية أثر تنكيل الأتراك بهم عام(٤٦٠هـ/١٠٦٨م)[١٠]، أحدث تحولاً جذرياً في البنية البشرية للجيش الفاطمي، حيث أصبح الأرمن يشكلون النواة الرئيسة للجيش الفاطمي وهذا ما أشار إليه المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) في قوله: "أنه عندما قدم أمير الجيوش بدر من عكا

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص ٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٣) ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٤) المقريزي، **المقفى**، ج٢، ص٤٠٢.
(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٧،
(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٧.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢.
(٩) حول ضعف المغاربة العسكري وأسبابه انظر ص ٣٨، ٤١-٤٢ من الأطروحة.
(١٠) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٢.

قتل رجال الدولة (من الأتراك) وأقام له جنداً وعسكراً من الأرمن فصار من حينئذٍ معظم الجيش من الأرمن، وذهبت كتامة وصارت من جملة الرعية"[١].

وما أن فرغ بدر من فرض سيطرته على العاصمة، حتى بدأ يوجه عنايته إلى بقية أقاليم مصر، وقام بتطهيرها من المفسدين، مستعيناً في ذلك بجنوده الأرمن[٢].

وقد تشير قدرة الأرمن على إعادة الأمن والنظام إلى البلاد، إلى قوتهم العددية ومقدرتهم القتالية، حيث اشتهروا بأساليبهم المميزة في القتال، فقد كانوا رماة سهام بارعين[٣].

عمل بدر على إسباغ رعايته واهتمامه الشديدين على الأرمن؛ تحفيزاً لهم على مواصلة دورهم في حماية الدولة من جهة، وكي يضمن ولاءهم من جهة أخرى. حيث عمل على تأمين الوضع المالي لهم، إذ يشير أبو صالح الأرمني إلى أنه أقطع ناحية طر[٤] لجماعة من الأرمن القادمين في صحبته[٥]، كما أقطعهم أرضاً تبلغ مساحتها أربعة آلاف وخمسمائة وسبعون فداناً[٦].

لقد اهتم بدر بشؤون الأرمن الدينية، فقد أكثر من بناء الكنائس للأرمن التي تتيح لهم ممارسة جميع شعائرهم الدينية، وقد خصص لهم كنيسة شمال غرب القاهرة؛ ليقيموا بها صلواتهم[٧]. وعندما زار أغريغوريس – ابن أخت بطرك الأرمن القديم – مصر عام (٤٨٠هـ/١٠٨٧م) استقبله بدر بحفاوة بالغة[٨]، وخلال هذه الزيارة تم تعينه بطريركاً للأرمن في مصر؛ ليتولى تنظيم شؤونهم الدينية[٩].

وربما جاء اهتمام بدر بشؤون الأرمن الدينية – رغم أنه كان مسلماً[١٠] – تلبية للحاجة النفسية لهم، بتوفير الأجواء الدينية المناسبة لهم، حتى لا يشعروا بأي غربة في المكان الجديد الذي انتقلوا إليه، مما يخلق اطمئناناً نفسياً لديهم؛ يدعم الموقف القتالي لهم.

يبدو أن هيمنة الأرمن على الساحة العسكرية؛ نتيجة لغياب العناصر الأخرى، دفعت بهم إلى الاستئثار بالسلطة، فاستشرى نفوذهم حينما ظهر بوضوح ميل القادة الأرمن للاستبداد بالأمر، حتى أنهم أصبحوا يتدخلون في تعيين الوزراء، حيث ضغطوا على المستنصر كي يعين

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص ٤١-٤٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٧-١٤٥.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٢٩.
(٤) طر: قرية في شرق النيل، قريبة من الفسطاط من ناحية الصعيد. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مج٤، ص٢٤.
(٥) **كنائس**، ص٦١.
(٦) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص١١٦. الفدان: هو مقياس المساحة المصري المفضل، يقدر بـ(٦٣٦٨متر مربع). انظر فالترهنتس، المكاييل، ص٩٨.
(٧) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٠٥٨-١٠٥٩.
(٨) المصدر نفسه، ج٣، مج٢، ص١٠٢٧-١٠٢٩.
(٩) المصدر نفسه، ج٣، مج٢، ص١٠٢٧
(١٠) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٣-١٢٤.

الأفضل[١] في الوزارة؛ تنفيذاً لرغبة سيدهم بدر الجمالي، وكانت الوسيلة التي اتبعوها لإرغامه على ذلك من القوة والعنف، بحيث شهروا السيوف في وجه المستنصر "ولم يبق إلا وقوع الشر"[٢]، مما اضطر المستنصر للإذعان لطلبهم[٣].

ويبدو تراجع الدور العسكري للأرمن في وزارة الأفضل[٤]، الذي مني بهزيمة أمام الصليبيين في عسقلان عام (٤٩٣هـ / ١١٠٠م)[٥]، نتيجة لتقاعس جنوده الأرمن عن القتال[٦]، وعندما تيقن الأفضل أن الهزيمة التي مُني بها كانت بسبب جنده الأرمن، تنكر لهم "فلم ينتفع أحد من الأجناد بعد هذه الهزيمة بالأفضل، وحظر عليهم نعوتهم، ولم يسمع لأحد منهم كلمة"[٧].

بدأ الأفضل نتيجة لضعف قواته الأرمنية بعملية إصلاح شاملة للجيش الفاطمي؛ للاستعاضة عن قصور قواته الأرمنية، تركزت هذه الإصلاحات في اعداد محاربين جدد – لم تحدد المصادر أصولهم - سموا بالصبيان الحجرية[٨]، نسبة إلى الحجرات التي تعلموا فيها فنون القتال والفروسية[٩]. وقد جعل الأفضل لكل مائة منهم رئيساً، وجعل على رأسهم جميعاً أميراً يقال له الموفق. واستغنى الأفضل بهؤلاء عن الأرمن وأصبح يجهزهم للمهمات التي تطرأ له بقيادة أميرهم الموفق[١٠].

ويمكن أن يعزى تراجع الدور العسكري للأرمن في وزارة الأفضل، إلى سياسة سلفه بدر الجمالي، الذي بالغ في العناية بالأرمن وأغدق عليهم الأموال وأقطعهم الاقطاعات[١١]، الأمر الذي أفسد روحهم القتالية تدريجياً، وجعلهم يفضلون حياة الترف والدعة، وجمع الأموال على حياة الجندية ومتاعبها.

---

(١) الأفضل: هو الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، تولى الوزارة بعد وفاة أبيه سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) وظل طوال الثمانية والعشرين عاماً التالية حتى وفاته في سنة (٥١٥هـ/١١٢١م) هو الحاكم الفعلي للبلاد في ظل خلفاء صغار السن – وهم المستعلي (٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م) والآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) – لاحول لهم ولا قوة. انظر ابن المأمون، **أخبار**، ص٤، ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٤٨-٤٥١.

(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٤٩.

(٤) بتولي بدر الجمالي وزارة التفويض وإمرة الجيوش بدأ عصر جديد في **تاريخ**الدولة الفاطمية في مصر، عصر تحكم فيه الوزراء أرباب السيوف أطلق عليه "عصر نفوذ الوزراء،" حيث **أصبح** الخلفاء الفاطميون منذ هذا ال**تاريخ**رؤساء رمزيين لسلسلة من الوزراء المتحكمين. (انظر ابن الصيرفي، الاشارة، ص٥٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٤٥). ولذا فعند تحديدنا لأوضاع الأرمن في الدولة، سيتم - غالباً – ربطها بعصور الوزراء.

(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص ٣-٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٩٨.

(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤

(٧) المصدر نفسه، ص٤.

(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ٣-٤، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢ ، ص٤٥٣- ٤٥٥.

(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج ٢ ، ص ١٩٣.

(١٠) ابن الطوير، **نزهة**، ص٣-٤،

(١١) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ٦١، ١١٦.

وقد استمرت الدولة في الاستعاضة عن الأرمن بالمحاربين الحجرية، حتى وزارة بهرام[١]، التي استعاد فيها الأرمن مكانتهم في الجيش، حيث شرع بهرام فور توليه الوزارة بتعزيز الدور العسكري للأرمن وتقويتهم عن طريق جلب أجيال جديدة منهم – لتبعث فيهم قدراً من القوة - من بلادهم ومن منطقة تل باشر[٢] "فأخذوا يردون إلى القاهرة من كل جهة حتى صار بها منهم عالم عظيم"[٣]. وقد تمكن بهرام بما تمتع به من صفات عسكرية[٤] من السيطرة على الأرمن، بحيث جعلهم تحت نطاق تأثيره المباشر "منقادين إليه لا يخالفونه في شيء من الأشياء"[٥].

ولم يكتف بهرام بتعزيز دور الأرمن في الجيش، بل قام بتعزيز دورهم أيضاً في الدولة حيث أصبح لهم "في أيام دولته نفاد كلمة وعزة نفس وكل تصرف جليل من الدواوين الكبار الذي للخليفة والوزراء في أيديهم، وكان منهم النظار والمشارفين في جميع أرض مصر قبليها وبحريها وثغورها"[٦]. وربما يعزى موقف بهرام النصراني في تعزيز دور الأرمن في الجيش والدولة، إلى محاباته لأهل ملته الأرمن النصارى.

إن محاباة بهرام للأرمن أعطاهم شعوراً بوضعهم الخاص عنده، وأدى ذلك بهم إلى تشكيل طبقة عسكرية بدأت تستبد بالأمور، وتتعالى على المسلمين، الذين "أصابوا من النصارى الأرمن جور عظيم"[٧].

ويبدو أن معاملة الأرمن السلبية للمسلمين كانت بتعزيز من الوزير بهرام الأرمني، الذي سار نحو محاباة بني ملته النصارى الأرمن على حساب المسلمين، بدليل أن فترة الوزراء الذين سبقوه – وتزامنت مع دخول الأرمن في الجيش الفاطمي في مصر عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م) - لم تشهد توتراً في العلاقات بين الأرمن والمسلمين، حيث تولى فيها منصب الوزارة – الذي أتاح لمن تولاه في تلك الفترة السيطرة على الدولة[٨] – وزراء جميعهم مسلمين[٩]، لم يفسحوا المجال للأرمن النصارى النيل من المسلمين.

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٨. بهرام: ظل يرتقي في الخدمة لدى الفاطميين لمدة خمسين عاماً حتى و صل إلى رتبة والي على الغربية، ثم وزيراً للحافظ عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)، وكان أول نصراني يعتلي وزارة تفويض للفاطميين، وقد صرف عن الوزارة عام (٥٣١هـ/١١٣٦م) أثر هزيمته أمام رضوان بن ولخشي. انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٣-١٢٤.
(٢) تل باشر: حصن يقع شمال حلب، يبعد نحو ٣٠ ميلاً نحو غربي ممر الفرات. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص٤٠، ابن العديم، بغية، ج١، ص٣٢١-٣٢٢.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤١.
(٤) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٢.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٣.
(٦) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٢٨٨-١٢٨٩.
(٧) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٤.
(٨) انظر ابن الصيرفي، الاشارة، ص٥٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٤٥.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص ١٢٣-١٢٤.

وقد ضاق المسلمون ذرعاً بتصرفات الأرمن واشتد كرههم لهم، وأثارت سيطرتهم موجة من النقمة ضدهم، وأخذ الصراع بين المسلمين والأرمن يأخذ منحىً مذهبياً، فعندما تمادى الأرمن في الإعلان عن عقيدتهم النصرانية وأكثروا من بناء الكنائس والأديرة[(١)]، "خاف أهل مصر أن يغيروا الملة الإسلامية ويغلبوا على البلاد ويردوها دار كفر"[(٢)]. ورأوا التخلص من نفوذهم وسلطانهم في البلاد، وذلك بالقضاء على عهد بهرام الأرمني فاجتمع نفر من الأمراء والمسلمين عامة، واستنجدوا برضوان بن ولخشي[(٣)] وكاتبوه قائلين "وما للمسلمين من ينقذهم من اهانة الأرمن غيرك فإن قووا أكثر من هذا تنصر كثير من المسلمين"[(٤)].

ولما وصلت المكاتبة إلى رضوان جمع من الأجناد والعربان – الذين في الغربية – نحو (٣٠ ألفاً) وتوجه بهم صوب القاهرة[(٥)]. وحاول شحذ همتهم بتأكيد الصفة الدينية لحربه ضد الأرمن، حيث "خطب خطبة بليغة حرضهم فيها على الجهاد"[(٦)]، "في سبيل الله والاجتماع لقتال بهرام وشيعته النصارى من الأرمن"[(٧)]. وكأن الحرب المقبلة باتت بين المسلمين والنصارى.

وعندما علم بهرام بمكاتبة المسلمين لرضوان، خشي على نفوذه أن يتأثر إن استمر على سياسته الموالية للأرمن ضد المسلمين، وما لبث أن حاول التخلي عن تلك لسياسة، واجتمع بالأرمن وخاطبهم بلهجة شديدة قائلاً: "اعلموا أننا قوم غرباء ولم نزل نخدم هذه الدولة، والآن فقد كثر بغضهم لأيامنا، وما كنت الذي أكون عبد قوم وأخدمهم من حال الصبا، فلما بلغني الكبر أقاتلهم، لا أضربن في وجوههم بسيف أبدا"[(٨)].

إلا أن خروج رضوان بجموعه نحو القاهرة للقضاء على بهرام وقواته الأرمنية، اضطر بهرام إلى الخروج بعساكر مصر لمحاربة رضوان، وأسفرت المواجهة التي حصلت بين الطرفين عن هزيمة بهرام وعساكره الأرمنية، وهروبهم إلى الصعيد، وذلك عام (٥٣١هـ/١١٣٦م)[(٩)].

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٢.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٢.
(٣) رضوان بن ولخشي: متولي الغربية في عهد الحافظ، ثم تولى الوزارة سنة (٥٣١هـ / ١١٣٦م)، وحينما استشرى نفوذه، وقام بالتطاول على الخليفة الحافظ، وهم بخلعه بعث إليه الحافظ مقدمي السودان لقتله، فقتلوه عام (٥٤٢هـ / ١١٤٧م) انظر: المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٠١.
(٤) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٢٨٨-١٢٨٩.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٥، ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٣.
(٦) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٣.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٣.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٣.
(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٤-٤٥، ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٤-١٢٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤.

ويبدو أن الثورة ضد الأرمن كانت عارمة أحاطت بكل من هو منتسب للأرمـن، فبعـد أن تمت هزيمتهم على يد رضوان، قام العامة من أهل القاهرة بنهب دورهم وكنيـستهم التـي فـي الحسينية ظاهر باب الفتوح[١].

إن تقلص الأرمن في الجيش الفاطمي عقب المواجهة التي جرت بينهم وبين قوات رضوان، لم يكن يعني نهاية وجودهم كقوى فاعلة في المجتمع، إذ ظهر منهم في الدولة بعد تلك الحـرب، بنو رزيك[٢]. كما يبدو حرص الدولة على إعادة تجنيدهم في جيوشها، فعندما فر بهرام وجماعته من الأرمن النصارى إلى الصعيد أرسل الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م) إلى بهـرام عهد أمان ليعود مكرماً إلى قصر الخلافة، وتضمن هذا الأمان إقرار الأرمـن النـصارى مـن "طائفته على اقطاعاتهم"[٣]، وتقرر الحال في النهاية على أن يقيم بهرام في قصر الخلافة[٤]، وقد فارقه أكثر الأرمن فمنهم من سار إلى بلاده، ومنهم من آثر أن يصبح فلاحاً في أراضي مـصر، فطلبوا مواضع لهم يسكنوها فافردت لهم جهات في صعيد مصر[٥].

وإذا كانت خطوة الحافظ في إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي لم يكتب لها النجاح في عهده، فقد تم تنفيذها على ما يبدو عقب عهده، إذ أكد المقريزي انضمام أعداد كبيرة من الأرمن إلى جانب السودان في قتالهم جيش صلاح الدين سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م)[٦].

كما أكد المقريزي حضور الأرمن في الجيش الفاطمي عند سقوط الخلافة الفاطميـة عـام (٥٦٧هـ/١١٧١م)، حيث قال: "فلما زالت دولتهم (الفاطميين) على يد السلطان الملك الناصـر صلاح الدين يوسف بن أيوب أزال جند مصر من العبيد السود والأمراء المـصريين والعربـان والأرمن، واستجد عسكراً مـن الأكـراد والأتـراك خاصـة"[٧]. وقـد أكـد ابـن إيـاس (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) ما ذهب إليه المقريزي حيث قال: "لما انفرد صلاح الدين بملك مصر والشام أزال ما كان بمصر من العساكر الملفقة، وكانوا ما بين أرمن وشتائرة العرب، وطائفة من العبيد السود، فمحا هذه الطوائف كلها، واستجد بمصر عساكر من الأكراد"[٨].

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٥-٤٦.
(٢) بنو رزيك: ممثلون بالوزير طلائع بن رزيك وابنه رزيك، توليا الوزارة في الدولة الفاطميـة فـي الفتـرة الزمنية الممتدة من سنة (٥٤٩-٥٥٨هـ / ١١٥٤-١١٦٣م). لمزيد من التفاصيل عن بني رزيـك انظـر: سليمان الخرابشة، أسرة بني رزيك، ص ١١-٧٤.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٤.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٨.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٢٩.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٩.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٢٥٤.
(٨) **بدائع**، ج١، ص٢٤٢.

ويمكن تفسير حرص الفاطميين على إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي في الفترة التي تلت حربهم مع رضوان وتزامنت مع إعادة تجنيد السودان في الجيش الفاطمي على يد الحافظ – عقب تشتيتهم من الجيش الفاطمي على يد الأتراك عام(٤٦٠هـ/١٠٨٦م) [١]- إلى رغبتهم في حفظ التوازن العسكري في الجيش الفاطمي؛ كي يوجدوا منهم قوة مقابلة للسودان، فإذا ازداد نفوذ السودان لجأوا إليهم للحد من نفوذهم، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإن سعي الفاطميين لتجنيدهم جاء – على ما يبدو – تلبية لحاجات عسكرية، حتى تنتفع الدولة بجهودهم؛ وتعزز قواتها من السودان بقوات أخرى، لاسيما وأن الأرمن اشتهروا باسلوبهم المميز في القتال، حيث كانوا رماة سهام بارعين[٢].

وقد جاءت نهاية الأرمن – كما جاءت نهاية السودان – على يد صلاح الدين وجيشه، فعندما انضموا للسودان في التصدي لجيش صلاح الدين عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م) "وانكوا الأكراد (جيوش صلاح الدين) بشدة رميهم السهام ومنعوهم أن يتجاوزوا عن مواضعهم إلى محاربة العبيد"[٣]، كلف صلاح الدين جيوشه بحرق المواضع التي كانوا يرمون منها، فلما احترقت عليهم لم يكد يفلت منهم أحد[٤]، وتتبعت جيوش صلاح الدين السودان والأرمن في كل مكان واستولت على دورهم وممتلكاتهم، وأغلق صلاح الدين ديرهم الكائن بالزهري "وأبعد البطريرك الأرمني ورهبان الأرمن من هذا الدير"[٥]

يتبين من دراسة الأرمن ما يلي:

* في غياب السودان عن الساحة العسكرية أثر تنكيل الأتراك بهم، وقضاء بدر الجمالي على الأتراك، وحله للطبقة العسكرية المغربية، انفرد الأرمن بالساحة العسكرية، وزادت فاعليتهم كقوى فاعلة في المجتمع، بما تمتعوا به من مقدرة عسكرية، فشكلوا النواة الرئيسية للجيش الفاطمي، والقوة التي استندت عليها الدولة في ضبط أمورها واستتباب الأمن فيها.

إلا أن مكانة الأرمن كقوى فاعلة في المجتمع تضاءلت في الفترة التي تزامن وجودهم فيها في الجيش مع السودان، بحيث لم يرد لهم نشاط عسكري طيلة تلك الفترة سوى انضمامهم للسودان في التصدي لجيش صلاح الدين عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م).

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٢-٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٢.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٢٩.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٢٩.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢٩، Hamblin, op.cit, p.22
(٥) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص٣.

ولعل قلة تأثيرهم في الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة في الفترة التي تزامن وجـودهم فيها مع السودان، مرده إلى انعدام التكافؤ العددي بينهم وبين السودان، بحيث تلاشوا أمام القـوة العددية التي تمتع بها السودان[١]، الذين ربما أتاحت لهم كثرتهم العددية فـرض نفـوذهم علـى الأرمن. وإن عدم ذكر حدوث مشاكل أو تنافس بين الطرفين كالتي كانت تحدث دائماً بـين كـل قوتين عسكريتين متزامنتين في خدمة الدولة[٢]، ربما يدل على تفوق السـودان العـددي علـى الأرمن، الذي لم يتح للأرمن الدخول في نزاع مع السودان على السلطة والنفوذ.

* شكل الأرمن كتلة اجتماعية وعسكرية مترابطة، فبما أنهم اتحاد عرقي الأساس، بالإضافة إلى كونهم ائتلاف ديني[٣]، فقد ربطتهم روابط عرقية ودينية، دفعتهم دائماً إلى اتخاذ موقـف واحـد وجماعي، بحيث لم يرد ما يشير إلى حدوث منازعات أو تنافس فيما بينهم على السلطة والنفوذ. وربما ساهم تعاونهم مع بعض، مضافاً إليه مقدرتهم القتالية، في تدعيم موقفهم القتـالي، بحيـث تمكنوا فور وصولهم إلى مصر مع بدر الجمالي عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م) من إقرار الأمـن فـي البلاد بقضائهم على الفتن والاضطرابات التي سادت فيها، كما قاموا عـام (٥٦٤هـ/١١٦٩م) بالتصدي لصلاح الدين وجيوشه بحزم وشجاعة.

* كان الاتجاه العام في مصر بالعصر الفاطمي نحو تعايش المسلمين مع النصارى سواء أكـانوا أرمن أو غيرهم في جو من الانفتاح والعيش المشترك[٤]. وإن ما حدث في وزارة بهـرام مـن توتر في العلاقات بين المسلمين والنصارى الأرمن يمثل جوانب شاذة – فرضتها ظروف معينة – في علاقات المسلمين المصريين مع الأرمن النصارى. إذ إنّ عـدم تـوتر العلاقـات بـين المسلمين والأرمن سوى في وزارة بهرام، لمما يؤكد أن علاقة المسلمين المصريين بالنـصارى الأرمن في وزارة بهرام، لم تكن قاعدة عامة مثلت العلاقة القائمة بـين المـسلمين المـصريين والأرمن.

سابعاً – العرب:

لقد شكل الفاطميون جيوشاً نظاميـة مـن العـرب، وهـذا مـا أشـار إليـه المقريـزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) في قوله: "فلما زالت دولتهم (الفاطميين) على يد السلطان الملك الناصـر صلاح الدين يوسف بن أيوب أزال جند مصر من العبيد السود والأمراء المـصريين والعربـان

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩.
(٢) انظر الصراع الذي حدث بين المغاربة والأتراك ص٣٩-٤١ من الأطروحة. وانظر الصراع الذي حـدث بين الأتراك والسودان في ص ٦٠-٦٢ من الأطروحة.
(٣) لقد كان جميع الجيش الأرمني على النصرانية. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٢.
(٤) انظر مبحث أهل الذمة ص ١٧٢- ١٧٦ من الأطروحة.

والأرمن واستجد عسكراً من الأكراد، والأتراك خاصة"[١]. وقد أكد ابن إياس (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م) حضور العرب في الجيش الفاطمي في قوله: "لما انفرد صلاح الدين بملك مصر والشام أزال ما كان بمصر من العساكر الملفقة، وكانوا ما بين أرمن وشتائرة العرب، وطائفة من العبيد، فمحا هذه الطوائف كلها، واستجد بمصر عساكر من الأكراد"[٢].

ويلفت الانتباه ندرة المعلومات حول العسكر العرب، وقد يشير هذا إلى ضعف أهميتهم، وعدم مشاركتهم مشاركة فعالة في الجيش الفاطمي؛ ربما نتيجة لضعفهم العددي، بحيث تلاشوا أمام القوى العسكرية الأخرى في الجيش الفاطمي.

ويمكن أن تعزى قلة أعداد العرب في الجيش الفاطمي، إلى تجنب الفاطميين تجنيدهم في جيوشهم على نطاق واسع، حيث أن استخدامهم للعرب المصريين – الذيم يمثلون أغلب أهل السنة - [٣] في جيوشهم بشكل واسع، قد يمثل خطورة على نظامهم، لاسيما وأنه كانت لهم تجارب صعبة في العيش مع الأوساط السنية في افريقيا[٤]. بالاضافة إلى العسكريين العرب، يفترض وجود مدنيين عرب في القاهرة، تزامن مجيئهم إليها مع انتقال أهل الفسطاط إلى القاهرة[٥] – عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م) – الذين شكل العرب قسماً منهم [٦].

يتبين من دراسة العناصر البشرية التي عاشت في القاهرة ما يلي:

- لم يعمل الفاطميون على تثبيت التوجهات التي تؤمن الاستقرار والانسجام بين جيوشهم الذين جاءوا من أماكن عديدة مع تقاليدهم وأساليب حياتهم المتنوعة، فقد أخفقوا في تكوين جو من التفاهم والتعاون بينهم، حيث قامت سياسة الدولة الفاطمية على أساس حفظ توازن القوى في الدولة، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، واشتدت شوكته لجأ الفاطميون إلى الاستعانة بعنصر آخر للحد من نفوذه. مما جعل علاقة تلك العناصر مع بعضها أقرب إلى التداخل منها إلى التكامل، فاشتد النزاع بين عناصر الجيش؛ لمحاولة كل عنصر الاستئثار بالامتيازات والنفوذ دون الآخر. وأصبح كل عنصر يحاول القضاء على العنصر الآخر دون الاهتمام باستقرار

---

(١) **المواعظ**، مج١، ص٢٥٤.
(٢) ابن إياس، **بدائع**، ج١، ص٢٤٢.
(٣) الشيرازي، ال**مجالس**، ص٣٩٠.
(٤) حول المقاومة السنية للفاطميين في افريقيا انظر المالكي، **رياض**، ج٢، ص٧٤-٩٦.
(٥) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤١٨
(٦) المقريزي، **البيان**، ص١٤٠.

الدولة[١]. وأصبح الجيش الخطر الرئيس على الدولة، ومصدر البلاء على الرعية، فقد أدت خصوماته إلى حدوث إرباك في الإدارة وفي التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، وفي عرقلة الأعمال الحضرية المفيدة. إذ تذكر المصادر التاريخية أنه من سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٢م) بدأت أحوال البلاد بالإضطراب، وبلغت ذروة الاضطراب الفترة من (٤٥٧هـ/ ١٠٦٦م إلى ٤٦٦هـ/١٠٧٢م) حيث أصاب البلاد في هذه الفترة ما يعرف بالشدة العظمى[٢]، ولم يقتصر سبب هذه الشدة على قصور النيل وحده، وانما كان أيضا " من اختلاف الكلمة، ومحاربة الأجناد، وكان من نتائج ذلك أنه لا يوجد في الأقاليم من يزرع الأراضي، ولا من يقيم الجسور من كثرة الاختلاف، وتواتر الحروب، وانقطاع الطرقات في البر والبحر، ولم يوجد من يبذر الأرض للزراعة"[٣]، وارتفعت الأسعار وانتشرت الأوبئة، واضطرب الأمن، وهلك كثير من البشر[٤].

إذن فالتعددية الأثنية كانت عاملاً مهماً في التدهور الحضاري، وفي اختلال الاستقرار والأمن، وهما أرسخ دعائم الحياة الحضرية.

ولما كانت نتائج الحروب التي نشبت بين عناصر الجيش المختلفة شديدة على المصريين، فقد انطلقت ألسنتهم بالعديد من الأمثال الشعبية التي تعبر عن سخطهم على عناصر الجيش. فقالوا: "من عاشر غير جنسه دق الهم صدره"[٥]. وقالوا: "راحت من الترك هاربة قابلوها المغاربة"[٦]. أي أنها هربت من شر فوجدت أشر منه. وذلك يدل على تعرض المصريين لأذى عناصر الجيش المختلفة، ومنهم الترك والمغاربة.

* حضور العناصر البشرية في المجتمع قام على أساس مقدرة رجالاتها العسكرية، إذ عمل الفاطميون على اصطناع العناصر التي تميزت بالمقدرة القتالية، كالمغاربة[٧] والصقالبة[٨] والأتراك[٩] والسودان[١٠] والأرمن[١١].

---

(١) حول نزاع الأتراك مع المغاربة، انظر ص ٣٩-٤١ من هذه الأطروحة ، وحول نزاع الأتراك مع السودان انظر ص ٦٠-٦١ من الأطروحة.
(٢) ابن ظافر الأزدي، **أخبار**، ج١، ص ٢٢٣-٢٢٤، ابن ميسر، **أخبار**، ص١٣٤، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٣٨١، المقريزي، اغاثة، ص٣٧- ٣٨.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٠.
(٤) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٢٧١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٠٧، اغاثة، ص٦٠.
(٥) الأبشيهي، المستظرف، ج١، ص٨٧.
(٦) محمد شكري المكي، **مخطوط مجمع الأمثال العامية**، دار الكتب المصرية، ورقة، ٤٠.
(٧) حول خصائص المغاربة العسكرية انظر ص ٣٤-٣٥ من الأطروحة.
(٨) حول خصائص الصقالبة العسكرية انظر ص ٤٥ من الأطروحة.
(٩) حول خصائص الأتراك العسكرية انظر ص ٥١ من الأطروحة.
(١٠) حول خصائص السودان العسكرية انظر ص ٥٨ – ٥٩ الأطروحة.
(١١) حول خصائص الأرمن العسكرية انظر ص ٧١ من الأطروحة.

* لقد تراوحت أهمية العناصر السكانية في القاهرة، حسب قوة مشاركتها في الأحـداث العامـة وتأثيرها على المجتمع، الأمر الذي إرتبط إرتباطاً كبيراً بحجمها ودرجـة قوتهـا. فقـد تمكـن المغاربة بما تمتعوا به من مقدرة عسكرية، وقوة عددية من التأثير على الأوضاع العامة. إلا أن الضعف العسكري الذي ما لبث أن اعتراهم قد جنب الفاطميين الاعتماد عليهم، وأدى إلـى زوال نفوذهم وتلاشي تأثيرهم في المجتمع "وأصبحوا من جملة الرعية بعدما كانوا من أكابر أهلها"(١).

ويبدو أن عامل المقدرة القتالية كان أقوى من عامل الكثرة العددية، في التأثير علـى الأوضـاع العامة في المجتمع، فرغم تفوق المغاربة العددي علـى الأتـراك، إلا ان الأتـراك اسـتطاعوا هزيمتهم، والتغلب عليهم في التأثير على الأوضاع العامة؛ بسبب تفوقهم القتالي عليهم(٢). ورغـم تفوق السودان العددي على الأتراك، إلا أن الأتراك استطاعوا عام (٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) تشتيتهم، وكسر شوكتهم(٣)؛ نتيجة – على ما يبدو – لتفوقهم القتالي عليهم(٤).

وإن قوة الأرمن العددية، ومقدرتهم القتالية، مكنـتهم فـور وصـولهم إلـى مـصر عـام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م) من ضبط أمور الدولة واستتباب الأمن فيها (٥). إلا أن فاعليتهم في المجتمـع قد تضاءلت مع تسرب الضعف العسكري إليهم(٦)، مما دفع بهرام إلى تعزيز دورهم العـسكري بجلب أجيال جديدة منهم من بلادهم، بعثت فيهم قدراً من القوة، فوصلت سيطرتهم علـى الـبلاد إلى درجة من القوة، أثارت المسلمين وحدت بهم إلى الاستنجاد برضوان بـن ولخـشي والـي الغربية وقتئذٍ؛ ليخلصهم من تسلط الأرمن عليهم. وقد جمع رضوان أجناداً من الغربية تمكنت – ربما لتفوقها العددي والقتالي على الأرمن – من الانتصار على الأرمن والقضاء على وجـودهم في الجيش الفاطمي، وذلك عام (٥٣١هـ/١١٣٦م) (٧).

وقد تزامن إعادة تجنيد الأرمن في الجيش الفاطمي مع وجود السودان في الجيش، الذين أتاحـت لهم مقدرتهم القتالية وقوتهم العددية السيطرة على البلاد، والتفوق على الأرمن، الذين تلاشوا أمام قوة السودان العددية، ولم يرد لهم نشاط عسكري طيلة الفترة التي تزامن وجـودهم فيهـا مـع السودان، سوى انضمامهم للسودان في التصدي لجيش صلاح الدين عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م) (٨).

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢.
(٢) انظر ص ٣٨-٤٠ من الأطروحة.
(٣) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣٢- ٣٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١٢.
(٤) انظر ص ٥١ من الأطروحة.
(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص٤١-٤٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٧-١٤٥.
(٦) حول بداية وأسباب ضعف الأرمن العسكري انظر ص ٧٢ من الأطروحة.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٤-٤٥، ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٤-١٢٥، المقريـزي، **اتعـاظ**، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤.
(٨) ابو شامة، **الروضتين**، ص٤٥٠-٤٥٢، ابن تغري بردي، **مورد**، ورقة ٥٦ب-٥٧أ.

* هناك ارتباط بين النفوذ السياسي والعسكري للعناصر البشرية وبين الثـروة. فعنـدما انفـرد المغاربة بالساحة العسكرية تمتعوا بنفوذ واسع تبعه تقدم ملموس في أوضـاعهم الاقتـصادية(١). ومع تناقص دورهم السياسي والعسكري نتيجة لتجنيد الأتراك وحلولهم محلهـم فـي الاسـتئثار بالنفوذ، شهدت أوضاعهم الاقتصادية تراجعاً ملحوظاً(٢)، حيث استأثر الأتراك الذين أصبح لهـم النفوذ بأموال الدولة – من دون المغاربة – حتى أفرغوا خزينة الدولة(٣).

وعندما شكل الأرمن الواصلون مع بدر النواة الرئيسية للجيش الفاطمي، تمتعوا بنفوذ واسع تبعه تقدمٌ في أوضاعهم المالية(٤)، وصل إلى درجة من القوة، بحيث أفسد خصائصهم العسكرية(٥).

أما السودان فقد تزامن نفوذهم السياسي والعسكري مع الأزمات الاقتصادية التـي مـرت بهـا الدولة، والتي حالت دون تمتعهم بأوضاع اقتصادية رفيعة(٦).

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٩٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٩.
(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ص٢٥٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٩.
(٤) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص٦١، ١١٦.
(٥) حول بداية وأسباب ضعف الأرمن العسكري انظر ص ٧٢ من الأطروحة.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢٠٨-٢٠٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٦-٣٧.

الفصل الثالث

الطبقات الاجتماعية

- تمهيد:
- أولا: طبقة الخاصة
- ثانيا: الطبقة الوسطى
- ثالثا: طبقة العامة

تمهيد:

تعني الطبقة في المفهوم الفاطمي المنزلة، ففي الخطاب الذي وجهه الآمر(٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) لتعزية الكافة في وفاة الوزير الأفضل، خاطب العساكر وفق ترتيب معين، حسب منازلهم، وتلك المنازل عبر عنها بكلمة " طبقة"، فقال قارىء الخطاب المذكور: " هذا كتاب من الامام الآمر بأحكام الله، بما رآه، وأمر به من تلاوة على كافة من بمدينة مصر، من الأمراء، ورجال العساكر المؤيدة، على اختلاف طبقاتهم، فارسهم، ومترجلهم، وراجلهم" (١)

لقد قام نظام تفصيلي للطبقات الاجتماعية في العصر الفاطمي، يتجلى صداه في اهتمام مؤرخي العصر الفاطمي بالتعبير عن الفروق الاجتماعية في مناسبات متعددة، وعبر وسائل مختلفة.

فقد ذكر الأنطاكي (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) في أحداث عام (٣٩٧هـ/ ١٠٠٧م)، أن الحاكم بأمر الله "بذل سيفه في إراقة الدماء في سائر الناس على طبقاتهم، حتى أفنى ... وجوه دولته وأصاغرهم"(٢).

وذكر ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/١١٨٨م)، أن المستنصر كان " يقيم .. مأدبة في كل من العيدين، ويأذن بالاستقبال في قصره للخواص والعوام، وتنصب مائدة الخواص في حضرته، ومائدة العوام في سرايات أخرى"(٣)

وورد مفهوم الطبقات الاجتماعية عند ابن المأمون (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م)، فذكر أنه في عيد الغدير من عام (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، " هاجر إلى باب الأجل (يعني الوزير المأمون البطائحي)، الضعفاء ... ومن انضم إليهم من العوالي والأدوان "(٤). وذكر ابن المأمون، أن المأمون بن البطائحي، أمر بتفرقة الكباش في عيد النحر " للخصوص دون العموم" (٥)، وحضر في العيد المذكور " الكبراء وبياض البلدين للهناء بالعيد"(٦).

ويذكر المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) أن الدخول على الخليفة كان وفق ترتيب معين يدخل فيه الرجال كل حسب منزلته، فكان " الناس من الشيوخ والرؤساء على سائر طبقاتهم يبكرون إلى داره (أي الحاكم) والباب مغلق فيفتح بعد وقت، فيدخل إليه الوجوه فيجلسون في قاعة الدار على حصير وهو في مجلسه لا يدخل إليه أحد، فإذا مضت لهم ساعة أذن للوجوه،

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٤.
(٢) **تاريخ**، ص٢٥٧.
(٣) **سفرنامة**، ص١٢٢.
(٤) **أخبار**، ص٤٢.
(٥) المصدر نفسه، ص٤٣.
(٦) المصدر نفسه، ص٤٣.

فالقاضي ، وبعده كتامة والقواد، فيدخل أعيانهم، ثم يأذن لسائر الناس فــلا يقــدر أحــد علــى الوصول إليه، فمنهم من يومىء إلى تقبيل الأرض... ومنهم من يقبل ركبته" (١).

لقد بنيت الهرمية الاجتماعية في المجتمع الفاطمي على أساس السلطة والثروة:

أولاً: السلطة: يعد العمل في أجهزة الدولة أحد العوامل الهامة في تحديد الفوارق الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية. فكان العمل في الإدارة الرسمية الفاطمية يكسب صــاحبه مكانــه خاصــة، بحيث يصبح من " أرباب الرتب "(٢)، وهم عسكريون أو مدنيون يكونون بحضرة الخليفة(٣).

ويعدد القاضي النعمان (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) فئات المجتمع وفق ترتيب معين، الجنــد، ثــم أعوان الخليفة، من القضاة والعمال والكتاب، ثم أهل الخراج من ملاك الأراضي، ثــم التجــار، وذوي الصناعات، وأخيراً الطبقة السفلى، وهم أهل الحاجة والمسكنة(٤). وهو فــي موقفــه هــذا يستخدم مقياسي السلطة والثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، إذ يفرد العامة ويجعلها في نهايــة السلم الاجتماعي.

وكان العمل عند إخوان الصفا هو المعيار الأساسي في تحديد الطبقة، حيــث اعتبــروا أن اختلاف طوائف الناس مرتبط باختلاف صنائعهم، وتصاريفهم في طلب معاشهم(٥).

واستخدم الدمشقي (ت ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) مقياس السلطة في تحديد الطبقة الاجتماعية، فقال " الرياسة التي تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلم، فأما السيف فللملوك والأمراء، والحجاب وقواد العساكر، ووجوه العشائر ورؤساء القبائل، وأما رياسة القلم فللوزراء والكتــاب والقضاة والخطباء، ومن يجري مجراهم. وأصحاب السيوف هم الحماة، وأصحاب الاقــلام هــم الكفاة. وكل صناعة غير هاتين فليس يذكر صاحبها بعز "(٦)

وقد عبر ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) عن انقسام المجتمع الإسلامي إلــى طبقــات، ويستند ذلك المفهوم إلى الموقع من السلطة، وتلك المستويات التي يقسم المجتمع على أساسها إلى طبقات، جمعها ابن خلدون في كلمة "الجاه"، الذي هو متوزع بين الجماعات بشكل متدرج ينتهي أعلاه بطبقة الحكام، وينتهي أسفله بطبقة الخدام الفقراء. فهو يقول : " ثم أن الجاه متــوزع فــي الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة... في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عاليــة، وفــي

---

(١) **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٠.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٦.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٤.
(٤) **دعائم**، ج١، ص٣٦٦.
(٥) اخوان الصفا، **رسائل**، ج٣، ص٣٨٤.
(٦) **الإشارة**، ص٦٣.

السفل إلى من لا يملك ضراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه"[١]

ثانيا: الثروة : وكان للمال أثره في المنزلة الاجتماعية مقابل السلطة، فقد حظي كبار التجار بمكانة كبيرة في المجتمع نتيجة لثرائهم الواسع[٢]. وكان لدى الناس شغف بحب المال من أجل تحقيق السعة في العيش والمنزلة اللائقة، وأخذ بعض الأشراف يمارسون التجارة التي كانت تدر عليهم أرباحاً طائلة[٣].

وبعد أن اعتمد الدمشقي عامل السلطة في تحديد المنزلة الاجتماعية [٤]، يشير في موضع آخر، إلى عامل الثروة في تحديد المرتبة الاجتماعية، حيث فضل المهنيين على عمال السلطان، واعتبر التجارة أفضل المعايش وأسعدها للناس، وصاحبها موسع عليه، وله مروءة، أما من يتصرف مع السلطان، فلعل يده تقصر في بعض الأوقات عن نفقته[٥].

ويميزالمقريزي بين طبقات المجتمع باعتبار الثروة، فيقول: الناس في مصر سبعة أصناف: الصنف الأول، أهل الدولة، والصنف الثاني، أهل اليسار من التجار، وأولي النعمة من ذوي الرفاهية. والصنف الثالث الباعة، وهم متوسطو الحال من التجار، ويلحق بهم أصحاب المعايش، وهم السوقة. والصنف الرابع أهل الفلح، وهم أهل الزراعات والحرث، والصنف الخامس، الفقراء. والصنف السادس، أرباب الصنائع والأحرار أصحاب المهن. والصنف السابع، ذو الحاجة والمسكنة، وهم السؤّال الذين يتكففون الناس، ويعيشون منهم.[٦]

وثمة ترابط بين مؤشري الموقع من السلطة والثروة، المعتمد عليهما في تحديد المنزلة الاجتماعية، حيث إنّ العمل في السلطة يؤدي إلى زيادة الثروة. وقد لاحظ المؤرخون الصلة بين الثروة والعمل في السلطة، فقال ابن المقفع: " ولما صار جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها، وتدبير أمورها كلهم نصارى ، وهم الملاك النافذ أمرهم طغوا وعتوا وبذخوا ... بديار مصر... وصار أكثر اهتمامهم بالتجمل والتفاخر..." [٧]. وقال المقريزي: عندما تمكن النصارى في عهد الحاكم " في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء، وتعاظموا؛ لاتساع أحوالهم، وكثرة أموالهم" [٨].

---

(١) **العبر**، ج١، ص١٩٠.
(٢) انظر ص ١١٩- ١٢٢ من الأطروحة.
(٣) ابن زولاق، **أخبار**، ص٣١، المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٠٨.
(٤) الدمشقي، **الإشارة**، ص٦٣.
(٥) **الإشارة**، ص ١٠٠.
(٦) اغاثة، ص٧٣- ٧٦.
(٧) **تاريخ**، ج٣، مج ١، ص٨١٨.
(٨) **المواعظ**، مج ٤، ق٢، ص١٠٠٧.

كما أن ازدياد الثروة قد يؤدي إلى الاقتراب من السلطة وبلوغ الجاه، حيث أن ثروات بعض التجار أعانتهم على توسيع نفوذهم، لما أسبغته عليهم من قوة اجتماعية، فمن التجار من تولى أعلى المناصب في الدولة [١].

ويبدو أن عامل السلطة كان أقوى من عامل الثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، فرغم ثراء التجار، إلا أنهم لم يندرجوا في طبقة الخاصة[٢]؛ لعدم مشاركتهم في السلطة.

واعتماداً على عاملي الموقع من السلطة والثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، فيمكن تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات:

طبقة الخاصة[٣]: وتضم جميع المشاركين في السلطة، الذين يتمتعون بالنفوذ والثراء[٤]، والذين عبر عنهم المقريزي " بأهل الدولة " [٥]، ويتمثلون في الخلفاء والوزراء والقواد والكتاب والقضاة والدعاة والمحتسبين.[٦]

وطبقة العامة[٧]: وتضم غير المشاركين في السلطة [٨]، الذين يعانون من الفقر والعوز والحرمان[٩]. ويتمثلون بالباعة والصناع والفلاحين، وقطاع الطرق والعاطلين عن العمل، والرقيق من الخدم والجواري[١٠].

والطبقة الوسطى: تنتمي اليها الفئات التي يفصلها عن الخاصة عدم مشاركتها في السلطة، ويرفعها عن العامة ثراؤها. وتتمثل في التجار والأطباء والعلماء والشعراء[١١].

وقد أشار الخطاب السياسي الفاطمي إلى طبقة الخاصة والعامة[١٢]، ولم يصنف الطبقة الوسطى التي كان التشكل الاجتماعي لها قائماً – كما بينا- حيث صنفها الوزير رضوان بن ولخشي عندما ضاعف الجزية على الذميين، فجعلها ثلاث طبقات: على العليا أربعة دنانير وسدس، وما دونهم دينارين وقيراطين، أما عامتهم فدينار واحد وثلث وربع[١٣].

(١) انظر ص ١٦٩-١٧١ من الأطروحة.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٧، ج٢، ص١٤٧.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٣ المسبحي، **أخبار**، ص٢٤،٢٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ١٤.
(٤) حول ثراء طبقة الخاصة انظر ص ٩٢-٩٣، ١٠١-١٠٢، ١٠٦-١٠٩، ١١٤ من الأطروحة.
(٥) **اتعاظ**، ج٢، ص٤٢.
(٦) حول فئات طبقة الخاصة انظر ص ٨٩-١١٧ من الأطروحة.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٣، المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢٤، ٢٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤.
(٨) انظر مبحث العامة ص ١٣٤ من الأطروحة.
(٩) حول المستوى الاقتصادي لطبقة العامة انظر ص ١٣٣ – ١٣٤ من الأطروحة.
(١٠) حول فئات طبقة العامة انظر ص ١٤١، ١٤٣، ١٤٦ من الأطروحة.
(١١) حول المستوى الاجتماعي والاقتصادي لفئات الطبقة الوسطى انظر ص ١١٧ – ١٣٢ من الأطروحة.
(١٢) ابن المأمون، **أخبار**، ج ٤٠، ص٤٣، المسبحي، **أخبار**، ص٢٤، ٢٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤.
(١٣) ساويرس بن المقفع: **تاريخ**، ج٣، مج ٢، ص١٢٩٤.

ولعل التقسيم الثنائي للمجتمع - بين خاصة وعامة- الذي ظهر في الخطاب السياسي الفاطمي، يبدو مقبولا في ضوء النظرية السياسية لحكم الفاطميين، التي تضع غير المشاركين بالسلطة في إطار اجتماعي واحد هو " الرعية " (١)، مما يجعلنا نفسر ذلك في ضوء التمايز الطبقي الحاسم بين الحكام والمحكومين، وهو ما أشار اليه ابن خلدون تحت مسمى " دولة وعامة" (٢).

كانت الطبقة الاجتماعية الواحدة على مستويات، فهي قد تضم بين ثناياها أفراداً يتفاوتون من حيث درجة الثراء، أو يتفاوتون من حيث مستوى مهنهم. فقد ظهرت درجات متفاوتة من المراتب الاجتماعية بين عمال السلطة، فتكون قيمة عمل ما أعلى من غيره، ونتيجة لذلك كان من يمارس ذلك العمل يتمتع بمكانه أكبر، فعندما عرضت وظيفة الحسبة على ابن العميدي(٣) رفض أن يقبلها، وقال " كنت بالأمس جليس أمير المؤمنين، وصاحب خريطته، أصير اليوم محتسباً، لم أكن لأفعل"(٤).

وقد عبرت المصادر عن التفاوت بين فئات طبقة الخاصة في مناسبات شتى، فذكر ابن المأمون انه في عيد الغدير من عام (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، فرقت الأموال " على الأمراء المميزين"(٥). وذكر ابن الطوير ان ديوان المجلس يختص بتفريق العطايا على " أرباب الرتب على اختلاف الطبقات" (٦). وذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، " أدوان الأمراء"(٧). وقال المقريزي: جلس في مجلس الآمر " الخواص على مراتبهم" (٨)، وأشار المقريزي إلى وجوه خاصة الخليفة العزيز(٩).

وترد اشارات تدل على التباين بين طوائف العامة، فحين يتحدث العمري (٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م) عن العامة، كان ينبه إلى التباين بين أفرادها، وهذا ما أشار إليه في قوله : " فاما

---

(١) انظر مثلا الخطاب الذي وجهه الآمر لتعزية الكافة في وفاة الوزير الأفضل، الذي عدد فيه أهل الدولة، ممثلين في الأمراء والعسكر والقضاة والشهود، ثم وضع فيه غير المشاركين بالسلطة في اطار اجتماعي واحد هو "الرعية"، حيث قال قارىء الخطاب المذكور : " هذا كتاب من ... الامام الآمر بأحكام الله، بما رآه وأمر به من تلاوة على كافة من بمدينة مصر، من الأمراء ورجال العساكر المؤيدة على اختلاف طبقاتهم، فارسهم ومترجلهم وراجلهم، والقضاة، والشهود، وجميع الرعايا... ". انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٤.

(٢) **العبر**، ج٢، ص٦٦٧-٦٧٤.

(٣) ابن العميدي: محمد بن أحمد بن محمد أبو سعد، كان يتولى **ديوان** الترتيب، وعزل عنه سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م) ثم تولى **ديوان** الانشاء أيام المستنصر، عوضا عن وليّ الدولة ابن خيران. توفي سنة (٤٣٣ هـ/١٠١١ م) . انظر ياقوت الحموي معجم الأدباء، مج٦، ص٤٠٢- ٤٠٣.

(٤) المسبحي، **أخبار**، ج٤، ص١٤.

(٥) **أخبار**، ص٤٤.

(٦) **نزهة**، ص٧٥.

(٧) **صبح**، ج٣، ص١٦٩.

(٨) **اتعاظ**، ج٢، ص١٨١.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣١٦.

أخلاط عامة الناس فتختلف أحوالهم في الملابس والزي، حتى أن الفقراء وإن جمعهم زي الفقر .. فانهم تتباين حالاتهم في الملابس وأطوارهم في التشكلات" [١].

وذكر ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م)، " أوباش العامة"[٢]، وذكر المقريزي " بياض العامة" [٣]- أي وجوه العامة - وذلك يعني ان في العامة طوائف متباينة. وأشار المقريزي إلى التفاوت الاقتصادي بين طوائف العامة، عندما ذكر ان الخليفة كان يمد سماط عيد الفطر ويدعو عامة الناس لتناول الطعام، فمنهم من " يأكله في يومه، ومن يدخره لغده، ومن لا حاجة له به فيبيعه" [٤].

ويصح القول أن المجتمع المصري في العصر الفاطمي اعترف بمراتب اجتماعية كان بعضها مفتوحاً على بعض، فكان من الممكن أن يرتقي الفرد من فئة أدنى إلى أعلى، أو أن ينحدر من فئة أعلى إلى أدنى، تبعاً لموقعه من الثروة والسلطة.وقد أشار ابن خلدون إلى معنى حركية الطبقات الاجتماعية وخضوعها للتطور، إذ يقول : " ثم ان كل طبقة من طباق أهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق، وكل واحدة من الطبقة السفلى يستمد بذي الجاه من أهل الطبقة التي فوقه، ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه، والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي في صاحبه ..." [٥].

وقد أشارت الأمثال الشعبية إلى معنى حركية الطبقات الاجتماعية، فقيل في وصف من يتبدل حاله بعد الفقر ويظهر بمظهر الرفاهية " بقي للكلب سرج وغاشية وغلمان وحاشية" [٦] ، وقيل " بعد الجوع والقلة بقي لك حمار وبغلة"[٧].

وخير من يمثل حركية الطبقات الاجتماعية ابن مصال [٨] فقد كان يعمل خادما في البيدرة[٩]، "فتقدم في الخدم حتى نال الوزارة" [١٠]، وقد دهشت امرأة لشأنه كانت تعرفه في حال

---

(١) مسالك، ج٣، ص٤٥٠.
(٢) **الانتصار**، ج٤، ص٥٢.
(٣) **المواعظ**، مج ٣، ص٢٢٤.
(٤) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٩٤.
(٥) **العبر**، ج١، ص٢٢٥.
(٦) الأبشيهي، **المستظرف**، ج١، ص٨٢.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٨٢.
(٨) ابن مصال: نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد: كان اعتباراً من سنة (٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م)، ناظراً في الأمور من غير أن يطلق عليه اسم الوزارة، استوزره الظافر عام (٥٤٥هـ/١١٥٠م). - بوصية الحافظ بذلك- ولم يلبث في الوزارة سوى شهرين، حيث حسده الأمير علي بن السلار - والي البحيرة والاسكندرية- على منصبه، فدبر له مكيدة وقتله، وحل محله في منصب الوزارة. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص ٥٥-٥٧، ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤١٧. الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٥٢١، ٥٤٠، ٥٥٣.
(٩) بَيْدَرَةُ : من قرى بخارى. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٥٢٤.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٦٧.

فقره [١]، فقالت له استهزاءً : " سليم وزرت؟ فقال لها: نعم، قالت: والله ما وزرت وبقي أحد، فضحك وأمر لها بصلة" [٢]. وكان يعقوب بن كلس تاجراً، فترقت أحواله حتى أصبح وزيراً[٣]

وكان ابن ابي نجدة[٤] بقالا " فترقت أحواله حتى ولي الحسبة" [٥]. وكان الأدفوي [٦] في أول أمره خشاباً، فعلت منزلته حتى أصبح شيخاً للديار المصرية [٧].

وترقت احوال كثير من الكتاب، حتى أصبحوا وزراء، ورؤساء دواوين[٨]. وكان أبو عبد الله بن فاتك قائداً، فترقت احواله حتى ولي الوزارة عام (٥١٥ هـ/ ١١٢١م)[٩].

ويمكن أن نتمثل السمات الاجتماعية للطبقات الاجتماعية، من خلال دراسة فئاتها، على النحو الآتي:

(أ) الخاصة، وتشمل:

١ - الخلفاء وأقرباؤهم: -

لقد أسبغ الخلفاء الفاطميون على أنفسهم مظاهر العظمة والجلال، حيث حرصوا في أقوالهم وكتبهم على تأكيد أن الامام ممثل الله على الأرض[١٠]، وبأنه المفسر الأول للشرع، ومصدر كل العلم، وأنه " وليّ الله" الشافع لهم جميعاً[١١]؛ ربما كان ذلك للحفاظ على قداستهم[١٢]، وسمو مكانتهم، وتركيز السلطة الدينية العليا، والزعامة الروحية في شخص الإمام.

ان مظاهر العظمة والجلال التي أسبغها الخلفاء الفاطميون على أنفسهم، قد أضفت بعداً ايجابيا على مكانتهم الاجتماعية، فكان التجار عند مرور موكب الخليفة يزينون حوانيتهم، ويعرضون بضاعتهم حتى تعمها البركة بنظر الخليفة اليها.[١٣]

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٦٧.
(٣) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص١٩-٢١، المقريزي، **المواعظ**، مج ٣، ص١٣، خضير محمد، (١٩٧٦م). يعقوب بن كلس التاجر الذي **أصبح** وزيراً وفقيهاً للفاطميين، مجلة الدارة، ع٢، ص١٧٨.
(٤) ابن أبي نجدة: ولي الحسبة في عهد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م)، ودخل فيما لا يليق به، وأساء في معاملة الناس، فاعتقل، ثم قطعت يده ولسانه وشهر على جمل وضُربت عنقه عام (٣٩١هـ/ ١٠٠١م). انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥١.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٥١.
(٦) الأدفوي: أبو بكر محمد بن علي بن أحمد المصري المقرىء، المفسر، النحوي، أخذ النحو عن أبي جعفر لنحاس، فأكثر وأتقن الرواية، وألف التفسير في مائة وعشرين مجلداً، وكانت له حلقة كبيرة للعلم. توفي سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م). انظر الادفوي، الطالع، ص٢٥٢-٢٥٣.
(٧) المصدر نفسه، ص٢٥٢-٢٥٣.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٥.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٩.
(١٠) السجلات المستنصرية، ص٣٥.
(١١) المصدر نفسه، ص٣٥.
(١٢) الإمام عند الاسماعيلية شخصية مقدسة تتمتع بالعصمة. انظر الشيرازي، ال**مجالس**،ص١٩.
(١٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٨، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٤٦٢.

وكان الخاصة والعامة يسارعون بالسجود وتقبيل الأرض عند رؤية الخليفة[١]، فذكر النويري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) أن الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٩٦-١٠٢٠م) "لم يذكر في محفل أو غيره إلا سجد من سمع بذكره، وقبل الأرض إجلالاً له" [٢].

كما أشار المقريزي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م) إلى أن العامة كانوا يمارسون عادة تقبيل الأرض في عهد الحاكم وابنه الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/ ١٠٢٠-١٠٣٥م) [٣]. وذكر ناصر خسرو- الذي قام برحلته إلى مصر بين سنتي (٤٣٧هـ/١٠٤٥م- ١٠٥٢/٤٤٤م) - أنه في عهد المستنصر كانت " العادة في مصر أن يسجد الرجال للسلطان وأن يدعوا له كلما قرب منهم"[٤].وذكر المقريزي أن العامة والخاصة كانوا يقبلون الأرض عند رؤية الخليفة الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/ ١١٣٠/١١٠١م).[٥]

لقد تميز بلاط الفاطميين بالفخامة والعظمة، حيث كان يعج بعدد كبير من الموظفين الذين يقومون بخدمة الخليفة، وأفراد أسرته، وهم:

أ- الموظفون من أرباب السيوف، وهم:

صاحب الباب[٦]، وحامل مظلة الخليفة [٧] في المواكب العظام [٨]، وحامل سيف الخليفة في المواكب[٩]، وحاملو السلاح في المواكب، وكان عددهم يزيد على الف رجل، يمشون في المواكب حول الخليفة[١٠].

ب- الأستاذون المحنكون[١١]: و" هم أصحاب الأنس لهم (أي الخلفاء) ... وهم المطلعون على أسرار الخليفة" [١٢]. ومنهم شاد العمامة التي يلبسها الخليفة في الأعياد[١٣]، وصاحب المجلس

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧٤، ابن عبد الظاهر، **الروضة** ص٣٧-٣٨.
(٢) **نهاية**، ج٢٨، ص١٦٩.
(٣) **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٠، ج٢، ص٤٢.
(٤) **سفرنامة**، ص١١٢.
(٥) **اتعاظ**، ج٢، ص١٨١.
(٦) حول مهام صاحب الباب انظر ص ٣٩ من الأطروحة.
(٧) حول مظلة الخليفة انظر ص٤٧ من الأطروحة.
(٨) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص١٩٠.
(٩) المصدر نفسه ج٣، ص١٩٠-١٩١.
(١٠) المصدر نفسه، ج٣، ص١٩٣.
(١١) سُموا بالأستاذين المحنكين؛ بسبب زيهم المعروف باسم الحنك، وهو أن يمرطرف العمامة تحت الحنك؛ ليصعد من الجهة المقابلة، ويلتف من جديد حول الرأس. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٦.
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج ٢٦، ص٢٩٢.
(١٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٢.

الذي يشرف على نظام جلوس الخليفة الرسمي في القصر[١]، وصاحب الرسالة المكلف بـــإبلاغ أوامر الخليفة إلى الوزير، وكبار الموظفين.[٢]

ج- موظفو القصر الآخرون، وهم:

أطباء القصر: وكان عددهم أربعة أو خمسة يرأسهم طبيب خاص[٣] ، والفراشـــون بالقـــصور، وكان عددهم كبيراً، ويسند اليهم خدمة القصور وتنظيفها[٤]. وقراء الحضرة الذين يقرأون القرآن الكريم في الأعياد الدينية التي تحتفل بها الدولة[٥]، ومتولي دار الضيافة الـــذي يتـــولى اســـتقبال ضيوف الدولة، سواء أكانوا قادمين من خارج مصر أم من خارج القاهرة من الولايات[٦].

لقد اتسمت حياة الخلفاء الفاطميين بالترف والرفاهية، فقد ذكر ابـــن ميـــسر (ت ٦٧٧هـــــ/ ١٢٧٨م): أنه رأى مجلداً في نحو عشرين كراسة يشمل تسجيلاً بالأمتعـــة والثيـــاب والجـــواهر والطيب، التي أخرجت من خزائن القصور وبيعت أيام الشدة المستنصرية[٧]. ويذكر ابن الأثيـــر (ت٦٣٠هـــ/ ١٢٣٣م)، أنه وُجد في القصر الشرقي عند استيلاء صـــلاح الـــدين عليـــه ســـنة (٥٦٧هـــ/١١٧١م)، " ما تخلو الدنيا عن مثله، ومن الجواهر التي لم توجد عنـــد غيـــرهم" [٨]. وذكر المقريزي أنه وجد في القصر لدى استيلاء صلاح الدين عليه مـــن " الجـــوهر والنحـــاس والملبوس والأثاث والقماش والسلاح، ما لا يفي به ملـــك الأكاســـره، ولا تتـــصوره الخـــواطر الحاضرة، ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة، ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حـــساب الخلق في الآخرة "[٩].

والشواهد على ترف الخلفاء كثيرة، فقد بلغت جواري العزيز " عشرة آلاف جاريـــة، وبلـــغ راتب مطبخه ومائدته في كل يوم مالاً عظيما، وكان يعلف له من الخيل في كل يوم، والبغـــال، والحمير، والجمال عشرين ألف رأس، منها لركوبه ألف فرس، سوى البغال" [١٠].

وعاش الخليفة الظاهر عيشة ناعمة، " فكان مشغوفاً باللهو، محباً للغناء، واستكثر من شراء الجواهر"[١١]. ويتجلى بذخ الظاهر في هيئة جلوسه، فيروي المقريزي أنه كان يجلس في قـــصر

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٦٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٢.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٢.
(٣) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٩٢.
(٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٢، ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٥.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٦، ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٤، ١١٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩١.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٥٠٩.
(٧) **أخبار**، ص٣٧.
(٨) **الكامل**، ج٩، ص٢٤٤.
(٩) **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٩.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢١.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٩٣.

أبيه بباب الذهب على سريره المصقول المذهب، وعليه ثوب دبيقي معلم، وعمامة شرب مذهبة، وتحته فرش دبيقي مذهب".[(١)]

وكان الخليفة المستنصر يميل إلى الترف، فذكر ناصر خسرو أن أحد صناع تنيس نسج لـه عمامة، فأمر له بخمسمائة دينار ذهب " ويقال انها تساوي (أي العمامة) أربعة آلاف دينار " [(٢)].

وقد تجلى ترف الخلفاء في نفقاتهم الوفيرة على مناسباتهم العديدة، وأعيادهم، وهباتهم، ومن هذه النفقات ما يلي: -

وجوه الانفاق	قيمة النفقات سنوياً
كسوة الصيف والشتاء[(٣)]	بلغ ما أنفق على الناس من الكسوات في عـام (٥١٣هـ/ ١١١٩م)، " ثمانيـة آلاف وسـبع مائة وخمس وسبعون قطعة" [(٤)] وبلغ ما أنفـق على الناس من الكسوات في عام (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، " أربعة عشر ألفاً، وثـلاث مائـة، وخمس قطع"[(٥)]
خزانة الشراب[(٦)]	٦,٥٠٠ دينار [(٧)]
دار الفطرة[(٨)]	٧٠٠٠ دينار [(٩)]
خزانة التوابل[(١٠)]	٥٠,٠٠٠ دينار [(١١)]

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨.
(٢) **سفرنامة**، ص٩٢.
(٣) كسوة الصيف والشتاء: كانت توزع على أولاد الخلفاء وأقاربهم ونسائهم، وارباب الرتـب علـى اخـتلاف طبقاتهم. انظر ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٤، ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٥٩.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٣٦، ٥٩٩.
(٥) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٦٠.
(٦) خزانة الشراب : تحفظ فيها أصناف الأدوية والمشروبات. انظر ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٣١، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٤.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٧.
(٨) دار الفطرة : كانت تعمل فيها الحلويات التي توزع على الناس في الأعياد. انظر ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠١.
(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠٣.
(١٠) خزانة التوابل : تحتوي على كثير من التوابل والعطور، والبخور، وكانت توزع محتوياتها على قصور الخلافة. انظر ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠-٩١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٧-٣٨٩.
(١١) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٤، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٨.

دار التعبئة[١]	كان ينفق عليها ١٠ دنانير في اليوم[٢] أي (٣,٦٥٠) في السنة.
احتفال رأس السنة الهجرية	٣٠٠٠ آلاف دينار، وثمن الخراف التي تذبح فيه يقرب من ٢٠٠٠ دينار[٣]
أسمطة [٤] سحور شهر رمضان	٣٠٠٠ دينار[٥]
سماطا عيد الفطر والنحر	٤٠٠٠ دينار، وهذا خارج عما يطلق للناس من المآكل والمشارب[٦]
عيد النوروز	٤٠٠٠ دينار ذهبا، و١٥٠٠٠ درهم فضة[٧]
احتفال فتح الخليج	٢٠٠٠ دينار، غير ما ينفق على المأكل[٨]
خميس العهد	٥٠٠ دينار[٩]
عيد الغدير عام (٥١٦هـ/ ١١٢٢م)	ما يخص العساكر من الهبات العينية ٧٩٠ دينار، ومن الكسوات ١٤٤ قطعة.[١٠]
عيد النحر عام (٥١٥هـ/ ١١٢١م)	٣٣٧٠ دينار، غير ما ينفق على الناس من الكسوات، ويذبح من البهائم[١١]
أسمطة عيد النحر عام (٥١٦هـ/١١٢٢م)	١٣٢٦ دينار، غير ما ينفق على قطع الحلوى[١٢]

(١) دار التعبئة: خزانة تحفظ فيها الزهور والورود التي تجلب من بساتين الخليفة التي في القاهرة والفيوم والاسكندرية، وكانت توزع تلك الزهور على القصور. انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩٢.
(٢) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩٢.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥.
(٤) السماط: هو ما يمد من الطعام. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤١٩، الزبيدي، تاج، ج٥، ص١٥٩.
(٥) ابن الطوير ، **نزهة**، ص٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٣.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٦٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠١.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥.
(٩) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٥.
(١٠) ابن المأمون، **أخبار**،ص٤٣.
(١١) المصدر نفسه ، ص٢٥.
(١٢) المصدر نفسه، ص٤٢.

هذا بالاضافة لما كان ينفق في شكل هبات يمنحها الخلفاء للعاملين في الدولة(١)، " من ذوي الفضل والأدباء والشعراء والفقهاء " (٢). ويضاف إلى ذلك ما كان ينفقه الخلفاء في شتى مناسباتهم الخاصة مثل الاحتفال بمواليدهم(٣) ، وولاية العهد لأولادهم، ومناسبات زواجهم(٤).

ويتنظم في طبقة الخاصة أقارب الخليفة من الأشراف الطالبيين، الذين حظوا بمكانة رفيعة في المجتمع، فقد كانوا أرفع الناس قدراً بعد الخليفة؛ لشرف انتسابهم للبيت النبوي(٥)، مما جعلهم يحظون دون غيرهم بسكنى القاهرة فور تأسيسها، مع الخليفة ورجال الدولة (٦)، حيث اعتبروا " من خواصه (أي الخليفة) الذين شرفهم بقربه فقط" (٧).

لقد شكل الاشراف طائفة اجتماعية مميزة، ففي ضوء التمايز الاجتماعي بينهم وبين العامة، فقد منعتهم الدولة من التزاوج من العامة، فكان على نقيب الاشراف الطالبيين أن " يحتاط في أمر المناكح (أي مناكح الطالبيين) ويصنها من العوام" (٨).

ويبدو انعكاس مكانة الاشراف في المجتمع في وضوحهم في الخطاب السياسي الفاطمي، من حيث التوجه اليهم مباشرة من اجل استقطابهم وكسب ودهم، فقد تصدروا السجل الذي أمر الخليفة الآمر أن يكتب؛ لتعزية الكافة في وفاة الوزير الافضل بن بدر الجمالي، فسبق ذكرهم في هذا السجل " الأمراء ورجال العساكر المؤيدة على اختلاف طبقاتهم.. والقضاة والشهود والأماثل وجميع الرعايا"(٩).

لقد كان حضور الاشراف في المناسبات الهامة أمراً ضرورياً، فقد بدأ ظهور دورهم تجاه الفتح الفاطمي لمصر منذ وصول الجيوش الفاطمية إلى الاسكندرية – في جمادى الآخرة سنة

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص٧٣.
(٢) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١١.
(٣) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٠٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٤.
(٤) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٠، المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٧١، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ١٩٣.
(٥) ابن الزيات، الكواكب، ص٨٧، رغم انتساب العباسيين إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، الا أنه لم يرد ما يشير إلى تمتعهم بمكانة متميزة في المجتمع والدولة في العصر الفاطمي، ولم يخصص لهم الفاطميون نقابة للنظر في شؤونهم أسوة بالأشراف الطالبيين، حيث أن منافسة الفاطميين للعباسيين على الخلافة جعلتهم ينظرون إلى العباسيين نظرة شك، مما حال دون احتوائهم لهم. حول موقف الفاطميين السياسي من العباسيين. انظر حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، ص١٨٠-١٩٠.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٤٣، خصصت القاهرة لسكنى الخلفاء وعساكرهم وخواصهم، ولم يكن مسموحاً للعامة بالاقامة فيها حتى مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م). انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص ٢٢٠.
(٧) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٢٠.
(٨) القلقشندي، **صبح**، ج٦، ص١١٣.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٤.

(٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) – إذ كان الشريف أبو جعفر مسلم [١] على رأس الوفد الذي فاوض جوهر الصقلبي على دخول البلاد سلماً دون قتال[٢].

وخرج أبو جعفر مسلم – في ١٧ من شعبان عام (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) - وسائر الاشراف مع كبار رجال الدولة للقاء جوهر في الجيزة، وعند وصول جوهر الجيزة ظهر تكريمه وإجلاله للشريف أبي جعفر، فقد اوقفه على يمينه، بينما وقف الوزير جعفر بن الفرات على يساره، وبينما أمر الجميع بالسجود على الأرض لجوهر أستثني من ذلك الشريف والوزير فقط[٣]. وعندما قدم اهل مصر يقدمون هداياهم إلى جوهر لم يقبل من أحد سوى الشريف أبي جعفر[٤].

وعندما قدم المعز إلى مصر - في رمضان سنة (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م) – خرج الأشراف لاستقباله، وعلى رأسهم الشريف أبو جعفر، وقد أظهر المعز كثيراً من التقدير لهذا الشريف، " حيث أمر غلامه بتظليله بمظلة محلاة بالذهب، لأن الحر كان شديداً[٥] .

كما حضر شيوخ الأشراف الاجتماع الهام الذي عقد في القصر في عهد الأمر؛ لإثبات حق المستعلي في الخلافة[٦]. ويروي المقريزي ما يؤكد النفوذ الواسع الذي تمتع به الأشراف، فيقول: قرر الشريف الكبير أبو طالب الحسني مع كبار رجال الدولة " أن يكون دخولهم على الظاهر في كل خلوة، ... والا يستدعى معهم أحداً، ويمضون ويشيرون ويفعلون في أمر الدولة ما يرونه" [٧].

وكان حضور الاشراف في مجالس الخلفاء عادة بارزة، فكانت لنقيب الأشراف الطالبيين مكانة متقدمة في مجالس الخليفة، وفي الدخول للسلام عليه[٨]. وقد كانت للأشراف التقدمة على "الأولياء وسائر وجوه الدولة"، في الدخول للسلام على الخليفة المعز[٩]. وكان الاشراف ضمن كبار رجال الدولة الذين يتقدمون لتهنئة الخليفة بعيد النحر[١٠].

---

(١) ابو جعفر مسلم: محمد بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر، كان صديقاً لكافور المتغلب على الاخشيدية بمصر، وكان يدبر أمره، ولم يكن بمصر في عصره أوجه منه. وهذه المكانة التي تمتع بها الشريف ابو جعفر جعلت منه أحد الشخصيات البارزة التي كان لها دورها عند الفتح الفاطمي لمصر. توفي سنة (٣٦٦هـ/ ٩٧٧م). انظر ابن خلدون، **العبر**، ج١، ٢٣٣.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٨.
(٣) القرشي، عيون، ص١٥٤.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٤.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٢.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٦.
(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١.
(٨) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٢، ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٠٩.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٤.
(١٠) ابن المأمون، **أخبار**، ص٢٧.

ولقد تفاوتت المكانة التي تمتع بها الأشراف الطالبيين بتفاوت مراتبهم في النسب، فقد احتل الاشراف من أسرة الخليفة[١] – الذين عرفوا " بالأشراف الاقارب" [٢]، وبالإشراف الاسماعيليين[٣]- مرتبة اجتماعية متقدمة على غيرهم من الأشراف، فكانت لهم التقدمة على الأشراف الطالبيين عند الدخول إلى مجلس الخليفة[٤]، كما كانت مقر إقامتهم في القصر الشرقي[٥]، في حين سكن الأشراف الطالبيون في حارة عرفت " بحارة الأمراء" [٦].

ووجه الخلفاء الفاطميون عنايتهم إلى " الأشراف الأقارب"، فقد منحوهم في المناسبات والأعياد الملابس والهدايا والهبات[٧]، علاوة على ما كان موقوفاً على معيشتهم من الضياع والأملاك والاقطاعات[٨]. وعينوا مشرفاً خاصاً بهم، سُمي " بزمام الاقارب" [٩]. ويلاحظ في خطاب تقليد زمام الأشراف الأقارب مدى اهتمام الفاطميين بأبناء أسرتهم، فقد كلفوا الزمام بالحفاظ على الأخلاق والآداب بين الأشراف الأقارب، وأن ينفذ أوامر الخليفة المتعلقة بهم، وأن يعمل على الحفاظ على أنسابهم من التمازج بالتزاوج بمن هم أقل منهم، وأن يرعى الشباب بما يكفل حسن نشأتهم وتثقيفهم. بل ان الخليفة منح الزمام حق استخدام الشدة مع من يخرج منهم عن الآداب بعد أن يكون قد استخدم أسلوب اللين بالتنبيه والنصيحة، وكذا على الزمام أن يشرف على الأملاك والضياع والاقطاعات والرسوم والهبات الخاصة بالأشراف.[١٠]

ولم تقتصر رعاية الخلفاء الفاطميين على أبناء أسرهم من الأشراف الاسماعيليين، حيث وجهوا عنايتهم ايضاً الى جميع أقاربهم من الأشراف الطالبيين، فأوقفوا على معيشتهم كثير من الضياع والأملاك والاقطاعات[١١]؛ وخصصوا لهم مرتبة تنظيمية عرفت بنقابة الاشراف الطالبيين[١٢]، يترأسها نقيب يتولى المحافظة على حقوقهم المالية والاجتماعية، فيتأكد من أنسابهم " ويعود مرضاهم، ويسعى في حاجاتهم، ويشيع جنائزهم كواحد منهم"[١٣].

---

(١) يوجد خلاف حول انتساب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب. حول ذلك انظر: ابن حزم، جمهرة، ص٥٩-٦٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج١،ص١١٨-١٢٥، القرشي، عيون، ج٤، ص٣٥١-٤٠٤.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٠٩.
(٣) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢١٦.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٠٩.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٨.
(٦) المصدر نفسه، مج٣، ص٤٣.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٩-٥١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٢.
(٨) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢١٦.
(٩) زمام الأقارب: هو الذي يقوم بالاشراف على أعمال أقارب الخليفة، والمحافظة على حقوقهم المالية والاجتماعية بوصفهم من آل البيت. انظر القلقشندي، **صبح** ، ج٣، ص٢١٦.
(١٠) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٠.
(١١) المصدر نفسه، ج٣، ص١١٤.
(١٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٧٧.
(١٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٣، ١١٥.

وقد تجلت مكانة الاشراف الطالبيين في الاحتفال الذي كان يصاحب تولية نقيبهم، والذي بلغ حد الروعة والفخامة؛ للتعبير عن مكانة النقيب، فكان " يخلع عليه (في ذلك الاحتفــال) فيــسير بالطبل والبوق، والبنود مثل الأمراء" [(١)].

لقد حظي الأشراف باحترام وتقدير المصريين؛ لاعتقادهم " علو منزلتهم فــي الــدين " [(٢)]. فأصبحت بيوتهم ملجأ لكثير من المصريين، وتوثقت علاقتهم بهم [(٣)]. وقد تجلى تقدير المصريين لأهل البيت في اتخاذهم قبورهم مزارات[(٤)].

واتخذ المصريون من آل البيت وسيلة لكشف البلاء، فأنشد أحدهم يشتكي من سوء أحوالــه قائلاً[(٥)]

صبراً لحكمك يا إله وللقضا ... أنــا صــابر إن كــان فيــه لــك الرضــا

فقد ضقت بالامر الذي قد نالني ... فوسيلتـــي آل النــبـــي المــرتــضـــى

ووجدت على قبور الأشراف أشعار كتبها المصريون تدل على ما يكنوه من حــب للأشــراف، ومنها:

يــــا آل طــــه وحـــــق الله حـــــبكم ... فــرض مـــن الله فـــي القـــرآن انزلــــه[(٦)]

وانعكس تعاطف المصريين مــع أهــل البيــت فـــي أيمـــانهم، حيــث يقــول المقدســي (ت٣٨٨هــ/٩٩٧م) وهو يصف المصريين " يميــنهم الكبــرى ورأس الله، والــصغرى وحــق علي "[(٧)]

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٧.
(٢) الأصفهاني، مقاتل، ص٥٩٧.
(٣) ابن زولاق، **أخبار** سيبويه، ص٣١.
(٤) السخاوي، تحفة، ص٧٠.
(٥) مجهول، الف ليلة وليلة، ج١، ص٦٩.
(٦) ابن الموفق، مرشد الزوار، ص٥٥، ٦٦، ٦٧.
(٧) **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٥.

٢ - الوزراء:

كان جل وزراء الفاطميين قبل وزارة بدر الجمالي عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، من " أرباب الأقلام"[(١)]، ويطلق عليهم وزراء تنفيذ[(٢)]. وقد كانت للخليفة كل السلطة عليهم، ويراجع جميع أفعالهم[(٣)]، فكانوا بذلك وزراء معينين ذو سلطات محدودة.

لقد دخلت البلاد في الفترة الزمنية الممتدة من عام (٤٥٧هـ/١٠٦٥م) إلى عام (٤٦٤هـ/١٠٧٢م) في طور من الضعف، وابتدأت سيطرة القواد، وقامت الفتن بين فرق الجيش، وتفاقمت المجاعات في البلاد[(٤)]. وساعد في اشتداد الأزمة ضعف الوزراء الذين لم يستطيعوا حفظ أمن البلاد[(٥)]، مما حدا بالخليفة المستنصر – الذي حار امام الفتن والأزمات التي كانت تتفاقم يوماً بعد يوم – إلى اللجوء إلى قائد عسكري، هو والي الشام بدر الجمالي استدعاه؛ لا نقاذ عرشه. وفور أن انتهى بدر من إعادة النظام إلى الدولة، فوضه الخليفة المستنصر جميع سلطاته، وخوله الاشراف العام على شؤون الدولة[(٦)]، وأسند إليه منصب الوزارة، مضافاً إلى إمرة الجيوش " وصارت الوزارة من ذلك الوقت وزارة تفويض ويقال لمتوليها أمير الجيوش"[(٧)].

ومنذ تولي بدر الجمالي وزارة التفويض أصبح وزراء الدولة الفاطمية الذين تولوا بعده أرباب سيوف[(٨)]، أي قادة للجيش في نفس الوقت[(٩)]. وقد بلغوا مرتبة عالية في المجتمع، وأصبحوا الحكام الفعليين للدولة، حيث كان لهم من القوة والنفوذ ما سيطروا بها على الدولة سيطرة تامة[(١٠)]، وأصبح وزير السيف هو : " سلطان مصر وصاحب الحل والعقد، واليه الحكم في الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية، وهو الذي يولي أرباب المناصب الديوانية والدينية" [(١١)]، وفوض الإشراف على القضاء والدعوة؛ بالاضافة إلى منصبي

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٥. المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٤٣، أرباب الأقلام: هم الكتاب وسموا بذلك؛ لأنهم يعملون بأقلامهم، ووصل بعضهم إلى منصب الوزارة. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٩٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٠.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٧٢.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٠٧.
(٥) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢،ص٢٧٦.
(٦) ابن ميسر، **أخبار**، ص٥٦، عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص٣٣٣.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٤٤.
(٨) أرباب السيوف: هم العسكر، وغالبهم من الأمراء، وسموا بهذا الاسم لتربيتهم تربية عسكرية على القتال وفنون الحرب والجهاد. ومنهم أمير الجيوش، ومن أرباب السيوف من تولى الوزارة. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٤، ص٢١٤.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٤٤.
(١٠) المصدر نفسه، مج٢، ص٤٤٤.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٤٤٥، سليمان خرابشة، المأمون، ص١٦٦.

الوزارة وإمرة الجيوش، فأصبح القاضي والداعي "نواباً عنه وتقاليدهم تكتب في مجلس نظره"[١].

إن نفوذ الوزراء جعلهم يحتلون مكانة اجتماعية متقدمة، فقد حظوا بمصاحبة الخلفاء في مواكب الأعياد والاحتفالات، فكان الوزير يسير في تلك المواكب وفي ركابه نحو خمسمائة رجل، وقد خُصصت لهم عشرة من الخيل محلاة بالذهب والفضة، مرصع بعضها بالجواهر، وفي أعناقها أطواق الذهب وقلائد العنبر[٢]. كما حظي الوزراء بالصعود على المنبر مع الخليفة اثناء خطبة عيد الفطر[٣]. وكان وزير السيف يتولى أحياناً مهمة امامة الصلاة، والخطبة في الأعياد نيابة عن الخليفة[٤].

وقد تجلت مكانة وزراء السيوف في الاحتفالات التي كانت تصاحب توليتهم الوزارة، إذ بلغت حد الروعة والفخامة، للتعبير عن مكانة الوزير، والصلاحيات المطلقة التي أصبح يتمتع بها[٥]. وكان الاحتفال يقام في الايوان في القصر الفاطمي، ويقرأ فيه سجل التعيين ويحضره كل من الخليفة وأبناء الوزير، وكبار القادة ورجال الدولة، والقضاة والدعاة، كما يسمح للناس بحضوره، وبعد الانتهاء منه يعود الوزير إلى داره - وعليه خلعة الوزارة - في موكب حافل، ويسير القادة والأمراء وكبار رجال الدولة مشاة بين يديه[٦].

ومنح الخلفاء الفاطميون وزراءهم القاباً كانت بمثابة التكريم لهم، فلقب الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) وزيره علي بن جعفر بن فلاح الكتامي[٧] بلقب هو " وزير الوزراء، ذو الرئاستين، الأمير المظفر قطب الدولة "[٨]، ولقب الخليفة المستنصر وزيره اليازوري[٩] بلقب " الوزير الأجل ، الأوحد، المكين، سيد الوزراء، تاج الأصفياء، علم المجد ،

---

(١) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٦.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٢، القلقشندي، **صبح**، ج٤، ص٦٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٨.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٨، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧٩.
(٤) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص١٧٣-١٧٤.
(٥) حمدي المناوي، الوزارة، ص٥١، سليمان خرابشة، المأمون، ص١٧١.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٦،ص١٢٩.
(٧) علي بن جعفر بن فلاح الكتامي: كان أوجه الأمراء في دولة الحاكم، فكان الناظر في جميع شؤون الدولة، فاسندت اليه ولاية الاسكندرية وتنيس، ودمياط، ثم عين وزيراً للحاكم في شوال سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م)، وقتل سنة (٤٠٩هـ/١٠١٨م). انظر ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٠-٣٢، ابن سعيد، **النجوم**، ص٦٦، الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٢٦٩.
(٨) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٦٢.
(٩) اليازوري: هو الحسن بن علي بن عبد الرحمن، من أهل يازور، وهي قرية من قرى الرملة في فلسطين، تولى القضاء في الرملة، ثم عزل، فتوجه إلى القاهرة، وعمل في خدمة أم الخليفة المستنصر، ثم تولى القضاء سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م)، ثم أضاف اليه المستنصر سنة (٤٤٣هـ/١٠٥١م) وظيفة الوزارة والقضاء والدعوة معاً. توفي سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م). انظر ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص ٤٠-٤٥، ابن ميسر ، **أخبار**، ص١٦٢، ابن حجر، **رفع**، ص١٣٤.

خالصة أمير المؤمنين"[١]. ولقب المستنصر وزيره صدقة بن يوسف الفلاحي " بالوزير الأجل، تاج الرئاسة، فخر الملك، مصطفى أمير المؤمنين"[٢] .

ولُقب بدر الجمالي " بالسيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الاسلام، ناصر الامام، كافل قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين"[٣]. ولُقب المأمون بن البطائحي بلقب " السيد الأجل، المأمون، تاج الخلافة، عز الاسلام، فخر الأنام، نظام الدين، خالصة أمير المؤمنين" [٤]، ولُقب رضوان بن ولخشي بلقب " الملك الصالح، ناصر الائمة، كاشف الغمة، الأفضل أمير الجيوش، سيف الاسلام، غياث الانام، كافل قضاة المسلمين، هادي دعاة المؤمنين"[٥]. ولُقب عباس الصنهاجي[٦] " بسيف الدين، الأفضل أمير الجيوش، ركن الاسلام"[٧]، وحمل طلائع بن رزيك لقب " السيد الأجل، الملك الصالح، ناصر الأئمة، كاشف الغمة، أمير الجيوش، سيف الاسلام، غياث الانام، كامل قضاة المسلمين، هادي دعاة المؤمنين" [٨]، ولقب رزيك بن طلائع " بالملك العادل، مجد الاسلام"[٩]، وحمل ضرغام بن سوار لقب " الملك المنصور"[١٠]، ولُقب صلاح الدين الايوبي "بالملك الناصر".[١١]

لقد تجلى تقدير الخلفاء الفاطميين لوزرائهم في منحهم ابناء الوزراء وإخوانهم مرتبات مقررة، تتراوح ما بين مائتي دينار وثلاثمائة دينار في الشهر[١٢]. كما قرر الخلفاء لاتباع الوزير وخدمه وحاشيته رواتب تتراوح ما بين ثلاثمائة الى خمسمائة دينار في الشهر.[١٣]

وكان من الوزراء من ينزل منزلة خاصة لدى الخلفاء، فعندما ولد للوزير يعقوب بن كلس ولد " أرسل اليه العزيز مهداً من صندل مرصعاً، وثلاثمائة ثوب، وعشرة آلاف دينار، وخمسة

(١) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٤٠، المقريزي، **المقفى**، ج٣، ص٣٦٦.
(٢) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٧، محاسنة، محمد حسين، (٢٠٠٣م) الألقاب الفاطمية، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الاردنية، م٣٠، (ع ٢)، ص٢٩٠.
(٣) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٥، ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٥، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٣٩٩.
(٤) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ٦٢.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٧، ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٦، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٥٢١.
(٦) عباس الصنهاجي: هو عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، أصله من المغرب، ترقى في الخدمة حتى ولي الغربية، وزر للخليفة الظافر، وقتل الخليفة الظافر، فقتله الفرنج بوصاية نساء القصر سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م). انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٩٩.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص٦٦.
(٨) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٥٠-١٥١، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٥٦٦.
(٩) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص٢٤٠.
(١٠) المصدر نفسه، ج٢٨، ص٢٤٠.
(١١) ابو شامة، **الروضتين**، ص١٧٣.
(١٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٣.
(١٣) المصدر نفسه، ص٨٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٦.

عشر فرساً بسروجها... وطيب كثير، فكان مقدار ذلك مائة الف دينار"[١]. وعندما اشتدت وطـأة المرض على الوزير يعقوب بن كلس عاده العزيز، وقال له : " وددت لو أنـك تبتـاع فأبتاعـك بملكي، أو تفدى فأفديك بولدي"[٢]، وعندما توفي ابن كلس حزن عليه العزيز حزنـاً شـديداً[٣]. ويذكر ابن الصيرفي (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م) ان الحاكم عاد وزيره علي بـن جعفـر بـن فـلاح وأعطاه خمسة آلاف دينار[٤].

وكان المأمون بن البطائحي مبجلاً عند الخليفة الآمر الذي " زاد في اكرامه .. وأمـر بـأن يدخل المأمون لمؤاكلته .. ولم يتقدمه أحد من الوزراء بمثل ذلك، يعني بهذه المنزلة"[٥].

ويعد الوزراء من أصحاب الثراء؛ لضخامة ايـراداتهم مـن إقطاعـاتهم، ومـن ايـرادات رواتبهم، فكان الوزير يتقاضى مرتباً شهرياً ضخماً قدره خمسة آلاف دينار[٦].

والشواهد على ثراء الوزراء كثيرة، فقد كان اقطاع يعقوب بن كلس في مصر والشام يغـل مائتي ألف دينار في السنة[٧]، وخلف ابن كلس عند وفاته ثروة ضخمة، " فوجـد لـه جـوهر بأربعمائة الف دينار، وبز من كل صنف بخمسمائة الف دينار"[٨].

ووجد للوزير الجرجرائي بعد وفاته " سبعمائة صينية من ذهب وفضة، ومائة ألـف مثقـال من العنبر، وغير ذلك" [٩]. وكان الوزير اليازوري واسع الثراء، فعندما سُعي به عند المستنصر خشي على أمواله، فرحلها في توابيت عند أهله بالشام[١٠].

وخلف بدر الجمالي بعد وفاته سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، " من المال ... سـتة آلاف ألـف دينار، وأربعمائة الف درهم، ومن الجوهر والياقوت أربعة صناديق، ومن الفضة، والـذهب مـا يعجز عن وصفه"[١١].

وترك الأفضل بن بدر الجمالي وراءه ثروة ضخمة، " فيقال إنه وجد له من العين ستة آلاف

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٩٣.
(٢) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢١٩، ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٣.
(٣) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٣.
(٤) **الإشارة**، ص٣١.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٧.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٦، عطية مشرفة، نظم، ١٣٥.
(٧) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٢٢٥، المقريزي، **اتعاظ**،ج١، ص٣٩٢.
(٨) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٢.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٤٨.
(١٠) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٤٥.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٩.

كيس، ومن الورق خمسين أردباً [١]، وأما الديباج الملون والمتاع البغدادي والاسكندري، والطرف الهندية والصينية، فما لا يعلمه إلا الله تعالى لكثرته، ووجد له من العود والعنبر والمسك ما أذهل الناس" [٢].

وكان المأمون بن البطائحي يمتلك الأموال الوفيرة، فقد وجد له بعد وفاته " سبعون سرجاً من ذهب مرصع، ومائتا صندوق مملوءة كسوة بدنه"[٣].

وامتلك طلائع بن رزيك الأموال الوفيرة، حيث شرع فور توليه الوزارة " في الميل على المستخدمين، وأخذ أموالهم، وتتبع أرباب البيوتات والنعم والأعيان فسلبهم نعمهم"[٤]. ويتجلى ثراء طلائع بن رزيك في الجهاز الذي نقله مع ابنته – التي زوجها للعاضد- الذي لم يسمع بمثله، كما يقول ابن سعيد[٥].

وكان من أثر الحياة المترفة لهؤلاء الوزراء أن دفعهم ذلك أن يتخذوا لأنفسهم المواكب الحافلة في غدوهم ورواحهم، فكان الوزير يأتي من داره مع حاشيته إلى مجلس الخليفة بالقصر الفاطمي على حصان وبين يديه الأمراء، وينصرف إلى داره والأمراء في خدمته[٦].

واتخذ الوزراء مماليك وحجاباً لخدمتهم، وعدو ذلك من تمام هيئتهم، فقد وجد لابن كلس بعد وفاته " من العبيد المماليك أربعة آلاف غلام"[٧]، ورتب ابن كلس " في داره الحجاب نُوباً على مراتب، وألبسهم الديباج، وقلدهم السيوف" [٨]. وخلف بدر الجمالي سبعمائة غلام [٩].

---

(١) الاردب: مكيال مصري للحنطة، يقدر بـ ٦و ٦٩ كغم من القمح، أو ٥٦,١ كغم من الشعير على التوالي، أو - بوصفه مكيالا- حوالي ٩٠ لتراً. انظر فالترهنتس، المكاييل، ص٥٨.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٣- ٢١٤.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٧٨.
(٥) ابن سعيد، **النجوم**، ص٤٦١.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٠٥-٢١١.
(٧) ابن الصيرفي، **الإشارة** ص٢٣.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص١٦.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٩.

٣ - القواد: -

لقد شكل قادة الجيش أحد دعائم الحكم[١]، فقد عول المعز على القائد جوهر في فتح مصر، فقال لشيوخ كتامة الذين رافقوا جوهر لفتح مصر " والله لو خرج هذا (أي جوهر) وحده، لفتح مصر.. وليبني مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا"[٢]. وقد عبر المقريزي عن دور القادة في حماية الدولة حينما اعتبر أن قتل ضرغام للقواد البرقية كان السبب في تعجيل نهاية الدولة الفاطمية، فقال: " واختلت الدولة وضعفت بذهاب أمرائها (البرقية) وأولي الرأي فيها"[٣].

إن دور القادة في حماية الدولة أكسبهم مكانة رفيعة في المحيط الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه، ويبدو انعكاس تلك المكانة في شغل بعض القادة منصب الوزارة مع احتفاظهم بمناصبهم القيادية في الجيش[٤]. ومما يدل على قوة مركز القواد في الدولة، تدخلهم في بعض الأحداث السياسية، فعندما اشتدت علة المعز، اجتمع عدد من القادة، فقالوا للمعز: " نريد أن تبصرنا رشدنا وتعلمنا لمن الأمر"[٥]، فلم يجبهم المعز، فقال له جوهر : " كنت قد سمعت منك قولاً في هذا استغنيت به عن اعادة السؤال، غير أنهم (أي القادة) أكرهوني على الدخول[٦]. فقال لهم المعز: " قابلتموني بما لا يجب وبكى"[٧].

وكانت للاسفهسلار [٨] المنزلة المكينة في المجتمع، فقد كان " زمام كلَّ زمام واليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم"[٩] وقد حظي الاسفهسلار بشرف مصاحبة الخليفة في خروجه، وفي مواكبه المختلفة مع كبار موظفي الدولة[١٠] . كما حظي القواد بالصعود على المنبر مع الخليفة اثناء خطبة عيد الفطر.[١١]

وكانت للقائد جوهر الصقلبي منزلة عالية، فعندما وصل المعز الى القاهرة عام (٣٦٢هـ/٨٧٦م) حرص على تكريم قائده جوهر الصقلبي، فخلع عليه خلعة مذهبة، وعمامة

---

(١) ليس المجال هنا للحديث عن دور القادة في حماية الدولة، حول ذلك انظر: الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٣٧، ابن ميسر، **أخبار**، ص١٣٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص١٣٧.

(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩٨.

(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٤٤.

(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٧٧.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٧.

(٨) الاسفهسلار: كلمة أعجمية معناها قائد الجيش. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص١٩٠، محمد البقلي، التعريف، ص٣٢.

(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٢٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٥٠.

(١١) المصدر نفسه، ص١٧٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ٣٦٩-٣٧٠.

حمراء، وقلده سيفاً، واعطاه خمسين الف دينار، ومائتي الف درهم(١). وعندما اعتل القائد جوهر عاده الخليفة العزيز، وبعث له خمسة آلاف دينار(٢). ولما توفي عام (٣٨١هـ/٩٩١م)، أمر العزيز بتكفينه في سبعين ثوباً من الذهب، وصلى عليه(٣). وإن تأليف المؤرخ ابو عبد الله اليمني (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) كتاباً عن "سيرة جوهر القائد" (٤)، يعد انعكاسا لمكانة جوهر في الدولة والمجتمع.

وكانت للقائد سعادة بن حيان(٥) الحظوة في المجتمع، فعندما توفي سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م) حضر جوهر الصقلبي جنازته، وصلى عليه الشريف مسلم.(٦) وعلت منزلة القائد الفضل ابن صالح عند المعز، فقد خلع عليه ثوباً مذهباً، وأعطاه مائة الف درهم(٧).

ولقد بلغ القائد افتكين من الرفعة وعظم المنزلة مبلغا عظيما، فعندما قدم من الشام الى القاهرة عام (٣٧٦هـ/٩٧٨م)، أمر العزيز أن يشهر في أجمل حال، وانزله في دار، واوصله بالعطاء والخلع حتى قال : " لقد احتشمت من ركوبي مع مولانا العزيز بالله، ونظري اليه مما غمرني من فضله واحسانه "(٨). وأكرم العزيز القائد أبي القاسم علي - ابن القائد الفضل بن صالح- فعندما رزق بولد بعث اليه ثلاثين ثوبا فاخرة، وعشرة عمائم (٩).

وكانت للقائد الحسين بن جوهر (١٠) الحظوة عند الخليفة الحاكم، حيث أوكل اليه النظر في أمور الناس وتدبير المملكة، وخلع عليه عام (٣٨٦هـ/٩٩٦م) ثوباً ديباجاً، وقلده سيفاً عليه ذهب(١١).

وأكرم الحاكم القائد أبي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح(١٢)، ففي عام (٣٨٦هـ/٩٩٦م) خلع عليه، " وقلد السيف، وحمل على فرس بمركب ذهب، وحُمل بين يديه ثياب كثيرة من كل

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٦٠.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٥.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٦.
(٥) سعادة بن حيان: قائد مغربي، قدم من المغرب الى مصر - في جمادى الاولى من سنة (٣٦٠هـ/٩٧١م) - على رأس جيش كبير؛ لتوطيد الأمن في مصر، وفي شوال من سنة (٣٦٠هـ/٩٧١م) عينه القائد جوهر الصقلبي واليا على الرملة. توفي سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م). انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٩٨-٢٠١.
(٦) المصدر نفسه،ج١،ص٢٠١.
(٧) المصدر نفسه، ج١ ص٢٨٩.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٩.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٤.
(١٠) الحسين بن جوهر الصقلبي: ابن القائد جوهر الصقلبي، عينه العزيز قائد بعد وفاة ابيه جوهر عام (٣٨١هـ/٩٩١م) ، وأوكل اليه الحاكم تدبير المملكة عام (٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، ورأى من حال الحاكم ما أخافه، فهرب هو وولده وصهره، فأرسل اليهم الحاكم من أعادهم وطيب قلوبهم، وآنسهم مدة، ثم حضروا للخدمة في قصره بالقاهرة، فأمر الحاكم بالقبض على الحسين بن جوهر وقتله. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٥، ٣٢٧، ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٢، ص١٣٤.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١،ص٣٨٣.
(١٢) أبو تميم سليمان بن جعفر بن فلاح: قائد مغربي من قواد الخليفة المعز، كان شجاعا، وسيره المعز مع القائد جوهر ل**افتتاح** الديار المصرية، فدخلها، وبعثه جوهر الى الشام، فامتلك الرملة سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، ثم امتلك دمشق سنة (٣٥٩هـ/٩٧٠م). وقتله بها الحسن بن احمد القرمطي. انظر ابن خلكان، وفيات ، ج١، ص١١٣، الزركلي، الاعلام، ج٣، ص١٢٦.

نوع"(١). وكانت للقائد غين (٢) المنزلة العالية عند الخليفة الحاكم، ففي عام (٤٠٢هـ/١٠١١م) ، " قدمه على جميع أهل دولته، ورؤساء مملكته"(٣). وعندما اشتدت عليه وطأة المرض عاده الخليفة الحاكم، وأعطاه خمسة آلاف دينار، وخمسة وعشرين فرساً(٤).

وكان القائد أبي عبد الله بن فاتك مبجلاً عند الخليفة الآمر، ففي عام (٥١٥هـ/١١٢١م)، خلع عليه " بذلة مذهبة وخلع على ولده بذله مذهبة، وعلى جميع اخوته بمثل ذلك"(٥). وكان الآمر يستشير القائد ابي عبد الله بن فاتك في جميع أموره و"لا يخرج شيء عن نظره" (٦). وما زال يتقدم عنده حتى عينه -عام (٥١٥هـ/١١٢١م)- وزيرا له(٧).

ولما كان القواد رمز الأمن، فقد حرص الخلفاء الفاطميون على توفير الاسباب المؤدية الى صون هيبتهم، فمنحوهم الألقاب التي تضفي عليهم مظاهر الاجلال والهيبة في احتفالات عظيمة شارك فيها الخاصة والعامة. فقد وصف المقريزي حفل تلقيب القائد صالح بن علي، فقال: اصطفت في عام (٣٩٩هـ/١٠٠٨م) جموع عظيمة حول القصر من سائر العرائف والأولياء، وأكثر أهل البلد، واصطفت العساكر حول القصر بالسلاح، فتعجب الناس لهذا الاجتماع، واذا بالقائد صالح بن علي يخرج " بالخلع على فرس بسرج ولجام ذهب، وبين يديه فرسان ثياب، وسجل يتضمن انه لقب ثقات السيف والقلم"(٨).

كما وصف المقريزي حفل تلقيب القائد غين الخادم، فقال: خلع على غين الخادم عام (٤٠٢هـ/١٠١١م) في حفل عظيم، " وقلد بسيف، وقرىء سجله بأنه لُقب بقائد القواد، فليُكاتب بذلك ويكاتب به(٩).

ووصف المسبحي حفل تلقيب القائد معضاد(١٠)، فقال: جُمع عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م) الناس كافة الى الايوان بالقصر، وخرج القائد أبو الفوارس معضاد الخادم الأسود، ومعه سِجل قرىء على العامة والخاصة، بتلقيبه بالقائد عز الدولة وسنانها أبي الفوارس معضاد الظاهري، ثم حُمل

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢٧.

(٢) غين: كان غلاما من خدم الحاكم، قربه اليه الحاكم، وعينه قائدا، ثم نقم عليه، فقطع يده اليمنى، وأعقب ذلك بالزيادة في عطاياه والانعام عليه. توفي سنة (٤٠٤هـ/١٠١٣م). انظر الانطاكي، **تاريخ**، ص٣٠٩-٣١١، حسن الباشا، (١٩٥٦م) طبق من الخزف باسم (غين) مولى الحاكم بأمر الله، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٨، ص٨٤.

(٣) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٣٠٩.

(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨١.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٢.

(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٠.

(١٠) معضاد: خادم أسود، ترقى في خدمة الظاهر حتى **أصبح** قائداً. انظر المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢٤-٢٧.

بعد قراءته " على أربعة من الخيل ... وعليه سيف ذهب مقلد به، وخرج وسائر القواد، والناس معه إلى داره، وكان يوماً حسناًعظيماً " [١].

ولقب العزيز القائد الحسين بن جوهر – ابن القائد جوهر- " بالقائد ابن القائد" [٢] ولُقب القائد منصور البَكجوري [٣] " بمخلص الدولة" [٤].

لقد تمتع القادة بالثروات الطائلة؛ لضخامة ايراداتهم من اقطاعاتهم[٥]، وبفعل أعطيات الخلفاء لهم[٦]، الذين كانوا بحاجة إلى صدق ولائهم، واستمرارهم على الارتباط بهم.

ويمكن أن تدرك ضخامة ثروة جوهر الصقلبي من خلال هداياه، فقد اهدى المعز هدية ثمينة اشتملت على " مائة وخمسين فرساً، منها مذهب، ومنها مرصع، ومنها بعنبر وتسع نوق مزينة، وثلاثة وثلاثون بغلاً، وتسعون نجيباً، وأربعة صناديق وفيها أواني الذهب والفضة، ومائة سيف محلى بالذهب والفضة[٧].

وكان ثراء الحسين بن جوهر كبيراً، فقد ظهر له بعد وفاته مال عظيم[٨]. وكان القائد منصور البَكجوري " ذا يسار عظيم، يقال ان ماله يشتمل على ستين الف دينار "[٩].

الكتاب (رؤساء الدواوين): -

ان ثقافة الكتاب ودرايتهم في الأمور السلطانية[١٠]؛ فضلاً عن تدبيرهم لشؤون دواوين الدولة[١١]، جعلهم يكسبون مكانة رفيعة في المحيط الاجتماعي، فقد وصل الكثير منهم الى منصب الوزارة[١٢]، ووصفهم الجهشياري (ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) بأنهم " نظام الأمور، وكمال الملك، وبهاء السلطان، وهم الالسنة الناطقة عن الملوك، وخزان أموالهم، وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم"[١٣]. ووصفهم ابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م) : " برؤساء الدولة"[١٤].

---

(١) **أخبار**، ج٤٠، ص٢٤-٢٧.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٥.
(٣) منصور البَكجوري : كان من وجوه القواد الحمدانية الواردين من دمشق، توفي عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م)، ودفن في مقابر القاهرة. انظر المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ج٤٠، ص١٠٤.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص١٠٩، ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٣، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٦٨.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٨٩، ٣٠٥، ٣٧٦، ج٢،ص٢٦١.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٤.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٣.
(٩) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٠٤.
(١٠) ابن المدبر، الرسالة، ص٣٦.
(١١) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٤-٨١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٢٢- ٣٢٥.
(١٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٤٣.
(١٣) الوزراء، ص٢٠٤.
(١٤) **الإشارة**، ص٣٠.

وقد أشار ساويرس بن المقفع إلى جاه وسلطة الكتاب في قوله" لما صار جميع مقــدمي المملكــة والناظرين في دواوينها وتدبيرها كلهم نصارى، وهم المــلاك النافــذ أمــرهم..." [١]. وقــد أفــاض المؤرخون في الحديث عن التشريف الذي كان يجده هؤلاء الكتاب، فذكر ابن الطوير أنهــم حظــوا بمصاحبة الخلفاء في المواكب الاجتماعية، ففي تلك المواكب كــان " يُخــرج .. لأربــاب الــدواوين المرتبين في الخِدَم على مقاديرهم مركبات.. من الحلي .. ما يقرب عدته من ثلاثمائة مركــب علــى خيل وبغلات" [٢].

كما حظي الكتاب بشرف الدخول على الخليفة مع كبار رجال الدولة؛ لتهنئتــه بعيــد النحــر[٣]. وكانوا يحصلون في احتفالات الدولة على أصناف الأطعمة[٤]، فضلاً عن الكسوات[٥]. فكان نصيب ابن ابي اسامة [٦] من كسوة عيد الفطر، بدلة مذهبة عدتها خمس قطع[٧]، كما أعطي لأبي البركــات يوحنا بن أبي الليث[٨] في هذه المناسبة- ايضا- بدلة مذهبة عدتها خمس قطع[٩].

لقد بلغ متولي ديوان الانشاء من الرفعة وعظم المنزلة مبلغاً عظيمــاً، وهــذا مــا أشــار اليــه القلقشندي في قوله: " فرفعة محله (أي متولي ديوان الانشاء) وشرف قدره، فأرفع محــل وأشــرف قدر، يكاد ان لا يكون عند الملك أخص منه، ولا ألزم لمجالسته" [١٠]. كما أشار المقريزي إلى منزلــة متولي ديوان الانشاء في قوله:" وربما بات (أي متولي ديوان الانشاء) عنــد الخليفــة ليــال ... ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه بالقصر، ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص، وله حاجــب مــن الامــراء والشيوخ، وفراشون" [١١].

وروى المقريزي ما يدل على سمو مكانة صاحب ديوان الانشاء عند الخليفة، فقال: أن الخليفــة الآمر أمر بإحضار أبي الحسن بن أبي أسامة، لينشىء سجلاً للدولة، فوجد أبــا الحــسن بالفــسطاط، فتقدم إلى والي القاهرة بأن يمضي إلى مصر لاحضاره، فظن والي القاهرة أنه طُلــب لغيــر ذلــك،

---

(١) **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٨١٨.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٣.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١١.
(٤) المصدر نفسه، مج ٢، ص٥٩٩.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٦٩.
(٦) ابن أبي أسامة: أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن، حلبي الأصل، مصري الدار، صاحب **ديوان** الانــشاء في أيام الخليفة الآمر. توفي سنة (٥٢٢هـــ/١١٢٨م) انظر ابن ميسر، **أخبار** ص٩٠.
(٧) ان المأمون، **أخبار**، ص٥٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٤.
(٨) أبو البركات يوحنا أبي الليث النصراني: صاحب ديون المجلس، ظل يليــه الــى ان صــرف عنــه ســنة (٥٢٧هـــ/١١٣٢م)، توفي مقتولا في سنة (٥٢٨هـــ/١١٣٣م). انظــر ابــن ميــسر، **أخبــار**، ص٧٧، ١٠٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣٦.
(٩) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٥.
(١٠) **صبح**، ج٣، ص٣٠٠.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٣٦.

فمضى اليه وسبه، ولما علم الآمر بصنيع الوالي أمر بخلع اخفافه من رجليه، وصفعه بهما، وصـــرفه عن الولاية [١].

ووصف ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، منزلة ابي الفتح بن قادوس[٢] بقولـــه: "كـــان مـــن أماثل المصريين وكتابهم مقدماً عند ملوكهم" [٣]. وقد كان ابن قادوس مبجلاً عند طلائع بن رزيـــك، فعندما توفي حزن عليه طلائع كثيراً، وقدم من القاهرة الى مصر للصلاة عليه، وسار في جنازته[٤].

وكان متولي ديوان المجلس جليل القدر، فكان يخلع عليه، وله الحاجب[٥]. وكانت لمتـــولي ديوان التحقيق المنزلة العالية، فكانت له الخلع والحاجب[٦] . وكانت لصاحب ديوان الجيش مكانة مميزة ؛ فكانت " له مرتبة على غيره؛ لجلوسه بين يدي الخليفة داخل عتبة بـــاب المجلـــس ... وبين يديه الحاجب"[٧].

وكانت لابن العميدي - الذي كان يتولى ديوان الرواتب حتى عـــام (٤١٣هـــــ/١٠٢٢م)، ثـــم ديوان الانشاء في عام (٤٣٣هـ/١٠٤٢م) - مكانة متميزة عند الخليفة الظاهر، ويشهد لذلك أنه لمـــا عرضت وظيفة " الحسبة " عليه رفض أن يقبلها – وعلى ما يبدو رأى في ذلك إخـــلالا بمكانتـــه – وقال " كنت بالامس جليس أمير المؤمنين (أي الظاهر) وصاحب خريطته أصير اليوم محتـــسباً، لـــم أكن لأفعل"[٨]

وقد منح الخلفاء الفاطميون رؤساء الدواوين الألقاب التي تضفي عليهم مظاهر الاجلال والهيبـــة، تكريما وتقديرا لهم. فقد لقب رئيس ديوان الانشاء بكاتب الدست الشريف[٩] كمـــا لقـــب بالأجـــل[١٠]، ولقب أبو محمد بن محمد الزيدي الحسيني [١١] "بسناء الملك" [١٢]، ولقب أبو الحسن بن أبي أسامة

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٧.
(٢) ابو الفتح بن قادوس: متولي **ديوان** الانشاء في بلاط الحافظ، توفي سنة (٥٥٣هـ/١١٠٨م) انظر ابن ميسر، **أخبار**، ص١٥٧.
(٣) **أخبار**، ص٩٧.
(٤) العماد الاصفهاني، خريدة، ج١، ص٢٢٦-٢٣٤.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٢٢.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨١-٨٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ٣٣٢.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٣٣.
(٨) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٤.
(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٣٦.
(١٠) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٣٦، النعيمـــات، محمـــد، (٢٠٠٦). ابـــن الصيرفي كاتباً، رساله ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص١١.
(١١) أبو محمد بن محمد الزيدي الحسيني: كان وافر الفـــضل، جيـــد الـــشعر، لـــه التـــصانيف المفيـــدة فـــي ال**تاريخ**والأدب، تولى **ديوان** الانشاء في عهد الخليفة الآمر، توفي سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، انظر المقريـــزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٧، ٢٥٧- ٢٥٨.
(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٧.

" بالشيخ الأجل". [١]، ولقب ابو الفضل صاعد بن مسعود [٢] " بعميد الملك زين الكفاة"[٣].

لقد تمتع الكتاب بالثروات الطائلة، وهذا ما أشار اليه ساويرس بن المقفع في قوله: " لما صار جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها وتدبيرها كلهم نصارى، وهم الملاك النافذ أمرهم طغوا وعتوا وبذخوا... بديار مصر.. وصار أكثر اهتمامهم بالتجمل والتفاخر " [٤].

ويمكن أن يعزى ثراء الكتاب إلى ما كانوا يحصلون عليه من رواتب[٥]، فضلا عن منح وأعطيات الخلفاء لهم [٦]، وتسلط بعضهم على أموال الناس[٧]. والشواهد على ثراء الكتاب كثيرة، فكان صاحب ديوان الانشاء يتمتع بالثروات الطائلة؛ " فكان جاريه مائة وعشرين ديناراً في الشهر، وهو أول أرباب الاقطاعات، وأرباب الكسوة والرسوم" [٨].

ووصل رزق ابن خيران[٩] ثلاثة آلاف دينار في السنة، وكان له من كل ما يكتبه من السجلات والعهودات، وكتب التقليدات رسوم يستوفيها [١٠].

وقد كان ابي الحسن بن العداس - متولي ديوان الخراج عام (٣٨١هـ/٩٩١م) - واسع الثراء، فقد حدث أن الخراج اضطرب على يديه، فأمر الخليفة العزيز بمطالبته بعدما حوسب على ذلك، فضمن الخسارة [١١]، مما يدل على امتلاكه الثروات الطائلة.

وامتلك أبو البركات بن أبي الليث – متولي ديوان المجلس- الأموال الطائلة، حيث كان له يومياً ادراراً من بيت المال والخزائن والمطابخ السلطانية [١٢].

وقد تمتع أبو نجاح بن قنا[١٣] بالثروات الطائلة إذ قيل أنه " صادر ... عامة من بالديار المصرية من كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر، وامتدت يده إلى الناس على اختلاف طبقاتهم"[١٤].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٧.
(٢) أبو الفضل صاعد بن مسعود: متولي **ديوان** الشام حتى عام (٤٤١هـ/١٠٤٩م). انظر ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٩.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٩.
(٤) **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٨١٨.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص ٨٤-٨٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٣٦.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٢٨-٣٢٩.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢١.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٣٦.
(٩) ابن خيران: وليَّ الدولة أبو محمد أحمد بن علي بن أحمد. تولى **ديوان** الانشاء بعد أبيه للخليفة الظاهر سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م). انظر المسبحي، **أخبار** ج٤٠، ص٣١، ٤٤-٤٦.
(١٠) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص٥.
(١١) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٢٤
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٢٨.
(١٣) أبو نجاح بن قنا: خدم في أول أمره أبا البركات بن يحيى بن أبي الليث متولي **ديوان** المجلس، ثم اتصل بالخليفة الآمر، وبذل له في مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار، فاسترسل أذاه، وأطلقت يده في مصادرات الناس جميعاً، وضجوا بالشكوى منه، فأمر الآمر بقتله، فقتله والي مصر عام (٥٢٣هـ/١١٢٨م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج٥، ص٢٩٩-٢٣٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٣.
(١٤) ابن النقاش، المذمة، ص٩١.

وكان مبلغ ترف أبي نجاح بن قنا كبيراً " فكان يركب الحُمر المحلاة بالذهب والفضة"[١]. وقد تعجب المقريزي من ترف أبي نجاح بن قنا، فقال: " ولما قتل (أي نجاح بن قنا) وُجد له في مقطع ثلاثمائة طراحة[٢] سامان محشوة جدداً لم تستعمل، قد رُصَّت إلى قرب السقف، وهذا من نوع واحد، فكيف ما عداه!" [٣].

وكان ابو المليح زكريا بن مينا المعروف بمماتي[٤] واسع الثراء، فكان يخرج من بيته اثناء الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـ/ ١٠٦٥-١٠٧٢م) ما يسد حاجة الأطفال المسلمين، وينقذهم من الموت[٥].

وامتلك الأخرم بن أبي زكريا النصراني[٦]، وحاشيته من الكتاب النصارى الأموال الوفيرة، حيث ضايقوا المسلمين في أرزاقهم، واستولوا على الأوقاف الشرعية[٧]، وعاشوا حياة مترفة، فبالغوا في إظهار الفخر، وتظاهروا بالملابس الفخمة، وركبوا البغلات الرائعة، والخيول الموسومة بالسروج المحلاة باللجم [٨]الثقيلة[٩].

٥- القضاة:-

لقد حظي القضاة بنفوذ كبير في المجتمع الفاطمي؛ لكونهم يتمتعون بسند ديني، ويعتبرون ممثلين للشرع[١٠]. فكان قاضي القضاة[١١]، أعظم زعيم ديني في الدولة، ورتبته أجل رتب أرباب الوظائف الدينية[١٢]، وأرباب الاقلام[١٣].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٢.
(٢) الطراحة: مرتبة يفترشها السلطان للجلوس، انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٧٥-٧٦.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٣.
(٤) ابن مماتي: الخطير أبي سعيد مهذب أبي مليح، عمل كاتباً ل**ديوان** الجيش بمصر في أواخر أيام الفاطميين وأول أيام بني أيوب مدة. توفي سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م) انظر ابن خلكان، وفيات، مج١، ص٢١٢-٢١٣، المقريزي، **المقفى**، ج٢، ص٨٣.
(٥) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢١٣.
(٦) الأخرم بن أبي زكريا النصراني: تولى نظر الدّواوين في مدة وزارة بهرام الأرمني (٥٢٩-٥٣١هـ/ ١١٣٤-١١٣٦م)، ثم صرفه رضوان بن ولخشي في سنة (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م). بالمرتضى أبي عبد الله محمد بن الحسن الطرابلسي المحنك، إلى أن أعاده الخليفة الحافظ في سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م) بعد عزل رضوان، وظل إلى أن نقم عليه وقتله بعد ذلك بيسير. انظر النابلسي: تجريد سيف الهمة، ١٤٢-١٤٣.
(٧) المصدر نفسه، ص١٤٢-١٤٣.
(٨) اللجم: الحديد في فم الفرس. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص١١٦٠.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص١٢١-١٢٢.
(١٠) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٣.
(١١) قاضي القضاة: هو الذي يعين سائر قضاة الانحاء. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٧، ابن حجر، **رفع**، ص٢٨٣.
(١٢) أرباب الوظائف الدينية: هم قاضي القضاة وداعي الدعاة والمحتسب، ومتولي وكالة بيت المال، والقراء. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص١٨٣.
(١٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٤٠.

وتجلى جاه القضاة في شغلهم المناصب العليا في الدولة مع احتفاظهم بمناصبهم القضائية، ففي كثير من الأحيان كانت تضاف الدعوة إلى مهام قاضي القضاة[١]، وتولى في كثير من الأحيان قاضي القضاة مهام داعي الدعاة ومهام الوزارة معاً[٢].

كما شارك القضاة في الأحداث السياسية، فكان قاضي القضاة يتدخل في أمر المبايعة لولي العهد، والمبايعة للخليفة الفاطمي الجديد، فعندما بويع الأمير العزيز بولاية العهد في سنة (٣٦٥هـ/٩٧٥م) دخل عليه القاضي أبو طاهر الذهلي[٣] ومعه جماعة من الشهود والفقهاء، فسلموا عليه بولاية العهد[٤]، وتمت المبايعة للحاكم بالخلافة بحضور قاضي القضاة محمد بن النعمان[٥]، وبعد وفاة الظاهر في سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٥م) بويع لابنه المستنصر بالخلافة، فجلس قاضي القضاة عبد الحاكم بن سعيد الفارقي[٦] " يحلف الناس للمستنصر بالله[٧] بمبايعته بالخلافة[٨].

وقد أفاض المؤرخون في الحديث عن التشريف الذي كان يجده هؤلاء القضاة. فورد أن أهل الدولة كانوا يمشون في ركاب القاضي[٩]، والخلفاء يعظمونه، فيجلسونه معهم على المنابر في الأعياد احتراماً واجلالاً[١٠]. وكان الخلفاء الفاطميون يقدمون لقضاتهم في المناسبات المختلفة الأموال والهدايا، والخلع المذهبة [١١].

وقد تجلت مكانة القضاة في الاحتفالات التي كانت تصاحب توليتهم القضاء، التي بلغت حد الروعة والفخامة، للتعبير عن مكانة القاضي والصلاحيات الممنوحة له. فكان القاضي الذي يقع عليه

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٤٠. حول القضاة الذين أسند اليهم منصب داعي الدعاة انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣١٤، ٣٥٥، ٣٦٩، ابن حجر، **رفع**، ص١٤١، هاينزهالم، الفاطميون، ص ٧٥-٧٦.

(٢) حول القضاة الذين أسندت اليهم مهام الوزارة، انظر: ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٤٠-٤١، ابن ميسر، **أخبار**، ص١١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٦٢، ابن حجر، **رفع**، ص٥٨، ٦١.

(٣) ابو طاهر الذهلي: تولى القضاء بمصر سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م) ، وبقي في هذه الوظيفة حتى أصيب بمرض الفالج سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م) فاستعفي من القضاء قبل وفاته سنة (٣١٧هـ/٩٧٧م). انظر المقريزي، **المقفى**، ج٥، ص١٨٩-١٩٩، ابن حجر، **رفع**، ص٣٥٢-٣٣٠.

(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٥) المقريزي، **المقفى**، ج٥، ص٨٧. محمد بن النعمان: منصور بن حيون ابو عبد الله المغربي القيرواني: ولد في المغرب سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م). وقدم القاهرة بصحبة المعز، وكان ينوب عن أخيه علي بن النعمان في القضاء، وبعد وفاة أخيه علي قلده العزيز وظيفة القضاء في سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م). ولما توفي العزيز وخلفه ابنه الحاكم أقر ابن حيون على القضاء. وتوفي سنة (٣٨٩هـ/٩٩٩م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٠٧-٢٠٨، المقريزي، **المقفى**، ج٧، ص٣٤٧-٣٥٣، ابن حجر، **رفع**، ص٤٢٢- ٤٢٦.

(٦) عبد الحاكم بن سعيد الفارقي: تولى القضاء سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م)، فاستمر به إلى أن صرف عنه في سنة (٤٢٧هـ/١٠٣٦م). توفي سنة (٤٣٥هـ/١٠٤٣م). انظر الكندي، الولاة، ص٤٩٧ – ٥٠٠، ٦١٤، ابن حجر، **رفع**، ص٢٠٨.

(٧) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص١١٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٢٨، ص١٢٣.

(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٤.

(١٠) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٣٤.

(١١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٤، ابن حجر، **رفع**، ص٤٨٦.

اختيار الخليفة يستدعى إلى القصر، حيث يقيم الخليفة، فيصدر له سجل (مرسوم) بتعينه، ويخلع عليه، ويحمل على بغلة إلى الجامع – الأزهر أو جامع عمرو بن العاص- في حفل يشترك فيه الأعيان والشهود والفقهاء، وفي المسجد يقرأ سجل تعينه[١]، وبذا يتم تنصيبه في القضاء.

ولما كان القضاة رمز العدالة، فقد اسبغ عليهم الخلفاء الفاطميون مظاهر العظمة والجلال، فحرصوا على توفير الأسباب المؤدية إلى صون كرامتهم في مجالسهم، اذ ألزم القاضي اذا جلس بمجلس الحكم الا يقوم لأحد[٢]، كما " مُنع أن يقضي وهو راكب أو ماش"[٣]. وألزم الخصوم باحترام مجلس القاضي، فذكر ابن حجر (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) أنه في سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٤م) زل لسان أحد الخصوم في حق القاضي " الحسين بن النعمان" [٤]، فأمر الوالي بضربه [٥].

وكان القاضي إذا انتهى من قضاياه، وانفض المجلس انصرف إلى داره بهيئة جميلة، اذ يركب عائدا ومعه الشهود والأمناء والتجار، ويكون الجمع وافراً[٦].

وكان من القضاة من ينزل منزلة خاصة لدى الخلفاء، مثل القاضي محمد بن النعمان " فعلت منزلته حتى جاز حد القضاة"[٧]؛ " لما فيه من العلم والصيانة .. وإقامة الحق والهيبة" [٨]. ولعل ذلك يدل على أن ماتمتع به القضاة من مكانة اجتماعية، إنما جاء بفضل علمهم وثقافتهم في أمور الدين التي يستمدون منها أحكامهم.

وقد تجلت منزلة محمد بن النعمان عند الخليفة المعز عند وفاته، فعندما توفي خرج المعز والحزن ظاهراً عليه، وصلى عليه، واضجعه في التابوت بنفسه[٩]. وكان القاضي محمد بن النعمان موضع تقدير من الخليفة العزيز، الذي كان يُجلسه معه على المنبر في أيام الجمع والأعياد[١٠]. وعندما اشتدت وطأة المرض على الخليفة العزيز استدعى محمد بن النعمان، واستشاره في تولية ابنه المنصور أبي علي الحاكم، وأوصاه به[١١].

---

(١) الكندي، الولاة، ص٦١١، ابن حجر، **رفع**، ص٧٣.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٤، **المواعظ**، مج٢، ص٣٤١.
(٣) القاضي النعمان، دعائم، ص١٧٩.
(٤) الحسين بن النعمان المغربي: ولد في المغرب سنة (٣٥٥هـ/٩٦٣م). وقدم مع أبيه وجده إلى القاهرة وهو صغير، استخلفه عمه قاضي القضاة محمد بن النعمان للحكم بين الناس، فولاه الحاكم القضاء بعد وفاة عمه محمد في سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م). عزل عن القضاء في السنة التي توفي فيها سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢١٠، ابن حجر، **رفع**، ص١٣٩-١٤٣.
(٥) ابن حجر، **رفع**، ص١٨٨.
(٦) المصدر نفسه، ص١٢٩.
(٧) المقريزي، **المقفى**، ج٧، ص٣٥١، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٧.
(٨) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٠٩، ابن حجر، **رفع**، ص٤٢٤، ابن العماد، شذرات، ج٣، ص٢٦٢.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٨، السيوطي، حسن، ج٢، ص١٤١-١٤٢.
(١٠) الذهبي، **العبر**، ج٢، ص١٧٨، السيوطي، حسن، ج٢، ص١٤١-١٤٢.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣١٨.

وحظي القاضي أبو الحسن بن النعمان[١] عند الخليفة العزيز، فكان يجالسه ويؤاكله، ويسايره[٢]، وكان قاضي القضاة الحسين بن النعمان مقرباً من الحاكم، ملازما له، وكان القاضي عبد العزيز بن محمد بن النعمان[٣] أثيراً عند الحاكم، فكان يُصعده معه المنبر في أيام الجمع والأعياد[٤].

واختص القاضي أبو العباس أحمد بن أبي العوام[٥] بالخليفة الحاكم، فكان لا يغيب عن الحاكم، ويسايره[٦]. وكان القاضي أبو العباس أحمد بن أبي العوام مبجلاً عند الخليفة الظاهر، فعندما توفي صلى عليه الظاهر، وأضجعه في التابوت بنفسه[٧] .

وعظمت مكانة القاضي أبي محمد الحسن اليازوري، حتى أمرته أم الخليفة المستنصر الا يقوم لأحد كائناً من كان، واصبح الخليفة المستنصر لا يقطع أمراً دونه، ولا يخاطب الوزير الا على لسانه[٨]. وكان القاضي يونس بن محمد القرشي جليل القدر " فكان من الأعيان النزهين الأنفس، العظيمين القدر"[٩].

لقد عاش القضاة في منتدى من السعة والازدهار، فقد اهتم بهم الخلفاء وأكرموهم غاية الاكرام؛ لكي يضمنوا عدم مد أيديهم إلى أموال الناس، وبالتالي نزاهة القضاء. فذكر الرحالة ناصر خسرو - الذي زار مصر بين سنتي (٤٣٩هـ/١٠٤٧م – ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) – أن مرتب قضاة القضاة في مصر كان ضخماً، حيث بلغ الفي دينار في الشهر " حتى لا يطمع القضاة في أموال الناس أو يظلمونهم"[١٠].

---

(١) أبو الحسن علي بن النعمان المغربي، ولد في القيروان سنة (٣٢٨هـ/٩٤٠م)، وقدم مصر مع والده بصحبة المعز لدين الله، فأشركه المعز في قضاء مصر مع القاضي أبا طاهر الذهلي، وعندما تعرض الذهلي لمرض عطله، قلده العزيز وظيفة القضاء في صفر سنة (٣٦٦هـ/٩٧٦م)، واستمر في منصب القضاء حتى وفاته في رجب سنة (٣٧٤هـ/٩٨٤م). انظر القضاعي، الإنباء، ص٣٦٣، ٣٦٧، ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٢٠٧-٢٠٨، محاسنة، محمد حسين، (٢٠٠٤م). القضاء في مصر في خلافة الحاكم بأمر الله، مجلة جامعة مؤتة، م١٩، ص١٥٦.

(٢) الكندي، الولاة، ص٥٩٠.

(٣) عبد العزيز بن محمد النعمان بن حيون: أصله من القيروان، نشأ بمصر وولي القضاء سنة (٣٩٤هـ/١٠٠٤م) وعظمت مكانته عند الحاكم، ثم عزله سنة (٣٩٩هـ/١٠٠٩م)، وقتله غيلة. انظر ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٦٩، الزركلي، الاعلام، ج٤، ص٢٥.

(٤) ابن حجر، **رفع**، ص٢٤٧.

(٥) ابو العباس أحمد بن أبي العوام: ولي القضاء في أيام الحاكم سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م)، ثبت في القضاء إلى أن توفي سنة (٤١٨هـ/١٠٢٧م). انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٣، ابن حجر، **رفع**، ص٧١-٧٥.

(٦) المقريزي، **المقفى**، ج١، ص٦٠٥.

(٧) الكندي، الولاة، ص٦١١، ابن حجر، **رفع**، ص٧٣.

(٨) ابن حجر، **رفع**، ص١٩٩.

(٩) المصدر نفسه، ص١٩٩.

(١٠) **سفرنامة**، ص١٢٥.

إن ضخامة رواتب القضاة كانت دافعاً لميل البعض الى الاشتغال بالقضاء، فالقاضي " مجلي بن جُميع [١] يعلن انه ما أدخله القضاء الا حاجته إلى راتبه، لأن ظروفه المادية كانت قاسية، إذ يذكر واصفاً حاله: " والله لم أدخل في الحكم (القضاء) الا للضرورة، وقد بعد عهد أهلي باللحم، فأخذت لهم منه، فما هو الا أن وضعوا أيديهم مرة ثم لم يضعوها ثانية"[٢].

والشواهد على ثراء القضاة كثيرة، فقد كان القاضي محمد بن النعمان واسع الثراء، عاش مترفاً في حياته، فكان شديد التأنق " والاستعمال للطيب والبخور في مجلسه، وان أعْطَى أعطى كثيراً وافراً"[٣].

وكان الحسين بن علي واسع الثراء؛ بفضل الاقطاعات والصلات العظيمة التي منحها له الحاكم[٤]. وامتلك القاضي أبو العباس أحمد بن ابي العوام الاقطاعات الواسعة[٥].

وعاش القاضي محمد بن هبة الله بن ميسر القيسراني[٦] عيشة ناعمة، فكان " كريماً، جواداً، سخياً، وكان له نعمة وهمة، وكان يعمل للناس الأطعمة والسماطات المختلفة، والحلوى الكثيرة.."[٧]

ولقد عظمت ثروة مالك بن سعيد الفارقي، فأقطع الدور المفروشة بأفخم الأثاث، والضياع العديدة الواسعة[٨]. وقيل انه كان يتصدق على الفقراء بالرباعيات الذهب[٩].

واهتم الفاطميون بتأمين الحياة الكريمة لقضاتهم حتى بعد عزلهم من وظيفة القضاء، فيذكر ابن حجر أنه: " إذا عزل (اي القاضي) بسبب من الأسباب يقرر له .. مال.. في الشهر عشرة دنانير وما يكفيه وعياله من القمح في كل سنة"[١٠]. ويصدق ذلك على القاضي مسلم بن علي ابي الفتح الرسعني[١١] فعندما صرف عن القضاء عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) قدر له راتب في كل شهر[١٢].

---

(١) مجلي بن جُميع القرشي: تولى القضاء سنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م)، عزله الصالح طلائع بن رزيك في شعبان عام (٥٤٩هـ/١١٥٤م)، ثم عاد وتولى القضاء، وثبت به إلى ان توفي سنة (٥٥٠هـ/١١٥٥م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٠٨-٣٠٩، الأسنوي، طبقات، ج١، ص٢٤٧-٢٤٨، ابن حجر، **رفع** ص٣٢٢-٣٢٣.
(٢) الاسنوي، طبقات، ج١، ص٢٧٨.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٧.
(٤) الكندي، الولاة، ص٥٩٧، ابن سعيد، **النجوم**، ص٧١.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٤، ابن حجر، **رفع**، ص٧٤.
(٦) محمد بن هبة الله بن ميسر القيسراني: تولى القضاء بمصر في سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م)، واستمر ينظر بمهام القضاء إلى خلافة الحافظ، الذي عزله سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م)، ثم أعيد سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م)، فاستمر إلى أن عزل في سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) عن شؤون القضاء، ثم نفي إلى تنيس، فلما وصل اليها قتل بها. انظر المقريزي، **المقفى**، ج٧، ص٣٩٨-٤٠١، ابن حجر، **رفع**، ص٤٢٦.
(٧) المقريزي، **المقفى**، ج٧، ص٤٠٠.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٢.
(٩) ابن حجر، **رفع**، ص٣١٨.
(١٠) المصدر نفسه، ص٤٨٦-٤٨٧.
(١١) مسلم بن علي ابو الفتح الرسعني: تولى القضاء في سنة (٥١٣هـ/١١٠٩م) واستمر عليه حتى صرف عنه سنة (٥١٦هـ/١١٢٢م). انظر ابن حجر، **رفع**، ص٤٣٥-٤٣٦، السيوطي، حسن، ج٢، ص١٤٥.
(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٠٣.

٦ - الدعاة: -

ان المعلومات حول أوضاع الدعاة الاجتماعية ضئيلة، ويرجع ذلك إلى تركيز المؤرخين على دور الدعاة في نشر المذهب الاسماعيلي، وعدم اهتمامهم بذكر أحوالهم الاجتماعية. ولكن يبدو أنهم تمتعوا بمنزلة رفيعة في المجتمع، لأنهم كانوا أحد دعائم المذهب الاسماعيلي[١]. فقد احتلوا مكانة عالية بين أرباب الوظائف في الدولة، فكانت منزلة داعي الدعاة[٢]، قريبة من منزلة قاضي القضاة، فكان " يلي قاضي القضاة في الرتبة، ويتزيا بزيه في اللباس"[٣].

وقد تجلت مكانة داعي الدعاة في الاحتفال الذي كان يصاحب توليته الدعوة، الذي بلغ حد الفخامة، للتعبير عن مكانة الداعي والصلاحيات الممنوحة له، فكان الداعي الذي يقع عليه اختيار الخليفة يسير في موكب حافل، يتخلله الطبل والبوق [٤]والبنود[٥] الخاص[٦].

ومما يدل على قوة مركز الدعاة، تدخلهم أحياناً في الأحداث السياسية، فعندما بلغهم موت المستنصر اختلفوا فيمن يبايعونه من بعده، فدعا بركات – وهو أمين الدعاة [٧]- لعبد الله بن المستنصر ، ونعته بالموفق، مما أثار حنق الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، فقبض عليه وقتله[٨]. وإن عزم الظاهر – عام (٤٢٣هـ/١٠٣٣م)- على قتل دُعاته[٩] ربما كان؛ لما لمسه لديهم من توجه في التدخل في سياسة الدولة.

وقد كانت للدعاة الحظوة في المجتمع، فقد حظوا بشرف مصاحبة الخليفة في مواكبه المختلفة مع كبار موظفي الدولة[١٠]، وحظوا بحضور مجلس الخليفة مع كبار رجال الدولة، للاحتفال بذكرى مقتل الحسين[١١]، وحظوا بالدخول على الوزير المأمون " وشرفهم بجلوسهم معه" [١٢]. وكانوا يحصلون في احتفالات الدولة على أصناف الأطعمة[١٣]، وتخلع عليهم في المواسم الخلع المذهبة[١٤].

---

(١) حول جهود الدعاة في نشر المذهب الاسماعيلي، انظر القاضي النعمان، ال**مجالس**، ص٢٥-٨٠، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٣٠٨-٣٢٠.
(٢) داعي الدعاة: هو الذي يشرف على الدعوة الاسماعيلية، وكان يُعد ويُلقي **مجالس** الدعوة الاسماعيلية في القصر الفاطمي، ويأخذ العهد على من يعتنق المذهب الاسماعيلي، وبين يديه من نقباء المؤمنين إثنا عشر نقيباً، وله نواب في سائر البلاد. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٠-١١٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٥-٣٠٨.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٥.
(٤) البوق: شيء ينفخ فيه ويزمر، فيعلو صوته، فيعلم المراد به. انظر ابن منظور، لسان، ج١، ص٥٥٣.
(٥) البنود: الاعلام الكبيرة. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص١٧٨.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٤، ابن حجر، **رفع**، ص٤٨٦.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٥٣.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٣.
(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣.
(١٠) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٥، ٢١٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٨٥.
(١١) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٥، ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢٣-٢٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤١٩.
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٨٤.
(١٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢١٧.
(١٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٢، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٤١.

وقد كانت للدعاة المنزلة العالية عند الخليفة المعز، فعندما وصل إلى القاهرة سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م)، وزع على " الأصحاب والحواشي الهبات العين" [١]، " وتميز في ذلك اليوم (أي يوم وصول المعز للقاهرة) خاصة ما يختص بالقاضي وشهوده، والداعي الذين يختصون عن سواهم بمقامهم.. أمام سرير الخلافة المنصوب مدة النهار "[٢].

وقد كانت للدعاة المنزلة المكينة عند الخليفة الآمر، فعندما توفي الوزير الأفضل عام (٥١٥هـ/١١٢٢م) أمر الخليفة صاحب الباب بإحضار القاضي والداعي والامراء؛ لمشاورتهم في مراسيم دفن وتكفين الوزير[٣]، وأمر الخليفة داعي الدعاة بغسل وتكفين الأفضل ، وعقب انتهائه من ذلك أخرج له " بذلتان، مذهبة، وحرير ... ودفع للداعي ألف دينار "[٤].

وقد كان الداعي أبو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل[٥] مبجلاً عند الخليفة الآمر، وملازماً له، ويجالسه[٦]؛ ولفرط ثقة الآمر به، كان يرسله إلى الولايات – التابعة للفاطميين – في مهام سياسية[٧].

لقد حظي الدعاة باحترام وتقدير الرعية، نظراً لعلو منزلتهم في الدين[٨]. وقد روى المقريزي ما يدل على اجلال الرعية للدعاة، فذكر انه عندما عزم الظاهر على قتل دُعاته عام (٤٢٣هـ/١٠٣٣م) " اضطربت الرعية، وكثير من الجند لذلك"[٩]. ويبدو أن ثورة الرعية ضد الظاهر كانت من الشدة، حتى أن المقريزي يعزو انتهاء هذه الثورة إلى ما أنفقه الخليفة من أموال في استرضاء الرعية[١٠].

وكان المؤمنون بالدعوة الاسماعيلية يسارعون بتقبيل يدي الداعي عقب فراغه من القاء دروس الدعوة الاسماعيلية عليهم[١١] ، ويعد ذلك انعكاساً لاحترام المؤمنين بالدعوة للداعي.

٧- **المحتسب:**

الحسبة منصب ديني أساسه الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٠.
(٢) القاضي النعمان، ال**مجالس**، ص١١٤.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٢.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٣.
(٥) أبو الفتح عبد الجبار بن اسماعيل بن عبد القوي: من بقايا أنصار الفاطميين بمصر بعد ذهاب دولتهم، اتفق مع جماعة من الاسماعيلية وغيرهم على اغتيال السلطان صلاح الدين الايوبي، وعلم السلطان بخبرهم، فأحاط بهم، وشنقهم في أماكن متفرقة بالقاهرة، وعبد الجبار في جملتهم، وذلك سنة (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م). انظر المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٣.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٧٢.
(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٢.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٥.
(٩) **اتعاظ**، ج٢، ص٤٣.
(١٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٣.
(١١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٦.

فعله[١]. ان المعلومات حول أوضاع المحتسب الاجتماعية شحيحة، ويرجع ذلك إلى تركيز المؤرخين على مهام المحتسب[٢]، وعدم اهتمامهم بذكر أحواله الاجتماعية.

ويمكن القول أن المحتسب تبوأ مكانة مرموقة في المجتمع بصفته ممثلا للشرع، وقد تجلت مكانة المحتسب في الرسوم الفخمة التي كانت تصحب توليته منصبه، فكان يخلع عليه عند توليته " جبة مثقلة، ومنديل ذهب، ويحمل بين يديه ثياب كثيرة، ويقلد بسيف"[٣]، ويقرأ سجل تعينه بالمساجد بمصر والقاهرة[٤].

وقد تمتع المحتسب بمركز قوي، فكان له الجلوس بجامعي القاهرة ومصر يوماً بعد يوم [٥] وكان له مساعدون ونواب، وأعوان وغلمان، يتقوى بهم على المخالفين[٦].

لقد بلغ المحتسب من القوة والحصانة شأناً عظيماً، فكان " لا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها"[٧]، وكان يتشدد في صلاحياته إلى درجة أثارت استياء المصريين، الذين انطلقت السنتهم ساخرة من شخصه، كقولهم عمن يفعل دون ادراك لعواقب الأمور، ودون تفكير "زي المحتسب الغشيم ناقص إرمي، زايد إرمي". [٨]

ب- الطبقة الوسطى، وتشمل: -

١- التجار: -

هم الذين يزاولون مهنة التجارة التي كانت تقوم على أدوات الترف الغالية الثمن، كالمجوهرات والرياش والثياب الفاخرة، والآنية والرقيق. وكان اعتمادهم في بيعها بالدرجة الأولى على الخليفة وحاشيته، وكبار رجال الدولة والأغنياء[٩]. وهم بذلك يختلفون عن الباعة من حيث البضاعة، ومن حيث الناس الذي يجري عليهم تصريف البضائع[١٠].

تمتع التجار بحالة واضحة من اليُسر، وسعة المال؛ لكثرة ما كانت تدره عليهم تجارتهم من أرباح طائلة، فقد إستنفد ثمن الأمتعة التي كان يبتاعها رجال السلطة الحاكمة من التجار اموالاً جزيلة

---

(١) الماوردي، الاحكام، ص٢٤٠، الشيزري، **نهاية**، ص٦، ابن الأخوة، معالم، ص١٣.
(٢) للوقوف على المحتسب وعمله والشروط الواجب توافرها فيه، انظر: الشيزري، **نهاية**ص٦-٢٥، ابن الأخوة، معالم، ص١٣، سهام ابو زيد، الحسبة، ص٤٣، ١٠٥، السيد الباز العريني، (١٩٥٠م) الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة ال**تاريخ**ية المصرية، مج٣، (ع١)، ص١٥٧-١٥٩.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٣.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥١٧، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٧.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥١٧، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٧.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥١٦، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٧.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥١٧.
(٨) محمد شكري المكي، الأمثال، ورقة ٤٣.
(٩) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**ج٣، مج١، ص٤٢٧، Ashtor, E., Asocial and Economic History of The Near East in the Middle Ages, PP.125-126.
(١٠) عن الباعة انظر ص ١٤١ – ١٤٢ من الأطروحة.

من نفقات بيت المال [١]. وقد أشار ابن مماتي إلى ثراء التجار في قوله: " ان أقباط مصر اتسعوا في الأموال، حتى جمعوا بين تجارة البروالبحر، والمواشي والتحف، والأملاك، والجواهر، إلى غير ذلك من أنواع المال"[٢]

وأشار ابن تغري بردي إلى ثراء أحد التجار في قوله: " ومات في أيام الظاهر عام (٤١٧هـ/١٠٢٦م) مبارك الأنماطي البغدادي التاجر، وكان له مال عظيم" [٣].

وكان التاجر النصراني أبو سعيد إبراهيم التستري واسع الثراء، يتاجر بالبضائع الثمينة[٤]، وكان التاجر ابراهيم بن زرعة السرياني واسع الثراء، ذائع الصيت، كما اشتهر بالكرم والسخاء، وإغداق الصدقات ومساعدة الضعفاء[٥].

وتحدث ناصر خسرو، عن ثراء تاجر قبطي، كان يمتلك مراكب وأموالاً وأملاكاً لا يمكن أن تعد، وقد طلب منه الخليفة المستنصر أن يقرض الدولة، حين نقص النيل واشتد الغلاء، فقال النصراني: " وأسعد الله السلطان والوزير، ان لدي من الغلة ما يمكنني من اطعام أهل مصر الخبز ست سنوات"[٦]. واشتهر تاجر قبطي - في عهد الآمر - يسمى طيب بن يوسف السرياني بثرائه[٧].

ولفرط ثراء بعض التجار تمكنوا في أوج الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـ/ ١٠٦٥-١٠٧٢م) من اقراض المال والغلال لبدر الجمالي عند وصوله إلى مصر عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)[٨]. واتجه التجار لكثرة أموالهم إلى التصدق ببعض مالهم على الفقراء في المناسبات المختلفة.[٩]

لقد كانت أرباح التجار الطائلة إغراءً كبيراً لإقبال الناس على الاشتغال بالتجارة، حتى أن الرؤساء الدينيين لليهود كانوا يمارسون التجارة إلى جانب مباشرة مهامهم الدينية[١٠]. وهناك اشارات توضح أن بعض الاشراف مارسوا الأعمال التجارية، فقد كانت دار الشريف أبي جعفر مسلم مليئة بأدوات السفر، وخزائن الأموال، واليها يَفِد التجار. كما كان أخو الشريف أبي جعفر يعمل بالتجارة، ويسافر من أجلها، وجنى منها أرباحاً كثيرة[١١]

(١) ابن المأمون **أخبار**، ص٧٠- ٧١.
(٢) قوانين، ص٧٣.
(٣) **النجوم**، ج٤، ص٢٥٢.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩٨.
(٥) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٤٢٧.
(٦) **سفرنامة**، ص١٢١.
(٧) ابن العميد، **تاريخ**، ص٢٩٩.
(٨) ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٩) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٩-٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨.
(١٠) Mann: The Jews, p.94
(١١) ابن زولاق، **أخبار** سيبويه، ص٣١.

كما عمل الشريف أبو اسماعيل ابراهيم وأبوه في التجارة وأعمال الوكالة[١]، وحققوا من وراء ذلك ثروة كبيرة، يقول عنهم المسبحي (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩م) : " وكان قد أقبل (أي الشريف ابو اسماعيل ابراهيم) اقبالا حسناً، واتجه في الوكالة للتجار، وحُملت البضائع اليه، والتجارات من كل ناحية، وخلف مالاً كثيراً جما.. وخلفا جميعاً (الأب والابن) ما قدره مائتا ألف دينار عيناً، سوى المستغلات الحسنة النفيسة القدر، الكثيرة الاجرة، وسوى التجارات والبضائع على أصنافها"[٢]

لقد اتجه التجار لترجمة أهميتهم الاقتصادية إلى أهمية اجتماعية، فأقاموا علاقات مع رجال البلاط الفاطمي، الذين كانوا يجدون فيهم أعواناً لهم، فعن طريق الثروة التي كانوا يمتلكونها نشأت لهم صلة قوية مع كبار رجال الدولة، فكانت الدولة تلجأ اليهم عند الحاجة، فأصبح باستطاعتهم اقراض الدولة عندما تصاب ميزانيتها بعجز مالي[٣].

وكانت بين التاجر ابراهيم بن زرعة السرياني وبين " المعز ورجال دولته جميل عظيم؛ لأجل بضايعه وأمتعته التي كانت تتواصل، وكان يعاملهم فيها، وكان جميع أراخنة مصر يحبونه ويكرموه"[٤].

ونشأت بين التجار وبين العزيز علاقات متينة، فعندما بلغ العزيز مسير الروم الى بلاد الشام عام (٣٨٥هـ/٩٩٥م)، شرع في التأهب للمسير اليهم، ولفرط محبة التجار للعزيز، خشوا عليه وخرجوا اليه مرتين يسألونه المقام، والا يخرج من مصر، ويُسير العساكر، فشكرهم، وقال: انما اسير لنصرة الاسلام، وصيانة أهله [٥] .

وقامت بين الخليفة الآمر والتاجر طيب بن يوسف السرياني صلات متينة، فكان يحمل في تجارته الثياب الغالية، وكان يبتاع للخليفة أجودها، حتى أن الخليفة قربه اليه، وخلع عليه، بل أمر عمال الضرائب بألا يحصلوا منه ضرائب على تجارته، كما أقطعه قرية من أعمال الحوف، فأقام في مصر، واتخذها ميداناً لتجارته بتشجيع من الخليفة ورجال دولته.[٦]

لقد احتل التجار منزلة اجتماعية عالية، حيث أعانتهم ثرواتهم على توسيع نفوذهم، وتقوية مركزهم؛ لما أسبغته عليهم من قوة اجتماعية، فنجد من هؤلاء التجار من تولى أعلى المناصب في الدولة[٧].

---

(١) حول أعمال الوكالة انظر ص ١٢٠- ١٢١ من الأطروحة.
(٢) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٠٨.
(٣) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٢١.
(٤) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٤٢٧.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣١٦.
(٦) ابن العميد، **تاريخ**المسلمين، ص٢٩٩.
(٧) انظر ص ١٦٩- ١٧٠ من الأطروحة.

وتبدو انعكاس مكانة التجار في وضوحهم في الخطاب السياسي الفاطمي من حيث التوجـه اليهم مباشرة من أجل استقطابهم وكسب ودهم، فعندما ثـارت الرعيـة لمقتـل برجـوان عـام (٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، أمر الحاكم بقراءة سجل على الرعية، قال فيه : " فأقبلوا معاشـر التجـار والرعية على معايشكم، واشتغلوا بأشغالكم، فهو أعود لشأنكم، ولا تطغوا في أمر أنفسكم، فلأمير المؤمنين الرأي فيه وفيكم، فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة، فليمض إلى أمير المؤمنين بهـا، فإنه مباشر ذلك بنفسه، وبابه مفتوح بينكم وبينه... وأنتم رعايا أمير المؤمنين المفتحة لها أبـواب عدله، وإحسانه، وفضله..." (١). وورد في سجل صادر من دار الخلافـة فـي نهايـة العـصر الفاطمي أن " التجار هم عين الحلال والحرام" (٢)

وقد حظي التجار بالمشاركة في الاستقبالات الرسمية ضمن وجوه الدولة، فقد كـانوا فـي استقبال جوهر الصقلبي عند وصوله إلى مصر عام (٣٥٨هـ/٩٦٩م)(٣)، كما كانوا ضمن كبار رجال الدولة في استقبال الخليفة المعز عند وصوله إلى مصر عام (٣٦٢هـ/٩٧٣م)، وقد خرج التجار مع وجوه الدولة – عام (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م)(٤) – لتهنئة الامير عبد الله بن المعز بانتصاره على القرامطة (٥).

ولما كان التجار أحد الدعائم الرئيسية للنشاط الاقتصادي المصري، لما كانوا فيه من " عـدة وافرة، ولهم أموال عظيمة"(٦) ، فقد دعمت الدولة نشاطهم، وقدمت لهم المساعدة، فأقامـت لهـم "دور وكالة"(٧)، وجعلت عليها رؤساء، سُموا " بوكلاء التجار"، وكان وكيل التجار يعمل كممثـل قانوني وتجاري للتجار الآخرين، فكان يقوم بمهمتين: الأولى، كما يشير اليها لقبه كوكيل قانوني للتجار، فكان أي شخص تكون له دعوة ضد مدين مقترض للمال متأخر في الـسداد فـي بلـدة أخرى، يُعطي توكيلاً له؛ لكي يمثله أمام القضاء، سواء أكان هذا الوكيل يعيش في البلد الآخر أم سيسافر بدلاً منه. وهذا الدور القانوني للوكيل يفسر – كما يقول جويتاين- لماذا كان هناك عـدد لا بأس به من الوكلاء المسلمين المذكورين بالجنيزة يتولون منصب القاضـي(٨). أمـا المهمـة الثانية للوكيل، فكانت الاشراف على تخزين بضائع التجار وتسويقها، ولذلك كان لوكيل التجـار مخزن يملكه يسمى "دار الوكالة"، يقوم بهذه الوظيفة المزدوجة(٩).

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٠-٣٤١.
(٢) القلقشندي، **صبح**، ج١٠، ص٣٥١، ٤٢٣.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٢.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٢.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٥٩.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٩، ابن ميسر، **أخبار**، ص٩٢.
(٨) Goitein: op.cit, v.1, p.187.pp.191-192.
(٩) Ibid, v.1, p.187.

وقد قامت دور الوكالة في المدن الكبرى، ذات النشاط الاقتصادي الواسع؛ مثل الفسطاط، والاسكندرية، ودمياط، وعيذاب، والقاهرة[١]، التي قامت بها أول دار وكالة في عهد الآمر[٢]؛ لتواكب توسع النشاط الاقتصادي في عهد الآمر[٣].

وقد بلغ من اهتمام الحكومة الفاطمية بأمن التجار، أن أصبح شعار التجار في السوق أن الخليفة " لا يظلم أحداً، ولا يطمع في مال أحد "[٤]. وقد عبر الرحالة ناصر خسرو عن اعجابه باهتمام الدولة الفاطمية بأمن التجار ومتاجرهم، فقال: " أما الأمن الذي رأيته هناك (أي في مصر) فإني لم أره في بلد من قبل"[٥]، فقد " بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن البزازين، وتجار الجواهر.. لا يغلقون أبواب دكاكينهم، بل يسدلون عليها الستائر، ولم يكن أحد يجرؤ على مد يده إلى شيء منها" [٦].

وقد وجه الخليفة العزيز رعايته إلى التجار، حيث تصدى للمسلمين الذين قاموا- عام (٣٨٦هـ/٩٦٩م) – بقتل مائة وسبعة رجال من تجار الروم الواردين إلى مصر، فأمر بقتل ثلثهم، وضرب ثلثهم، واطلاق الثلث[٧].

ويروي ناصر خسرو ما يؤكد حرص الخليفة الحاكم على التجار، وتعففه عن أموالهم، فيقول: لما اعتدى جند الخليفة الحاكم على تاجر يهودي من تجار الجواهر وقتلوه، كتب أخو التاجر المقتول لما ملكه الفزع رسالة إلى الخليفة يقول فيها: انه مستعد لتقديم مائتي الف دينار مغربي حالاً لخزانة السلطان " فأمر الخليفة بعرض الرسالة على الناس، وتمزيقها على الملأ، وقال: كونوا آمنين ، وعودوا إلى بيتكم، فليس لأحد شأن بكم، ولسنا بحاجة لمال أحد"[٨]. وأمر الحاكم بإحضار قتلة التاجر لمحاسبتهم.[٩]

ورغم المجاعة الشديدة التي تعرضت لها مصر في سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م)، وندرة الأقوات، واضطراب الأحوال، فإن الخليفة الظاهر لم يلجأ إلى مصادرة أموال التجار، فعندما تحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار، منعهم الظاهر من ذلك.[١٠]

---

(١) Goitein: op.cit, v.1,p.190
(٢) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٩، ابن ميسر، **أخبار**، ص٩٢.
(٣) حول النشاط الاقتصادي الذي شهدته المدينة في عهد الآمر انظر ص ٢٤-٢٥ من الأطروحة.
(٤) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٢.
(٥) **سفرنامة**، ص١٢١.
(٦) **سفرنامة**، ص١٢١.
(٧) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٣٢، ٢٣٤.
(٨) **سفرنامة**، ص١٢٤.
(٩) المصدر نفسه، ص١٢٤.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٩١.

وذكر المسبحي في أحداث عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م)، ما يوضح اهتمام الخليفة الظاهر بـأمن التجار، فيقول: اجتمع في قافلة خلق من التجار، ومعهم أموال تقارب مائتي الف دينـار، فتعـذر جلب القافلة عن الجيزة، وأنذرهم بعض العرب أن جماعة من العبيد تجمعوا لنهـب القافلـة [١]، ولما علم الخليفة بذلك، أرسل غلماناً من الرماة وغيرهم - وصل عددهم نحو الثلاثمائة فـارس، وأربعمائة من الرجالة – لحماية القافلة[٢].

وقد وجه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي عنايته إلى التجار، فاشتهر بحسن السيرة، والعدل في الرعية، والتجار " على صفة جميلة، تجاوز ما سُمع قديماً، وشوهد أخيراً، ولم يعـرف أحـدٌ صودر ولا ضبط عليه"[٣].

وقد اهتم الوزير المأمون بن البطائحي بالتجار، فتقدم عام (٥١٨هـ/١١٢٤م) إلـى والـي عسقلان أن " يكرم التجار، ويكف الأذى والضرر عنهم".[٤]

٢ - الأطباء:

إن حاجة الخلفاء الفاطميين إلى من يتولى علاجهم، وتوفير الصحة لهم، جعلهـم يرعـون الأطباء ويقربونهم اليهم، ويخصصون لهم المرتبات والهبات. فقد خـصص الخلفـاء للاطبـاء مرتبات شهرية تراوحت ما بين خمسين ديناراً وعشرة دنـانير[٥]، هـذا عـدا عـن الـدور[٦]، والخلع[٧]، والجوائز[٨]، التي كان يمنحها الخلفاء لهم.

ان إغداق الخلفاء الاموال على الأطباء، جعل مهنة الطب من المهن المربحة، فقـال ابـن رضوان[٩] عن نفسه: " ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت إلـى المدينـة العظمـى (أي القـاهرة) وأجهدت نفسي في التعلم، ولما أقمت أربعة عشر سنة، أخذت في تعلم الطب والفلسفة، ولم يكـن لي مال أنفق منه، فلذلك عرض لي في التعليم صعوبة ومشقة، فكنت مـرة أتكـسب بـصناعة القضايا بالنجوم، ومرة بصناعة الطب، ومرة بالتعليم. ولم أزل كذلك وأنا في غاية الاجتهاد فـي التعليم إلى السنة الثانية والثلاثين، فإني اشتهرت فيها بالطب، وكفاني ما كنت أكسبه بالطب، بـل

---

(١) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٤٠، ص٣٦.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٧.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٢.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٤، القلقـشندي، **صـبح**، ج٣، ص٤٩٢، ٥٢١، المقريـزي، **المـواعظ**، مـج٢، ص٣٣٤.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٩، ٣٥٤.
(٧) ابن ابي اصيبعة، عيون، ص٥٤٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٩.
(٨) ابن المأمون، **أخبار**، ص٧١، ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٧٠-٥٧١.
(٩) ابن رضوان: ابو الحسن علي، كان طبيبا ذكيا فاضلا، خبيراً بصناعة الطب، له عدة تـصانيف مـشهورة، عينه الحاكم رئيسا لأطبائه. توفي سنة (٤٥٣هـ/١١٥٨م). انظر ابن أبي اصيبعة، عيون، ص١٧١.

وكان يفضل عني إلي وقتي هذا، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين. وكسبت مما فضل عن نفقتي أملاكا في هذه المدينة (أي القاهرة) إن كتب الله عليها السلامة، وبلغني سن الشيخوخة كفاني في النفقة عليها" [(١)].

وثمة تفاوت في المستوى المعيشي بين الأطباء، فيذكر القلقشندي: أن الأطباء في العصر الفاطمي كانوا يمنحون بيوتاً مجهزة بأفخم الأثاث والفرش، كما كانوا يعطون مرتبات شهرية متفاوتة، وذلك تبعاً لمنزلة الطبيب[(٢)].

لقد أفاض المؤرخون في الحديث عن التشريف الذي كان يجده الأطباء، فقد حظي طبيب الخاص في السكنى بقصر الخليفة، فكان له مكان معروف فيه؛ ليسهل استدعائه عند الحاجة، فيقول القلقشندي: " وكان للخليفة طبيب يعرف بطبيب الخاص، يجلس على باب دار الخليفة كل يوم، ويجلس على الدكك التي بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر، دونه أربعة أطباء أو ثلاثة، فيخرج الأستاذون ، فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص..." [(٣)]

وقد كان الطبيب موسى بن العازار الاسرائيلي [(٤)] موضع تقدير المعز، ومقرباً منه[(٥)]، فعندما توفي حزن عليه المعز كثيراً " لموضعه منه؛ وكفايته"[(٦)]. وكان الطبيب ابو سهل [(٧)] جليل القدر عند الخليفة العزيز[(٨)]. كما كانت للطبيب أبي الحسن سهلان[(٩)] مكانة رفيعة عند الخليفة العزيز[(١٠)].

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥١٦.
(٢) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٩٢، ٥٢١.
(٣) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٩٢.
(٤) موسى بن العازار الاسرائيلي: كان مشهورا بالتقدم والحذق في صناعة الطب، خدم الخليفة المعز عند قدومه من المغرب. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٩، Goitein: op.cit, v.2.p.243
(٥) ابن أبي اصيبعة، عيون، ص٥٤٥.Goitein: op.cit, v.2.p.243
(٦) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٤٥.
(٧) ابو سهل: كيسان بن عثمان بن كيسان: نصراني، ملكاني المذهب، ماهراً في تشخيص الداء، وتحضير الدواء. خدم الخليفة العزيز والمعز. توفي سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م). انظر القفطي، **أخبار**، ص١٧٦.
(٨) المصدر نفسه، ص١٧٦.
(٩) أبو الحسن سهلان: ابن عثمان بن كيسان: طبيباً نصرانياً، من أهل مصر من الملكانيين، ذاع صيته في خلافة العزيز، توفي سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٠٣.
(١٠) المصدر نفسه، ص٥٠٣.

وكانت للطبيب منصور بن مقشر[١] المنزلة المكينة عند العزيز، الذي كـان يـصغي الـى مشورته، ويجالسه[٢]. وبلغ ابن مقشر عند الحاكم " أعلى المنازل وأسناها، ولما مرض ... عاده الحاكم بنفسه"[٣]، وقد أفرط الحاكم في اغداق الاموال عليه، ممـا جعلـه " فـي حياتـه واسـع المال"[٤]، ولما " مات اسف عليه (اي الحاكم) واطلق لمخلفيه مالا جزيلا وافراً " [٥].

وقد كانت علاقة الخليفة العزيز بطبيبه يوسف النصراني[٦] قوية، حيث عينه بطريركا على بيت المقدس في السنة الخامسة من خلافته[٧]. وكان الطبيب صقر اليهودي مقدراً عنـد الخليفـة الحاكم، حيث أمر بحمله على بغلة؛ تكريماً له، كما أهداه ثلاث بغلات ومنحـه أفخـم الثيـاب، وأعطاه داراً لسكناه، فرشت وزينت، وعلق على ابوابها الستور، وزوده بكل ما يحتاج اليه، وقـد قدرت جملة هدايا الحاكم اليه بعشرة آلاف دينار. [٨]

وكانت للطبيب الحقير النافع [٩]الحظوة عند الخليفة الحاكم، فعندما تمكن من معالجته، منحه مكافأة تقدر بألف دينار، كما خلع عليه[١٠]. وكان الطبيب ابن نسطاس [١١]جليل القدر عند الخليفة الحاكم، فأمر عام (٣٩٤هـ/١٠٠٤م) بحمله على بغلتين، وأهداه أفخـم الثيـاب، وأعطـاه داراً لسكناه مفروشة ومزينة[١٢]. ولكثرة عطايا الحاكم له، أصبح واسع الثـراء، " فتـرك (أي بعـد وفاته) زيادة على عشرين ألف ديناراً عيناً، سوى الثياب وغيرها"[١٣]. وعندما توفي أمر الحـاكم

---

(١) منصور بن مقشر: من أشهر اطباء مصر في العصر الفاطمي، وأحذقهم في الطب، خدم الخليفـة العزيـز والحاكم، وتوفي في خلافة الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م). انظر ابن ابي اصيبعة، عيون، ص٥٠٤.
(٢) القفطي، **أخبار**، ص٢١٩.
(٣) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٠٤.
(٤) القفطي، **أخبار**، ص٢٨٥.
(٥) ابن أبي اصيبعة، عيون، ص٥٠٤.
(٦) يوسف النصراني: كان طبيبا عارفاً بصناعة الطب، فاضلا في العلوم، مات ودفن في كنيسة مـارثوادرس. انظر ابن أبي اصيبعة، عيون،ص٥٠٠.
(٧) المصدر نفسه، ص٥٠٠.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٩.
(٩) الحقير النافع: من أهل مصر، كان طبيباً جرائحياً، حسن المعالجة، تمكن من تركيب دواء عالج بـه جـرح مزمن في رجل الحاكم، فشفي في خلال فترة قصيرة، لا تتجاوز الثلاث أيام، فعندئذٍ ارتفع شأنه عند الحاكم. ابن أبي اصيبعة، عيون، ص٥٤٩.
(١٠) المصدر نفسه، ص٥٤٩.
(١١) ابن نسطاس: يعقوب النصراني، كان طبيب وقته، عارفاً بالطب والموسيقى، آيه في الحفظ، خدم الحـاكم، مات سكران في بركة ماء عام (٣٩٧هـ/١٠٠٧م). انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص١٤١، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٧-٣٦٨.
(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٤.
(١٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٨.

سائر أهل الدولة أن يمشوا في جنازته[١]. وكان الطبيب ابن رضوان مقرباً من الحاكم، محبباً اليه، وما زال يتقدم لديه حتى عينه رئيساً لأطبائه[٢].

وكانت للطبيب موفق الدين أبي نصر عدنان بن نصر بن منصور[٣] المنزلة المكينة عند الخليفة الظافر، الذي أنعم عليه، ونال من عطاياه الكثير[٤].

وكان الطبيب افرائيم بن الزفان[٥] أثيراً عند الخلفاء الفاطميين الذين خدمهم، فقد أكرموه غاية الإكرام، ومنحوه الأموال الجزيلة[٦]. وكانت للطبيب هبة الله [٧] الحظوة عند الخلفاء الذين خدمهم، حيث خصصوا له الصلات السخية، والجوائز الثمينة.[٨]

٣ - العلماء[٩]: -

لما كانت الفلسفة والتأويل من خصائص المذهب الاسماعيلي[١٠]، فقد احتاج المذهب الاسماعيلي إلى متعلمين حتى يستطيعوا فهم أسراره، وأصوله، ولذا كان المعز يحث على العلم، حيث قال: " أنا لنسر بمن نراه من أوليائنا يطلب العلم والحكمة، ويرغب في الخير، كما نسر بذلك في الولد"[١١]

ان ارتكاز دعائم المذهب الاسماعيلي على العلم، جعل الفاطميين يقدرون العلماء؛ كونهم أداة فعالة في نشر العلم والثقافة. فاحتفى الفاطميون بهم، وأكرموهم غاية الإكرام، مما جعل لهم مقاماً اجتماعياً رفيعاً. فقد حظي الفقهاء بمجالسة الخلفاء[١٢]، وكانوا يحضرون الاستقبالات الرسمية للخلفاء، ضمن كبار رجال الدولة والأشراف، وعلية القوم. فعندما إتجه المعز إلى مصر قادماً من المغرب عام (٣٦٢هـ/٩٧٣م)، " جمع جوهر الناس للقاء المعز، فتأهبوا لذلك، وخرج

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٨.
(٢) ابن أبي اصيبعة، عيون، ص١٧١.
(٣) موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور: برع في الطب والمنطق، والف فيهما مؤلفات عظيمة، وفد إلى مصر من بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته عام (٥٤٨هـ/١١٥٣م). انظر ابن أبي اصيبعة، عيون، ص٥٧٠ - ٥٧١.
(٤) المصدر نفسه، ص٥٧٠-٥٧١.
(٥) افرائيم بن الزفان: من الأطباء المشهورين بديار مصر، خدم الخلفاء الفاطميين - لم يذكر ابن أبي اصيبعة أسماءهم – كانت له مكتبة كبيرة تضم الكثير من الكتب الطبية. انظر ابن ابي اصيبعة، عيون، ص٥٦٧-٥٦٨.
(٦) المصدر نفسه، ص٥٨٠.
(٧) هبة الله الاسرائيلي: كان مشهوراً بالطب، حسن المعالجة، خدم بعض الخلفاء الفاطميين بصناعة الطب. تولى رئاسة اليهود في مصر عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م). انظر ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٨٠. Goitein: op.cit, v.2,pp.244- 248
(٨) ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٨٠.
(٩) يبدو أن لفظ عالم في العصر الفاطمي، قد أطلق على جميع المشتغلين في البحث في العلوم المختلفة، ولم يقتصر على الفقهاء، حيث لقب الحاكم بأمر الله، النحوي أبي الفضل جعفر، " بعالم العلماء". انظر الكندي، الولاة، ص٦١٠.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٨.
(١١) القاضي النعمان، ال**مجالس**، ص٢١١.
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٨٨.

أبو طاهر القاضي، وسائر الشهود والفقهاء، ووجوه التجار إلى الجيزة مبــرزين للقــاء المعــز، فأقاموا بها أربعين يوماً حتى ورد الكتاب بوصول المعز إلى برقه، فسار القاضي ومن معه" [١]. وقد خرج الفقهاء مع وجوه الدولة - عام (٣٦٣هـ/٩٧٤م) - لتهنئة الأمير عبد الله بن المعــز؛ بانتصاره على القرامطة [٢].

وحظي العلماء بمصاحبة الخلفاء في المواكب الاجتماعية، فكانوا ضــمن كبــار المــدعوين لموكب فتح الخليج، وهذا ما اشار اليه ناصر خسرو في قوله: " وكذلك وجد في يوم فتح الخلــيج طبقات أخرى من الرجال من ذوي الفضل والأدباء والشعراء، والفقهــاء، ولكــل مــنهم أرزاق معينة" [٣]. وكان الخلفاء الفاطميون يفرقون لحوم الأضاحي فــي عيــد النحــر علــى العلمــاء والمتصدرين في جوامع القاهرة[٤].

وقد أسبغ الفاطميون على العلماء مظاهر التعظيم والاجلال، فحرصا علــى تمــام هيئــتهم، سمحوا لهم أسوة بكبار رجال الدولة بركوب الخيل، في حين مُنع من ذلك التجــار، والقرويــون وأصحاب الحرف [٥]، الذين أجبروا على ركوب الحمير[٦].

وقد أكرم الخليفة العزيز العلماء، فعندما سأله الوزير يعقوب بن كلس في صلة رزق جماعة من الفقهاء " أطلق لهم (أي العزيز) ما يكفي كل واحد منهم من الرزق النّاض" [٧]، وأمر بــشراء دار لهم، فبنيت بجانب الجامع الأزهر، وخلع عليهم العزيز في يوم عيد الفطر، وحملهــم علــى بغلات[٨]. وكانت للشابشتي[٩] مكانة رفيعة عند العزيز، فكان لا يغيب عن مجالسه، ويقــرأ لــه الكتب، ويحاوره فيها[١٠].

وقد احتفى الخليفة الحاكم بالعلماء، فكان يعقد المجالس العلمية، ويدعو اليها رجــال العلــم، لبحث ما يثار من القضايا، وكذلك مناقشة آراء وقضايا علمية قــد تعــرض علــى المجتمعــين، فيروي المقريزي انه في سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م): أمر الحاكم بإحضار جماعة من أهل الحساب

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٢.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٢.
(٣) **سفرنامة**، ص١١١.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٥.
(٥) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٢١.
(٦) المصدر نفسه، ص١٢١.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج ٤، ق١، ص٩٤. النَّاض: هو الرزق اذا تحول عيناً بعد أن كان متاعاً. انظر ابــن منظور، لسان، ج٤، ص١٨.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص٩٤.
(٩) الشابشتي: ابو الحسن علي بن محمد بن اسحاق، كان مؤرخا وأديبا فاضلا مــن أدبــاء مــصر وعلمائهــا ومؤرخيها المشهورين، له عدة تصانيف منها: كتاب الديارات، وكتاب مراتب الفقهاء، وكتاب التوفيق والتخويف. توفي سنة (٣٨٨هـ/٩٩٨م). انظر ابن خلكان ، وفيات، ج٣، ص٣١٩.
(١٠) المصدر نفسه، ج٣، ص٣١٩.

والمنطق، وجماعة من الأطباء إلى حضرته؛ للمناظرة بين يديه. وكانت تحضر كل طائفة على انفراد، ثم يخلع الحاكم على الجميع، ويصلهم[١].

وكان الحاكم شديد الإعجاب بأبي الفضل جعفر[٢]، فقد خلع عليه، ولقبه بعالم العلماء، وكان يستشيره في معظم الأمور[٣]. وقد كانت لابن الهيثم[٤] المنزلة المكينة عند الحاكم، فقد جعل له من يخدمه، ويقوم بمصالحه[٥].

وتمتع سعيد بن سعيد الفارقي[٦] بمركز قوي " فداخل الحاكم في أمور الدولة، وقرأ عليه الرقاع، واستأذنه في الأمور كهيئة الوزراء" [٧]. وقد وصل نفوذه إلى درجة من القوة، بحيث اتفق مع الأتراك على قتل الحاكم، فأمر الحاكم بقتله، وقد تم ذلك عام (٣٩١هـ/١٠٠١م)[٨].

وكانت للعالم ابي محمد حسن بن آدم[٩] المنزلة المكينة؛ نظراً لمكانته العلمية، فكان يدعى بالقاضي " لأبوته، وسنه، واشتهاره بالعلم" [١٠]، وقد حظي بتقدير الدولة بدرجة مكنته من أن يسمح له بحضور الاجتماعات السياسية التي كان يدعى اليها كبار رجال الدولة، فقد روى المقريزي: أن المأمون بن البطائحي عقد اجتماعاً هاماً؛ ليبين فيه عدم أحقية نزار في الخلافة، وقد حضر هذا الاجتماع فقهاء الاسماعيلية وقاضي القضاة، وداعي الدعاة، وجماعة من الأمراء، ودُعي اليه " أبو محمد بن آدم"[١١]. وما زالت منزله أبي محمد بن آدم تسمو حتى شغل عام (٥١٣هـ/١١٥٤م) منصب داعي الدعاة[١٢].

وكان القضاعي [١٣]جليل القدر عند الخليفة المستنصر، وما زالت منزلته تعلو عنده حتى

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٠٣.

(٢) أبو الفضل جعفر: من أهل العلم بالنحو واللغة، من أشهر العلماء الذين أتوا إلى مصر في عهد الحاكم . توفي سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م). انظر الكندي، الولاة، ص٦١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٦١٠.

(٤) ابن الهيثم: أبو علي محمد بن الحسن، خبير بأصول صناعة الطب وقوانينه، وبعلوم ال**رياض**ة. اصله من البصرة، ثم انتقل الى مصر واستوطن بها الى آخر عمره. انظر ابن ابي اصيبعة، عيون، ص٥٥٠-٥٥١.

(٥) القفطي، **أخبار**، ص١١٥، ابن أبي أصيبعة، عيون، ص٥٠٥، خطاب عطية، التعليم، ص٨٩

(٦) سعيد بن سعيد الفارقي، عالم نحوي، له مصنفات، أشهرها: تقسيمات العوامل وعللها في النحو، وتفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب. توفي سنة (٣٩١هـ/١٠٠١م). انظر ياقوت ، معجم الأدباء، ج٤، ص٢٤٠، السيوطي، بغية الوعاة، ص٢٥٥.

(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٠-٣٥١.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٠-٣٥١.

(٩) أبو محمد حسن بن آدم: عالم في الدين، تولى دار العلم سنة (٥١٦هـ/١١٥٣م). وشغل منصب داعي الدعاة عام (٥١٧هـ/١١٥٤م)، وأضيفت اليه الخطابة بالجامع الأزهر. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٩٦، ٢١١.

(١٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١١.

(١١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٩٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٩٦.

(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١١.

(١٣) القضاعي: أبو عبد الله بن سلامة بن جعفر، فقيه ومحدث ومؤرخ، له عدة مصنفات في الفقه وال**تاريخ**، توفي سنة (٤٥٢هـ/١٠٦٠م). انظر ابن عساكر، **تاريخ**، ج٥٣، ص١٦٧-١٧٠، اليافعي، مرآة، ج٣، ص٥٨، السبكي، طبقات ، ج٤، ص١٥٠-١٥١.

ولاه منصب القضاء[١]. وقد أكرم الخليفة الآمر العلماء، فقد أمر أن يعطى كـل واعـظ حـضر عزاء الأفضل ثمانين ديناراً، وقد أثار ذلك دهش أحد رجال الدولة، فقال: " يا مولانا هـذا مـال كثير "[٢].

وكان للعالم القزاز[٣] مقاماً اجتماعياً رفيعاً؛ بفضل علمه وثقافته، فكان مهيباً عنـد العلمـاء، محبوباً عند العامة[٤]. وقد بلغ ابو بكر الأدفوي[٥] من الرفعة وعظم المنزلة مبلغا عظيماً؛ نظـراً لمكانته العلمية، التي أتاحت له أن يصبح شيخاً للديار المصرية[٦].

وكان العالم ابن بابشاذ[٧] موضع تقدير، حيث كان يشرف على كل ما يصدر من ديوان الانشاء، ويعالجه نحوياً ولغوياً، وكان له على ذلك راتب يصرف له من الخزانة كل شهر[٨].

وقد حذا الوزراء الفاطميون حذو خلفائهم في الاهتمام بالعلماء، فقد كان ابن كلس يقدر أهل العلم ويقربهم اليه[٩]، ويجزل لهم العطايا. فكانت داره ملتقى العلماء، حيـث " رتـب فـي داره الكتاب والاطباء يقفون بين يديه، وجعل فيها العلماء والأدباء، والشعراء والفقهاء والمتكلمـين ... لكل طائفة مكان مفرد، وأجرى على كل منهم الأرزاق"[١٠]. كما خصص ابن كلس يـومين فـي داره لاجراء المناظرات بين العلماء والأدباء، فإذا جاء يوم الثلاثاء " نصب له مجلسا في داره... ويحضر اليه الفقهاء والمتكلمون وأهل الجدل يتناظرون بين يديه" [١١]، وكان ابن كلس " يجلـس في يوم الجمعة ايضاً، ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه، وفي حضرته القضاة والفقهاء والقـراء وأصحاب الحديث والنحاة"[١٢].

وكان ابن كلس ينفق ما قيمته الف دينار كل شهر على أهـل العلـم والـوراقين ومجلـدي الدفاتر[١٣]. وكان لجماعة من الفقهاء " من مال الوزير(أي ابن كلس) صلة في كـل سـنة"[١٤].

---

(١) السبكي ، طبقات، ج٤، ص١٥٠-١٥١، اليافعي، مرآة، ج٣، ص٥٨.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٩.
(٣) القزاز: ابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي: عالم نحـوي، صـنف للعزيـز كتبـاً عديـدة، تـوفي عـام (٤١٢هـ/١٠٢١م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٧٤-٣٧٥.
(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٧٤-٣٧٥.
(٥) انظر ترجمة ابي بكر الأدفوي، ص ٨٩ من الأطروحة.
(٦) الأدفوي، الطالع، ص٢٥٢-٢٥٣.
(٧) ابن بابشاذ: أبو الحسين طاهر بن أحمد، إمام عصره في علم النحو، تعلم في العراق ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات لساعته، عام (٤٦٩هـ/١٠٧٧م). انظر ابـن خلكـان، وفيـات ج٢، ص٥١٥-٥١٧، السيوطي، بغية الوعاة، ٢٧٢، ٤٢٧.
(٨) ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٥١٥، ٥١٧.
(٩) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٠٢.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٣،ص١٦.
(١١) المصدر نفسه، مج٣،ص١٦.
(١٢) المصدر نفسه، مج٣، ص١٦.
(١٣) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٠٢.
(١٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق١، ص٩٤.

وكان ابن كلس " ينصب مائدة .... لخواصه من أهل العلم"[١]، " ويقيم في شهر رمضان الأطعمة للفقهاء"[٢].

وكان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي يغدق الأموال على الفقهاء[٣]. وعني الوزير المأمون بن البطائحي بالعلماء، فكان أبو الحجاج يوسف بن أيوب[٤] جليل القدر عنده، وما زال يتقدم لديه حتى ولاه قضاء القضاه[٥]. وكان الطرطوشي[٦] مبجلاً عند الوزير المأمون، فعندما وصل إلى القاهرة عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) أكرمه المأمون " وأمر بانزاله في المجلس المهيأ للأخوة ... ولما شاهده وقف عن المرتبة، وجلس بين يديه.. وصار المأمون يستدعيه في يَومَيْ راحته، ويبالغ في كرامته، ويقضي شفاعاته"[٧].

وقد اهتم طلائع بن رزيك بالعلماء، حيث كان أديباً وكاتباً وشاعراً فاضلاً[٨]، فكان " لأهل العلم عنده نفاق، ويرسل اليهم العطايا الكثيرة"[٩]، مما جعل مصر محط أنظار العلماء في فترة وزارته، فعندما سمع الواعظ زين الدين بن نجا الأنصاري[١٠] " بسعة أرزاق مصر قدم اليها في وزارة الصالح ابن رزيك، فأقبل عليه، وحصل له من إنعامه، ومما أخذه له من العاضد في ثلاث سنين ما يناهز عشرين الف دينار، وسوغه عدة دور"[١١]. وقد أكرم طلائع ابن الدهان[١٢]، فعندما علم أنه شرح بيتاً من شعره منحه هدية[١٣]. وكان للعلماء مكانة رفيعة عند الوزير

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣،ص١٧.
(٢) المصدر نفسه، مج٣، ص١٧.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص١٠٢.
(٤) ابو الحجاج يوسف بن أيوب: كان اولاً قد اقرأ المؤتمن أخا المأمون بن البطائحي القرآن والنحو، ثم ولاه المأمون قضاء الغربية، ثم نقل منها إلى قضاء القضاة. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٩، ابن حجر، **رفع**، ص٤٧٣-٤٧٤.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٩.
(٦) الطرطوشي: محمد بن الوليد القرشي الأندلسي، أديب من فقهاء المالكية الحفاظ، من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس، تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة (٤٧٦هـ/ ١٠٨٣ م). فحج وزار العراق، وأقام مدة في الشام، وسكن الاسكندرية، فتولى التدريس، واستمر فيها إلى أن توفي. انظر ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٤٧٩، المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٦٨.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٩٩-٢٠٠.
(٨) عمارة اليمني، النكت، ص٤٨.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩١.
(١٠) زين الدين بن نجا الأنصاري: الملقب زين الدين الحنبلي، واعظ دمشقي مشهور، وفد إلى مصر في وزارة طلائع بن رزيك، ثم عاد الى دمشق، وتوفي سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م). انظر ابن خلكان ، وفيات، ج٢، ص٥٢٧.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٠١.
(١٢) ابن الدهان: سعيد بن المبارك بن علي الأنصاري: عالم باللغة والأدب، وشاعراً لطيف الشكل، حسن المعاشرة، من أهل الموصل، انتقل إلى مصر بعد أن ضاقت به الحال. وقصد طلائع بن رزيك، فمنحه الأموال الوفيرة. انظر العماد الأصفهاني، خريدة، ج٢، ص٢٧٩، ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٥٢٧، ج٣، ص٥٧-٦١.
(١٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩١.

ضرغام، فكان " يحب العلماء والأدباء، ويقربهم"[١].

٤ - الشعراء:

لقد ازدهر الشعر في العصر الفاطمي، ومما يؤكد كثرة الشعر ورواج سوقه في الدولة الفاطمية، ما رواه العماد الأصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، فقد ذكر أن الخليفة الحافظ مل طول الشعر وكثرته، فأمر أن يختصر الشعراء مدائحهم، فلم يَرُق ذلك للشعراء، فقال أحدهم يخاطب الخليفة، ويمدحه:[٢]

أمرتنا أن نَصُوغَ المدح مختصراً لم لا أمرت ندى كفيك يَختصر
والله لا بُدَّ أن تَجري سوابقنا حتى يَبِيَن لها في مدحك الأثر

وبسبب الكثرة في الشعراء، قسم العماد الأصفهاني الشعراء طوائف، وميزهم أصنافاً، فشعراء العلماء، وشعراء الكتاب، وشعراء الشرفاء، وشعراء الوزراء، ثم شعراء طارئون على البلاد، وآخرون نشأوا فيها[٣]. وقد كان الشعراء المختصون بالوزير طلائع بن رزيك من الكثرة، بحيث عقد لهم العماد الأصفهاني " باباً خاصاً"[٤].

ويمكن أن يعزى ازدهار الشعر في العصر الفاطمي، إلى الاهتمام الكبير، والدعم المتواصل الذي كان يسبغه الخلفاء ووزرائهم على الشعراء، لما كان لهم من دور فاعل في تدعيم كيان الفاطميين، حيث غدا الشعر بوق دعاية للمذهب الاسماعيلي، فأصبح بمثابة خطب منبرية تدعو للخلفاء، وتبث مذهبهم، وترسخ حبهم في قلوب الرعية[٥]، وتمجد الوزراء[٦].

وقد أفاضت المصادر في الحديث عن التشريف الذي كان يجده هؤلاء الشعراء، فقد حظي الشعراء بمصاحبة الخلفاء في المواكب الاجتماعية[٧]، وخصصت الدولة لهم رواتب شهرية من عشرين ديناراً إلى عشرة دنانير[٨]. وكانت لهم هبات مقررة من بيت المال في كل سنة[٩].

وكانت الهدايا تقدم للشعراء في الأعياد[١٠]، هذا عدا عما كانوا يحصلون عليه من هبات في المناسبات المختلفة. ففي يوم عاشوراء كان يخرج " الرسم المطلق للمتصدرين والقرّاء،

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٠٥.
(٢) الخريدة، ج٢، ص٦٤. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٥٣.
(٣) الخريدة ، ج١، ص٢١١.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٠-١٢١.
(٥) حول الأشعار التي تدعو للخلفاء الفاطميين، وتبث مذهبهم، وترسخ حبهم في قلوب الرعية انظر: تميم بن المعز، **ديوان** تميم، ص٣٨١،٤٠٩،٣٨،٣٨١،٣٢٠،٣١٥، ظافر الحداد، **ديوان** ظافر الحداد، ص٢٣٥، ٢٦٤، ابن حيوس الدمشقي، **ديوان**، ج١، ص٢٨٥، ابن قلاقس، **ديوان** ابن قلاقس، ص٩٢.
(٦) حول الأشعار التي تمجد الوزراء انظر: عماره اليمني، النكت، ص(١٧١، ٣٤٨-٣٥١، ٣٨١-٣٢٠، ٢٤٥، العماد الأصفهاني، الخريدة، ج١، ص١٩٠.
(٧) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١١.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٣٤.
(٩) ابن المأمون، **أخبار**، ص٧١.
(١٠) المصدر نفسه، ص٨٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٨٨.

والوعاظ، والشعراء، وغيرهم على ما جرت به عادتهم" [١]. وعندما توفيت زوجة العزيز فُرق على الشعراء الذين رثوها الفي دينار[٢]، وقد أجيز جميع الشعراء الذين رثوا الوزير يعقوب بن كلس، البالغ عددهم مائة شاعر[٣].

وبلغ من سمو المنزلة الاجتماعية للشعراء، أن ارتادوا دور الخلفاء والوزراء، فكانوا يقصدون قصر الخليفة؛ للتهنئة في الأعياد[٤]، وجُعل لهم في مجالس الخلفاء نظام في الانشاد يتعاقبون عليه، فذكر ابن الطوير - عند الكلام عن فتح الخليج- أنه بعد جلوس الخليفة يُؤمر صاحب الباب بتقديم الشعراء واحداً بعد واحد " ولهم منازل على مقدار أقدارهم، فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد"[٥].

وكان للشعراء حضور فاعل في مجالس الخليفة الحاكم، فكانوا ينهضون وينشدون القصائد بين يدي الخليفة، ويتبارون في مدحه ، ومدح أجداده، وقد كان الحاكم من الحذق بذلك، فعقب انشاد الشعراء قصائدهم يقرر لكل منهم المكافآت والعطايا، وذلك بقدر تفرد كل شاعر في شعره، ومبلغه من صناعته[٦].

وقد كانت للشعراء الحظوة عند الخليفة الآمر، يؤكد ذلك ما ذكره المقريزي في حديثه عن بركة الحبش بقوله: " إن الخليفة الآمر بنى على المنظرة (أي التي تشرف على بركة الحبش)[٧] منظرة من خشب مدهونه، فيها طاقات تشرف على خُضرة بركة الحبش، وصور فيها الشعراء، كل شاعر وبلده، واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح ... وكتب ذلك عند رأس كل شاعر، وبجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب، فلما دخل الآمر، وقرأ الأشعار أمر أن يُحط على كل رف صُرة فيها خمسون ديناراً، وأن يدخل كل شاعر، ويأخذ صرته بيده، ففعلوا..."[٨]

ويبدو أن العاضد كان ميالاً إلى الأدب وأهله، فقد أغدق الأموال على الشاعر عمارة اليمني[٩]. وقد أكرم الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الشعراء، حيث أمر بتفصيل ظروف ديباج،

---

(١) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٥.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣١٧.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص١٩.
(٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٨٨.
(٥) **نزهة**، ص١٩٩.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٢.
(٧) بركة الجيش: طولها ميل، تشرف على نيل مصر، خلف القرافة، وهي من اجل منتزهات مصر. انظر ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٤٠١، المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٢٠٩.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٨١-٥٨٢.
(٩) عمارة اليمني، النكت، ص٢٢٣. عمارة اليمني: أبو محمد بن أبي الحسن علي بن زيدان الحكيمي، من تهامة باليمن، ولد ونشأ بها، كان فقيهاً شافعياً، كما كان شاعراً مجيداً، متكسبا، سيره صاحب مكة، رسولاً الى

وجعل فيها أموالاً عظيمة، ومن هذه الظروف كـان يغـدق العطايـا علـى الـشعراء الـذين يقصدونه[١].

وقرب الوزير المأمون بن البطائحي الشعراء، فكانوا يقـصدون داره، ويهنئونـه بالأعيـاد، وينشد له كل منهم ما سمحت به قريحته[٢].

وقـد احتـوى الـوزير طلائـع بـن رزيـك الـشعراء، فقـد وصـفه عمـارة اليمنـي (ت٥٦٩هـ/١١٧٤م)، بقوله : " كان مرتاضاً قد شم أطراف المعارف، وتميـز عـن أجـلاف الملوك الذين ليس عندهم الاخشونة مجردة، وكان شاعراً يحب الأدب وأهله، ويكـرم جليـسه، ويبسط أنيسه"[٣].

وقد كان الشاعر ابن الزبير[٤]، من جلساء طلائع بن رزيك، ومن المختصين به، حتى قيـل أن أكثر الشعر الذي دون في ديوان طلائع بن رزيك إنما دون من شعر المهذب، وقد أنفق عليه طلائع الأموال الوفيرة[٥]. وكان ابن الدهان[٦] من جلساء طلائع، وقد مدح طلائع بقصيدة، فأنعم عليه طلائع بالمال[٧].

ج/ طبقة العامة: -

العامة خلاف الخاصة[٨] في عدة أمور، أولها: في كثرتهم العددية، حيث فاقت أعداد العامة أعداد الخاصة، فيذكر الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): أن سبب تسمية العامة بهذا الاسم يعـود إلى كثرتهم العددية [٩]. ومصداقاً لذلك، وصفهم ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)، " بالـسواد الأعظم"[١٠]. أي أنهم كانوا يشملون القطاع الأوسع من الشعب.

مصر، فوصلها في ربيع الأول سنة (٥٥٠هـ/١١١٥م)، وأقام بمصر إلى شوال من السنة، ثم فارقها إلى مكـة، وعاد إلى مصر ثانية في سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) واستقر فيها، وصار من جملة خدام الدولة الفاطمية. توفي في مصر عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م). انظر ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص٤٣١-٤٣٥.

(١) ابن المأمون، **أخبار**، ص١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦-٢٧.

(٣) النكت، ص٤٨.

(٤) ابن الزبير: أبو محمد الحسن بن علي بن إبراهيم، الملقب بالمهذب: من أهل اسوان، كان كاتباً مليح الخـط، جيد العبارة، حسن اللفظ، وكان شاعرا ماهراً. توفي في ربيع الآخر سنة (٥٦١هـ/١١٦٦م). انظر الأصفهاني، خريدة، ج١، ص٢٠٤-٢٢٥، ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٥١-٥٢، الكتبي، فوات، ج١، ص٣٣٧-٣٤١.

(٥) العماد الأصفهاني، خريدة، ج١، ص٢٠٤-٢٢٥.

(٦) انظر ترجمة ابن الدهان ص ١٢٩ من الأطروحة.

(٧) العماد الأصفهاني، خريدة، ج٢، ص٢٧٩، ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٥٢٧، ج٣، ص٥٧-٦٢.

(٨) الجوهري، تاج، ج٥، ص١٩٩٣، ابن منظـور، لـسان ، ج١٢، ص٤٦٢، الفيـروز آبـادي، القـاموس، ص١٥٤، الزبيدي، تاج، ج٨، ص٤١٠.

(٩) نكت، ص١٠.

(١٠) تبين كذب المفتري، ص٣٥١.

أن قوة العامة العددية جعلت المصادر تعبر عنهم بالخلق والناس، فعلى سبيل المثال يتحدث النويري، عن مقتل شاور سنة (٥٦٤هـ/١١٦٩م) فيقول: " ولما قتل شاور استدعى العاضد أسد الدين شيركوه[١]، فدخل إلى القاهرة في الساعة التي قتل فيها شاور، فرأى العوام وقد اجتمعوا فهاله ذلك، فقال لهم : " إن مولانا العاضد لدين الله أمير المؤمنين يأمركم أن تنهبوا دوره، فتفرق الناس عنه ونهبوها"[٢]. ويذكر ابن واصل (ت٦٩١هـ/١٢١٧م) الخبر السابق ذاته، فيقول: " ودخل أسد الدين القاهرة، ورأى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خاف منه على نفسه، فقال لهم: إن أمير المؤمنين قد أمركم بنهب دور شاور"[٣]، فقصدها الناس، فنهبوها، وتفرقوا عنه[٤].

ان كثرة العامة العددية جعلت المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) يصفهم " بسائر الرعية"، فعندما تحدث عن الشونة التي أعدها الحاكم عام (٣٩٥هـ/١٠٠٥م)، قال: " فتخوف الناس منها كافة، من يتعلق بخدمة الدولة من الأولياء والقواد، والكتاب، وسائر الرعية من العوام"[٥].

واختلف العامة عن الخاصة في مستوى المعيشة، فمواردهم لا يكاد يكفي لضروريات عيشهم، ولهذا عدهم ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) في زمرة الفقراء[٦]، ووضعهم القاضي النعمان (٣٦٣هـ/٩٧٣م) في صف مقابل للمياسير وأهل الثروة[٧].

ان عيشة الكفاف التي كان العامة يحيونها، دفعتهم الى ممارسة أعمال السلب والنهب؛ لسد حاجاتهم الضرورية، فكانت حالات الفوضى التي تحدث عقب أي حرب فرصة مناسبة لهم ليقوموا بأعمال السلب والنهب، فعندما انتشرت حالة الاضطراب والفوضى العامة عقب الحرب التي شنها بهرام الأرمني ضد الموالين لحسن بن الحافظ عام (٥٢٩هـ/١١٣٤م)، " نهب أوباش الناس ما قدروا عليه"[٨]. وبعد أن تمت هزيمة الأرمن على يد رضوان بن ولخشي عام (٥٣١هـ/١١٣٦م)، قام العامة من أهل القاهرة بنهب دور وكنائس الأرمن[٩].

---

(١) أسد الدين شيركوه: أبو الحارث بن شاذي بن مروان، عم صلاح الدين الأيوبي، كان مقدم العساكر لقوات نور الدين التي جاءت مع شاور لتمكينه ضد ضرغام، وقد تولى الوزارة للعاضد سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)، وأقام بها شهرين، وتوفي في نفس السنة. انظر ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٤٧٩.
(٢) **نهاية**، ج٢٨، ص٣١٢.
(٣) ابن واصل، مفرج، ج١، ص١٦٣.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٦٣.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٧.
(٦) **الروضة**، ص٦٣.
(٧) دعائم، ج١، ص٣٦٦.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**،ج٢،ص٢٤٠.
(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص٤٥-٤٦.

ولم يتورع بعض العوام عن سرقة مقتنيات المساجد، فيروي المسبحي أن عامياً سرق قنديلا من الجامع، ولما علم القاضي بذلك، أمر بإحضار العامي وعنفه، فرد العامي: بأنه سـرق مـال ربه، وأنه فقير وبناته جياع[١].

ويروي ابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م) أن أحد الأغنياء اشتكى للمستنصر انـه اشـترى اردباً من القمح بسبعين ديناراً، فنهبه منه العامة[٢].

ولعل ممارسات العامة المستمرة لأعمال النهب هي التي دفعـت العاضـد، لتكلـيفهم دون غيرهم بنهب دور شاور عقب مقتله عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م)[٣]، فقال أسد الدين شيركوه للعامة: " إن مولانا العاضد لدين الله أمير المؤمنين يأمركم أن تنهبوا دوره (أي شاور)، فتفـرق النـاس عنه ونهبوها"[٤].

كما اختلف العامة عن الخاصة في كونهم ليسوا من أصحاب السلطة، ومصداقاً لذلك أسماهم البعض بالسوقة[٥]؛ لأن الملوك تسوقهم وفق إرادتهم[٦].

وقد اتسم العامة بقصور العقل والجهل، فقد جعل ابن الجوزي (٥٩٧هـ/١٢٠١م) العوام في صف مقابل للعلماء، حيث قال : " قد غمني في هذا الزمان أن العلماء لتقصيرهم في العلـم قـد صاروا كالعامة..."[٧] وعرف الذهبي (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) العامي بأنه الامي الـذي لا يـستطيع القراءة أو الكتابة[٨].

إن فقر العامة وجهلهم، فضلاً عن عدم مشاركتهم في السلطة، جعل أفراد المجتمع ينظرون اليهم نظرة ازدراء وتحقير، " فالرياسة التي تنال بها الحال الدنيوية مقسومة بين السيف والقلـم، وكل صناعة غيرها هاتين فليس يذكر صاحبها بعز"[٩]. ومصداقاً لذلك، فقد قال الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، عن العوام : بأنهم " لا يبالون أن يلحقوا البار بالفاجر، والمـؤمن بالكـافر،

---

(١) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٣٩.
(٢) الجوهر الثمين، ص٢٠٨-٢٠٩.
(٣) حول أسباب حنق العاضد على شاور، ومن ثم تعاونه مع أسد الدين شيركوه على مقتله. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٢٠-٣٢٢.
(٤) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص٣١٢.
(٥) الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٤٤، الخوارزمي، مفاتيح، ص١٢٨، الخطيب البغدادي، **تاريخ**، ج٥، ص٩٢. السوقة من الناس، من لم يكن ذا سلطان. انظر الجوهري، تاج، ج٤، ص١٤٩٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٥.
(٦) الحريري، درة، ص٩٨، ابن منظور، لسان، ج١٠، ص١٧٠.
(٧) صيد الخاطر، ص٢٦٣.
(٨) **العبر**، ج٣، ص١٣٢.
(٩) الدمشقي، **الإشارة**، ص٦٣.

ويفرطون في سلك المزاح، والمهاترة والكذب"[(١)]. وقد وردت في المصادر عدة تسميات تحط من شأن العوام، مثل الغوغاء[(٢)]، والأوباش[(٣)] والسفلة[(٤)]، والرعاع[(٥)]. وإن احتقار الدولة للعامة جعلها تمنع الاشراف من التناكح منهم[(٦)].

ورغم تدني مكانة العامة الاجتماعية، الا أنهم شكلوا قوة كانت تحسب لهم الدولة حساباً، فكان الخلفاء " يراعون مصر وأهلها"[(٧)]، ويبرز ذلك في حرص السلطة الحاكمة على وضوح العامة في الخطاب السياسي من حيث التوجه اليهم مباشرة من أجل استقطابهم وكسب ودهم، فقد استدعت ست الملك – أخت الحاكم – عام (٤١١هـ/١٠٢٠م)، عامة أهل مصر إلى القصر أسوة بالخاصة، وأعلنت عليهم تنصيب الظاهر ابن الحاكم خليفة على مصر، وخاطبتهم بالحسنى، ووعدتهم بقضاء حوائجهم، وطلبت منهم عدم التردد في عرض مظالمهم إن تعرضوا لعسف من العمال أو الولاة[(٨)].

واستدعى الخليفة الظاهر سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م) العامة إلى القصر أسوة بالخاصة، ولما اجتمعوا أعلن عليهم سجل تلقيب القائد أبي الفوارس معضاد[(٩)].

وأمر الخليفة الآمر - سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م) - قاضي القضاة بقراءة سجل على العامة والخاصة؛ ليبرر فيه اعتقال الوزير المأمون وأخيه " فطلع قاضي القضاة، وقرأه بعد اجتماع الأمراء، وأرباب الرتب، والعوام"[(١٠)].

وقد حرصت الدولة على رضا العامة عن طريق تأكيد البعد الديني في سياستها ازاء العامة، من خلال السير على مبدأ لا إكراه في الدين، فقد تعهد جوهر في الأمان الذي منحه

(١) سراج، ص٢٤٥.
(٢) الطرطوشي، سراج، ص٢٤٥. الغوغاء: السفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر. انظر ابن منظور، لسان، ج١، ص١٤٦.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٠، الأوباش: الأخلاط والسفلة، انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص١٨٤٢.
(٤) ابن عبد الظاهر ، **الروضة**، ص٩٩.
(٥) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٧٩.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٦، ص١١٣.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص٩.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٤.
(٩) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢٤-٢٧.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٧.

للمصريين فور وصوله الى مصر، بعدم فرض المذهب الاسماعيلي عليهم[(١)]، ولم يرد ما يـشير إلى تدابير قسرية مارستها الدولة لإجبار العامة على اعتناق المذهب الاسماعيلي، بل تركت أمر الاستماع للدعوة حراً من كل قيد وضغط، وكان الناس يستمعون اليها أحراراً بمحض اختيارهم، ويقبلونها، أو يرفضونها وفق مشيئتهم[(٢)].

وقد سعى الخليفة المعز إلى التقرب من العامة، فكان " فاضلاً، جواداً ... منصفاً للرعية"[(٣)]، وحنق على المغاربة عندما تسلطوا – عام (٣٦٣هـ/٩٧٣م)- على عامة أهل الفسطاط، وأمـر بترحيلهم من الفسطاط[(٤)].

وكان العزيز " حسن الخلق، قريباً من الناس"[(٥)]، وهو الذي قال لعمه حيدرة " يا عم: أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجوهرة، ولهم الخيل، واللبـاس، والضياع والعقار، وأن يكون ذلك كله من عندي"[(٦)].

وكان الحاكم بأمر الله رحيماً بالعامة، فعندما كان يركب لصلاة الجمعة " يزدحم الناس عليه بعد ركوبه من الجامع إلى القصر، فيقف ويأخذ رقاعهم، ويحادثهم، ويضاحكهم، فلم يرجع الـى القصر من كثرة وقوفه ومحادثته العوام إلى غروب الشمس، ويوقع صلات كثيرة"[(٧)].

وعندما ثار العوام لمقتل برجوان عام (٣٩٠هـ/١٠٠٠م)، أمر الحاكم بقراءة سجل عليهم، حاول فيه استقطابهم وكسب ودهم، فقال فيه : " فأقبلوا معاشر التجار، والرعية على معايـشكم، واشتغلوا بأشغالكم، فهو أعود لشأنكم، ولا تطغوا في أمر نفسكم، فلأمير المؤمنين الـرأي فيـه وفيكم، فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة، فليمض إلى أمير المؤمنين بها، فإنـه مباشـر ذلـك بنفسه، وبابه مفتوح بينكم وبينه... وأنتم رعايا أمير المؤمنين المفتحة لها أبواب عدله، وإحسانه، وفضله..."[(٨)].

وحاول الظاهر كسب ود العامة، فكان " جواداً ممدحاً، سمحاً، حليماً، محبباً إلى الرعيـة"[(٩)]، وفيه رفق بالعامة، فيذكر المقريزي أنه لما بويع لابنه بولاية العهد فرق على العامة " طعـام ... ما يجلَّ وصفه"[(١٠)].

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٠.
(٢) انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٥-٣١٧.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٨٩.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢١٠.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٢٠
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٨.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٠.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٠-٣٤١.
(٩) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٢٥٤.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢،ص١٩٣.

وجدّ الخليفة المستنصر في التقرب من العامة، فكثر اختلاطهم بــه، وكانــت لهــم كلمــة مسموعة عنده، " فما هو (أي المستنصر) إلا أن يستخدم الوزير فيجعل نصب الأعــين، ويكثــر الطعن عليه حتى يعزل، فيلي بعده من يتفق له مثل ذلك؛ لمخالطة النــاس الخليفــة ومــداخلتهم الرقاع والمكاتبات الكثيرة إليه، وكان لا ينكر على أحد مكاتبتة، فأحب الناس مخالطــة الخليفــة، وجعلوه سوقاً لهم، وكثروا حتى كانت رقاعهم أوقع من رقاع الصدور والرؤساء والجلة، حتــى أنه كان يصل إلى المستنصر في كل يوم ثمانمائة رقعة، فتشابهت عليــه الأمــور، وتناقــضت الأحوال، وضعفت قوى الوزراء عن التدبير؛ لقصر مدة كل منهم، فإن الوزير منذ يخلــع عليــه ويستقر، فمن ابتغى به يؤذيه عند الخليفة" [(١)].

وقد أشاد الرحالة ناصر خسرو بعدل المستنصر مع العامة من الصناع، فقال: أن الــصناع كانوا يعملون " برضاهم للسلطان (أي المستنصر) ، لا كما في البلاد الأخرى، حيــث يفــرض الديوان والسلطان السخرة على الصناع"[(٢)].

وترفق الآمر بالعامة، فكان يفرق الصدقات على المساكين"[(٣)]. وكان العاضد " كريماً، لــين الجانب"[(٤)] مع العامة، ويتجلى حرص العاضد على رضا العامة، في الرسالة التي وجههــا إلــى أسد الدين شيركوه عند توليه الوزارة والتي يأمره فيها؛ بإزالة البؤس والشقاء الذي لحق بالعامــة من الصليبيين الذين استعان بهم شاور لنصرته على شيركوه، فيقول فيها " وخفــف الوطــأة مــا استطعت عنهم، وبدلهم من بعد خوفهم أمناً"[(٥)].

وقد حذا الوزراء الفاطميون حذو خلفائهم في التقرب من العامة، فقد حرص المــأمون بــن البطائحي على توفير الأمن الاجتماعي للعامة، من خلال إعطائهم أجــورهم، وذلــك مــا أكــده المقريزي في قوله: أن الوزير المأمون بن البطائحي أمر سنة (٥١٧هــ/١١٢٣م) السقائين برش ما بين الفسطاط والقاهرة مقابل دينار واحد، فاستمر ذلك يُطلق لهم إلى أيــام الخليفــة الحــافظ، وكان سبب إطلاق هذا القدر أنه رفع للوزير المأمون أن واليي القاهرة والفسطاط يأخذان جميــع السقائين أرباب الجمال والدواب لرش ما بين البلدين سخرة بغير أجــرة. وواضــح ان الــواليين للقاهرة والفسطاط فعلاً ما فعلا بعيداً عن الخليفة ووزيره، فقرر المأمون للسقائين أجراً محــدداً، وأمر بإطعام السقائين طعام العشاء على نفقة والي القاهرة ومصر[(٦)].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٢.
(٢) **سفرنامة**، ص٩٤-٩٥.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٨.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٠٦.
(٥) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص١٤٦-١٤٧.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٠٨.

وقد حرص أسد الدين شيركوه على رضا العامة، ويبدو انعكاس ذلك في قوله: " الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار (أي مصر) ما أردنا، وصار أهلها راضين عنا"[١].

وقد أرهبت قوة العامة صلاح الدين الأيوبي، فعندما كانت كتب نور الدين زنكي تتوالى عليه، يأمره فيها بقطع خطبة العاضد، وإقامة الخطبة للعباسيين، كان صلاح الدين يعتذر في كل مرة؛ خوفاً من تبدل المصريين عليه[٢].

وترى الباحثة أن حرص السلطة الحاكمة على رضا العامة، كان ذا بعد سياسي، حيث أن قوة العامة العددية جعلت السلطة الحاكمة تخشى أن تغضبهم حتى لا تدخل في غمارهم، حيث أدركت أن ذلك أصلح في تسيير أمور الدولة، ويبدو أنها سارت على مبدأ " إن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة " [٣].

وربما جاء حرص الخلفاء على رضا العامة؛ لأغراض تتصل بنشر المذهب الاسماعيلي، فقد اتخذ الخلفاء المال وسيلة لارضاء العامة حتى يعتنقوا المذهب الاسماعيلي، وقد ظهر استخدام الأموال في سبيل نشر المذهب الاسماعيلي واضحاً في أيام الخليفة الحاكم، فيروي الداعي ادريس القرشي أن الانفاق ازداد في عصر الحاكم، إذ أعطى الناس فوق ما اعتادوه من الأرزاق، وكان يتصدق على الفقراء والمساكين بالأموال، فتوافد الناس على بابه للأخذ من ماله، والدخول في مذهبه، فأنفق في سبيل ذلك مالاً كثيراً[٤].

وكان الخليفة الظاهر يستخدم الأموال لخدمة المذهب، فكان يأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب الوزير ابن كلس في الفقه على مذهب آل البيت، وفرض الظاهر لمن يحفظ ذلك مالاً[٥].

ويمكن القول أن السلطة الحاكمة حرصت على رضا العامة؛ حتى تستفيد من إمكانياتهم، فهم أداة للخاصة تطول بها على العدو[٦]، ومركز الخاصة يعتمد على العامة؛ لأنهم أكثرية، وكثيراً ما حاول الخلفاء والوزراء اللجوء اليهم طلباً لتأييدهم ومعاونتهم، وكان انحيازهم – أحياناً - بجانب أحد الأطراف المتنازعة له أثره الفعال في اختلال موازين القوى، ورجحان كفة على أخرى[٧].

وقد عرف العوام أشكالاً من الوعي متطورة بالنسبة لثقافتهم، فكان وقوفهم دائماً بجانب الأقوى ومن تربطهم به مصلحة، حيث أن رعاية الحافظ للعوام، وسعيه لكسب ولائهم،

---

(١) ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ص٢٤٩.
(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص١٥٧.
(٣) أبي عبد الله الكافي الحنفي، سيف الملوك والحكام، ورقة ٨.
(٤) القرشي، عيون، ص٢٩٤.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٩٢.
(٦) الجاحظ، العثمانية، ص٢٥٠.
(٧) انظر ص ١٣٩-١٤٠ من الأطروحة.

وتخفيضه أسعار السلع عنهم[١]، جعلهم يتعاونون معه في صراعه مع وزيره رضوان بن ولخشي، فيذكر المقريزي أنه كان للعامة دور فاعل في انتصار الحافظ على وزيره رضوان عام (٥٣٣هـ/١١٣٨م)، حيث خرج صبيان ونساء العوام للمناداة بإسقاط رضوان، وصاحوا جميعاً ياللحافظية، ولما انهزم ولم يكن له قِبل بمواجهتهم، فر إلى الشام، فاقتحم العامة داره ونهبوها، ولم يتركوا فيها شيئاً[٢].

وقد تجلى تذبذب العامة في ولائهم السياسي بين هذا وذاك، بما يتفق ومصالحهم، في الحرب التي دارت بين الوزير عباس وابنه نصر من جهة، وبين طلائع بن رزيك من جهة أخرى.

فعندما قام نصر بن الوزير عباس الصنهاجي بقتل الخليفة الظافر عام (٥٤٩هـ/١١٥٤م) استدعى أهل القصر طلائع بن رزيك - والي الغربية وقتئذ- للثأر من الوزير عباس وابنه نصر، وفي عشية الحرب التي نشبت بين الوزير عباس. وابنه نصر من جهة، وبين طلائع بن رزيك من جهة أخرى، تعاون العامة مع عباس وابنه نصر، إلا أنهم ما لبثوا أن "تفرقوا عنه (أي عباس) ... إلى طلائع بن رزيك"[٣]؛ لأنهم شعروا برجحان كفة طلائع، نتيجة لتفرق الأمراء والجند عن عباس[٤]، ورمى العوام عباس من إحدى الطاقات أثناء مروره في الشوراع بهاون، ومرة أخرى بقدر مملوءة طعاماً حاراً، فاضطر إلى الفرار، ونهب العوام داره، ودار ابنه، وعندما قبض عليه الفرنج وأرسلوه في قفص من حديد خرج العوام عند قدومه إلى القاهرة، وبالغوا في سبه ولعنه[٥].

وعندما دب الخلاف بين شاور وشيركوه عام (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، وهزم شيركوه شاور، وأسر شقيقه، وكاد أن يدخل القاهرة، واستطاع أن يفتح ثغرة في سورها، استنفر الخليفة العاضد عامة أهل القاهرة إلى دفع شيركوه، وأخرج معهم حرسه الخاص، وقد تعاون العوام مع العاضد ضد شيركوه، وتمكنوا من صد شيركوه، وسد الثغرة[٦]. ويمكن أن يعزى تعاون العامة مع العاضد ضد شيركوه، إلى سياسة العاضد الرحيمة ازاء العامة[٧].

وقد وقف العامة من صلاح الدين موقف المناوىء، واشتركوا في المؤامرة التي قام بها السودان ضده عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م)؛ بسبب تجلي استبداده بالأمور، وعزمه " على إزالة

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤٩-٢٥٠.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٦.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٧-٢٧٨.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٠٧.
(٧) حول سياسة العاضد الرحيمة ازاء العامة انظر ص ١٣٧ من الأطروحة.

الدولة"[١]. ويمكن أن يعزى موقف العامة في مواجهة صلاح الدين، إلى رغبتهم في بقاء الدولة الفاطمية؛ لما تمتعوا فيها من عطف ورعاية[٢].

ويبدو أن صلاح الدين قد أدرك أن ولاء العامة السياسي لأي طرف مرتبط بمصلحتهم، فمن أجل تحقيق هدفه، وهو إسقاط الخلافة الفاطمية، سعى لكسب رضا العامة، حتى يستميلهم للوقوف إلى جانبه، فألغى عام (٥٦٧هـ/١١٧١م) ثمان وثمانين جباية كانت قد فرضت عليهم، وقرىء سجل بذلك عليهم عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)[٣].

ويبدو أن صلاح الدين نجح في مسعاه، فتبدل موقف العامة منه، " فمال الناس اليه وأحبوه"[٤]، وعندما أسقط الخلافة الفاطمية تخلى العامة عن موقفهم المناوىء له [٥]، وآثروا تقبل تصرفه حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية، فعندما قطع خطبة العاضد الفاطمي الإسماعيلي عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)، وأقام الخطبة للمستضيء بنور الله العباسي السني " لم يتحرك مخالف لذلك ولا منكر له"[٦]، وذكر المؤرخون أنه عندما قطع الخطبة للعاضد " لم ينتطح فيها عنزان"[٧]، بل أصبح عامة مصر الدرع القوي الأول لصلاح الدين " فانطلق به تحدوه قلوبهم، وتدفعه عزماتهم، وتؤيده جموعهم"[٨].

وأن موقف العامة السلبي من سقوط الخلافة الفاطمية الاسماعيلية، والدعاء للخليفة العباسي السني، وتأييدهم لصلاح الدين عقب إسقاطه للخلافة الفاطمية، يؤكد أنهم لم يرتبطوا بالخلافة بولاء روحي، وأن التأييد السياسي من جانب العامة للخلافة الفاطمية، عندما عزم صلاح الدين على إزالتها عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م)، كان ذا هدف نفعي كما بينا.

كما ان موقف العامة السلبي من سقوط الخلافة الفاطمية الاسماعيلية، وعودة مصر إلى قلب العالم الاسلامي السني، يدل على أن المذهب الاسماعيلي لم يتغلغل في عقيدتهم بشكل يجعلهم يؤمنون به، ويدافعون عن بقائه. وقد أكد المؤرخون عدم تمكن المذهب الاسماعيلي في نفوس المصريين[٩]، فذكر البغدادي أن غالبية المصريين المسلمين كانوا عند سقوط الخلافة الفاطمية

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٠٥.
(٢) حول سياسة الدولة الفاطمية الرحيمة إزاء العامة، انظر: ص ١٣٥- ١٣٨ من الأطروحة.
(٣) إبراهيم بن وصيف شاه، **تاريخأخبار** الديار المصرية، ورقة ٦٧.
(٤) ابن خلكان، وفيات، ج٧، ص١٥٥.
(٥) Arthur Goldschmidt: Oconcise History of the Middle East, P.89
(٦) ابن واصل، مفرج، ج١، ص٢٠١.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠١، ابن كثير ، البداية، ج١٢، ص٢٦٨.
(٨) العماد الأصفهاني، الفتح القسى، ص٢٢.
(٩) ليس المجال هنا للحديث عن أسباب فشل الفاطميين في نشر المذهب الاسماعيلي في مصر حول ذلك انظر: كلود كاهن: **تاريخ**العرب، ص٢٤٩، عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، ص ١٣، ٧٠، ٣٦٨، محمد كامل، التشيع في الشعر، ص٦٠، علي بيومي، قيام الدولة الأيوبية، ص١١٨.

على المذهب السني[١].

ومما يؤكد عدم اعتناق المصريين للمذهب الاسماعيلي، رد أهل الاسكندرية على شاور والصليبيين عندما سألوهم أن يسلموهم صلاح الدين، فقالوا: " معاذ الله ان نسلم المسلمين إلى الفرنج والاسماعيلية"[٢].

وأن سرعة تواري المذهب الاسماعيلي واختفائه عقب سقوط الخلافة الفاطمية مباشرة، لمما يؤكد قلة معتنقيه، وعدم تمكنه في نفوس المصريين، فبعد سقوط الخلافة الفاطمية – كما يقول المقريزي - " ... اختفى مذهب الشيعة من الامامية والاسماعيلية إلى أن نسي من مصر"[٣]. كما أكد ابن واصل أنه بعد سقوط الخلافة الفاطمية " اشتهر مذهب الشافعية، واندرس مذهب الإسماعيلية كله وانمحى أثره"[٤].

ويدخل في طبقة العامة:

الباعة:- " وهم متوسطو الحال من التجار"[٥]، الذين يتولون بيع المواد الاستهلاكية الضرورية لحياة الناس[٦]. ويقسم الباعة إلى قسمين: باعة ثابتون، وباعة متجولون.

اما الباعة الثابتون: فهم أصحاب الحوانيت في الأسواق، وكانوا أصنافاً مختلفة باختلاف المواد التي يبيعونها، فمنهم باعة اللحوم المشوية[٧]، والشموع[٨]، والزيوت، والأجبان، والخضار، والأمتعة[٩]، والمآكل المختلفة[١٠].

وكان صغار الباعة الذين لا يملكون حوانيت في سوق القصبة يطلق عليهم " أصحاب المقاعد"؛ لأنهم " يجلسون على الأرض في طُول القصبة بأطباق الخبز، وأصناف المعايش"[١١]. ويبدو أن هؤلاء الباعة كانوا مصدر قلق وإزعاج لأصحاب الحوانيت، فكان افتراشهم أمام الحوانيت يؤدي إلى حدوث مشاحنات بينهم وبين أصحاب الحوانيت التي يبيعون أمامها أو قريباً منها؛ لأنهم قد يبيعون نفس الأصناف من البضائع التي يبيعها أصحاب الحوانيت، ومن المحتمل أنهم يتساهلون في الأسعار؛ لجذب المشترين، حيث إنهم لا يتكبدون نفقات امتلاك حانوت او

(١) الفرق، ص٢٧٥.
(٢) الحنبلي، شفاء القلوب، ورقه ٧.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٣.
(٤) ابن واصل، مفرج، ج١، ص٢١١.
(٥) المقريزي، اغاثة، ص٧٣-٧٤.
(٦) الغزولي، مطالع، ج٢، ص٢٣.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٣١.
(٨) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٩.
(٩) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٨-٣١٩.
(١٠) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٧.
(١١) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٦.

استئجاره، مما كان يدفع أصحاب الحوانيت إلى الشكوى من أصحاب المقاعد، وكانت الدولة تتدخل عن طريق أجهزتها المسؤولة عن الأسواق، لمنعهم من الإقامة أمام الحوانيت[١].

ويبدو أن أعداد الباعة " أصحاب المقاعد " في القاهرة، كانت من الكثرة، بحيث كانت تصدر لهم الأوامر بعدم الجلوس في الطرقات " لما يحصُل بهم من تضييق الشوارع"[٢].

أما الباعة المتجولون: فهم الذين يجوبون الدروب، ويمرون على الدور ببياعاتهم[٣]، وكانوا ينادون على بضائعهم بعبارات استحسان لجلب الشاري[٤]، ومن الباعة الجائلين من يحمل بضائعه في أقفاص خشبية فوق رأسه، كباعة الحلوى واللحوم المشوية[٥]، ومنهم من يطوف ببضاعته على عربات، كباعة الفول[٦]. وكان السقاؤون يحملون الماء على ظهورهم في الجرار النحاسية، ويجوبون المنازل لبيعه[٧].

وثمة تفاوتاً اقتصادياً واجتماعياً بين الباعة، فقد عد المقريزي كبار الباعة من بياض العامة[٨]، فعندما تحدث عن بعض أسواق القاهرة ذكر أن تجارها كانوا من بياض العامة، وقد سُمي صغار الباعة " بالسوقة"[٩].

لقد لعبت الأسواق دوراً في حياة القاهرة الاجتماعية والاقتصادية، فكل ما كان يحدث في القاهرة من حدث مهم، يلقى صداه في الأسواق. فكانت هناك بعض المناسبات الاجتماعية والسياسية التي تغلق فيها الاسواق، ويتعطل فيها نشاط الباعة التجاري. فعندما قتل عدد هائل من العساكر المصرية على يد الثائر أبي ركوة عام (٣٩٦هـ/١٠٠٥م)، " غلقت الاسواق، وجلس الناس بالشوارع، غماً لما جرى على العسكر" [١٠]

وقد أغلق أصحاب الحوانيت والمتاجر أسواقهم وحوانيتهم عام (٣٩٩هـ/١٠٠٨م)؛ احتجاجا على صدور الامر باعتقال القاضي عبد العزيز بن النعمان، مما جعل الحاكم يصدر قراره بالعفو عنه.[١١]

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٦، عبد المنعم سلطان، الأسواق، ص١٩، عثمان، محمد عبد الستار، (١٩٨٨م). المدينة الاسلامية، مجلة عالم المعرفة، ع١٢٨، الكويت، ص٢٦٦.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٦.
(٣) الغزولي، مطالع، ج٢، ص٢٣، عاشور، سعيد عبد الفتاح، (١٩٨٠) الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر، مج١١، ع١،ص٨٩.
(٤) الغزولي، مطالع، ج٢، ص٢٣.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٣،ص٣٢٠.
(٦) الغزولي، مطالع،ج٢، ص٢٣.
(٧) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٦.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٣٠.
(٩) ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٣٩.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٤
(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٢.

وصدرت الاوامر عام (٤٠٤هـ/١٠١٣م) بإغلاق الاسواق ثلاثة أيام من آخر حزن عاشوراء، فيقول المقريزي: " فلما كان يوم عاشوراء أغلقت سائر حوانيت مصر والقاهرة بأسرها"[١]

ولقد عانى الباعة كغيرهم من الفئات من جشع العبيد، فقد تعرضوا في بعض الأحيان للنهب والسلب من العبيد، مما ترتب عليه تعطيل نشاطهم التجاري، فقد قام العبيد (عام٤١٠هـ/١٠١٩م) بكسر الدكاكين التي وراء الجامع الأزهر، ومنها دكاكين النحاسين والبزازين ودار الشمع وغيرها من الأسواق، وأخذوا ما فيها، وخلطوا العقاقير بعضها ببعض، وخلطوا الزيت بالمياه، وأفسدوا كل شيء بغيره، وأشعلوا النيران في أبواب القياسر المجاورة للجامع بعدما نهبوا ما بداخلها[٢].

ولم يمارس الباعة تجارتهم بحرية مطلقة، فقد خضع النشاط الاقتصادي للباعة لاشراف الدولة من خلال عدد من الموظفين أهمهم المحتسب، الذي كان يقوم بالتفتيش على بضائع الباعة، من حيث الجودة والرداءة، وكان يعين نواباً عنه يطوفون على الباعة يتفحصون تجارتهم، ويراقبون المكاييل والموازين والاسعار، ويفرضون عليهم الأنظمة والقوانين التي تضمن للمشترين بضاعة جيدة[٣].

ويبدو أن رقابة هؤلاء النواب على الأسواق كانت من الشدة، بحيث كان البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم أبداً، بل يسدلون الستائر، ولا يمكن المساس بها، أو السطو عليها[٤].

وينضوي إلى طبقة العامة، الصناع، وهم الذين يزاولون مهنة معينة، ويعملون بأبدانهم، وأدواتهم، وغرضهم طلب العوض عن مصنوعاتهم لصلاح معيشة الحياة الدنيا[٥].

وكان الصناع يتدرجون في المهنة التي يشتغلون فيها، فكانت أول درجاتها: المبتدىء، الذي يدخل في الصنعة لأول مرة، ثم الصانع الذي يتعلم الصنعة من الاستاذ، ثم الخليفة، وهو الذي يساعد الاستاذ في المهنة، ثم الاستاذ[٦]- وكان الاساتذة بمرتبة الأدلاء، وقيل أنه لا بد لكل صانع من البشر أستاذ يتعلم منه صنعته[٧]- وأخيراً رئيس الحرفة او الصنعة [٨]. واكتسب رؤساء

---

(١) **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٧.
(٢) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٣٤٦- ٣٤٧.
(٣) انظر الشيزري، **نهاية**، ص٦-٢٥، ابن الأخوة، معالم، ص١٣-٣٠، العبادي، عبد الحميد، (١٩٥٥م). كتب الحسبة وفائدتها في وضع المعجمين الوسيط والكبير، مجلة مجمع اللغة العربية، ج٨، القاهرة، ص٤٢٢-٤٣٠.
(٤) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٢١.
(٥) أخوان الصفا، رسائل، ج١، ص٢٨٥-٢٨٦، السيد أبو سديرة، الحرف، ص٤٠١.
(٦) أخوان الصفا، ج١، ص٢٨٠.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٤.
(٨) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٨.

الصناع أهمية خاصة باعتبارهم ذوي خبرات عالية، فكان أعـضاء الـصنعة يحلفـون بحيـاة رئيسهم[١]. وقد وجه الاهتمام إلى معرفة أسرار الصنعة، فلم يسمح لأحد بأن يمـارس شـيئاً لا يحسنه، ولا يتعلم أسراره[٢].

والحق أن الصناع كانوا يقومون على سد حاجيات المجتمع بما تحت أيديهم من مواد يمكـن تصنيعها[٣]، فهم " الذين بهم قوام العيش في الأيام"[٤]؛ ولذا عمل المعز بعد قدومه إلى مـصر - عام (٣٦٢هـ/٩٧٢م)- على جلب كل من هو ماهر في صنعته " وأفرد لهم مكاناً برسمهم"[٥].

كما أنشأ الفاطميون حول القصر الشرقي مبنى عرف " بالمناخ السعيد"، كان مقراً للـصناع والفعلة الذين كانوا يقومون على سد حاجيات القصور، وساكنيها بما تحت أيديهم من مواد يمكـن تصنيعها[٦].

وكانت لأهمية الصناعات والحرف في المجتمع، وما شكلته من مورد اقتصادي للدولـة، أن أصبحت بعض الحرف والصناعات تخضع لرقابة وإشراف من الدولة، حيث جعلت الدولة لكـل طائفة حرفية عريف[٧]، علل الشيزري (ت٥٨٩هـ/١١٩٣م) وجوده بقوله: " ولمـا لـم تـدخل الإحاطة بأفعال السوقة تحت وسع المحتسب جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفاً من صـالح أهلها، خبيراً بصناعتهم، بصيراً بغشوشهم وتداليساتهم، مشهوراً بالثقة والأمانة، يكـون مـشرفاً على أحوالهم، ويطالعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع"[٨].

والعريف بصفته رئيساً للطائفة الحرفية كان هو الواسطة بين أرباب المهنة والحكومة، فكان ينقل اليهم أوامر الحكومة وتعليماتها، كما تدل على ذلك عبارة المقريزي عند حـبس المعونـة، فيذكر: " أنه في سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) تقدم أمر المأمون بن البطائحي (الوزير الفاطمي) إلـى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين، وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقـاهرة، بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلاً ونهارا"[٩].

لقد كانت الرابطة بين أهل الصنايع قوية، وكان كل يشعر بالارتباط الوثيق بأهـل صـنعته، فقد بلغ التكتل الحرفي بين الصناع إلى حد التعصب للمهنة،فصاحب كل صناعة يتعـصب لهـا

---

(١) أخوان الصفا، رسائل، ج١، ص٢٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٩.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٤.
(٤) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢١٠.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢١٤.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٤١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٥٦.
(٧) العريف: " هو عريف القوم والقيم بأمرهم، الذي عرف وشهر". انظر الزمخشري، أساس، ص٤١٥-٤١٦.
(٨) **نهاية**الرتبة، ص١٢.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥١٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٠٧.

ويعتبرها أهم من غيرها وأن حاجة الناس اليها أشد[١]، وكان التعصب للصناعة أمراً شائعاً بين أهل الأصناف، فصار من شعارهم " الصناعة نسب"[٢].

وقد تمثل الارتباط بين أعضاء الحرفة الواحدة في التمركز الجغرافي الذي جمع أرباب الحرفة الواحدة في السكن أو في السوق، فقد ذكر ابن عبد الظاهر ان " كل حارة من حارات القاهرة بلد مستقلة بالبزازين، والبياعين، والجزارين، وغير ذلك"[٣].

ويتصل بالتماسك الحرفي والشعور بالكيان لدى أهل الصنايع، انتشار الانتساب إلى المهنة، فقد ورد في المصادر ذكر شخصيات عديدة الحق بأسمائها أسماء مهنهم أو مهن آبائهم، فقد ورد في عقد زواج بأوراق البردي اسم أبي السري الخياط[٤]، وورد في أحد عقود الزواج الواردة في أوراق البردي اسم علي بن رحا الطحان، وهو والد الزوجة، ويفهم من العقد أنه كان يعمل طحاناً[٥]. كما وجد اسم عمر بن أبي بكر البزاز على عمود رخام مؤرخ في ٢٧ رجب سنة (٥٣٧هـ/١١٤٣م)، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي[٦].

وتظهر العلاقة التضامنية بين أعضاء الحرفة الواحدة في اشتراكهم مع بعض في تشييع الجنائز، فعندما توفي أبو العباس أحمد بن محمد الدبيني الخياط عام (٣٩٣هـ/١٠٠٨م)، "كانت له جنازة عظيمة جداً مشهورة لم يتأخر عن حضورها أحد من الناس"[٧].

لقد عانى الصناع من العوز، والفقر، فواردهم لا يكاد يكفي لضروريات عيشهم، وخير تقدير لحالتهم المادية قول أبي الفضل الدمشقي: " وأما الصنائع العملية، وهي المهن، فقد قيل قديماً الصناعة في الكف أمان من الفقر، وأمان من الغنى، وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد منه، ولا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد لقمة"[٨]. ويرى أبو القاسم الحريري (ت ٥١٦هـ/١١٢٢م) ان حرفة الصناعة غير فاضلة عن الأقوات، ولا نافعة في جميع الأوقات، ومعظمها معصوب بشبيبة الحياة[٩].

---

(١) ابن خلدون، **العبر**، ج٢، ص٢١٤-٢١٥.
(٢) الجهشياري، الوزراء، ص٢٧، الدوري، عبد العزيز، (١٩٥٩م). نشوء الأصناف والحرف، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ج٨، ع١، ص٢٧.
(٣) **الروضة**، ص١٣٧.
(٤) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٢٢٤، عقد رقم ٢٧٠، لوحة ١٩، مؤرخ في سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م)
(٥) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٩٦-٩٩. عقد زواج رقم ٤٤، لوحة ١٦، مؤرخ في سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م).
(٦) حسن الباشا، الفنون، ص٣٠٢.
(٧) الشارعي، مرشد الزوار، ق٢، ورقة ١١١.
(٨) الدمشقي، **الإشارة**، ص٤٣.
(٩) مقامات، ص٤٣٥.

لقد كان الصناع – أحياناً - موضع تندر وسخرية، حيث وردت في المصادر عدة أوصاف تحط من شأنهم، فقد وصف الحاكة بالخسة(١)، وتشير المصادر إلى أصحاب حرف عرفت بالحرف الرذيلة، مثل الحجام، والدباغ(٢)، والمصور، والرقاص(٣)، والزمار، والزبال(٤).

وقد انطلقت السنة الصناع بالأمثال الشعبية التي تشير إلى قيمة صناعاتهم، وربما تعتبر بمثابة الرد على ما كانوا يتعرضون له من السخرية والازدراء، فقالوا : " من لم يحترف لم يعتلف"(٥)، وقالوا: " كلب طائف خير من أسد رابض"(٦).

ومن العامة، العاطلون عن العمل، وقطاع الطرق(٧)، والفلاحون(٨). ويمكن وضع الرقيق المتمثل في الخدم(٩)، والجواري(١٠) في أسفل السلم الاجتماعي لطبقة العامة؛ باعتبارهم مماليك.

****

المرأة:

تدخل المرأة في أي طبقة حسب موقعها من المال والسلطة. وكانت المرأة في العصر الفاطمي محط اهتمام الدولة، فقد جعلت الدولة لها نصيباً من مجالس الدعوة الاسماعيلية، فكان داعي الدعاة " يفرد ... للنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلساً، وللحرم وخواص نساء القصور مجلساً"(١١).

وخصصت الدولة أماكن لايواء النساء من العجائز والأرامل(١٢). كما أنشأت الحكومة أديرة خاصة بالراهبات ونساء النصارى، فكان في حارة زويلة " دير عامر بالأبكار المترهبات، وغيرهن من نساء النصارى"(١٣).

وقد أولت الدولة رعاية خاصة لنساء القصر، فجعلت من يشرف على شؤونهن(١٤)، وخصصت لهن أطباء يتولون علاجهن(١٥)، وقررت لهن كسوات سنوية(١٦).

---

(١) أبو الصلت، الرسالة المصرية، ج١، ص٣٨-٣٩.
(٢) الغزالي، إحياء، ج٢، ص١٣١-١٣٢.
(٣) الرقاص: عامل البناء، من ترقص، أي ارتفع وانخفض. انظر الزمخشري، أساس، ص٣٦١.
(٤) ابن عمار، الفتوة، ص٣٩-٤٠.
(٥) الأبشيهي، **المستظرف**، ج٢، ص٥٧-٥٨.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧.
(٧) الشيزري، **نهاية**، ص١١٣.
(٨) النابلسي، الفيوم، ص٦٧. R.stephen Humphre: Islamic History AFramework for Inquiry, cairo, the American university, 1992, p.284.
(٩) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٥. المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٨.
(١٠) حول الجواري انظر ص ١٥٢-١٥٦ من الأطروحة.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٧.
(١٢) المصدر نفسه، مج٤، ق٢، ص٨٦٥،٨٥٦.
(١٣) المصدر نفسه، مج٤، ق٢، ص١٠٥٥.
(١٤) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٢٣.
(١٥) القلقشندي، **صبح** ج٣، ص٢٢٠، ناريمان عبد الكريم، المرأة، ص٤٥.
(١٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥.

وقد امتدت رعاية الدولة لنساء القصر إلى ما بعد وفاتهن، فكان كاتب ديوان المجلس يكلف بالاشراف على ما يخرج من الأكفان لمن يمتن من حريم القصر[١].

لقد تمتعت نساء العصر الفاطمي بصفة عامة، بالاحترام والنفوذ، فكان لهن دور على الساحة السياسية، وهناك اشارات كثيرة تثبت تدخل بعض نساء الخلفاء في شؤون الحكم، والمشاركة في توجيه سياسة الدولة، فكان الخليفة الحاكم يستشير ست الملك [٢] في أمور الدولة[٣]. وقد دبرت ست الملك أمور الدولة بعد فقد أخيها الحاكم فترة استغرقت خمس سنين وثمانية أشهر " أعادت فيها للملك غضارته، واستردت بهجته، وملأت الخزائن بأصناف الأموال، وقلدت الأكفاء جلائل الأعمال، واصطنعت الرجال"[٤].

وأصبح نفوذ ست الملك في عهد الظاهر من القوة، بحيث " ضبطت المملكة، وقومت الأمور بحسن رأي وتدبير، وكان لا ينفذ امر جل أو قل الا بتوقيع يخرج عنها"[٥].

ومن النساء اللائي قدر لهن أن يلعبن دوراً بارزاً في تصريف شؤون البلاد السياسية، " أم المستنصر" التي كان لها دور في تعيين بعض الوزراء وإقالتهم[٦]، وكان لها دور فاعل في تعزيز دور العبيد في بداية عهد المستنصر " فخصتهم (أي العبيد) بالنظر وبسطت لهم الرزق حتى صار العبد يحكم حكم الولاة"[٧]، ودعمتهم ضد الأتراك [٨].

وكان المستنصر يطلع أخته على أمور الدولة، فقد استدعاها قبيل وفاته، وقبل يديها، واستوصاها بولاية العهد لابنه المستعلي، وبعد وفاته سألها الأفضل بن بدر الجمالي، يا مولاتنا من عينه الخليفة للخلافة؟ فقالت له: هي أمانة قد عاهدني عليها، وأوصاني بأن الخليفة من بعده ولده " أبو القاسم أحمد"[٩].

وكان لنساء القصر دور فاعل في التخلص من بعض الوزراء المستبدين في السلطة، فعندما قتل نصر ابن الوزير عباس الخليفة الظافر، بادرت نساء القصر وعلى رأسهن أخت الظافر إلى قص شعورهن، وبعثن بها إلى طلائع بن رزيك في طي الكتب التي أرسلنها إليه يستنجدن به

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥.
(٢) ست الملك: ابنة الخليفة العزيز، وأخت الخليفة الحاكم. توفيت سنة (٤١٥هـ/١٠٢٤م). انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٤٠.
(٣) ابن القلانسي، ذيل **تاريخ**، ص٦٠.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٤٠.
(٥) ابن عذاري، **البيان**، ج١، ص٢٧١.
(٦) انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٦، وانظر ناريمان عبد الكريم، المرأة، ص٢١٢-٢١٥.
(٧) ابن ميسر ، **أخبار**، ص٢٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٠٦.
(٨) ابن ميسر، **أخبار**، ص٣١-٣٢، الذهبي، سير، ج١٥، ص١٩.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٠٠-١٠١.

على عباس، وابنه نصر للأخذ بثأر الظافر[١]، وقد استجاب طلائع لطلب نساء القصر، وبعد وصوله إلى القاهرة سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م)، هرب عباس وابنه نصر ومن معه من القاهرة، قاصدين الشام عندما شعروا بعجزهم عن مواجهة المعارضة وطلائع. وفي أثناء ذلك أرسلت أخت الخليفة الظافر كتباً إلى الفرنج في القدس تطلب منهم المساعدة للقبض على عباس وابنه نصر، وعرضت عليهم أموالاً جليلة، فاستجابوا لطلبها، فقبضوا على عباس وجموعه، وقتلوهم في ٢٣ ربيع الآخر سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م)[٢].

وقد استعانت ست القصور - أخت الخليفة الظافر الصغرى - بالسودان على قتل الوزير طلائع بن رزيك؛ بسبب مضايقاته المستمرة لأهل القصر، فقتلوه في رمضان سنة (٥٥٦هـ/١١٦٠م)[٣].

وقد كانت نساء العامة أداة المجتمع في التعبير عن سخطه إزاء سياسة الدولة الجائرة في بعض الأحيان. فقد جاء صدى سخط المسلمين على سيطرة الذميين على البلاد في عهد العزيز،في رقعة كتبتها امرأة واعترضت بها موكب العزيز، وسلمتها له، جاء فيها " بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، وأعز اليهود بمنشأ بن ابراهيم، وأذل المسلمين بك، الا نظرت في أمري وكشفت ظلامتي"[٤].

وقد أعربت امرأة عن سخطها على ما وصلت اليه البلاد من غلاء في عهد المستنصر، فباعت عقدها الذي تصل قيمته إلى الف دينار بقطعة خبز، ووقفت تصيح وتتندر بأيام المستنصر التي عانى الناس فيها من البؤس والشقاء[٥].

ولقد كان لنساء العامة دور على الساحة السياسية فشاركن الرجال في التعبير عن تأييدهم أو رفضهم لأحد الأمور السياسية، ففي عام (٥٣٣هـ/١١٣٨م) في أثناء الصراع بين الخليفة الحافظ، ووزيره رضوان بن ولخشي، يذكر المقريزي: أن الصبيان والنساء من العوام قد خرجوا للمناداة باسقاط رضوان، وصاحوا جميعا ياللحافظية، ولما انهزم ولم يكن له قبل بمواجهتهم، اقتحموا داره التي كانت دار الوزارة، ونهبوها، ولم يتركوا فيها شيئا[٦].

وقد كانت المرأة في موضع القوة غالبا، فكانت غلبة النساء على الرجال في العصر الفاطمي

(١) ابن منقذ، الاعتبار، ص٤، ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٠، ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٩.
(٢) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٠٠، رنسيمان، **تاريخ**الحروب، ج٢، ص٥٩١.
(٣) عماد الدين الأصفهاني، البستان، ص٣٤١، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٨٩-٢٩٠.
(٤) ابن القلانسي، **تاريخ**، ص٥٦-٥٧.
(٥) المقريزي، اغاثة، ص٢٥.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٥٤٩-٢٥٠.

أمراً مسلماً به[١]. وقد عكست عقود الزواج الواردة في رسائل الجنيزة قوة المرأة، فقد فرضت المرأة في تلك العقود شروطاً قوية على الزوج. ففي عقد زواج عقد في عام (٥٤١هـ/١١٤٦م) اشترطت العروس على العريس ألا يتخذ زوجة ثانية، وأن تكون خادمة المنزل من اختيارها، أو بعد موافقتها، وفي حالة وفاتها بدون انجاب أطفال يرد نصف مهرها إلى عائلة أبيها. وقد كانت العروس تمتلك ضيعة اشترطت على العريس أن ايجارها سيكون ملكاً خاصاً بها[٢].

وقد تشترط العروس في عقد الزواج اختيار محل إقامتها، ففي عقد زواج عُقد في عام (٥٤١هـ/١١٤٦م)، أعطي للعروس حق اختيار محل إقامتها [٣].

وانعكست قوة المرأة في عقود الزواج التي وردت في أوراق البردي، ففي عقد زواج تم سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م) اشترطت الزوجة على الزوج أن يتقي الله فيها، ويحسن صحبتها ومعاشرتها، عملاً بما جاء في القرآن الكريم، الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان[٤].

وخير شاهد على تمتع النساء بالاحترام والنفوذ، تلك الألقاب التي اطلقها الناس على نسائهم وبناتهم، فكانت زوجة الخليفة تلقب " بالجهة"[٥]، ولقبت السيدة تغريد زوجة المعز بأم الأمراء[٦]. ولقبت السيدة أخت المستنصر بالسيدة الطاهرة، الشريفة، الملكة، الكريمة، الرؤوفة الرحيمة[٧]. ولقبت أم المستعلي: بالسيدة الملكة، الكريمة، الرؤوفة، الرحيمة[٨]. وأسبغت على نساء العامة القاباً تعكس نفوذهن، ومنها ست الناس، وست الزمان، وست الكل، وست الملاح[٩]، وست الرياض[١٠].

لقد تمتعت المرأة بحرية العمل، حيث تعددت الأعمال التي قامت بها، فعملت بالتجارة، وكانت تتمتع بحرية البيع والشراء[١١]، فيتحدث ناصر خسرو عن سوق النحاس وأهميته، وكيف أن النساء كن يمتلكن الأواني النحاسية، ويؤجرنها بدرهم في الشهر، شريطة أن تسلم في نهاية المدة سليمة[١٢].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٨.
(٢) Goitein: op.cit, v.3.pp.85
(٣) Ibid, v.3, pp.84-85.
(٤) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٩٦-٩٩.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٦.
(٧) السجلات المستنصرية، ص٩٦-١٧٦.
(٨) المصدر نفسه، ١٠٩-١٧١.
(٩) Goitein, op.cit, v.II.pp.316-318.
(١٠) Ibid: v.II.p.433.
(١١) Ibid: v.III,p.319.
(١٢) **سفرنامة**، ص١١٩.

وقد حفلت أوراق البردي بالعديد من عقود البيع والشراء للعقارات، التي مارست فيها المرأة نشاطاً تجاريا في مجال بيع العقارات، ومن هــذه العقــود عقــد بيــع منــزل أرخ فــي ســنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م)، دون فيه اسم الشاري والبائعة، وكانت البائعة ابنة أخت الشاري، مما يــدل على أن صلة القرابة لم تكن لتمنع أن يتم التعامل بصورة رسمية بين البائع والشاري[(١)].

وورد في عقد بيع شراء آخر مؤرخ سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٦م)، أن ريحان بن نشوان اشترى من سارة ابنة قلته القزاز نصف مسكن بدينار واحد، ودون بالعقد أن المبلغ دفع نقداً، ويبــدو أن البائعة كانت تتاجر في العقارات، فقد اشترت في العام نفسه منزل مــن شــخص يــدعى أبــو اليمن[(٢)].

وعملت المرأة في الغزل والنسيج[(٣)]، وفي صناعة السجاد والقباقيب[(٤)]، كمــا عملــت فــي الوعظ والقاء الدروس الدينية[(٥)].

ومارست بعض النساء مهنة القابلة، فقد أشار ابن الزيات (ت ٨١٤هـ/١٤١١م) إلى قابلــه تدعى " أم محمد"، كانت من العابدات الزاهدات، وكانت تعمل لوجــه الله، وتتكفــل بالوالــدة إذا كانت فقيرة، وكانت لا تذهب الا إلى الفقيرة عند وضعها. كما أشار ابن الزيات إلى قابلة تــدعى أم أحمد، وهي من فاعلات الخير، وكانت لا تأخذ أجراً، كما كانت تتكفل بجميــع مــا تحتاجــه النفساء حتى تقضي نفاسها[(٦)].

ومن الحرف التي اشتغلت بها كثير من النساء في العصر الفاطمي، حرفة " الماشطة" التــي تقوم بتمشيط شعر العروس، فقد ذكر ابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ/١٣٣٨م)، أن المحتسب كان يأمر بغسل الحمام وكنسه وتنظيفه بالماء الطاهر، والا تسد الأنابيب بشعر الماشطة، بل تسد بــالخرق الطاهرة أو الليف[(٧)].

وعملت المرأة غاسلة، وهي التي تقوم بتغسيل الموتى من النساء، ويبدو أنها كانــت مهنــة مربحة- أحياناً- فعندما توفيت أم العزيز أخذت الغاسلة ما كان تحتها من الفرش، الذي قدر بستة آلاف دينار[(٨)]. وقد كانت حرفة الغاسلة من الأهمية ، بحيث أن الحاكم عندما منع خروج المــرأة

---

(١) جروهامان، **أوراق**، ج١،ص١٦٦-١٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٣-٢٢٧. وحول عقود أخرى مارست فيها المرأة حرية البيع والشراء. انظر جروهمان، **أوراق**، ج٢، ص١٣-١٧.
(٣) Goitein: op.cit, v.3, p319
(٤) ابن سعيد، **النجوم**، ص٦٤.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص٨٦٨ ، عمر كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص١٢٢.
(٦) ابن الزيات، الكواكب، ص٢٩١-٢٩٣.
(٧) معالم، ص١٥٥.
(٨) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٢، المقريزي، **المواعظ**، **صبح**٢، ص٣٥٢.

في عصره استثنى الغاسلات[١]؛ لانه لم يكن من الممكن الاستغناء عن خدماتهن.

ومن الحرف المتعلقة بالموتى حرفة " النائحة" ، فكانت النائحات تؤجرن لفترة محددة، يندبن الميت، فقد أقامت ست الملك النائحة على قبر أمها شهرا[٢].

وعملت المرأة خاطبة، فكانت تدخل البيوت والحمامات، وتتعرف على من فيها من بنات العائلات اللواتي يصلحن للزواج، وتذهب وتصفها للعريس المرشح، الذي يكون قد سبق ووضع لها الأوصاف التي يريدها في عروسه[٣].

وعملت المرأة بالتجسس، وكانت مهنة شائعة لدى النساء، فالنساء على عكس الرجال يمكنهن دخول البيوت بسهولة، والاطلاع على أخبارها لصالح بعض الناس، فقد رتب الحاكم " في كل درب أصحاب أخبار يطالعونه بما يعرفونه، ورتبوا عليهم عجائز يدخلن الدور ويرفعن إليهم الأخبار..."[٤]

وكان للوزير المأمون بن البطائحي بعض النسوة يقمن بتلك المهنة، فقد انتدب نساءً من أهل الخبرة والمعرفة للدخول إلى جميع المساكن والاطلاع على أحوال ساكنيها، ومطالعته بجميع ما يشاهدنه فيها[٥]. وقد كان لزوجة العزيز جارية تعرف " بتقرب" ، كانت صاحبة خبرلها تدفع اليها بالأخبار والرقاع[٦].

وقد تباينت الأوضاع المعيشية للمرأة تبعاً للطبقة التي تنتمي إليها، فقد عاشت نساء الخلفاء حياة مترفة، حيث أن نفوذهن ساعدهن على تكوين الثروات الهائلة، وقد تعددت الاشارات التي عكست مبلغ ثراءهن.

فقد انفقت تغريد زوجة المعز لدين الله اموالاً كثيرة على بناء مسجد لها بالقرافة، جاء آية في الزخارف والنقوش والسقوف الملونة. كما بنت قصراً آخر لها في القرافة أيضا[٧].

وتركت السيدة رشيدة ابنة المعز عند وفاتها سنة (٤٤٢هـ/١٠٥٠م)- كما يقول ابن الزبير - ما قيمته الف الف دينار، وسبع مائة ألف دينار. ومن جملة ما وجد في خزائن كسوتها ثلاثون الف ثوب، ومائة قارورة مملوءة كافوراً[٨]. أما عبده بنت المعز فقد خلفت أموالا عظيمة[٩].

---

(١) الانطاكي، **تاريخ**، ص٣٠٧.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٧٢.
(٣) ابن دانيال الموصلي، طيف الخيال، ورقة ٣٩-٤٩.
(٤) ابن كثير، البداية، ج١١، ص٣٥٢- ٣٥٣.
(٥) ابن ميسر، **أخبار**، ص٩٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٣.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢٣٤، ٢٣٥.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص٨٧٦.
(٨) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٣.
(٩) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤١، ٢٤٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٣.

أما ست الملك أخت الحاكم، فكان لها اقطاع يدر كل عام خمسين الف دينار[١]، وقيل انها تركت عند وفاتها ثمانية آلاف جارية، كما وجد لديها نيف وثلاثون زيراً صينيا مملوءة بالمسك المسحوق، بجانب النفيس من الجوهر[٢].

وتمتعت السيدة أم المستنصر بالثروة الطائلة والأملاك الواسعة، فعندما قبض عليها ابن حمدان اثناء الشدة المستنصرية استحوذ على اموالها ، وكان من جملة ما استحوذ عليه، أربعة آلاف سرج، وآلات فضية، وثلاثمائة الف وأربعين درهماً، وصناديق مملوءة بفاخر الملابس[٣].

وكان مبلغ ثراء زوجة الآمر كثيراً، حيث أنفقت أموالاً كثيرة على بناء مسجد الاندلس، بلغت اثني عشر ألف دينار[٤]. وبنت رباطاً عام (٥٢٦هـ/١١٣١م) بجوار مسجد الاندلس، وجعلته من أجل العجائز والأرامل[٥].

أما نساء العامة، فكن يعانين من الفقر والحرمان، فكانت عرائس العامة لا يملكن ثمن ثياب وحلي الزفاف، فيقمن باستعارته[٦]. وكانت مهورهن قليلة [٧].

وينعكس فقر وحرمان نساء العامة في قول امرأة عامية، وقفت تحت دار الأفضل بن بدر الجمالي، وقالت : يا دار فيك من كل شيء ، فمتى ترى في كل دار منك شيء[٨].

أما الجواري فقد بلغ تهافت أفراد المجتمع عليهن حداً كبيراً، مما أدى إلى ازدهار الاتجار بهن. فقد خصص سوق كبير بالقاهرة لبيع الرقيق من الاماء والعبيد[٩]، وأصبح الناس يتهادون بالجواري كما تهدى الحلي والجواهر مجاملة وملاطفة[١٠].

فقد اعتاد الأمراء والعمال وغيرهم أن يتقربوا إلى الخلفاء بإهدائهم الجواري، فذكر المقريزي في احداث عام (٤١٤هـ/١٠٢٣م) انه وصلت للظاهر هدية من اسوان فيها " عدة عبيد وإماء سودان"[١١]. وذكر المقريزي في أحداث عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م)، أنه وصلت للظاهر هدية من النوبة فيها عبيد وإماء [١٢]. كما ذكر المقريزي في احداث عام (٤١٨هـ/١٠٢٧م)، أن

---

(١) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٥.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٢٢.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص٨٥٦-٨٥٨.
(٥) المصدر نفسه، مج٤، ق٢، ص٨٧٧.
(٦) العيني، عقد الجمان، ص٥٠٧
(٧) Goitein: op.cit, v.3, PP,66-67,90-92. ، جروهمان، **أوراق**، ج١، ص١١٢-١١٣.
(٨) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٦٧.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٧١. حول مصادر جلب الرقيق إلى مصر انظر ص ٥٢، ٥٩ من الأطروحة.
(١٠) ابن الزبير، الذخائر، ص١٨.
(١١) **اتعاظ**، ج٢، ص١٠.
(١٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧.

المعز بن المنصور بن بلكين بن زيري- أحد نواب الخليفة الظاهر على افريقيا – بعث هدية للظاهر، فيها " عشرون جارية لم يُركحسنهن" [١]. وورد في رسائل الجنيزة انه في سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) أهديت جارية هندية لعروس بمناسبة زواجها[٢].

وقد احتلت قصور الخلفاء المرتبة الاولى من حيث احتوائها على أكبر مجموعة من الجواري، فقد بلغت جواري العزيز عشرة آلاف جارية[٣]، وتركت ست الملك- بنت العزيز- عند وفاتها ثمانية آلاف جارية[٤].

أما الخليفة المستنصر، فكانت جواريه من الكثرة، بحيث لا أحد يعلم عددهن الا تخميناً[٥]. وامتلأت قصور الوزراء بالجواري، فكان ليعقوب بن كلس ثمانمائة حظية[٦] غير جواري الخدمة[٧]، وكانت للوزير الأفضل ثمانمائة جارية[٨]. ومع ما في هذه الأخبار من مبالغة، فهي تنبىء عن نزعة الإكثار من اقتناء الجواري.

وورد في رسائل الجنيزة أنه كان في كل منزل من منازل الطبقة المتوسطة جارية أو جاريتان[٩].

ويمكن أن يعزى تهافت فئات المجتمع على اقتناء الجواري، إلى الحاجة إليهن، حيث أمسى اتخاذ الجواري من الأمور الضرورية التي تحرص الأسر على اقتنائها؛ للاضطلاع بالعديد من الوظائف.

كانت الجواري تشترى للمتعة، فأقبل الميسورون على التسري[١٠] بهن [١١]، وكان شغف الحاكم بالجماع، سبباً في اقتنائه عدد هائلا من الحظايا[١٢]. وكانت ليعقوب بن كلس ثمانمائة حظية[١٣]، وكانت للوزير الأفضل بن بدر الجمالي خمس وستون حظية[١٤].

---

(١) **اتعاظ**، ج٢، ص٤٢.
(٢) Goitein: op.cit, v.1,pp,138-139.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢١.
(٤) ابن الزبير ، الذخائر، ص٢٤٠.
(٥) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٤.
(٦) الحظية هي أن يكون للخليفة او الرجل جارية قد تحظاها، وجعلها سريته. انظر الرازي، مختار، ص١٤٣.
(٧) العيني، السيف، ص١٥٤.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٧.
(٩) Goitein: op.cit, v.i.p.135
(١٠) التسري: الجماع، والسرية الجارية، وهي الأمة يتسراها صاحبها. انظر الجرجاني، التعريفات، ص٦٦.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٧.
(١٢) الانطاكي، **تاريخ**، ص٣٠٤.
(١٣) العيني، السيف، ص١٥٤.
(١٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٧.

وكانت ربات البيوت يقتنين الجواري؛ ليساعدنهن في خدمـــة بيـــوتهن(١). واتخـــذت بعـــض الجواري لتربية الأطفال، يظهر ذلك من خطاب لسيدة مصرية مريضة، تعاني سكرات المـــوت، بعثت به إلى أختها توصيها خيراً بابنتها الصغيرة، ومربيتها الجارية السودانية سعادة، وتذكر لها أن الابنة تعلقت بتلك الخادمة، وتعتبرها في مكانة أمها، وقد لعنت السيدة في نهاية الخطاب مـــن يفرق بين ابنتها وبين تلك الجارية(٢).

وكانت حاجة القصور إلى الجواري أكثر الحاحاً منها في سائر الأسر الخاصة، وذلك بسبب حرص الأسرة الحاكمة على التحلي بعظمة الملك والسلطان، حيث كـــان اتخـــاذ الرقيـــق مـــن الجواري والعبيد، مظهراً من مظاهر الأبهة الشخصية، ودلالة عز ونفوذ، فعنـــدما أراد الحـــاكم الحط من مكانة الذميين فرض عليهم قيوداً تتضمن منعهم من امتلاك الجواري والعبيد(٣).

وقد عملت الجواري في قصور الخلفاء في الطبخ، حيث كان " لهن فـــي الطـــبخ صـــناعة عجيبة ورياسة متقدمة"(٤)، كما عملت جواري القصور في الاشـــراف علـــى المائـــدة الـــشريفة الخاصة بالخليفة(٥). وعملت جواري القصور في الاشراف على خزانـــة الـــشراب التـــي فـــي القصور(٦).

واتخذت جواراي القصور للغناء والطرب(٧)، فمن أهم واجبـــات الجـــواري الترفيـــه عـــن الخلفاء، فقد كان الخليفة العزيز مهتماً بسماع الغناء، وكان له مجموعة من الجواري والراقصات يلازمنه أوقات خلوته(٨). ومن شهيرات المغنيات في القصر الفاطمي " ملك الرســـيه"(٩). وكـــان للخليفة المستنصر جارية بارعة في الغناء اسمها نسب الطبالة(١٠).

وقد نالت جواري القصور الرعاية والعناية، فكن يعشن مرفهات، وكانت تـــصرف المبـــالغ الباهضة عليهن، حتى أن الحاكم عندما حدثت مجاعة في عهده عام (٣٨٧هــ/٩٩٧م)، " فـــرق كثيراً من الجواري طلباً للتوفير"(١١).

---

(١) Goitein: op.cit, v.I.p.135 ، كلود كاهن، **تاريخ**العرب، ص١١٣.
(٢) Goitein: op.cit, v.3.pp, 353-354.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٧، ٣٨٣.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٣٠.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩١.
(٦) المصدر نفسه، ص٥٠.
(٧) ل. سيمنوف، (١٩٧٢). حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مصر. المجلة ال**تاريخ**ية، تصدرها الجمعية العراقية لل**تاريخ**والآثار، بغداد ، ع٢، ص٢٠٢.
(٨) ابن الزبير، الذخائر، ص١٣، ١٤.
(٩) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢١٨.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٩٦.
(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٠.

وقد وصلت بعض جواري القصور إلى أعلى المراتب بزواجهن من الخلفاء، فأصبحن زوجات خلفاء وأمهات خلفاء، فقد كانت الجارية التي تعيش في القصور تستطيع أن تتقدم على قريناتها؛ لموهبة تمتلكها، فتفوز بمحبة الخليفة أو اعجابه بها. وقد يبلغ الأمر أن تصبح زوجة الخليفة[١].

ومن جواري القصور من قيل فيها الشعر، فالأمير تميم بن المعز يمعن في البكاء والتحسر على جاريته، فيقول[٢]:

كانت رضا النفس ونيل المنى ولذة العيش وطيب المدام

لهفي على ما فات من قربها لهفاً له في ك عضو سقام

وكانت لعائشة جارية الأمير عبد الله بن المعز لدين الله[٣]، المنزلة المكنية، فعندما توفيت " صلى عليها داعي الدعاة.. ودفنت عند رجلي مولاها (الأمير عبد الله بن المعز) في داره" [٤].

وكانت لجواري الوزير الأفضل بن بدر الجمالي الحظوة لديه، فجعل لكل جارية من جواريه حجرة في قصره، كما خصص لجواريه خزائن مملوءة بالكسوة والات من الذهب والفضة[٥].

وكان الوزير الأفضل شديد الغيرة على جواريه، فقال في إحداهن"[٦]:

ولي غيرة لو كان للبدر مثلها لما كان يرضى بإجتماع الكواكب

وقد أثر وجود الجواري على مكانة المرأة الحرة، وأدى في بعض الأحيان إلى زهد الرجل عن زوجته. فقد استطاعت بعض الجواري استمالة الأزواج اليهن، والايقاع بهم في حبائلهن، فورد في رسائل الجنيزة ان من الرجال من ترك زوجته واطفاله في الاسكندرية، بسبب حبه لجارية في الفيوم[٧]، وآخر ترك زوجته وعشق جارية نصرانية، وأخذها الى سكنه في البحيرة[٨].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣١٧.
(٢) تميم بن المعز، ال**ديوان**، ص٤٠٦.
(٣) عائشة: جارية الأمير عبد الله بن المعز، كانت من وجوه عجائز القصر وعقلائهم، توفيت عام (٤١٥هـ/١٠٢٤م). انظر المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٠٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٤٠، ص١٠٥.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٧.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٩.
(٧) Goitein: op.cit, v.1.p135.136.
(٨) Ibid, v.1.p135

ولما كانت الحرائر على اتصال بالجواري فلا بد من تولد الغيرة منهن على ازواجهن، مما جعلهن يحرصن على أن يجعلن زمام تواجد الجارية في المنزل بيدهن، حتى اذا ما شعرن بالغيرة منهن وأصبحن أثيرات لدى أزواجهن قمن ببيعهن أو عتقهن، فقد ورد عقد زواج في رسائل الجنيزة، اشترطت فيه العروس على العريس ان تكون جارية المنزل من اختيارها او بعد موافقتها[(١)].

كما ورد في اوراق البردي عقد زواج، اشترطت فيه العروس على العريس، أن يكون زمام تواجد الجارية في المنزل بيدها، ان شاءت اعتقتها ، وان شاءت باعتها[(٢)].

لقد تفاوت الوازع الاخلاقي لدى النساء، فمن النساء من حافظت على نفسها وشرفها، واذا ما تعرضت للاغتصاب كانت تقتل نفسها خوفاً من العار[(٣)].

وهناك نساء وصل التهتك بهن الى حد تجاوز الآداب العامة ، فخرجن عن الأخلاق والآداب العامة، وقمن بانتهاك الدين والعرف، ففي عهد الحاكم بأمر الله" غلب النساء الرجال على الخروج في الليل، وتزايد الزحام في الشوارع والطرقات، وتجاهروا بكثير من المسكرات"[(٤)].

ويبدو أن فسق ومجون بعض النساء قد كرس ظاهرة اجتماعية، دفعت الحاكم إلى اصدار قرارات ضد النساء؛ للحفاظ على القيم العربية، فيذكر المقريزي انه في عام (٣٩١هـ/١٠٠١م)، " لما خرج الناس عن الحد، أمر الحاكم، الا تخرج امرأة من العشاء، فإن ظهرت نكل بها"[(٥)]، ولتحقيق ذلك منع الحاكم الاساكفة من عمل الخفاف للنساء[(٦)]، واصدر الحاكم قرارات متتالية ضد المرأة، ففي عام (٣٩٥هـ/١٠٠٥م) أمر الا تكشف امرأة وجهها في طريق، ولا خلف جنازة ، ولاتتبرج[(٧)].

ومنع الحاكم في عام (٤٠٢هـ/١٠١١م) النساء من الخروج بعد العشاء[(٨)]. كما منع النساء في رجب عام (٤٠٤هـ/١٠١٣م) أن يخرجن إلى الطرقات في ليل أو نهار، سواء أكانت المرأة شابة أم عجوزاً[(٩)]. واشتد الحاكم في رمضان عام (٤٠٤هـ/١٠١٣م) في منع النساء من الخروج، وحُبست عدة عجائز وُجدن في الطرقات[(١٠)]، وفي سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م) " تشدد

---

(١) Goitein: op.cit: v.3,pp.84-85
(٢) جروهمان، **أوراق** البردي، ج١، ص٦٧، ٨٩.
(٣) ابن كثير، البداية، ج١٢، ص١٠.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٨.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٨.
(٦) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٢٩٢. المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٩.
(٧) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٤. المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ٣٥٧.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٠.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٩.
(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٠.

الأمر في منع النساء من الخروج في الطرقات، ومن التطلع في الطيقان بأسرهن، شبابهن وعجائزهن"[١].

ومنع الحاكم في عام (٤١٠هـ/١٠١٩م) النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً[٢]، فأقمن على ذلك سبع سنين وسبعة أشهر، إلى خلافة الظاهر سنة (٤١١هـ/١٠٢٠م)، حيث أطلقت ست الملك للنساء حرية الخروج من دورهن، والتصرف في أمورهن[٣].

وسار الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله على نهج والده الحاكم في بعض الامور التي تخص المرأة، ومن ذلك أنه قام عام (٤١٤هـ/١٠٢٣م) بإصدار مرسوم ضد النساء، يقضي بمنع النساء من الخروج من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة[٤]؛ وذلك بسبب تجاوز بعض النساء الاداب العامة، حيث " اختلط الرجال بالنساء، وهم يعاقرون الخمر، حتى حملت النساء في قفاف الحمالين من شدة السكر، فكان المنكر شديداً " [٥]

وترى الباحثة أن القرارات التي أصدرها الخليفة الحاكم وابنه الظاهر ضد المرأة، لم تكن بدافع ديني (اخلاقي)، فلم يكن الحاكم وابنه الظاهر ملتزمين من الناحية الدينية، فكان الحاكم يستدعي الى مجلسه المغنين وأصحاب الملاهي، " ويخلع العذار[٦] معهم" [٧]، وكان الظاهر يميل الى اللهو، ويشرب الخمر، ويستغرق في لذاته[٨].

ولعل الحاكم وابنه الظاهر أرادا من القيود الاجتماعية التي فرضاها على المرأة، أن يعبرا عن الطابع الأساسي الذي ينشدانه، وهو تأكيد البعد الديني في سياستهما الاجتماعية، لا سيما وان الإمام عند الاسماعيلية هو ممثل الله على الأرض[٩]، فجاء حرص الخليفتين على تأكيد هذا المعنى من خلال التظاهر بالمحافظة على القيم والآداب العامة في المجتمع، عن طريق فرض قيود اجتماعية على النساء في حال خروجهن على القيم الاجتماعية.

ويجدر القول أن القيود – المشار اليها- التي فرضت على المرأة، لم تؤثر كثيراً على مكانتها، اذ يبدو أن لهجة مراسيم تلك القيود كانت اقوى من تطبيقاتها، ولم تنفذ جدياً؛ ولذلك كان الأمر يستلزم تكرار فرض تلك القيود في صورة مراسيم متتالية صادرة من الخلافة[١٠].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٤.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٠.
(٣) ابن دقماق، الجوهر، ص٢٠٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٤٠٠.
(٤) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٢.
(٦) خليع العذار: أي منهمك في الغي، ولم يستح منه. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص٨١١.
(٧) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٦٩.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٧.
(٩) السجلات المستنصرية، ص ٣٥.
(١٠) انظر ص ١٥٦- ١٥٧ من الأطروحة.

ويمكن القول: ان التضييق الذي تعرضت له المرأة في عهد الحاكم وابنه الظاهر، لا يعبر بحال من الاحوال عن الطابع الغالب على احوال المرأة في العصر الفاطمي، اذ أن عدم تعرض المرأة لتلك القيود سوى في عهد الحاكم وابنه الظاهر، لمما يؤكد ان التضييق الذي تعرضت له المرأة في عهد الحاكم والظاهر، يمثل جوانب شاذة – فرضتها ظروف معينة – في وضع المرأة في العصر الفاطمي.

******

أهل الذمة:

يدخل أهل الذمة في أي طبقة، حسب موقعهم من السلطة والثروة. الذمة في اللغة: الحق والحرمة، والذمة أيضاً العهد والكفالة، وفلان له ذمة أي له حق[١]، ومن ذلك يسمى أهل العهد أهل الذمة، وهم الذين يؤدون الجزية التي فرضت في الشريعة الإسلامية على غير المسلمين المستوطنين في بلاد الإسلام مقابل الأمان على أرواحهم وعباداتهم وأعراضهم وأموالهم[٢]. وعلى هذا يمكن القول بأن عقد الذمة عقد يصير بمقتضاه غير المسلم في ذمة المسلمين – في عهدهم وأمانهم – وله الإقامة في دار الإسلام[٣].

كانت القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، مقراً للخلافة تقتصر السكنى فيها على الخليفة وعساكره والعاملين في الدولة [٤]. وتأسيساً على ذلك يمكن القول أن الذميين الذين سكنوا القاهرة في الفترة التي سبقت مجيء بدر، كانوا في الأساس من الذميين العاملين في الدولة، الذين أوجدت لهم صلتهم بالدولة مكاناً للعيش في القاهرة، يقول ابن سعيد: " وأكثر ما يتعيش بها(أي القاهرة) اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب" [٥]

ويفترض تزايد أعداد الذميين في القاهرة، عقب سماح بدر الجمالي لأهل الفسطاط بالسكنى فيها[٦] – عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م)- حيث شكل الذميون نسبة من سكان أهل الفسطاط[٧].

لقد شكل الأقباط النصارى السواد الأعظم من أهل الذمة، يقول المقدسي – الذي زار مصر في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري- أن " عامة ذمته (أي مصر) نصارى يقال لهم القبط، ويهود قليل"[٨]

---

(١) ابن منظور، لسان، ج١٢، ص١٢١، الزبيدي، تاج، ج٨، ص٣٠١.
(٢) الماوردي، الأحكام، ص١٨١، دانييل دينيت، الجزية، ص٥٤.
(٣) زيدان، أحكام الذميين، ص٢٢، ناريمان عبد الكريم، معاملة، ص١٦.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٠.
(٥) **النجوم** الزاهرة، ص ٢٨. حول علاقة الأطباء في السلطة الحاكمة انظر ص ١٢٢ – ١٢٥ من الأطروحة.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٢.
(٧) المقريزي، **البيان**، ص١٥٠.
(٨) **أحسن التقاسيم**، ص ٢٠١- ٢٠٢.

أما النصارى فلم يرد ما يشير إلى اماكن سكناهم؛ ربما لتفرقهم في أرجاء المدينة، وبالتالي عدم تمركزهم في مكان معين بقوة عددية تستحق الذكر.

ويمكن أن تشير توزيع كنائس وأديرة النصارى، إلى مناطق استقرارهم وتوزيعهم فيها، فهي موزعة كالتالي:

دير البنات، وكنيسة المغيثة، وكنيسة بربارة، في حارة الروم(١)، ويوجد في حارة زويلة " دير عامر بالابكار المترهبات، وغيرهن من نساء النصارى" (٢). كما قامت كنائس عديدة للنصارى في المقس(٣).

لقد حظي الذميون باهتمام الدولة، ومن مظاهر رعايتها لهم إقرارها بأحقيتهم في اختيار رئيس يتولى شؤونهم وينظر في أمورهم. وقد كان تعيين رؤساء الذميين يتم من خلال توقيع من الخليفة يأذن فيه بتنصيب الشخص المختار رئيساً(٤).

لقد تمتع أهل الذمة بحرية الدين، فقد تعهد جوهر في الأمان الذي منحه للمصريين(٥) فور وصوله مصر، بتوفير الأمان للجميع " وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه" (٦). وحينما احتاج إلى هدم دير بالقرب من مدينة القاهرة التي عزم على بنائها، عمر عوضاً عنه ديراً آخر سمي بدير الخندق(٧).

ولم تتدخل الدولة في شعائر الذميين الدينية، فقد أذنت لهم ببناء الكنائس والأديرة التي يؤدون بها صلواتهم، ويؤكد ذلك الانتشار الواسع لكنائسهم وأديرتهم في أنحاء مصر(٨). كما كانوا يحتفلون

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص١٠٥٥، ١٠٦٢.
(٢) المصدر نفسه، مج٤، ق٢، ص١٠٥٥.
(٣) المصدر نفسه، مج٤، ق٢، ص١٠٤٧.
(٤) Goitein, op.cit, v. 2, P. 27-31.
(٥) حول الأمان الذي منحه جوهر للمصريين فور دخوله إلى مصر عام (٣٥٨هـ/٩٦٩م) انظر: النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص٧٦. المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٨-١٨١.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٨٠.
(٧) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص٤٥-٤٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ص١٠٤٨.
(٨) لمعرفة أهم الكنائس والأديرة في مصر وأماكن انتشارها، انظر أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص٤٥-٥٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص١٠٢٥-١٠٨٩.

بأعيادهم – التي تحمل دلالة دينية – بحرية تامة، وشاركهم المسلمون في بعض الأحيان الاحتفال ببعض تلك الأعياد[١].

ولم تضع الدولة عقبات أمام رعاياها من الذميين، فقد أتاحت لهم قدراً كبيراً من الحرية داخل نطاق الدولة، فكان لهم حضورٌ ظاهرٌ في الوظائف العامة للدولة. فحينما تم لجوهر الصقلبي فتح مصر في سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م)، كان يشرف على أمور مصر أحد النصارى ويسمى أبو اليمن قزمان بن مينا، فلما أدرك جوهر الصقلبي، ما يشتهر به هذا القبطي من الأمانة والثقة " أبقاه على حاله ناظراً في كورة مصر" [٢]. وعندما دخل المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) مصر في رمضان سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م) قرب قزمان بن مينا إليه، وعهد إليه باستخراج أموال مصر[٣]، ثم ولاه أعمال فلسطين[٤]. وكان جُل أطباء المعز ذميين[٥].

وقد وصل أهل الذمة في عهد العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) إلى أعلى المناصب الإدارية، فكان منهم جُل الكتاب[٦]، كما استوزر العزيز عيسى بن نسطورس النصراني بعد وفاة وزيره ابن كلس اليهودي الأصل بمدة، وقد استناب عيسى بن نسطورس في الشام رجلاً يهودياً يعرف بمنشأ بن إبراهيم و "مال إلى النصارى، فقلدهم الأعمال والدواوين، وأطرح الكتاب المتصرفين من المسلمين --- فسلك (أي منشأ) مسلكه في التوفر على اليهود، وعيسى مع النصارى مثله، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة" [٧].

وكان جل موظفي الدولة في عهد الحاكم (٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) من أهل الذمة، فكان " سائر كتابه وأصحاب خدمته وأطباء مملكته نصارى الا نفر يسير من الكتاب" [٨]. واستفحل نفوذهم فكان " كثير منهم قد تمكن في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء، وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم" [٩].

ويفترض استمرارية سيطرة الذميين على وظائف الدولة في عهد الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م)، الذي " كانت في أيامه هدوء وسلامة عظيمة --- وكان دين النصارى مستقيم وأهله مكرمون" [١٠].

---

(١) انظر ص ٢٥٢ – ٢٥٣ من الأطروحة.
(٢) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٤٠٠.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، مج١، ص٤٦٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، مج١، ص٤٦٠.
(٥) ابن ابي اصيبعة، عيون، ص٥٤٥، Goitein: op.cit, v.2, p243
(٦) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٤٦٨.
(٧) ابن القلانسي، **تاريخ**، ص٥٦.
(٨) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٩٥.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص١٠٠٧.
(١٠) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٦٧٤.

وفي خلافة المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) بلغ نفوذ أهل الذمة ذروته، فسيطروا على دواوين الدولة، وأصبح " جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها وتدبير أمورها كلهم نصارى، وهم الملاك النافذ أمرهم" (١).

وكان جُل اعتماد الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) في إدارة الدولة على الذميين، فقد اكتظت في عهده دواوين الحكومة في العاصمة والأقاليم بالموظفين من أهل الذمة، حيث كان " أراخنة مصر ومقدميها ووجوه أقباطها ورؤسائها، هم كتاب الدولة وخدام المملكة" (٢).

وقد انبسطت أيدي أهل الذمة في مختلف شؤون الحكم والإدارة في وزارة بهرام – الذي استبد بالحكم دون الحافظ – وصار لهم النفوذ والسيادة على المسلمين، فقد عمل بهرام على محاباة بني ملته النصارى ومنحهم الوظائف الإدارية في الدولة، حتى أصبح " للنصارى في أيام دولته نفاد كلمة وعزة نفس وكل تصرف جليل من الدواوين الكبار الذي للخليفة والوزراء في أيديهم، وكان منهم النظار والمشارفون في جميع أرض مصر قبليها وبحريها وثغورها" (٣).

ويرجح استمرار الذميين في شغل وظائفهم الإدارية في الدولة في عهدي الظافر (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م) والفائز (٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م)، إذ لم يرد ما يشير إلى غير ذلك. ورغم اشتراك بعض الكتاب من اليهود والنصارى في التآمر على صلاح الدين واتصالهم بالفرنج في الشام عن طريق المكاتبات، أو عن طريق جواسيسهم في القاهرة؛ للاستعانة بهم بهدف الإطاحة بحكم صلاح الدين(٤)، غير أنه أبقى عليهم رغم توجهه في بداية تآمرهم عليه نحو صرفهم؛ لخوفه من توقف دولاب الأعمال إذا ما فعل ذلك، وهذا ما أشار إليه الدواداري (٧٣٦هـ/١٣٣٥م) بقوله: أن صلاح الدين " قصد استئصال النصارى واليهود جملة كافية، فلم يقدر على ذلك؛ كونه كان أول مبتدأ أمره ووزارته، ولكل قادم دهشة" (٥).

ولعل سبب تآمر الذميين على صلاح الدين يعزى إلى شعورهم بميله نحو الاستبداد بالأمور دون العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م)، وعزمه على الإطاحة بالخلافة الفاطمية(٦)، فجاء ميلهم نحو الفاطميين وتمسكهم بدولتهم وحرصهم على إحيائها؛ لما تمتعوا به من مكانة

---

(١) ساويرس بن المقفع، ج٣، مج١، ص٨١٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، مج١، ص١١٩٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، مج٢، ص١٢٨٨-١٢٨٩.
(٤) أبو شامة، **الروضتين**، ص٢٢٠، ٢٤١، ٢٤٢.
(٥) الدواداري، **كنز**، ج٧، ص٤٠.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص ٢٠٥.

ونفوذ في ظلها، حيث رأوا أن زوال الحكم الفاطمي يعني فقدانهم ما تمتعوا به من نفوذ ومكانة في الدولة.

ويتعجب آدم متز من سياسة الفاطميين المتسامحة تجاه أهل الذمة فيقول: "وقد أظهر الخلفاء الفاطميون لأهل الذمة تسامحاً يعجب له، إذ لا ينتظر ذلك من قوم مثلهم لهم مذهب خاص انفردوا به وخالفوا به جمهور المسلمين"(١). وترى الباحثة أن ذلك ربما كان سبباً رئيسياً لتسامحهم مع أهل الذمة، فعندما جاء الفاطميون إلى مصر لم يكن بإمكانهم الاعتماد على أنفسهم في تسيير شؤون الدولة، حيث كانت تنقصهم الخبرة والمهارة في شؤون البلاد، وبما أن الفاطميين كانوا على المذهب الاسماعيلي المخالف للمذهب السني. فإن استعانتهم بموظفين مصريين من السنة قد يمثل خطورة على نظامهم، مما حتم عليهم الاستعانة بالذميين في ذلك، فقربوهم إليهم واسندوا إليهم الوظائف العليا في الدولة، وأضحى دورهم الفاعل في إدارة شؤون البلاد سبباً رئيسياً لتسامح الفاطميين مع الذميين بصفة عامة.

ويبدو أن اعتماد الدولة على الذميين في تسيير شؤونها الإدارية، أعطاهم شعوراً بوضعهم الخاص في الدولة، وجعلهم يتمتعون بنفوذ واسع، مكنهم من ظلم المسلمين والتعدي على حقوقهم – في بعض الأحيان - من جهة، ودفع بهم إلى الاستئثار بالسلطة والنفوذ من جهة أخرى، فعندما استوزر العزيز (٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م) عيسى بن نسطورس عام (٣٨٠هـ/٩٩٠م)، وكان نصرانياً، استناب في الشام رجلاً يهودياً يعرف بمنشأ بن إبراهيم " ومال (أي عيسى بن نسطورس) إلى النصارى، فقلدهم الأعمال والدواوين، وأطرح الكتاب المتصرفين من المسلمين ... فسلك (أي منشأ) مسلكه في التوفر على اليهود، وعيسى مع النصارى مثله، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة"(٢)، " فاستطالت النصارى واليهود بسببهما" (٣).

وقد أثارت سيطرة الذميين على البلاد في عهد العزيز سخط المسلمين، الذي جاء صداه في رقعة كتبتها امرأة واعترضت بها موكب العزيز وسلمتها له، جاء فيها " بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، وأعز اليهود بمنشأ بن إبراهيم، وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري وكشفت ظلامتي" (٤).

(١) الحضارة الإسلامية، ج١، ص٩٤.
(٢) ابن القلانسي، **تاريخ**، ص٥٦.
(٣) ابن الوردي، **تاريخ**، ج١، ص٤٣٤.
(٤) ابن القلانسي، **تاريخ**، ص٥٦-٥٧، سلام شافعي، أهل الذمة ، ص٨٨-٩٠.

وقد أفرط ابن إياس (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م) في وصف مشاعر الغضب التي انتابت العزيز عند قراءته لما كتبته المرأة، فذكر أن العزيز أمر فور قراءته لرقعة المرأة بالقبض على عيسى ومنشأ وشنقهما[١]، إلا أن قرار العزيز بشأن شنق الوزير نسطورس لم ينفذ، حيث أعيد إلى وظيفته مرة أخرى بعد أن دفع مبلغ ٣٠٠ ألف دينار للخزانة، وشُرط عليه " استخدام المسلمين في دولته وأعماله" [٢]. إن إجراءات العزيز ضد ابن نسطورس ومنشأ لا يمكن اعتبارها اضطهاداً للذميين بصفة عامة، بل هدف العزيز منها امتصاص غضب المسلمين.

وأصدر الحاكم مراسيم متتالية نصت على فرض قيود اجتماعية على أهل الذمة، تلزمهم بارتداء ملابس ذات سمات معينة[٣]، تميزهم عن المسلمين[٤]، كما أصدر مراسيم أخرى تقضي بهدم بعض كنائسهم[٥].

ويبدو أن الحاكم فرض تلك القيود المتتالية على الذميين؛ لأجل الحد من نفوذهم، الذي وصل إلى درجة من القوة، حيث " تمكنوا في أعمال الدولة، حتى صاروا كالوزراء، فاشتد بأسهم، وتزايد ضررهم" [٦]

ويبدو أن القيود المتتالية التي فرضها الحاكم على الذميين قد حدت من نفوذ الذميين، بدليل خروجهم عام (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) بكل طبقاتهم إلى قصر الخليفة مستغيثين إليه يسألونه العفو والصفح[٧].

وبعدما حقق الحاكم ما يصبو إليه من كسر شوكة الذميين، ووضع حد لسيطرتهم، تراجع عن تشدده مع أهل الذمة، فأصدر مجموعة من السجلات لأهل الذمة قبيل اختفائه سنة (٤١١هـ/١٠٢٠م)، حملت في مضمونها التخفيف من غلواء سياسته التي اتبعها إزاءهم[٨]. وبوفاة الحاكم ألغت أخته ست الملك كل قراراته التي أصدرها ضد النصارى[٩].

ويبدو أن النفوذ الذي وصل إليه الذميون في عهد المستنصر[١٠] (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) قد مكنهم من المسلمين، فيقول النويري (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): " وكان التستري اليهودي قد زاد أذاه في حق المسلمين حتى كانوا يحلفون: وحق النعمة على بني إسرائيل" [١١]،

---

(١) **بدائع**، ج١، ص١٩٦.
(٢) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص١٠٤، حسن إبراهيم حسن، **تاريخ**الدولة الفاطمية، ص٢٠٣.
(٣) حول ملابس الذميين انظر ص٢٠٠-٢٠١ من الأطروحة.
(٤) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٦. صدرت هذه المراسيم في الأعوام التالية: (٣٩٥هـ/١٠٠٣م) و (٤٠١هـ/١٠١٠م)، (٤٠٣هـ/١٠١٢م). انظر الانطاكي، **تاريخ**، ص ٢٥٦، ٢٨٩.
(٥) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٦٣٤ صدرت هذه المراسيم في عام (٣٩٩هـ/١٠٠٧ م) انظر الإنطاكي، **تاريخ**، ص٢٧٩.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص١٠٠٧.
(٧) المصدر نفسه، مج٣، ص٥٩-٦٠.
(٨) الانطاكي، **تاريخ**، ص٣٥٧.
(٩) المصدر نفسه، ص٣٧٣.
(١٠) حول نفوذ الذميين في عهد المستنصر انظر ص ١٦١ من الأطروحة.
(١١) **نهاية**، ج٢٨، ص١٣٨.

وقد انتابت المسلمين مشاعر السخط؛ نتيجة لسيطرته هو واليهود على الدولة، ومعاملتهم المجحفة لهم. وقد انعكس صدى تلك المشاعر في قول أحد الشعراء في التعريض بنفوذ اليهود، معبراً عن شعوره وشعور الناس:

يهــود هــذا الزمـــان قــد بلغــوا   غايـــة آمـــالهم وقـــد ملكـــوا

العـــز فـــيهم والمـــال عنـــدهم   ومـــنهم المستـــشار والملـــك

يا أهل مصر إنـــي نـــصحت لكـــم   تهـــودوا قـــد تهـــود الفلـــك [١]

ويبدو أن ضعف المستنصر بسبب الأزمات التي مرت بها الدولة بداية عهده[٢]، لم يمكنه من مجاراة الرأي العام الإسلامي – كسابقيه من الخلفاء – بفرض قيود على الذميين، الأمر الذي قام بتحقيقه بدر الجمالي حيث أصدر سجلاً عام (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) قرئ بقصر الخلافة فرض فيه على أهل الذمة لبس الغيار[٣]، وبأن يشد جميع النصارى زنانير سود، وكذلك اليهود، وتكون أطرافها صفر؛ ليتميزوا عن النصارى[٤].

ويبدو أن سيطرة الذميين على الهيكل الإداري في عهد الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م)، قد أتاحت لهم ظلم المسلمين والتعدي على حقوقهم، حيث " تفننوا في أذى المسلمين وإيصال المضرة بهم" [٥]. الأمر الذي أثار المسلمين على الآمر متهمينه بممالأة الذميين، فخرج أحدهم إلى الجامع العتيق يوم جمعة حيث يشتد الزحام، وخطب بالناس خطبة قال فيها: " يا أهل مصر، انظروا عدل مولانا الآمر في تمكينه النصارى من المسلمين!" [٦]. ولما بلغ الآمر ذلك خاف سوء العاقبة " وانتبه من رقدته، وأفاق من سكرته، وأدركته الحمية الإسلامية، والغيرة المحمدية، فغضب لله غضبة ناصر للدين، وثائر للمسلمين، فألبس أهل الذمة الغيار وأنزلهم بالمنزلة التي أمر الله أن ينزلوا بها من الذل والصغار، وأمر أن لا يولوا شيئاً من أعمال الإسلام، وأن ينشأ في ذلك كتاب يقف عليه الخاص والعام" [٧].

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٥٢.
(٢) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٥، ابن ميسر، **أخبار**، ص٤٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٣٦.
(٣) الغِيارُ: البدالُ، وهو علامة أهل الذمة كالزنار ونحوه. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص٤٥٤.
(٤) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٠٢٤.
(٥) ابن النقاش، المذمة، ص٩١.
(٦) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص١٩٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٢.
(٧) القلقشندي، **صبح**، ج١٣، ص٣٦٩-٣٧٠.

ويبدو أن قرار الآمر بتنحية الذميين عن وظائف الدولة كان قراراً شكلياً، أصدره كي يمتص غضب المسلمين، بدليل عدم تطبيقه له، حيث كان الذميون في وظائف الدولة بداية عهد الحافظ (٥٢٤-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م)(١).

وقد وصل تسلط النصارى على المسلمين في وزارة بهرام النصراني – الذي مكن النصارى من المسلمين(٢) – إلى درجة من القوة، أغضبت المسلمين، ودفعت أحد الشعراء أن يقول معبراً عن مشاعر معاصريه من المسلمين(٣):

إذ حكم النصارى في الفروج   وغالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الإسلام طرا   وصار الأمر في أيدي العلوج

فقل للأعور الدجال هذا   زمانك إن عزمت على الخروج

ورأى المسلمون ضرورة التخلص من نفوذ الذميين وسلطانهم في البلاد، وذلك بالقضاء على عهد بهرام الأرمني، فاجتمع نفر من الأمراء والجند، وعامة المسلمين واستنجدوا برضوان بن ولخشي – والي الغربية وقتئذ - وقالوا له: " وما للمسلمين من ينقذهم من إهانة الأرمن – النصارى – غيرك، فإن قويوا أكثر من هذا تنصر كثير من المسلمين" (٤).

وكان أن استجاب رضوان لاستغاثة المسلمين، وأطاح بوزارة بهرام سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م)، وتقلد الوزارة للحافظ، وقام حرصاً على رضا المسلمين من جهة، وللحد من نفوذ الذميين من جهة أخرى، بفرض قيودٍ على أهل الذمة، حيث أمر في سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) بإنشاء سجل في الحط من النصارى واليهود، منعوا فيه من إرخاء الذوائب ولبس الطيالسه، كما أمروا بشد الزنانير المخالفة لألوان ملابسهم في أوساطهم(٥) وألا يركبوا الخيل أو البغال(٦)، وألا يجوزوا على مساجد المسلمين ركباناً، بل عليهم بالترجل، كما منعهم من التكني بأبي الحسن وأبي الحسين وأبي الطاهر(٧).

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤١.
(٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٢٤.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص٤٠٥.
(٤) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٢٨٩-١٢٩٠.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢ ، ص٢٤٧
(٦) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٢٩٤.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج ٢ ، ص٢٤٧.

وقد ضيق الوزير العادل بن السلار – الذي استبد بالحكم دون الخليفة الظافر – على النصارى في هيئتهم وملابسهم، وألزمهم بشد الزنار، ومنعهم من لبس الطيالسة على رؤوسهم. وذلك بناء على مشورة بعض الفقهاء من المبغضين للنصارى؛ وحتى يصانعه النصارى بالمال. غير أن هذه القيود لم تستمر سوى ثلاثة أيام، إذ لم يحضر أحد من النصارى لمصانعته، فنادى في اليوم الرابع بإبطال تلك القيود[١].

يتبين من دراسة الدور الإداري للذميين ما يلي:

* على الرغم من معارضة بعض المسلمين لوجود الذميين في وظائف الدولة – والتي كانت في حد ذاتها دليلاً واضحاً على أن أهل الذمة ولوا وظائف هامة في الدولة – والتي كان مبعثها سوء استخدام بعض أهل الذمة لنفوذهم في إلحاق الأذى بالمسلمين، وتحقيق مصالح أبناء ملتهم بتعينهم في وظائف الدولة على حساب المسلمين، إلا أن الدولة لم تأبه لتلك المعارضة، وأبقت على الذميين في الوظائف حتى نهاية العصر الفاطمي، حيث أضحى أهل الذمة المتمرسون في شؤون الإدارة عنصراً لا غنى عنه في تصريف شؤون الدولة.

* إن القيود التي فرضتها الدولة على الذميين لم تكن بدافع التعصب الديني، وإنما للضرورة السياسية، من أجل إرضاء المسلمين[٢]، الذين كانوا ينادون- في بعض الأحيان- بالتشدد إزاء أهل الذمة في الوظائف، ويدعون إلى تحديد نشاطاتهم الاجتماعية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن فرض الدولة قيوداً على الذميين رافق في بعض الأحيان محاولة الذميين الاستئثار بالسلطة، فجاءت تلك القيود للحد من نفوذهم.

* ويجدر القول أن لهجة مراسيم القيود كانت أقوى من تطبيقاتها، إذ يبدو أنها لم تنفذ جدياً، ولذلك كان الأمر يستلزم تكرار فرض تلك القيود في صورة مراسيم متتالية صادرة من الخلافة، فرغم أنه كان من المفروض – نظرياً – أن يلتزم أهل الذمة بقيود الملبس والمظهر، فكان الذمي

---

(١) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٣٥٤-١٣٥٥.
(٢) حول أسباب حرص الدولة على رضا عامة المسلمين، انظر ص ١٣٨ من الأطروحة.

لا يختلف عن المسلم في ملابسه، ففي إحدى الرسائل التي وردت في أوراق الجنيـزة[١]، شـكا كاتب مسلم من أن النساء من أهل الذمة " عندما يتركن منزلهن، ويمشين فـي الـشوارع، يـتم التعرف عليهن بصعوبة، ومنهن من يدخلن المحلات التجارية، ويجلـسن بهـا، فيـنلن احتـرام التجار؛ بسبب ملابسهن الفخمة، غير مدركين أنهن ذميات"[٢]. كما أن قرارات عزل الذميين عن وظائف الدولة التي كانت تصدر في تلك المراسيم، كانت قرارات شكلية لم تطبق، إذ أن الذميين استمروا يهيمنون على الوظائف الإدارية حتى نهاية العصر الفاطمي.

لقد كان الذميون جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والاقتصادي، ولا تشير المصادر إلى معاملة خاصة لمهن وحرف الذميين، فقد مارسوا كافة أنواع النشاط الاقتصادي دون عقبات مثل المسلمين.

لقد تمتع أهل الذمة بحرية بيع وشراء العقارات فكانوا يزاولون تجارتهم فـي حريـة تامـة مثلهم في ذلك مثل التجار المسلمين. وقد حفلت أوراق البردي بالعديد من عقود البيـع والـشراء للعقارات، والتي مارس فيها أهل الذمة من اليهود والنصارى نشاطاً تجاريـاً فـي مجـال بيـع العقارات، ومن هذه العقود عقد مؤرخ في القرن الرابع الهجري كان الشاري فيه نصراني يدعى أبو السري بن هلية بن رفرفيل، والبائع فيه أيضاً نصراني يدعى ثيدرس بن كيل بن هلستوس[٣].

وورد في أوراق البردي عقد آخر مؤرخ سنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) لبيـع عقـار يوضـح المعاملات التجارية بين أهل الذمة من النصارى، وغيـرهم مـن اليهـود[٤]. وورد فـي أوراق البردي عقد ثالث مؤرخ في سنة (٤٥٩هـ/١٠٦٧م) اشترى فيه ريحان بن نشوان المغربي مـن سارة النصرانية نصف منزلها[٥].

وقد حفلت رسائل الجنيزة – أيضاً – بالعديد من عقود البيع والـشراء للعقـارات، والتـي مارس فيها اليهود نشاطاً تجارياً في مجال بيع العقارات، ومن هذه العقود عقد كتب حوالي عـام (٤٧٣هـ/١٠٨٠م) - زمن المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) الفاطمي- استثمر فيه شخص يهودي مبلغ ٥٠٠ دينار، في حين ساهم الشريك الآخر بمبلـغ ٥٨ دينـاراً فقط،ولكنـه

---

(١) **أوراق** الجنيزة: كتبها اليهود المقيمون في حوض البحر المتوسط بين القرنين الخامس والثامن للهجرة، وقد احتوت على السجلات والأحكام القضائية، وغيرها من ال**أوراق** الرسمية الخاصة بالطائفة اليهودية في مصر. قام بنشر نصوصها جويتاين (Goitein). ولمزيد من التفاصيل عن **أوراق** الجنيزة انظر مقدمة كتاب (Goitein, op,cit, v.1, pp.1-28)

(٢) Goitein: op.cit, v.4, pp, 199-200

(٣) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص١٩٠.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٣٢-١٣٤.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٢٢٠.

شارك في الربح والخسارة بمعدل $\frac{7}{24}$ (أي ٢٩,١٦%)، وكان للشريك الأكبر الحق في الإشراف الكامل على رأس المال المشترك، ولم يكن للشريك الأصغر أي حق في توقيع الكمبيالات، أو أي رأي في منح القروض(١).

وورد في رسائل الجنيزة عقد آخر مؤرخ عام (٥٤٧هـ / ١١٥٢م) زمن الظافر (٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م)، عهد فيه صمويل بن يهود ابن سعد بكمية من الكتان وأقمشة أخرى تقدر بحوالي ألف دينار إلى شريكين كل منهما قد ساهم بمبلغ ٥٠ ديناراً، وكان على الاثنين أن يبيعا هذه البضائع، ويشترون غيرها من المدن والريف المصري، وذلك لمدة سنة وعلى أن يقتسم الربح والخسارة بالتساوي في نهاية السنة بين صاحب المال – كما أطلق عليه في الوثيقة - وبين شريكيه(٢).

وقد لعب اليهود دوراً اقتصادياً هاماً في عالم التجارة، فقد أثبتت وثائق الجنيزة أن اليهود كانوا يملكون السفن التي تنقل البضائع فيها عبر البحار العربية والهندية (٣)، كما أظهرت وجود علاقات تجارية بين مصر والعراق كان اليهود طرفاً فيها(٤).

ان توجه اليهود نحو الاشتغال بالتجارة كان من القوة – لأهميتها اقتصادياً – حتى أن الرؤساء الدينيين لليهود كانوا يمارسون التجارة إلى جانب مباشرة مهامهم الدينية(٥).

وقد أكدت رسائل الجنيزة المتعلقة بالتجارة، أن نسبة كبيرة من يهود مصر مارست التجارة(٦)، فقد برز منهم التاجران أبو سعيد إبراهيم التستري، وأبو نصر هارون التستري، اللذان ذاع صيتهما واشتهر أمرهما في البيع والشراء، فلما كانت خلافة الظاهر (٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢٠-١٠٣٥م) علا شأن أبي سعيد، إذ كان بمثابة تاجر خاص للخليفة يبتاع منه ما يحتاج إليه من الأمتعة والتحف الثمينة(٧).

وذكر جويتاين أنه استطاع أن يتتبع نشاطات التاجر نهراي بن نسيم في وثائق الجنيزة لفترة خمسين عاماً من عام (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) – في خلافة المستنصر (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٥-١٠٩٤م) – وهو العام الذي جاء فيه إلى مصر، حتى عام (٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) – خلافة

---

(١) Goitein: op.cit, v.1. p.p. 174-175

(٢) Ibid , v.1, p. 175.

(٣) عطية القوصي، (١٩٧٧م)، صلاح الدين واليهود، المجلة ال**تاريخ**ية المصرية، مج٢٤، ص٤٢-٤٣
Goitein, op.cit, v.1, p170

(٤) Goitein, op.cit, v.1, P. 1.3, 242, 244, 285

(٥) Mann: The Jews, p. 94

(٦) Goitein: op.cit, v. 1, p. 157.

(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩٨.

المستعلي[١] (٤٨٧-٤٩٥ هـ/ ١٠٩٤-١١٠١م) – وهو العام الذي توفي فيه[٢]. ومن التجار اليهود الذين وردت أسماؤهم في وثائق الجنيزة التاجر عروس بن يوسف[٣]، والتاجر أبو علي حزقيال[٤].

كما كان للنصارى الأقباط دور بارز في عالم التجارة، إذ يذكر ابن مماتي أنهم " اتسعوا في الأموال حتى جمعوا بين تجارة البر والبحر، والمواشي والتحف، والأملاك والجواهر، إلى غير ذلك من أنواع المال"[٥]

واشتهر من التجار النصارى إبراهيم بن زرعة السرياني، الذي كان واسع الثراء، ذائع الصيت، كما اشتهر بالكرم والسخاء وإغداق الصدقات ومساعدة الضعفاء " وكان بينه وبين المعز ورجال دولته جميل عظيم؛ لأجل بضايعه وأمتعته التي كانت تتواصل وكان يعاملهم فيها،وكان جميع أراخنة مصر يحبوه ويكرموه" [٦].

واشتهر في عهد الآمر (٤٩٥-٥٢٤هـ/١١٠١-١١٣٠م) تاجر قبطي آخر من أصل سرياني، يسمى طيب بن يوسف السرياني، وكان يحمل في تجارته الثياب الغالية، وكان يبتاع للخليفة أجودها، حتى أن الخليفة قربه إليه وخلع عليه، بل أمر عمال الضرائب بألا يحصلوا منه ضرائب على تجاراته، كما أقطعه قرية من أعمال الحوف، فأقام في مصر واتخذها ميداناً لتجارته بتشجيع من الخليفة ورجال دولته[٧].

ان ثروات هؤلاء التجار أعانتهم على توسيع نفوذهم، وتقوية مركزهم؛ لما أسبغته عليهم من قوة اجتماعية، فنجد من هؤلاء التجار من تولى أعلى المناصب في الدولة، فقد أصبح إبراهيم التستري ناظراً في جميع أمور الدولة في عهد المستنصر[٨].

وقد تولى هارون بن سهل التستري ديوان خاص[٩] المستنصر عام (٤٣٩هـ/١٠٤٧م)[١٠].

(١) Goitein: op.cit, v. 1, P. 154
(٢) Ibid , v. 2, P. 270.
(٣) Ibid , v. 2, P. 262, v.4, p. 251
(٤) Ibid , v.2, p. 262.
(٥) ابن مماتي، قوانين، ص٧٣.
(٦) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٤٢٧.
(٧) ابن العميد، **تاريخ**المسلمين، ص٢٩٩.
(٨) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٣٨.
(٩) لم تحدد المصادر اختصاصات **ديوان** الخاص، ويرجح أنه كان يختص بالنظر في خاص أموال الخلفاء، تأسيساً على أنه كان في عصر المماليك يختص بالنظر في أموال السلطان. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٥٢٣.
(١٠) ابن ميسر، **أخبار**، ص٤.

كما تولى التاجر نهراي بن نسيم خزانة بيت المال[١]. وذكرت وثائق الجنيزة أنها كانت مهنته الرئيسية خلال بعض الفترات[٢].

ان تفوق الذميين في التجارة دفع الدولة إلى تعينهم كممثلين قانونيين وتجاريين للتجار الآخرين، حيث تولوا وظيفة وكيل التجار في مصر[٣].

لقد لعب أهل الذمة دوراً بارزاً في النشاط المصرفي، حيث ظهر منهم جهابذة[٤]، وصيارفة[٥]. والجهبذ: هو تاجر وسع أعماله حتى صار صاحب بيت مالي يشتغل بالتسليف، ويقدم خدمة لمعامليه تتمثل في حفظ أموالهم. وقد كان للدولة جهابذة رسميين يسلفونها المال عند الحاجة[٦]. أما الصيارفة: هم الذين كانوا يقومون بتبديل النقود أو صرفها بعد تقييم هذه النقود من حيث الجودة ومن حيث وزنها، ثم توسعت أعمالهم فأخذوا يشتغلون في التسليف ويقبلون الودائع ويتوسطون بين الناس ودار الضرب بأخذ الفضة والذهب من الناس لصكها، ويدفعون لهم نقوداً تعادلها في القيمة الاسمية، فيستفيدون من الفرق بين القيمتين[٧]. وقد خصص سوق للصيارفة في القاهرة[٨]، مما يشير إلى اتساع نشاطهم المصرفي.

وبحكم تعامل الجهابذة بالنقود، أصبحت لهم خبرة كافية في تقدير الأموال، مما جعل الدولة تستعين بهم في جباية الضرائب، وتحصيل الأموال، فكان الجهبذ يتسلم الوارد من الخراج وغيره، ويعمل حساباً شهرياً وسنوياً به يرسله إلى الديوان العام، فيقول ابن مماتي (ت ٦٠٦هـ / ١٠٢٩م) عن عمل الجهبذ أنه: " كاتب برسم استخراج المال وقبضه وكتب الوصولات به، وعليه عمل الرزنمجات[٩] والختمات[١٠] وتواليها، ويطالب بما يقبضه ويخرج مايرفعه من الحساب اللازم له" [١١].

---

(١) خزانة بيت المال. كان يطلق عليها الخزانة الكبرى والخزانة السلطانية وأيضاً بيت المال. وكانت مستودع أموال المملكة وكان يعمل بها ناظر وشهود وكاتب. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٤، ص٣١، محمد قنديل البقلي، التعريف، ص١١٨.

(٢) Goitein, op.cit, v.1, p. 154.

(٣) Ibid, v.1, p. 158. حول وظيفة وكيل التجار، انظر ص١٢٠ -١٢١ من الأطروحة.

(٤) جروهمان، **أوراق**، ج٣، ص١٦٣-١٦٥.

(٥) Goitein, op.cit, p. 232-239, 241-242, 246.

(٦) Goitein: op.cit, v.1,pp246-247, ، عبد العزيز الدوري، **تاريخ**العراق، ص١٦٠- ١٦٤.

(٧) Goitein, op.cit, v.1, p.p. 230-231، عبد العزيز الدوري، **تاريخ**العراق، ص١٦٥-١٦٦

(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢٣.

(٩) الروزنامج: اسم فارسي بمعنى كتاب اليوم، روز بمعنى اليوم، ونامة بمعنى الكتاب؛ لأنه يكتب فيه ما يجري من استخراج أو نفقة أو غير ذلك. انظر الخوارزمي، مفاتيح ص ٨١.

(١٠) الختمة: كتاب ي**رفع**ه الجهبذ في كل شهر بالاستخراج والنفقات والحاصل. وعرف بالختمة؛ لأنه كان يتم في ختام الشهر. انظر المصدر نفسه، ص٨١.

(١١) المصدر نفسه، ص٨١، ابن مماتي، قوانين، ص٣٠٤

وقد أكدت أوراق البردي على عمل الجهابذة في جباية الخراج، ففي بردية يرجع تاريخها إلى سنة (٤٠٥هـ/١٠١٤م) تتضمن إيصالاً عن دفع الخراج عن كورة الأشمونين لجهبذ نصراني يسمى بقام بن شنودة[١].

لقد شارك الذميون في التنظيمات المهنية (أي الأصناف) فقد عمل في القاهرة مهرة من الصناع النصارى في كثير من الصناعات، حيث كان المناخ السعيد[٢] غاصاً بالصناع النصارى " فكانت عدتهم فيه كثيرة، ففيهم الجزارين والنجارين والدهانين والفرانين والخياطين والفعلة من العجانين والطحانين" [٣]. واشتغل أهل الذمة في الريف بالزراعة[٤]، وبتربية المواشي والدواجن والخنزير، فضلاً عن تربية النحل[٥].

وقد جعلت الإشارات التي وردت في المصادر الرفاة الاقتصادي سمة عامة لأوضاع الذميين الاقتصادية، فقد ورد في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية أن النصارى " طغوا وعتوا وبذخوا بديار مصر وصار أكثر اهتمامهم بالأمور الدنيوية، والتجمل والتفاخر والكبرياء على بعضهم بعض" [٦]. وذكر ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) أن النصارى في مصر أهل يسار وذخائر وأموال[٧]. وذكر ابن مماتي (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) أن النصارى اتسعوا في الأموال حتى جمعوا بين تجارة البر والبحر[٨].

كما صور الشعر حياة الترف التي عاشها بعض الذميون، فقال أحد الشعراء [٩]:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية أمالهم وقد ملكوا

العز فيهم والمال عندهم ... ومنهم المستشار والملك

وقال آخر معبراً عن حياة الترف التي عاشها الذميون، والتي تمثلت في ركوباتهم [١٠]:

إذا حكم النصارى في الفروج ... وغالوا بالبغال وبالسروج

(١) جروهمان، **أوراق**، ج٣، ص١٦٣-١٦٥.
(٢) حول المناخ السعيد انظر ص ١٣ من الأطروحة.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٤٢، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٤٥٦.
(٤) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص١١٢.
(٥) المصدر نفسه، ص١١٢.
(٦) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص ٨١٨-٨١٩.
(٧) صورة، ص١٥٠.
(٨) قوانين، ص٧٣.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٥٢.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٤٨.

ويبدو أن رسوخ أقدام الذميين في المهن التي تدر أرباحاً وافرة هو الذي جعل المصادر تشير دائماً إلى الرفاه الاقتصادي لهم، والذي لا يمكن اعتباره سمه عامة لأوضاعهم الاقتصادية، بل سمة لأوضاع فئة محدودة منهم، تتمثل في كبار التجار وفي الصيارفة والجهابذة، الذي أتاحت لهم مهنهم جمع الأموال الطائلة. وتتمثل أيضاً في كبار موظفي الدولة الذين ساعدهم نفوذهم الإداري والسياسي على تكوين ثروات طائلة. وهذا ما أشار إليه ابن المقفع في قوله: " ولما صار جميع مقدمي المملكة والناظرين في دواوينها وتدبير أمورها كلهم نصارى، وهم الملاك النافذ أمرهم طغوا وعتوا وبذخوا ... بديار مصر ... وصار أكثر اهتمامهم بالتجمل والتفاخر ..." (١). ويقول المقريزي: لما تمكن النصارى في عهد الحاكم "في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء، وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم"(٢).

أما بقية الذميين الذين ينتمون إلى فئة العامة – التي تضم الجماعات الأقل ثروة والذين يشغلون المهن الاجتماعية الأقل شأناً – التي تضم الصناع والفلاحين والباعة(٣)، فيفترض وجود فقراء بينهم بأعداد كبيرة.

ارتبط أهل الذمة مع المسلمين بعلاقات اجتماعية متعددة، منها علاقة الجوار، فلم يكن غريباً أن تجاور مساكن أهل الذمة مساكن المسلمين، فقد عاشوا في حارات المسلمين، حيث أقام اليهود في حارة الجوذرية جنباً إلى جنب مع المسلمين، وعندما أحرق الحاكم مساكنهم في الجوذرية انتقلوا إلى حارة زويلة وجاوروا المسلمين فيها(٤).

ويبدو أن التعايش بين المسلمين والذميين في المجتمع وصل إلى درجة من القوة، بحيث شارك المسلمون أهل الذمة الجانب الاجتماعي في طقوسهم الدينية، حيث شاركوهم الاحتفال بأعيادهم الدينية، حتى أصبحت بعض الأعياد النصرانية أعياداً شعبية يشارك فيها الجميع(٥).

ولم تقتصر مشاركة المسلمين للذميين على الأعياد، حيث شاركوهم أيضاً في تشييع الجنائز، فيذكر المسبحي (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) أن المسلمين والنصارى والخدم والأساقفة والرهبان نزلوا لجنازة صبي نصراني توفي وعمره أربع عشرة سنة(٦).

كما كان للذميين – أيضاً – نصيب واضح في حياة المسلمين الاجتماعية، فقد جرت عادة بين المسلمين أنهم في أفراح عرسهم يدعون بعض القبط الذين يتقنون الغناء والتلحين باللغة

---

(١) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٨١٨.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص١٠٠٧.
(٣) انظر ص ١٣٢-١٤٦ من الأطروحة.
(٤) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٤٠٠، ابن إياس، **بدائع**، ج١، ص١٩٨.
(٥) انظر ص ٢٥٢- ٢٥٣ من الأطروحة.
(٦) **أخبار**، ص١٠٧.

القبطية، ويشاركونهم في إحياء احتفالاتهم، فيتقدم هؤلاء موكب العروس في شــوارع المدينــة وأسواقها يغنون باللغة القبطية[١].

وكثيراً ما كان يحدث نوع من التكافل الاجتماعي بين أهل الذمة والمسلمين، ففــي برديــة مؤرخة سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) يطلب فيها نصراني من صديق مسلم مبلــغ عــشرة دنــانير، واللافت للنظر أنه نصراني ويبدأ خطابه بالبسملة، مما يعكــس حيــاة التــسامح التــي عاشــها المسلمون وعامة أهل الذمة[٢].

ويذكر ناصر خسرو (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) أن أحد الذميين أقرض الدولة من الغلة الكثيــر لإطعام أهل مصر حين نقص النيل واشتد الغلاء[٣]. وكان التاجر القبطي إبــراهيم بــن زرعــة يتصدق على الأرامل والمساكين والمستورين والضعفاء من المسلمين[٤]، وكان ابــن ممــاتي[٥] النصراني يتصدق أثناء الشدة المستنصرية (٤٥٧-٤٦٤هـــ/١٠٥٦-١٠٧٢م) بــالقمح علــى صغار المسلمين[٦].

اتسع التعايش بين أهل الذمة والمسلمين ليشمل جوانب ذات طابع ديني، فقد كــان الــذميون والمسلمون يخرجون معاً إلى صلاة الاستسقاء، فكانت كل طوائف الشعب تشترك فــي الــدعاء والصلاة حتى يفيض النيل، وكانت تقام الصلوات إذا ما نقص النيل في موعد الفيــضان وشــعر الناس بالخطر يهدد حياتهم وبلادهم، فيخرج المسلمون حفاة وعلى رؤوسهم المصاحف، واليهود وعلى رؤوسهم التوراة، والنصارى وعلى رؤوسهم الأناجيل، يدعون ويبتهلون إلى الله أن يفيض النيل لتستمر الحياة[٧].

وقامت بين المسلمين وأهل الذمة علاقات عمل [٨]، فلم يكن مستغرباً أن يعمل المسلم عنــد الذمي، بدليل تحريم الحاكم عام(٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) على أهل الذمة اســتخدام المــسلمين فــي أعمالهم[٩].

---

(١) أبو صالح الأرمني، **كنائس**، ص١٢٩.
(٢) جروهمان، **أوراق**، ج٥، ص١٢٩-١٣٠.
(٣) **سفرنامة**، ص١٢١.
(٤) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج١، ص٤٢٧.
(٥) ابن مماتي: الخطير أبي سعيد مهذب، أبي مليح، عمل كاتباً ل**ديوان** الجــيش بمــصر فــي أواخــر أيــام الفاطميين، وأول أيام بني أيوب مدة. توفي سنة (٥٧٧هـ/١١٨١م). انظر ابن خلكــان، وفيــات، مــج١، ص٢١٢-٢١٣، المقريزي، **المقفى**، ج٢، ص٨٣.
(٦) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٢١٣.
(٧) ابن إياس، **بدائع**، ج١، ص٢٢٩.
(٨) عبد العزيز الدوري، (١٩٨٩م). اليهود في المجتمع الإسلامي عبر ال**تاريخ**، بحــث فــي كتــاب القــضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج١، ص١٠٢.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٢. وعقب اختفاء الحاكم ألغت أخته ست الملك جميع القيود التي فرضها على الذميين بما فيها منعهم من استخدام المسلمين في أعمالهم، انظر الأنطاكي، **تاريخ**، ص٣٧٣.

وكان التعاون التجاري بين المسلمين والذميين في التجارة أمراً شائعاً، فقد وردت في وثائق الجنيزة عقود بيع تجمع بين تجار مسلمين وتجار يهود في شركة واحدة، فقد حفظت رسائل الجنيزة شهادة خازن بيت مال يقول فيها: " حضر منصور بصحبة مسلمين، طلبا منه سعر كمية من الكتان، ولقد أخرج (منصور) دنانير، وأعطاهم لي لكي أزنهم في حضرة الطرفين، ولقد وزنتها وفحصتهما" (١). وكان يشهد في بعض الأحيان على المعاملات التجارية مسلمون حتى لو كان الطرفان من اليهود(٢).

ويعتبر نظام الوكالة(٣) صورة أخرى من صور التعاون التجاري بين اليهود والمسلمين، فكان منصب وكيل التجار في أحيان كثيرة يتولاه تاجر مسلم وتاجر يهودي بالاشتراك معاً، فقد ورد في إحدى رسائل الجنيزة أن " فلان هو الآن وكيل التجار مشاركة مع أبي محمود" (٤). كما ورد في أوراق البردي عقود بيع تجمع بين تجار مسلمين وتجار نصارى، ففي عقد مؤرخ سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م) لبيع منزل كان الشاري فيه نصرانياً يدعى " يخسنس بن شنودة"، والبائع "عبد العزيز بن مقبل المعزبي" (٥). وعقد آخر مؤرخ سنة (٤٤١هـ/١٠٤٩م) شهد عليه المسلمون والنصارى معاً(٦).

لقد أدى اختلاط الذميين بالمسلمين، إلى تأثر الذميين بعادات المسلمين، فقد انتشرت بين النصارى - في عهد المعز (٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م) -عادة اتخاذ السراري إلى جانب زوجاتهم كما يفعل المسلمون مخالفين بذلك شريعتهم(٧).

وقد أثر الاحتكاك والتعاون بين أهل الذمة والمسلمين على عادات وتقاليد المجتمع المصري، ومن ذلك أن بعض نساء العامة من المسلمات اعتدن عدم شراء السمك أو أكله يوم السبت، حيث حرم اليهود صيد السمك أو أكله في هذا اليوم، كما أن بعضهن تأثرن بعادة النصارى في عدم العمل ليلة الأحد(٨).

ورغم أن الاتجاه العام – كما بينا – كان نحو تعايش المسلمين والذميين في جو من الانفتاح والعيش المشترك، إلا أنه وردت في المصادر أخبار قليلة سجلت حالات فردية لعلاقات سلبية بين المسلمين والذميين، مثلت جوانب شاذة في علاقات المسلمين مع الذميين، حيث فرضتها

---

(١) Goitein, op.cit, v.1, p.p.230-231.
(٢) Ibid, , v.1, p, 196.
(٣) سبق الحديث عن نظام الوكالة في ص ١٢٠-١٢١ من الأطروحة.
(٤) Goitein, op.cit, v.1, p.p. 188-189
(٥) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص١٦٣.
(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٤-١٩٨.
(٧) ساويرس بن المقفع، ج٣، مج١، ص٤٣٠.
(٨) ابن الحاج، المدخل، ج١، ص٢٧٨-٢٧٩.

ظروف معينة. فقد شهد المجتمع في مصر وفي حالات نادرة شيئاً من التجاوز على الذميين، ولم يكن هذا التجاوز نتيجة لتعصب ديني، وإنما نتيجة لسلوكيات الذميين السلبية – في بعض الأحيان – إزاء المسلمين.

فقد قام المسلمون عام (٤٠٢هـ/١٠١١م) بمهاجمة ونهب مشيعو جنازة رئيس اليهود بمصر شريان بن الحنان[١]؛ نتيجة لقيام اليهود المقيمين في حارة الجوذرية بالسخرية منهم. ويبدو أن معارضة المسلمين لاستهزاء اليهود بهم وصلت إلى درجة من القوة دفعت الحاكم إرضاءً للمسلمين، إلى حرق مساكن اليهود التي في حارة الجوذرية، وترحيلهم إلى حارة زويلة[٢].

كما أن استخدام الذميين في وظائف الدولة على نطاق واسع أدى إلى تمكنهم من المسلمين وتسلطهم – في بعض الأحيان – على مصالحهم ومحاباتهم أهل دينهم وتسهيل تعينهم في الوظائف على حساب المسلمين، وكانت مغالاتهم وترفعهم على هذه الصورة أمام جمهور المسلمين، تؤدي إلى ارتفاع أصوات المسلمين بالاستنكار، فتصدر أوامر الخلفاء بفرض قيود اجتماعية على الذميين للحد من تسلطهم على المسلمين[٣]، وسرعان ما كانت تلك القيود تزول، وتعود حياة الصفاء بين المسلمين وبين الذميين.

وقد كانت الاضطهادات التي تقع على المسلمين من قِبل النصارى، حتى خارج مصر تؤدي أحياناً إلى حدوث اشتباكات ما بين الذميين والمسلمين في مصر، فحينما غزى الروم الشام عام (٣٤٩هـ/٩٦٠م)، وقتلوا وخربوا فيها، هاج المسلمون على النصارى في مصر، ونهبوا كنائسهم[٤].

وحدثت فتنة كبيرة بين المسلمين والنصارى في مصر، عندما احترق الأسطول الذي جهزه العزيز لغزو بلاد الروم عام (٣٨٦هـ/٩٩٦م) - أثر خروج الإمبراطور باسيليوس إلى الشام لغزوها سنة (٣٨٦هـ/٩٩٦م) – فاتهم عامة المسلمين تجار الروم الواردين بالبضائع إلى مصر بحرقه؛ حتى لا تتعرض بلادهم للغزو، وثاروا عليهم وقاموا بقتل مائة وستين رجال منهم، وانطلقوا إلى الكنائس فقاموا بتخريبها ونهبها وجرحوا أسقف النسطوريين، فمات متأثراً بجراحه؛

---

(١) Goitein, op.cit, v.2, p.p. 28-29
(٢) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٥٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص١٢.
(٣) انظر ص ١٦٦ -١٦٧ من الأطروحة.
(٤) الانطاكي، **تاريخ**، ص٩٢.

وخشية من تفاقم الأزمة قام الوزير عيسى بن نسطورس باعتقال ثلاثة وستين من المسلمين، ثـــم أمر العزيز بقتل ثلثهم وضرب ثلثهم وإطلاق الثلث[١].

(١) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٣٢-٢٣٤.

الفصل الرابع
طراز المعيشة

اولا: المأكل والمشرب

ثانيا: اللباس

ثالثا: الزينة

رابعا: المسكن

خامسا: الأعياد والاحتفالات

سادسا: وسائل التسلية

سابعا: الاسرة

أولاً: المأكل والمشرب: -

لقد بلغت عناية الفاطميين في طعامهم وشرابهم مبلغاً عظيماً، فكانوا "يتأنقون في المآكل، حتى إن الخادم والسائس من غلمانهم ينفق في كل يوم على طعامه العشرة الدنانير والعشرين ديناراً، لسعة أحوالهم"(١). كما خصص الفاطميون لمطابخ قصورهم مصروفات عظيمة من بيت المال(٢)، وعينوا مشرفين على مطابخ قصورهم(٣)، ومشرفات على موائدهم(٤).

لقد اعتنى الفاطميون عناية كبيرة بإقامة الأسمطة في المناسبات والأعياد، ولا سيما في أول العام الهجري(٥)، وعيد الفطر(٦)، والنحر(٧)، وفي رمضان(٨)، وانفقوا المبالغ الباهضة على هذه الأسمطة(٩)، التي كان " لا يفوتها شيء من أصناف المأكولات الفائقة، والأغذية الرائقة"(١٠). كما اعتنى العامة في مآكلهم ومشاربهم، وكانوا " يظهرون كل ما يمكنهم إظهاره في المآكل والمشارب"(١١)

وقد أدى إقبال الناس على الطعام، إلى انتشار أسواق الأطعمة، فقد كان سوق القصبة " غاصاً بأنواع المآكل والمشارب"(١٢). وكان سوق حارة برجوان " معمور الجانبين بالعدة الوافرة من بياعي لحم الضأن، وبه عدة كثيرة من الزياتين، وكثير من الجبانين، والخبازيين واللبانين، والطباخين والشوائين، والخضريين" (١٣). وكان سوق خان الرواسين من أحسن أسواق القاهرة، ويشتمل على نحو العشرين حانوتاً مملوءة بأصناف المآكل(١٤). وكانت سويقة أمير الجيوش تكتظ بأصناف المآكل(١٥).

إن إقبال الناس على الطعام، جعل الدولة الفاطمية تتخذ من المأكل وسيلة من وسائل الدعاية للنظام السياسي، فعمل الفاطميون على تدعيم الروابط الاجتماعية بينهم وبين رعاياهم ورجال دولتهم، عن طريق إغداق المآكل عليهم؛ بهدف كسب ولائهم. فكان الفاطميون يقدمون في

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٤٨.
(٢) ابن مماتي، قوانين، ص٣٥٠.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨١. المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩١.
(٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥١، ٨٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩١.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٨- ٥٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٦٢.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢١١- ٢١٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٣.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٩.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥.
(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٣.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٣.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٦٠٤.
(١٢) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٦.
(١٣) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٨- ٣١٩.
(١٤) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٧.
(١٥) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٣٥.

الأعياد والمواسم " إلى جميع خدمهم وحواشيهم، ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير... ما يحتاجون إليه من نفيس المطعومات والمشروبات"(١).

وكانت الدولة تفرق في الأعياد الحلوى على الخاصة والعامة(٢)، ومن رسوم الدولة، تفريق المآكل على الناس في احتفال رأس السنة(٣)، وفي عيد ميلاد المسيح(٤)، وفي عيد النوروز(٥)، وفي المواليد الستة(٦). وكان من رسوم الدولة الفاطمية في الأعياد، إعداد الأسمطة في القصر الشرقي، ودعوة رجال الدولة إليها، وإباحتها للعامة(٧).

ويمكن أن يعزى تأنق الناس في المأكل والمشرب، إلى كثرة إنتاج مصر الزراعي(٨)، والحيواني(٩)، الذي أدى إلى وفرة الأطعمة، مما ساعد الناس على التأنق في المأكل، والاهتمام بالجيد من أصنافه. وقد أبدى الرحالة المقدسي - الذي زار مصر في العصر الفاطمي - إعجابه بأطعمة المصريين، فقال أن مصر بها " أطعمة لطيفة، وحلاوات رخيصة"(١٠).

كما عزى المقريزي مبالغة الفاطميين في التأنق بالمأكل والمشرب إلى " ما كانوا عليه من الحضارة والترف"(١١)، ولا ريب في ذلك، إذ أن الأسمطة - كما يقول ابن خلدون - لا تكون " الا إذا تجاوزت الدولة ضراوة العيش وخشونته إلى نوافله وترفه وزينته... فينزعون مع ذلك إلى رقة الأحوال في الطعام، ويتفاخرون في ذلك، ويفاخرون فيه غيرهم من الامم في أكل الطيب، وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم فيه"(١٢).

وقد الفت كتب في المأكل في العصر الفاطمي؛ نتيجة لهذا الاعتناء بالطعام، فقد ألف الطبيب موسى بن العازار الاسرائيلي كتاباً في الطبيخ، أهداه للمعز، اسمه " الكتاب المعزي في الطبيخ"(١٣)، وألف المسبحي كتاباً عن المأكل اسمه " البخلة والأكلة"(١٤)، كما ألف المسبحي كتاباً عن الشراب، اسمه " الراح والارتياح في وصف الشراب وآلاته، والندام عليه،واختيار أوقاته،

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٥٩.
(٢) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٦- ٢٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠٥.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩١.
(٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص١٠٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٣.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠١.
(٦) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٣.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٨. المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٤.
(٨) حول الانتاج الزراعي لمصر في العصر الفاطمي، انظر الأصطخري، مسالك، ص٤١، ابن حوقل، صورة، ١١٣، الحميري، الروض، ص٤٤٢، ادريس، محمد محمود، (١٩٧٦). الحياة الزراعية في مصر في العصر الفاطمي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص١٧٠- ٢٨٨.
(٩) حول الانتاج الحيواني لمصر في العصر الفاطمي، انظر: البغدادي، **أخبار**، ص٩٩، ابن بطوطة، **رحلة**، ج١، ص١٩٨، الطواهية، فوزي، (٢٠٠٣م). الزراعة في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ص٢١٠- ٢٢١.
(١٠) **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٣.
(١١) **المواعظ**، مج٣، ص٣١٦.
(١٢) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص١٣١-١٣٢.
(١٣) ابن ابي اصيبعة، عيون، ص٦٦.
(١٤) ابن سعيد، **النجوم**، ص٦٦.

وذكر الزهر والرياض والثمار والأشجار والمظان المختارة لشرب العقار"[١].

إن اهتمام الخاصة والعامة بالطعام أدى إلى تطور فن الطبخ، يؤكد ذلك ظهور فنانين مهرة في الطبخ، فقد عزى ابن سعيد جودة طبخ الأطعمة في العصر الأيوبي، إلى وجود جوار طباخات، أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين، لهن في الطبخ صناعة عجيبة، ورياسة متقدمة"[٢]. وإن انتشار حوانيت الطباخين المهرة في الأسواق[٣]، جعل كثيراً من الناس " يتناولون أغذيتهم كل يوم في الاسواق بكرة وعشيا"[٤].

ويبدو انعكاس مهارة طباخي العصر الفاطمي في أقوال الشعراء، فحينما دعا الشريف العقيلي صديقاً له إلى مائدته، أخبره بأن صانعها طباخ، ماهر، صناع، فقال له:[٥]

ورضيع إذا أتيت أتانا   منه طباخنا برطب سمين

وأشاد ظافر الحداد بخباز الكنافة، فقال:[٦]

وحاذق محكم كنافته   لا تشبع العين منه بالنظر

وأشاد ظافر الحداد بصانع شراب الفقاع، فقال: [٧]

جاءنا بعدما أكلنا فقاع   قد أجادت إحكامه الصناع

إن مظاهر الطعام تؤكد أهمية انفتاح مصر على الخارج، فمن خلال عادات الاستهلاك الرفيعة المستوى، يتبين وجود صلات ثقافية وتجارية مع العالم المسيحي، ولم يفلح التعصب الديني في وأد قنوات التواصل الحضاري. فكانت سفن التجار الروم تصل إلى موانىء مصر محملة بالمنتجات الرومية، وكان الجبن أكثر ما تطرحه هذه السفن[٨]، وقد أثار ذلك استياء الفقيه الطرطوشي، فألف أثناء مقامه في الاسكندرية " رسالة في تحريم جبن الروم"[٩]، وكانت من الاسباب التي أثارت عليه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، الذي أمر بإرسال الطرطوشي إلى القاهرة، وحدد إقامته[١٠].

لقد ضاعفت تيارات الهجرات المتوالية من المغرب وبلاد الأرمن إلى مصر، من فرص التواصل الحضاري بين المغرب وبلاد الأرمن من جهة، ومصر من جهة أخرى. فساهمت هذه

---

(١) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٧٨.
(٢) ابن سعيد، **النجوم**، ص٢٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٣٠.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٦.
(٤) المصدر نفسه، مج١، ص١٣٠.
(٥) **ديوان**، ص١١١.
(٦) **ديوان**، ص١٣٢.
(٧)المصدر نفسه، ص٣٦٦.
(٨) Goitein: op.cit, v.4, p.46
(٩) الطرطوشي، سراج، ج٢، ص٢١٢.
(١٠) ابن خلكان، وفيات، ج٣، ص١٢٥.

الهجرات في نقل جزء من تراث المغرب وبلاد الأرمن إلى مصر، وشمل ذلك المأكل، فشاعت في مصر مع مجيء المغاربة اليها، أكلة الكسكسو المغربية[(١)]. كما ظهر في مصر مع قدوم الأرمن إليها، خبز أبيض اختص في صناعته الأرمن يسمى "اقلاعمون"[(٢)].

امتد التأثير المذهبي الاسماعيلي للفاطميين إلى المأكل، فأصدر الحاكم بأمر الله قرارات عديدة، تقضي بمنع بيع بعض المأكولات المحببة لدى بعض السنة، فمنع - عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)- " الناس من زرع الملوخية والقرع، وكتب على الفلاحين قائم أن لا يزرعوا شيئا منهما، وعلل تحريم القرع؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه كان يميل اليه، وعلل تحريم الملوخية؛ لكون عائشة بنت أبي بكر الصديق كانت تميل اليها"[(٣)]، وكانت " محببة لمعاوية بن أبي سفيان"[(٤)]. كما منع بيع " الجرجير المنسوب إلى عائشة، والمتوكلية المنسوبة إلى المتوكل العباسي "[(٥)].

ويبدو أن قرارات منع هذه الأطعمة، كانت وقتية؛ ربما فرضتها ظروف معينة، حيث أن الناس ما لبثوا في العام التالي من إصدار هذه القرارات، أن تراجعوا " إلى بيع جميع ما نهى عنه من غير تقدم لهم في ذلك"[(٦)].

وكان الطعام كما يبدو من النصوص المتوفرة لدينا، يقسم إلى نوعين: نوع معقد التركيب يكلف غاليا لما يحتاج إلى الآت ومطيبات وجهد، وهو طعام الأغنياء. وآخر بسيط، يمكن القول عنه بأنه طعام شعبي، شائع بين الناس جميعاً، رغم اختلاف مستوياتهم الاقتصادية.

أ. الأكلات المترفة:

وهي الأطعمة المعقدة التي تحتاج إلى أدوات كثيرة، وآلات مختلفة، أي المواد التي تسمى (الأبازير) التي تطيب الطعام، وتزيده نكهة. ومن البديهي أن تكون هذه الأكلات غالية الثمن، لا يقدر عليها العامة، ومن هذه الأطعمة:

* **الدجاج:**

كان سعر الدجاج غاليا إذا ما قرن بثمن الأطعمة الأخرى، فذكر ابن ميسر أنه في عام (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)، غلت أسعار السلع، أما " الدجاج والفراريج لا يقدر على شيء منها"[(٧)].

---

(١) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ص٥٦- ٥٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥- ٣٦.
(٣) ابن إياس، **بدائع**، ج١، ص٩٩.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٦.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٥٦.
(٦) الأنطاكي، **تاريخ**،٢٦٨.
(٧) **أخبار**، ص١٣٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٥٣.

وكان أكل الدجاج مؤشراً على الترف، فعندما كان الشريف أبو جعفر مسلم يتحدث عن العلم سخر منه سيبويه المصري، قائلا: شغلكم عن العلم أكل الفراريج[١].

أما كيفية طبخ الدجاج، فهي واحدة في الأساس، الا أنها تختلف حسب المواد المضافة اليه، فالمبدأ العام في طبخ الدجاجة أن تؤخذ وتسلق وتقطع، ثم تعرق في الشيرج – هو الدهن المستخرج من السمسم – المضاف اليه الكسفرة، والدار صيني[٢]، وبعد هذه العملية تضاف إليها " الأمزجة الطيبة النافعة"[٣] التي تختلف حسب رغبة الطابخ، فإذا أراد أن تكون حامضة فيجب على الطابخ أن يضعها بماء الليمون والتوابل، ثم يضيف اليها بعد ذلك اللوز الحلو المقشور، والمدقوق ناعماً، ثم يرش بعد ذلك عليها ماء ورد، أو يفرك فوق كل ذلك باقات نعنع[٤]. وكان هذا الطبق يقدم مع سلاطة مصنوعة من أوراق البنجر[٥].

وإن أراد أن تكون مصوصا[٦]، عرقها بالشيرج بعد السلق، ثم طرح عليها الكرفس والخل مصبوغاً بزعفران[٧].

وإن أرادها مقلية – أو مطجنه كما تسمى أيضاً- فيجب أن يقليها حتى تتورد، ثم يطرح عليها شيئاً يسيراً من ماء السلق، وبعد أن يرفعها عن النار، عليه أن يعصر عليها ماء الليمون الطري[٨].

ومن الناس من كان يفضل أكل الدجاج المصوص، والمطجن في آن واحد، فقد دعا الشريف العقيلي صديقه إلى مائدة، قال له أن فيها:[٩]

فراخ منها المصوص، ومنها ما عدلنا به إلى التطجين

وإذا أرادها أن تكون حلوة يلقيها بعد سلقها في الجلاب[١٠]، ثم يضيف إليها أصناف الحلو مثل البندق المدقوق، أو الفستق، أو ماء الورد، ثم يطبخها حتى تنعقد، ثم يرفعها. وتسمى هذه الطبخة حسب نوع ما أضيف إليها، إذا كان فستق، يقال لها فستقية، وإذا كان بندق، يقال لها بندقية، واذا كان ماء ورد، يقال لها وردية[١١].

---

(١) ابن زولاق، **أخبار** سيبويه، ص٥٨.
(٢) البغدادي، الطبيخ، ص٤٧-٤٨.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٤.
(٤) البغدادي، الطبيخ، ص٤٧-٤٨.
(٥) Goitein: op.cit, v.4, p.231
(٦) المصوص: دجاج ينقع في الخل ثم يطبخ. انظر ابن منظور، لسان، ج٧، ص٩٣.
(٧) البغدادي، الطبخ، ص٤٧-٤٨.
(٨) المصدر نفسه، ص٤٧-٤٨.
(٩) **ديوان**، ج٢، ص١١٥.
(١٠) الجلاب: ماء الورد المغلي في السكر. انظر الجواليقي، المعرب، ص٤٠.
(١١) البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٤٢.

* **اللحم**: يعد استهلاك اللحوم من مظاهر الغنى، فالقاضي مجلي بن جميع وصف فقره قبل أن يلي القضاء قائلاً: " والله لم أدخل في الحكم (القضاء) الا للضرورة، وقد بعد عهد أهلي باللحم، فأخذت لهم منه، فما هو الا أن وضعوا أيديهم مرة ثم لم يضعوها ثانية"[(١)].

وكان لحم الضأن أغلى اللحوم، والأثمن منه، دهن ذيل الغنم. أما ذيل الخراف، فكان أكله – كما ورد في رسائل الجنيزة- يعد نوعا من الرفاهية؛ لغلائه الشديد[(٢)].

وكان وجود اللحوم على موائد الخلفاء ضرورياً، فكانت أسمطتهم تحتوي على " أطباق في كل طبق أحد وعشرون خروفاً سمينا مشويا"[(٣)] وقد أدى نهم أسد الدين شيركوه بأكل اللحوم إلى مصرعه، فذكر المقريزي أنه مات " بخناق تولد له من إكثاره أكل اللحوم"[(٤)]. ولما كان وجود اللحوم على موائد رجال الدولة ضروريا، فقد كان من رسوم الدولة الفاطمية في ليلة رأس السنة " أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف، وتفرق على جميع أرباب الرتب"[(٥)]. وفي موسم أول العام كان " يفرق من السماط الذي يعمل بالقصر لأعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والأقلام بتقرير مرتب خرفان شواء"[(٦)].

وكانت اللحوم تطبخ إما مشويه[(٧)]، أو تدخل في صناعة بعض الأكلات، مثل:

* **الهريسة**: من الأكلات المشهورة واللذيذة، فقد أعجب المقدسي بمذاقها، فقال: " ولا نظير لهريستهم (أي أهل مصر)"[(٨)]. وطريقة صنعها أن يلقى لحم الضأن، ولحم البقر في قدر، ويغمر بالماء، ثم يوقد تحت القدر حتى يقارب النضج. وعند ذلك تخرج قطع اللحم، فيزال عنها العظام، وتعاد إلى القدر، ويضاف إليها أربعة ارطال من الحنطة الجيدة النوع، المغسولة والمقشورة في الوقت نفسه. ويستمر إيقاد النار تحت القدر حتى ينتهي ربع الليل، ويكون تحريكها خلال ذلك الوقت مستمرا، ثم يضاف إلى القدر اللحم[(٩)]، والبصل والتوابل[(١٠)]، وتترك فوق النار إلى منتصف الليل، فتضرب عند ذلك ضربا جيدا، حتى ينعقد هذا الخليط من المواد – أي تصبح أجزاؤه متماسكة- ويلقى الملح حسب الحاجة، وتترك إلى الفجر، ثم يعاد ضربها، وبعد ذلك

---

(١) الاسنوي، طبقات، ج١، ص٢٧٨.
(٢) Goitein: op.cit, v.4, p234.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٥.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٢٤.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩١.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩٢.
(٧) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩٢.
(٨) **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٣ – ٢٠٤.
(٩) البغدادي، الطبيخ، ص٥٢.
(١٠) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة ١٠٥.

ترفع عن النار، ويلقى عليها الكمون، والدار صيني المدقوقين ناعماً[١]. وقد يضاف إلى الهريسة الفستق، فتسمى " هريسة الفستق"، وهي – كما يقول عبد اللطيف البغدادي - " لذيذة جداً ومسمنة"[٢]. وكانت الهريسة من الأطعمة الفاخرة، حيث كان من رسوم الدولة الفاطمية، تفرقتها على أرباب الدولة"[٣].

* **المضيرة والطباهجة:** من الأكلات الفاخرة، حتى أن الشريف العقيلي حاول أن يغري بهما صديقه على قبول دعواه، فقال له:

عندي طباهجة، وجدي بارد ومضيرة كالفضة البيضاء[٤]

أما المضيرة، فطريقة صنعها أن يقطع اللحم السمين، ويوضع في قدر، ثم يضاف اليه ماء وملح، ويغلى الجميع، فإذا قارب النضج يؤخذ البصل الكبير والكراث أيضا، ويقشر، ويقطع ثم يغسل بماء وملح، وينشف، ثم يطرح في القدر، وتضاف اليه الكسفرة اليابسة، والكمون، فإذا نضج ونشف الماء منه، ولم يبق سوى الدهن غرف في صحن، ثم يؤخذ من اللبن قدر الحاجة، فيلقى في القدر، ويضاف اليه الليمون والنعنع، ويترك حتى يغلي غلية واحدة، ثم يبعد عن النار ويحرك، فإذا سكن غليانه، أعيد ذلك اللحم والتوابل اليه، وفي الأخير تمسح جوانب القدر، ثم يغطى ويترك حتى يهدأ[٥].

أما الطباهجة: فهي من الأكلات الفاخرة، والمحبوبة عند الخلفاء، حيث كانت تمد على أسمطتهم في الأعياد[٦]. وصفة عملها، أن يؤخذ لحم مشرح صغاراً، يعزل فيه السمين بناحية، والمهزول بناحية أخرى، ثم يؤخذ السمين، ويجعل في قعر القدر، ويغلى حتى يرشح ويزول شحمه، ثم يجعل المهزول عليه، ويلقى عليه قطع بصل ونعنع وكرفس، ويحرك حتى ينشف ماؤه، ثم يلقى عليه كزبرة يابسة وكمون ودار صيني وزنجبيل، الجميع مدقوقاً ناعماً، ثم يؤخذ خل وماء حصرم، وماء ليمون، فيمزج، ويلقى عليه من جملة الأبازير شيء، ومن أحب أن يضيف إليه شيئاً من ماء السماق فعل، ثم يسقى تلك المياه حالاً فحالاً حتى يتكامل النضج، ويضاف اليه شيء يسير من الفلفل[٧]. وربما يضاف اليه الفستق، ولذلك سميت الطباهجة التي كانت تمد على أسمطة الخلفاء بـ " الطباهجة المفستقة"[٨].

---

(١) البغدادي، الطبيخ، ص٥٢.
(٢) عبد اللطيف البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٤١-٤٢.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠١.
(٤) **ديوان**، ج١، ص١٢٥.
(٥) البغدادي، الطبيخ، ص٢٣.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٥.
(٧) البغدادي، الطبيخ، ص١٦-١٧، ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، ص١١٩.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٥.

* **البزماورد**: هو الرقاق الملفوف باللحم[١]، وصفة عمله أن يؤخذ الشواء الحار الذي قد فتر وهجه، ويقطع، ويجعل عليه ورق النعنع، ويسير من خل وليمون مملوح ولب جوز، ويرش عليه يسير ماء ورد، ويدق بالساطور دقاً ناعماً، ولا يزال يسقى خلاً إلى أن يشربه جيداً. ويؤخذ الخبز السميذ الفائق الملبب، فيخرج لبابه، ثم يحشى من ذلك الشواء حشوا جيدا، ويقطع بالسكين قطعا متوسطة مستطيلة. وينشف ويرش فيه ماء ورد، ثم يفرش فيه نعنع طري، ويعبأ فيه بعضه فوق بعض، ثم يغطى أيضاً بشيء من النعنع، ويترك ساعة، ويستعمل، ويؤكل أيضاً بائتا، فيكون طيباً[٢]. وقد كان البزماورد يصنع في دار الفطرة التي اختصت بصنع الحلوى[٣]؛ لأنه كان يضاف اليه أصناف من الحلو مثل الجوز وماء الورد.

* **الكباب**: وقد عرفه الغزولي، بقوله: " الكباب، بفتح الكاف، وهو اللحم المشروح، وأجوده ما شرح اللحم شريحاً خفيفاً، ونثر عليه الملح، ونصب له مقلي على النار بلا دسم، وطرح عليه، وقلب من جنب إلى جنب حتى ينضج ويحمر "[٤].

يعد الكباب من الأكلات الشهية، حتى أن الشريف العقيلي ألح على صديق دعاه إلى مائدة كباب، بسرعة الحضور؛ حتى يرتاح من شم رائحته الشهية، فخاطبه قائلاً:[٥]

فإن اقتنعت أرحتنا   من شم دخان الكباب

* **السكباج**:- من الأكلات التي شاهدها الرحالة المقدسي عند زيارته لمصر في العصر الفاطمي[٦]. وطريقة طبخه أن يقطع اللحم السمين، ويوضع في قدر، ثم يضاف اليه الماء، وكذلك الكسفرة الخضراء، والدار صيني والملح، ويغلى على النار. ويؤخذ بعد ذلك البصل الأبيض والكراث والجزر – ان كان أوانه – أو الباذنجان، ويقشر الجميع، ويوضع كل ذلك في قدر أخرى فيها ماء وملح، ويسلق نصف سلقة، ثم ينشف من مائه، ويترك في نبيذ ودبس- ويجوز في العسل أيضاً – ثم يمزج في الحموضة والحلاوة مزجاً معتدلاً. ثم يصب بعد ذلك في القدر الأولى، ويترك على النار ليغلي ساعة من الزمن، فإذا اريد قطع النار أخذ من المرقة قليل، وأضيف عليها قدر الحاجة زعفران، وصب في القدر، ثم يؤخذ لوز مقشر حلو وعناب، وزبيب وتين يابس، ويوضع في القدر، ويغطى ساعة من الوقت - حتى يهدأ على النار – وفي

---

(١) الجواليقي، المعرب، ص٢٢١.
(٢) البغدادي، الطبيخ، ص٥٩.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠١.
(٤) مطالع، ج٢، ص٥٥.
(٥) **ديوان**، ج١، ص٨٥.
(٦) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٤.

خلال ذلك تمسح جوانب القدر بخرقة نظيفة، ويرش على القدر ماء ورد، فإذا هدأت النار رفـع وأصبح عندها معدا للأكل[١].

* **رغيف الصينية**: وصفته أن يأخذ من الدقيق ثلاثون رطلاً، ويعجن مع خمسة أرطال ونـصف شيرجاً، ويفرد في صينية نحاس سعة قطرها نحو اربعة اشبار، ويحشى خرفان مشوية، ودجاج، وفستق مهروس، وفلفل وزنجبيل، وقرفة، وكمون، ويرش عليه ماء ورد فيه مسك، ثـم يوضـع في التنور حتى يتماسك عجينه، ويبتدي في النضج، ثم يخرج ويمسح بإسفنجة، ويرش عليه مـاء ورد، ومسك، ويرفع للأكل[٢].

وهو طعام لفرط تكلفته قاصراً على المترفين، فهو كما يذكر عبد اللطيف البغدادي " يـصلح أن يحمل مع الملوك وأرباب الترف إلى متصيداتهم النائية، ومنتزهاتهم النازحة، فإنه ... جميـل المنظر ... يحفظ الحرارة مدة طويلة"[٣].

* **الكسكسو**: دقيق يرش عليه ماء، ويفتل باليد، فيصبح على شكل دوائر صغيرة جداً، ويوضـع في غربال، ويوضع الغربال فوق قدر فيه دجاج ولحم يسلق على النار، فيصعد بخـار الـدجاج واللحم على الغربال، وينضج الدقيق المفتول، ثم يوضع في صـينية، وعليـه الـدجاج واللحـم المسلوق، ويزين بالحمص والليمون[٤].

ب- الأكلات الشعبية الشائعة:

وهذه الأكلات بسيطة ورخيصة، تؤكل من قبل الناس رغم اختلاف مستوياتهم المالية، وتشمل:

* **السمك**: تعد الأسماك مصدراً أساسياً من مصادر الغذاء في مصر، يقول المقدسـي " وأكثـر آدمهم (أي أهل مصر) السمك"[٥]. ويضيف النويري " وليس في الدنيا بلد يأكل أهله صيد البحـر طرياً غير أهل مصر"[٦]. وهذا يدل على رخص، ووفرة السمك في مصر، لأنه كـان " يجتمـع لهم (أي أهل مصر) سمك النيل وسمك البحر الملح"[٧].

ونظراً لأهمية السمك في غذاء الناس، فقد كان يدخل ضمن الهبات التـي تمنحهـا الدولـة الفاطمية لرجالها في المناسبات، فكان من رسوم الدولة في عيد ميلاد المسيح، تفرقة السمك على أرباب الدولة[٨].

(١) البغدادي، الطبيخ، ص٩.
(٢) عبد اللطيف البغدادي، **أخبار**، ص١٤٧- ١٤٨.
(٣) المصدر نفسه، ص١٤٨.
(٤) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة ٣٥- ٣٦.
(٥) **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٣.
(٦) النويري، **نهاية**، ج١، ص٣٥٦.
(٧) البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص١٠٦.
(٨) ابن المأمون، **أخبار**، ص١٠٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٣.

وكانت أصناف السمك متنوعة، فذكر ابن بسام انه كان يصطاد من بحيرة تنيس ثلاثة وستين نوعاً من السمك[١]. ومن هذه الأنواع: السمك البوري[٢]، وسمك الأميس، وهو طيب، لذيذ اللحم[٣]. ثم سمك الراي، وهو سمك كبير لونه أحمر، ويزن بعضه ثلاثة أرطال[٤]. ويبدو أنه تميز بلحم طري خال من العظام والشوك، فعندما دعا ظافر الحداد أحد أصدقائه إلى تناول سمك الراي معه، طمئنه على سلامة أسنانه من تناوله[٥]

ومن أنواع السمك في مصر، السمك البوري[٦]، وسمك الابرميس[٧]، والبلطي[٨]، الذي أول ما عرف بنيل مصر أيام الخليفة العزيز[٩].

وأفخر أنواع السمك سمك يسمى " الحلبوه"[١٠]، جيد الطعم، كثير النفع[١١]، اختص به المترفين، فكان يصطاده الصيادون ويهادون به الوزراء والأمراء[١٢].

ويؤكل السمك مقلياً، أو مشوياً[١٣]. ويبدو أن السمك المقلي كان هو المحبب لدى الناس، حيث أكثر الشعراء من الاشارة اليه، فقد وصف الشريف العقيلي السمك المقلي باللذة في الأكل[١٤]، ويتلذذ ظافر الحداد بالسمك المقلي[١٥].

* **النقانق**: تصنع بحشو أمعاء الحيوانات المذبوحة بالبصل والتوابل[١٦]. ويبدو أنها كانت من الأكلات المفضلة لدى الناس، حتى أن الشريف العقيلي كان يغري أصدقائه على قبول دعواته إلى الطعام بها، فوصفها لهم قائلاً :[١٧]

عندي نقانق منهن واحدة ترى ... الا كمثل البسرة الحمراء

ويدعو الشريف العقيلي صديقاً آخر إلى نقانق، فيصفها له، قائلاً:[١٨]

---

(١) التنيسي، أنيس، ص١٧٧-١٧٨.
(٢) ابن ظهيرة، الفضائل، ص١٣٣.
(٣) الادريسي، **نزهة**، ج١، ص٣٥، الحميري، الروض، ص٥٨٧.
(٤) الادريسي، **نزهة**، ج١، ص٣٥، القزويني، آثار، ص١٧٨.
(٥) **ديوان**، ص٥-٦.
(٦) ابن ظهيرة، الفضائل، ص١١٩، ابن إياس، **نزهة**، ص٢٤٧.
(٧) ابن إياس، **نزهة**، ص٢٤٧.
(٨) الادريسي، **نزهة**، ج١، ص٣٥.
(٩) ابن إياس، **نزهة**، ص١١٠.
(١٠) الإدريسي، **نزهة**، ج١، ص٣٥، الحميري، الروض، ص٥٨٧.
(١١) الحميري، الروض، ص٥٨٧.
(١٢) ابن إياس، **بدائع**، ج١، ص١٧.
(١٣) البغدادي، الطبيخ، ص٦٠.
(١٤) **ديوان**، ج١، ص١١٨.
(١٥) **ديوان**، ص٦.
(١٦) الشيزري، **نهاية**، ص٥٠.
(١٧) **ديوان**، ج١، ص١١٨.
(١٨) المصدر نفسه، ج١، ص١١٨.

ونقـــانق حـــشف الـــشطا ط، وخـــردل صـــافي الرضـــاب

ويبدو أن النقانق كانت متوفرة ورخيصة، حتى أصبحت تقدم للقطط وغيرها من الحيوانات، يظهر ذلك من خلال هجوم أحد الشعراء على المستفيدين في الدولة، الذين اسـتأثروا بـاللحوم، وتركوا لغيرهم، أكل الطحال والمصران، أسوة بالقطط، فيقول:[١]

وارتعـوا فـي جـذور ذي الدولـة الهـا مـي نـداها فـي أطيـب اللحمـان

واشغـلـونـا بمـابـه يشغـل الهـر لنـفـع أوخـيـفـة العـدوان

بالطحـال المسدود أو طـرف الريـة أو بالمـعـلاق والمـصـران

* **الرؤوس**: من الأكلات الشعبية المحبوبة، يؤكد ذلك انتشار حوانيت بيع الرؤوس في القـاهرة في العصر الفاطمي[٢]. ولانها من الأغذية الأساسية في طعام الناس، فقـد كـان مـن رسـوم الفاطميين في ليلة رأس السنة " أن يعمل بمطبخ القصر الكثير من الرؤوس فتعم سائر الناس"[٣].

* **الفول**: من الإغذية الرئيسية للسكان، فقد حوت اوراق البردي العربية وثائق عـن حـسابات بعض الأسر المصرية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، يتبين منها إقبال الأسر على شـراء الفول بشكل يومي[٤]؛ نظراً لوفرة انتاج مصر من الفول[٥]؛ إلى جانب فوائده الصحية، فقد عـد أكل الفول دلالة على تمام العافية، حيث يقول المثـل الـشعبي، " صـباح الفـوال ولا صـباح العطار"[٦].

وكان الفول يؤكل أخضراً[٧]، وأحياناً مسلوقاً، ويضاف إليه الفلفل والملح، وأحيانـاً يطـبخ بالسمن واللبن، ويطلق عليه البيسار[٨].

* **القلقاس**: يعتبر طبقاً رئيسيا على الموائد، وقد أعجب المقدسي بمذاقه، فقال: " ولا نظيـر ... لقلقاسهم (أي المصريين)"[٩]، وهو شيء على قدر الفجل المـدور، عليـه قـشرة تميـل إلـى الحمرة[١٠]. ورقه شديد الخضرة، شبيه بورق الموز في خضرته ونضارته، وفيه حرقه قوية، لا تذهب الا عند الطهي[١١]، وهو من مأكولات فصل الشتاء[١٢].

---

(١) العماد الأصفهاني، الخريدة، ص١٦، ٥٠.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٩، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٧.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩١.
(٤) جروهمان، **أوراق**، ج٢، ص١٠٢.
(٥) ابن مماتي، قوانين، ص٢٦٠.
(٦) الأبشيهي، **المستظرف**، ج١، ص٣٥.
(٧) ابن مماتي، قوانين، ص٢٦٠.
(٨) الشيزري، **نهاية**، ص٢٣.
(٩) **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٣- ٢٠٤.
(١٠) المصدر نفسه، ص٢٠٤.
(١١)البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٨١-٨٢.
(١٢) الشربيني، هز القحوف، ص٢١٢.

* **الأرز**: ان وفرة انتاج مصر من الأرز[١]، أدى إلى رخص ثمنه، وإقبال الناس عليه. وكان يؤكل مع اللبن والسكر، " ففي موسم أول العام كانت الدولة تفرق أرزاً بلبن وسكر، فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه"[٢].

* **الملوخية**: عرفت الملوخية في مصر في عهد الخليفة المعز، عندما اقترح عليه الأطباء أكلها كعلاج من يبس في مزاجه، وعوفي من مرضه، فأكثر من أكلها[٣]، وسميت ملوكية[٤]؛ ربما لأن أول من أكلها في مصر ملك، ولما انتشرت بين العامة حرفوها، وسموها ملوخية[٥].

ويتبين من رسائل الجنيزة أن الملوخية كانت طبقاً شعبياً، أقبل عليها الناس على اختلاف طبقاتهم[٦]. وقد تأنق المترفون في طهيها، فطبوخها بمرق الدجاج، فيصف ظافر الحداد إعداد الملوخية، ويدعو صديقاً إلى المشاركة فيها، فيقول:[٧]

أيا سيدي وأخي لا تغب   فعندي لك اليوم ما يستحب
ملوخية سبقت أوقاتها   وجاءت كهيئة حضر الزغب
وقد نقيت قبل تقطيفها   بكفي لبيب خبير درب
وقد أحكمت بفراخ الحمام   ودهن الدجاج وصفر الكبب

* **الباقلاء**: وطريقة عملها، أن تقشر وتنقى، وتشق إلى نصفين، ويوضع عليها الشيرج، أو دهن الجوز، ثم ينقع الخبز في مائها[٨].

* **السويق**: يصنع من القمح بعد تحميصه جيداً، أو طحنه، ويصنع أيضا من الشعير أو الفول[٩]. وهو من الأكلات المحببة عند الخلفاء، فكان يقدم على أسمطتهم في سحور شهر رمضان[١٠].

* **العدس**: محصول شتوي[١١]، ويبدو أنه كان طعاماً تقشفياً وليس فاخراً، حيث كان يقدم في سماط ذكرى عاشوراء على مائدة الخليفة[١٢]؛ تعبيرا عن الحزن.

---

(١) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٣- ٢٠٨.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٢.
(٣) الخوارزمي، مفاتيح، ص١٠٠-١٠١.
(٤) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٦- ٢٥٧.
(٥) الخوارزمي، مفاتيح، ص١٠٠- ١٠١.
(٦) Goitein: op.cit, v.4, p231, 234, 245
(٧) **ديوان**، ص٦١.
(٨) البغدادي، الطبيخ، ص٣٤.
(٩) ابن عبد ربه، العقد، ص١٧.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥.
(١١) ابن مماتي، قوانين، ص٢٦٥- ٢٧٠.
(١٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٢٠.

الخبز: يدخل في كل وجبة طعام، يرص على جوانب أسمطة الخلفاء[١]؛ ولانه من الأغذية الأساسية في طعام الناس، فقد كانت الدولة تفرقه في المناسبات على أرباب الدولة[٢].

ولما كان الطلب على الخبز عالياً، فقد كانت أعداد بائعي الخبز كثيرة، فكانوا يجلسون على الأرض بأطباق الخبز، وتضيق بهم الشوارع[٣].

وكان الناس يضجون في أوقات الأزمات الاقتصادية التي تتعرض لها البلاد، من قلة الخبز، ويتكالبون عليه؛ لما يشكله من أهمية في حياتهم اليومية، ففي عام (٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م) وقعت أزمة اقتصادية في البلاد[٤]، فتعذر وجود الخبز، " واشتد تكالب الناس عليه، فاجتمعوا، وضجوا من قلته، ورفعوا للحاكم قصة مع رغيفة"[٥]. وفي عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، وقعت أزمة اقتصادية في البلاد[٦] "، فتعذر وجود الخبز، وصاح الناس: الجوع الجوع؛ بسبب قلة الخبز"[٧].

وتعذر اثناء الشده المستنصرية (٤٥٧- ٤٦٤هـ/ ١٠٦٥-١٠٧٢م)، وجود الخبز، واشتد الطلب عليه، حتى " أبيع الرغيف الذي زنته رطل، كما تباع الطرف والتحف في النداء بأربعة عشر درهماً، وخمسة عشر درهماً"[٨]. وأطلق في الشدة المستنصرية على حارة من حارات القاهرة، حارة طبق، "حيث أبيعت دورها كلها بطبق خبز، كل دار برغيف"[٩].

ويصنع الخبز عادة من القمح، حيث وفرة انتاج مصر من القمح[١٠]، وكان خبز القمح يصنع بأشكال مختلفة، منها الخبز الحواري أو السميذ[١١]، وهو المصنوع من الطحين الأبيض المنقى من النخالة[١٢]. والخبز الخشكار[١٣]، وهو الذي يخبز من الطحين الخشن غير المنقى من النخالة[١٤]، ولكن من الناحية الصحية كان يعتبر غذاء جيد يوافق كل الأمزجة[١٥].

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٥.
(٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٦٠١.
(٣) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٦.
(٤) سبب هذه الأزمة، نقص ماء النيل انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٨.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٧٠.
(٦) سبب هذه الأزمة نقص ماء النيل. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٦.
(٧) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٦٩-٧٢. المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٣-٣٤.
(٨) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٣٥، المقريزي، اغاثة، ص٢٤-٢٥.
(٩) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٣٥.
(١٠) الإدفوي، الطالع، ص٢٨.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣.
(١٢) الفيروز آبادي، القاموس، ص٣٦٩.
(١٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣.
(١٤) ابن البيطار، الجامع، ص٦١.
(١٥) ابن البيطار، الدرة، ص١٦٥.

ويبدو أن الخبز الحواري كان أجود مذاقاً من الخبز الخشكار، وتبعاً لذلك كان أغلى منه ثمناً، ففي عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، أمر المحتسب " أن يباع الخبز الخشكار كل خمسة أرطال بدرهم، والحواري أربعة أرطال بدرهم"[(١)]. وبناء على ذلك يمكن القول أن الخبز الحواري، قد اختص به الأغنياء، في حين اختص الفقراء بخبز الخشكار.

ولأهمية الخبز في غذاء الناس، فقد عد القمح الذي يصنع منه الخبز، من المحاصيل المهمة في حياة الناس، فهذا ظافر الحداد يحمد الله ويشكره على هذه السنة الوفيرة بالقمح، ويبارك للفلاح الذي زرعه، فيقول: [(٢)]

بورك في برمن زرعه   والحمد والشكر للذي صنعه

وقد حرص الناس على شراء كمية كبيرة من القمح وقت الحصاد، وتخزينها لمدة عام، ففي رسالة من رسائل الجنيزة يقول فيها المرسل: " لا تهمل القمح؛ لانه واحد من معظم الأشياء الأساسية"[(٣)]. وفي رسالة أخرى يقول فيها الراسل: " لا تقلق فأنا اعتنيت بشراء القمح وتخزينه"[(٤)].

وقد تفنن الخبازون بإخراج الخبز بأشكال متنوعة تنم عن رقي أذواقهم، كأن تكون على هيئة رقاق ويحشونها العسل، ففي سياق حديث ابن الطوير عن قتل النزاريه للخليفة الآمر، ذكر أنهم دخلوا قبيل قتل الخليفة إلى " فرن ... ودفعوا إلى الفران دراهم، ليعمل لهم فطيرا بسمن وعسل"[(٥)].

وهناك نوع آخر من الخبز، يسمى " اقلاعمون"، اختص به الأغنياء - على ما يبدو - حيث كان معقد التركيب، يكلف غالياً؛ لما يحتاج إلى مطيبات وجهد، فكان يعجن بالسمن على شكل كعكات، ويخمر، ويضاف إليه بيض، وملح، وزنجبيل، وفلفل، وسمسم، وينسون، وفستق[(٦)].

الفواكه: لقد تنوعت الفواكه في مصر، حتى أن الذي " ينقطع من الفواكه في سائر البلدان أيام الشتاء، يوجد بمصر"[(٧)]، حيث أدى التباين في المناخ بين جنوب مصر (الصعيد)، وشمالها (الوجه البحري)، إلى غلبة أصناف معينة من الأشجار والفواكه في كل وجه، تبعاً لملاءمة المناخ لهذه الأشجار[(٨)]. وهذا ما أشار إليه ناصر خسرو – الذي زار مصر سنة (٤٤٤هـ/

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣.
(٢) **ديوان**، ص١٨٩.
(٣) Goitoin: op.cit, v.4, p.235
(٤) Ibid: v.4, p.235
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٥، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٥.
(٦) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ص٣٥-٣٦.
(٧) ابن اياس، **نزهة**، ص٣٠.
(٨) المسعودي، التنبيه، ص٢٠، البكري، المسالك، ج١، ص٥٠٥.

١٠٤٨م) – فقال: " شاهدت ترنجاً ونارنجاً وليموناً وحمضيات وتفاحاً وسفرجل ورماناً وخوخاً وبطيخاً وموزاً وزيتوناً وحمصاً وثوماً .. وكل ما لا يخطر على البال من أنواع الفواكه، رأيتها كلها في يوم واحد، في مكان واحد في مصر ... فإن مصر بلد واسع فيه كل الأجواء، والمناخات، تتراوح بين الطقس البارد والطقس الحار، وكل ما ينبت في هذه الاجواء يجلب إلى مصر، ويباع في أسواقها"(١).

وقد جذب انتشار الفواكه في مصر الرحالة المقدسي، فقال ان مصر: " كثيرة الموز والرطب"(٢)، " والموز عندهم على مقدار الخيار، وهو من أكثر فواكه القاهرة" (٣).

ويروي المقريزي أن المعز عند وصوله إلى مصر عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م)، كان متشوقاً إلى فواكهها، " فوقع بيده الى محمد بن الحسين بن مهذب - صاحب بيت المال – تقدم يا محمد بابتياع لنا.. في كل يوم من الفاكهة كذا وكذا.."(٤). وكان الفاطميون يفاخرون بفواكه مصر، فكانوا يقدمون إلى ضيوفهم القادمين من الخارج " بواكير الفاكهة المستغربة"(٥).

إن وفرة إنتاج مصر من الفواكه ادى إلى رخصها، وبالتالي إقبال الناس عليها، فكان الناس يتبادلون الهدايا بالفواكه، واتخذوا التمر هدايا في مناسباتهم الاجتماعية، يقول الشريف العقيلي:-

وأخ كريم العنصر   متفضل حر سري
أهدى لنا بسرا(٦) له   طعم كطعم السكر
كخرائط من مصمت   ختمت بشمع أصفر(٧)

وكان إقبال الناس يزيد على تناول الفواكه في المناسبات، ففي عيد الغطاس " جرى الرسم من الناس في شراء الفواكه وغيره"(٨)، واعتاد الناس أكل الرطب قبل النوروز(٩). ولأهمية الفاكهة في غذاء المصريين، فقد كان من رسوم الدولة الفاطمية في عيد النوروز، تفرقة البطيخ والرمان والموز، وأقفاص التمر والسفرجل على الناس(١٠).

الحلوى: لقد أعجب المقدسي بحلوى مصر، فقال أن بها " أطعمة لطيفة، وحلاوات

---

(١) **سفرنامة**، ص١٣٠.
(٢) **أحسن التقاسيم**، ص١٩٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٩٧.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٤.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٣.
(٦) البسر: التمر اذا لون ولم ينضج. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص١٠٢.
(٧) **ديوان**، ج٢، ص٨٤.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٤.
(٩) النويري، **نهاية**، ج٢٨، ص٩٨-٩٩.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠١.

رخيصة"[١]. ويمكن أن يعزى رخص الحلوى في مصر، إلى كثرة إنتاج مصر للمواد الخام الاساسية لصناعة الحلوى، من سكر وعسل، فذكر ناصر خسرو أن مصر كانت " تنتج عسلا وسكرا كثيرا"[٢]، الأمر الذي ساعد الخاصة والعامة على الإقبال على الحلوى، فكان وجود الحلوى على أسمطة الخلفاء ضروريا، فكانت أسمطتهم " تسور بشرائح الحلواء... وتزين بألوانها المصبغة"[٣].

ولأهمية الحلوى في غذاء الناس، فقد أنشأ العزيز " دار الفطرة"، التي كانت تصنع فيها أصناف الحلوى[٤]، " مثل الجبال من كل صنف"[٥]، وتفرق في الأعياد والمواسم على " الأمراء وأرباب الرسومات، وعلى طبقات الناس، حتى تعم الكبير والصغير، والضعيف والقوي"[٦].

ولأهمية الحلوى عند العامة، فقد اهتموا بالسكر في نفقات المنزل، فنجد في أوراق البردي العربية، قوائم نفقات بعض الاسر المصرية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فيها ذكر للسكر[٧].

وتقدم الحلوى عند الانتهاء من الطعام؛ وهي على أنواع كثيرة في الوانها وتركيبها، وعلى حد تعبير الشيزري (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، " لا يمكن ضبطها بصفة ولا عيار"[٨]. ومشتقات الحلويات لا تقل عن أنواعها الأصلية، فهي من حيث التركيب على نوعين: بسيطة ومعقدة.

أما الحلوى البسيطة التركيب والرخيصة الثمن، فهي كالتمر غير المحشو الذي اعتبر حلوى كما اعتبر فاكهة ايضا. وقد كانت الدولة تفرق اقفاص التمر على الناس[٩]. ويدخل ضمن الحلوى البسيطة، العسل[١٠]، والنيدة التي تصنع وتباع في الأسواق، وطريقة عملها، أن يطبخ القمح، ثم يصفى، ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ، ثم يدر عليه الدقيق، وعندما يتماسك يرفع ذلك عن النار[١١]. وقد اختصت مصر بالنيدة، يقول ابن سعيد، " ولا تصنع النيدة ... الابها (أي القاهرة)، وبغيرها من الديار المصرية"[١٢]. ويبدو أنها كانت من الحلوى المحبوبة، فيقول

---

(١) **أحسن التقاسيم**، ص ٢١١.
(٢) **سفرنامة**، ص١١٨.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٥.
(٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٣، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٦-٢٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠١-٤٠٥.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠٢.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص٤٠٥.
(٧) جروهمان، **أوراق**، ج٦، ص١٦٩.
(٨) **نهاية**، ص٤٠.
(٩) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠٥.
(١٠) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٢٠.
(١١) البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٤١.
(١٢) **النجوم**، ص٢٨-٢٩.

المقدسي " ولا نظير ... لنبيذهم"[١]، وكانت النيدة رخيصة الثمن، لذلك أقبل العامة على شرائها، يقول البغدادي: " وأما عوامهم ... فأكثر أغذيتهم .. الجبن والنيدة"[٢].

أما الحلوى المعقدة التركيب، فغالبا ما كانت تصنع في دار الفطرة، حيث الصناع المهرة[٣]. ويدخل في تكوينها: السكر والعسل والزعفران، والطيب، والدقيق، والفستق، واللوز، والبندق، والتمر، والزبيب، والشيرج، والسمسم، والآنيسون، وزيت الطيب، وماء الورد، والمسك، والزعفران والكافور[٤]. اما أنواع الحلوى المعقدة، فهي:

* **الخشكنانج**: يصنع من الدقيق الأبيض الذي يعجن ويبسط مثل الرقاع، ويضاف إليه قلوب اللوز والسكر، وماء الورد، ويكون الرقاق أحياناً على شكل حلقة مجوفة، يملأ وسطها باللوز أو الفستق[٥]. ويبدو أنه كان من الحلويات المحبوبة، حتى أنه فاق الحلويات التي كانت تصنع في دار الفطرة كثرة، ولذلك كان " لجميع الحلاويين مقدم، وللخشكاناين آخر" [٦]، ولأن الخشكناج من الحلويات المفضلة عند المصريين، فقد كانت الدولة توزع منه كميات وفيرة على الناس في المواليد الستة[٧].

* **القطائف**: وهي الوان متعددة، منها المحشوة، وهي التي تخبز مستطيلة، ويجعل فيها اللوز والسكر المدقوق ناعماً، ويلقى عليها بالشيرج، وماء الورد، والفستق المدقوق ناعماً. ومنها المقلوة، وهي التي تخبز أقراصاً، ويجعل فيها اللوز والسكر المدقوق ناعماً المعجون بماء الورد، ثم تطوى وتقلى بالشيرج، وتخرج منه، فتغمس في ماء الورد، وترفع بعد ذلك؛ لتكون جاهزة. ومنها الساذجة، وهي التي تجعل في صحن ويسكب عليها الشيرج، ثم الجلاب، وماء الورد، والفستق المدقوق ناعماً[٨].

وكانت القطائف من الحلوى المحببة عند الخلفاء، ففي سحور رمضان كانت تقدم على أسمطتهم[٩]. ومن رسوم الدولة الفاطمية في عيد الميلاد، تفرقة القطائف على أرباب الدولة[١٠]. ولكثرة إقبال أهل القاهرة على أكل القطائف، فقد نسبت اليهم، فسميت بالحلوى القاهرية[١١].

---

(١) **أحسن التقاسيم**، ص ٢١١.
(٢) **أخبار** والاعتبار، ص١٤٧.
(٣) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠٢.
(٤) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٦-٢٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠٤.
(٥) مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة، ١٢٧، البغدادي، الطبيخ، ص٧٨.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٣.
(٧) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩٣.
(٨) البغدادي، الطبيخ، ص٥٨.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٧.
(١٠) المصدر نفسه، مج٢، ص٦٠٣.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٦٠٣.

* **الكنافة**: تصنع من العجين المخبوز على هيئة خيوط النسيج، ثم يضاف إليها ما يناسبها من السكر والقلويات[١]. وكانت من الحلويات المحببة، فيدعو أحد الشعراء للكنافة بالهناء، فيقول:

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر وجاد عليها سكر دائم الذر[٢]

* **الزلابية**: من الحلوى التي تصنع في دار الفطرة[٣]، ولكثرة إقبال أهل القاهرة على أكلها، فقد نسبت إليهم، فسماها الأزدي بـ " القاهرية"[٤]. وتصنع من العسل[٥]، وتحشى بدهن الفستق[٦]. ويبدو أنها كانت من الحلوى الفاخرة، ولذلك كان من رسوم الدولة الفاطمية تفرقتها على أرباب الدولة[٧].

* **البسندود**: يعمل في دار الفطرة[٨]، ويصنع من الدقيق والبلح على هيئة أقراص صغيرة، ثم تخبز في الفرن، ثم يوضع كل قرصين على بعضهما، وبينهما اللوز أو الفستق[٩]. ويبدو أنها كانت من الحلوى الفاخرة، حيث كانت تقدم على مائدة سحور الخليفة في شهر رمضان[١٠].

* **الفانيد (كعب الغزال)**: حلوى تصنع في دار الفطرة[١١]، يدخل في تركيبها الدقيق والعسل[١٢].

* **الخبيص**: حلوى تصنع من دقيق الحنطة مع دهن اللوز، أو الشيرج، ثم يضاف اليه بعد الطبخ شيء من السكر والعسل، ويرفع عن النار ليجمد[١٣].

* **الناطف**: حلوى تصنع في دار الفطرة[١٤]، يدخل في تركيبها العسل، والسكر، والفستق، والبندق، وكذلك الجوز، واللوز، والسمسم[١٥].

* **التمر المحشو**: " يستخرج ما فيه، ويحشى بالطيب وغيره، ويسد ويختم"[١٦]، وكان من أفضل الحلوى على مائدة الخليفة الفاطمي[١٧].

* **الصابونية**: تصنع من الدقيق بعد تحميصه بالسمن، ويضاف اليه السكر واللبن، ويعمل منه

---

(١) الغزولي، مطالع، ج٢، ص٨٤.
(٢) السيوطي، حسن، ج١، ص٥٦٨.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩١.
(٤) حكاية، ص٤١.
(٥) الشيزري، **نهاية**، ص٤٠.
(٦) الأزدي، حكاية، ص٤١.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٣.
(٨) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٩. المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠١.
(٩) الشيزري، **نهاية**، ص٤١.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٧.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٤٠١.
(١٢) الشيزري، **نهاية**، ص٤٠-٤١.
(١٣) المصدر نفسه، ص٤٠، مجهول، الوصلة إلى الحبيب، ورقة ١٠١.
(١٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩١.
(١٥) المجوسي، كامل الصناعة، ج١، ص٢٠٠.
(١٦) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٥.
(١٧) المصدر نفسه، ص٨٥.

قوالب مثل الصابون، وتوضع في طبق، وتدخل في الفرن حتى تنضج[١].

* **العصيدة**: تصنع من السكر والعسل والدقيق[٢]. ويبدو أنها كانت من الحلويات المحبوبة، فقد ورد في رسائل الجنيزة خطاباً لرجل من الريف، لقريب له في الفسطاط، يقول فيه: " من فضلك حاول أن تجد لي عسلاً ودقيقا أبيض فاخراً، لعمل عصيدة، وبعون الله سوف أحضر للمدينة يوم الأحد"[٣].

ولم يكتف الحلوانيون بصنع هذه الأنواع الكثيرة من الحلوى، بل تفننوا بإخراجها بأشكال متنوعة تنم عن رقي أذواقهم، حيث اتخذوا لها قوالب على شكل طيور وثمار وتماثيل يطبعونها على الحلوى، حيث حوى متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، قالبين للحلوى من الفخار، أحدهما: قوام زخرفته نسر ناشرجناحيه، تحف به زخرفة نباتية[٤]، والآخر من الفخار يتوسطه رسم شجرة[٥].

وروى ناصر خسرو، أنه شاهد شجرة أعدت لتزيين سماط الخليفة، كل غصونها وأوراقها وثمارها مصنوعة من الحلوى، ومن تحتها الف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر والحلوى[٦].

وكانت تماثيل الحلوى تصنع في المناسبات، فكان يصنع لسماط عيد الفطر " قصور السكر والتماثيل، وأطباقاً فيها تماثيل حلوى"[٧]، وكان يفرق من دار الفطرة في المناسبات " خمس عشرة قطعة حلاوة قلوبات"[٨].

الأشربة:- وكما اهتم الفاطميون بالأطعمة، كذلك اهتموا بالأشربة، فأنشأوا خزانة للشراب، كانت تحفظ فيها أصناف المشروبات، وبلغت نفقاتها السنوية (٦,٥٠٠) دينار[٩]. أما هذه المشروبات، فهي:

* **الماء**: يعد ماء النيل المصدر الرئيسي لشرب المياه في مصر[١٠]. فكان السقاؤون يحملون قرب المياه من الآبار القريبة من النيل، وينقلونها إلى المنازل على ظهورهم في الجرار النحاسية[١١].

---

(١) الشيزري، **نهاية**، ص٤٠.
(٢) البغدادي، الطبيخ، ص٧١، Goitein: op.cit, v.4,p.248
(٣) Goitein: op.cit, v.4,p.248
(٤) انظر الملاحق، لوحة (٥٦)
(٥) انظر الملاحق، لوحة (٥٧)
(٦) **سفرنامة**، ص٥٩-٦٠.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٤.
(٨) المصدر نفسه، مج٢، ص٤٠٥.
(٩) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٧.
(١٠) اليعقوبي، البلدان، ص١٧٨.
(١١) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٠٦.

وقد اعتنى المترفون بتبريد الماء صيفاً عن طريق الثلج [١]. وكان العامة يبردون الماء بوضعه في أزيار فخارية، يحتفظ متحف الفن الاسلامي في القاهرة بنماذج منها[٢].

* **الألبان**: لقد اشتهرت مصر بكثرة أغنامها وأبقارها المدرة للألبان[٣]، مما أدى إلى رخص ثمن الألبان، وإقبال الناس عليها، حيث شكلت مشروباً أساسياً للناس، يؤكد ذلك انتشار حوانيت اللبانين في القاهرة[٤]، وتردد الفقراء عليها بكثرة[٥]. وكان من رسوم الفاطميين توزيع اللبن الرائب في أروقة الجوامع في شهر رمضان، وإباحته لمن يرغب[٦]. ومن رسوم الدولة في ليلة رأس السنة أن تفرق قوارير اللبن على أرباب الرتب وأصحاب الدواوين[٧].

ويبدو أن الألبان كانت على أنواع، بعضها قليل الدسم، كالتي كانت تقدم في سماط ذكرى عاشوراء على مائدة الخليفة؛ تعبيراً عن الحزن، وقد عبر عنها ابن الطوير " بالألبان الساذجة"[٨]. ولا بد أن قابل هذه الألبان، الباناً كاملة الدسم اختص بها الأغنياء.

* **شراب العسل**: يتخذ من الماء والعسل، وهو مشهور بلذته[٩]، وكان من الأشربة الشائعة في مصر، فكان " لا يعمل إلا بمصر"[١٠]؛ نظراً لوفرة انتاج مصر من العسل[١١].

* **المزر**: يتخذ من القمح، ويبدو أنه كان من المشروبات الدنيا، حيث اختص العامة بشربه[١٢].

* **الفقاع**: شراب منعش، يشربه الناس بعد الطعام؛ ليشعروا بنوع من اللذه والارتياح[١٣]. يقول ظافر الحداد:[١٤]

جاءنا بعدما أكلنا فقاع قد أجادت إحكامه الصناع

يصنع الفقاع من السكر الأبيض بعد تذويبه بالماء، أو ماء الورد، ويطيب بالمسك، ويبرد بالثلج، أو يصنع من العسل[١٥]. ويبدو أنه كان من الأشربة المحببة لدى بعض السنه، لذلك ضمه

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٦.
(٢) انظر الملاحق، لوحة (٣٤)، (٥٠)، (٥٣).
(٣) البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٩٩، ابن بطوطة، **رحلة**، ج١، ص١٩٨.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٨- ٢١٩.
(٥) المصدر نفسه، مج٣، ص٣١٦.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٩٠.
(٧) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩١.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٢٠.
(٩) ابن حوقل، صورة، ص١٣٤.
(١٠) ابن ظهيرة، الفضائل، ص١٣٤.
(١١) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١٨.
(١٢) عبد اللطيف البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٧٥، ابن سعيد، **النجوم**، ص٣٠-٣١.
(١٣) الغزولي، مطالع ج٢، ص٢٨٨.
(١٤) **ديوان**، ص٣٦٦.
(١٥) الغزولي، مطالع، ج٢، ص٨٨.

الحاكم إلى الأطعمة التي منع الناس من أكلها، لأنها كانت محببة لدى بعض السنة(١)، الا أن الناس ما لبثوا أن شربوه بعد وفاة الحاكم بأمر الله، حيث شربه الظاهر، وترخص فيه للناس(٢).

* **الخمر**: يصنع من العنب(٣)، ويبدو أن صانعي الخمر كانوا في بعض الاحيان يخلطونها بالماء، حيث يعتبر تميم بن المعز أن مزج الخمر بالماء لؤم ينافي الكرم، وأنها يجب أن تشرب صرفاً كما ولدتها الكروم، بلا اضافة ماء، يقول: (٤)

مزاجكما الخمر بالماء لوم   دعاها كما ولدتها الكروم

ولأن الأقباط النصارى، شكلوا جل سكان مصر في العصر الفاطمي، فقد شاع شرب الخمور في المجتمع المصري في العصر الفاطمي، لذلك كان العنب يزرع بكثرة في مصر(٥). وقد جذب انتشار الخمر في العصر الفاطمي المؤرخ المسبحي إلى تأليف كتاب في الخمر(٦).

وفي سبيل المحافظة على الآداب العامة في المجتمع، اتبع الحاكم سياسة مشددة في مقاومة صناعة الخمور التي حرمها الاسلام، فمنع بيع العنب والزبيب، وأمر بقطع أشجار العنب وحرث أراضيها(٧)، الا أن الناس ما لبثوا بعد عهد الحاكم أن شربوا الخمر، حيث "شرب الظاهر الخمر، وترخص فيه للناس"(٨).

* **عصير الفواكه**: أقبل الناس على شرب عصائر الفواكه المستخرجة من الليمون، والرمان، والتفاح، والخوخ، والعنب غير الناضج مع ماء الورد، والتمر الهندي(٩).

* **المشهيات**: وهي أنواع مختلفة يدخل بعضها في تركيب الطعام، فيزيده نكهة، ويجود في طعمه، وبعضها لا يدخل في تركيب الطعام، وإنما يؤكل مع الطعام، فيزيد في شهية الأكل، اما هذه المشهيات، فهي:

* **الأبازير**: يقصد بها توابل الطعام، كالفلفل، والزنجبيل، والقرفة، والمصطكي، والكزبرة والكمون، والهال، والجوزة، والملح(١٠). وقد بذل الفاطميون على التوابل أموالاً كثيرة،

---

(١) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٦ - ٢٥٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨١، حول المأكولات التي منعها الحاكم؛ لأنها كانت محبذة لدى بعض السنة، انظر ص ١٨١ من الأطروحة.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٧.
(٣) القضاعي، عيون، ص٢٧٤، الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٩٣.
(٤) **ديوان**، ص١١١.
(٥) الادريسي، **نزهة**، ج١، ص١٢٩، الادفوي، الطالع، ص٢٦.
(٦) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٧٨.
(٧) القضاعي، عيون، ص٢٧٤، الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٩٣.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٧.
(٩) Goitein: op.cit, v.4, p.261
(١٠) البغدادي، الطبيخ، ص٨، عبد اللطيف البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص ١٤٨.

فخصصوا لها خزانة، سميت بـ " خزانة التوابل"، وصلت مخصصاتها إلى خمسين ألف دينار في السنة[١].

كما أن الميسورين من الناس اهتموا بتوابل الطعام، يؤكد ذلك وجود حوانيت في سوق القصبة " للأبازرة، الذين يبيعون حوائج الطعام من الحبوب وغيرها"[٢].

* **الأطايب**: كالمسك والعنبر والعود والزعفران والقرنقل والخل، والزيت وماء الورد، والكافور[٣]، وكانت خزانة التوابل تتولى تزويد القصور بالأطايب[٤].

* **الفواكه اليابسة**: هي اللوز، والجوز، والفستق، والبندق، والصنوبر، والزبيب، والتمر[٥]. ويبدو أن وجود الفواكه المجففة على أسمطة الخلفاء كان ضرورياً، فعقب وصول المعز إلى مصر عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م)، " وقع بيده إلى محمد بن الحسين مهذب - صاحب بيت المال - : " تقدم يا محمد بابتياع لنا.. في كل يوم من الفاكهة الرطبة واليابسة كذا وكذا..."[٦].

* **البقول**: كالبصل، والثوم، والجزر، والبنجر[٧]، والفجل[٨]، والبقل، والكراث والشمار والنعناع[٩]. ويبدو أن البقول كانت من ضروريات الموائد، يؤكد ذلك عناية الفاطميين بها، فكان ضمن مهام خزانة التوابل، تأمين حاجات القصور من البقول[١٠].

* **المخللات**: مثل الباذنجان، والخيار، والبصل[١١]، والزيتون[١٢]. وكان لها دور في زيادة شهوة الأكل، ولذلك كان الشريف العقيلي يغري أصدقاءه على حضور موائده بالمخلات، فدعا صديقاً إلى مائدة، وأخبره أن سيكون عليها:

حواضر من مالح ومخلل ... مما يوافق صاحب الصفراء[١٣]

ويدعو صديق آخر إلى مائدة أخرى، فيخبره أن في المائدة[١٤]:

مخللات تنتشي ... في كل شفاف الحجاب

ويبدو أن أسعار المخللات كانت زهيدة؛ ولذلك أقبل الناس على شرائها بكثرة، فكان في

---

(١) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٨.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٦.
(٣) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٧-٢٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٨، ٤٠٤.
(٤) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٨.
(٥) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٢٧-٢٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٠٤.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٤.
(٧) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١٨-١١٩.
(٨) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٣٨.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٨- ٣١٩.
(١٠) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٨.
(١١) الشيزري، **نهاية**، ص١٦٠.
(١٢) ليون الافريقي، وصف افريقيا، ص ٦١٠.
(١٣) **ديوان**، ج١، ص١٢٠.
(١٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٢٠.

سوق حارة برجوان حوانيت كثيرة لبائعي المخللات(١).

وقد مل أحد الشعراء المخللات؛ لكثرة أكله لها، فيلعن أيام المخلل، ويشتاق هبوب نسيم القطائف في السحور، فيقول(٢):

وتبا لأوقات المخلل انها تمر بلا نفع وتحسب من عمري
وأشتاق إن هبت نسيم قطائف السحور سحيراً وهي عاطرة النشر

ثانيا: اللباس:

شكل اللباس نظاما متعدد المحاور، وأهمها، القيم الروحية والأخلاقية، كما كان متعارفاً عليها، وتجلت في الإلزام، والتسامح، والتحريم. فقد الزم أعداء الدولة ممن يراد التشهير بهم، بلبس ألبسة خاصة، فلما أراد الحاكم أن يشهر الثائر ابي ركوة، أمر أن يرتدي " ثوب مشهر، ويغطى رأسه بطرطور (٣) طويل" (٤).

ولما بلغ الحاكم بأمر الله أن بعض الناس يقومون بكشف عوراتهم على بعض في الحمامات العامة، أصدر قراراً الزم فيه جميع الناس بستر عوراتهم بمئزر (٥) عند دخولهم الحمامات. (٦)

وقد مس الإلزام الذميين، حيث الزموا - في ظروف معينة- بلبس الغيار، وهو البدالُ، وهو كل ما خالف وغاير ملابس المسلمين(٧)، وكان أبرزه الزنار(٨)، وبعض الألوان المفروضة عليهم.(٩)

كما مس التسامح الذميين، فلم يفرض الغيار عليهم الا في ظروف مؤقتة، لها أساس عقابي أكثر منه شرعي، أما في الغالب فكان باستطاعة الذميين أن يلبسوا مثلما يلبس المسلمون. فقد شكا كاتب مسلم – في احدى الرسائل التي وردت بالجنيزة- أن النساء الذميات " عندما يتركن منزلهن، ويمشين في الشوارع، يتم التعرف عليهن بصعوبة.. ومنهن من يدخلن المحلات التجارية، ويجلسن بها، فينلن احترام التجار؛ بسبب ملابسهن الفخمة، غير مدركين أنهن ذميات" (١٠).

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٨- ٣١٩.
(٢) السيوطي، حسن، ج١، ص٥٦٨.
(٣) الطرطور: لباس يغطي الرأس، انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٥.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٥.
(٥) حول المئزر، انظر ص ٢١١ من الأطروحة.
(٦) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٧.
(٧) الفيروز آبادي، القاموس، ص٤٥٤. حول أسباب فرض الغيار على الذميين انظر ص ١٦٤ من الأطروحة.
(٨) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٠٢٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦. الزنار : خيط غليظ بقدر الاصبع، من الابريسم او الجلد ، يشد على الوسط، وهو بمثابة حزام. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٧، وانظر شكل الزنار الملاحق، لوحة (٢) و (٣).
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٦، ٣٧٧.
(١٠) Goitein: op.cit, v.4,pp199-200

ويقصد بالتحريم ما خالف أحكام الشريعة، كالتزيي بما لا يستر العورة، فكان لبس السراويل[١] المتسعة التي لا تستر العورة؛ يعد خروجا عن الآداب، لذلك نودي في شوارع القاهرة والفسطاط سنة (٣٦٣ هـ/ ٩٧٣م)، بمنع النساء من لبس السراويل الواسعة[٢]. كما منعت النساء من إرتداء الأحذية الصرارة، التي قد تثير انتباه من حولهن من الرجال.[٣]

لقد تجلت مكانة اللباس في نظم الدولة من خلال ترسيخ عادات متميزة في أزياء الحكام، ورجالات الدولة؛ تميزهم عن الرعية، يقول ابن خلدون : " اعلم أن للسلطان شارات وأحوالا تقتضيها الأبهة والبذخ، فيختص بها، ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطانة، وسائر الرؤساء في دولته" [٤]. فحسن الزي تعظيم للأمر، به يتم فرض هيبة الخليفة، ويضفي عليه طابع الاجلال والوقار، وقد أشار إلى هذا المعنى المقريزي، فروى أن الخليفة في موكب فتح الخليج كان يخرج " بزي الخلافة ووقارها وناموسها: بالثياب التي تذهل الأبصار، والمنديل بالشدة الغريبة التي ينفرد بلباسها في الأعياد والمواسم.. مرصعة بغالي الياقوت والزمرد والجوهر، وعند لباسها يُتَجَنّب الكلام ويُهاب، ولا يكون سلام قريب منه وجليل، غير الوزير، الا تقبيل الأرض من غيردُنُو "[٥]

ولما كان حسن الزي يتم به إضفاء الهيبة والوقار على الخلفاء، ورجال الدولة، فقد تزيوا "بفاخر الثياب، ونفيس الملبوس" [٦]، " الذي يجمع بين الشرف والجمال" [٧].

وقد تجلى تعقد التزيي لدى الخلفاء ورجال دولتهم في اللغة التي وصفهم بها المؤرخون، فيقول القلقشندي: ان الخلفاء كانوا يخرجون في الاعياد والمواكب بالملابس الفخمة المطرزة، والمتعددة القطع[٨]. وذكر المسبحي أن الظاهر ركب في عساكره عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، إلى مسجد تبر " وكان يوماً حسنا من توافر الناس .. والزي الحسن" [٩]. ويروي المقريزي أن الظاهر كان يركب الى صناعة الجسر في العساكر، ورجال الدولة بأحسن زي.[١٠]

---

(١) حول السروال انظر ص ٢١٢ من الأطروحة.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٦٦.
(٣) الشيزري، **نهاية**، ص١٩١.
(٤) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص٣٢٠.
(٥) **المواعظ**، مج ٢، ص٥٤٥.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٥٩.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٨-٥٤، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٣٦٧.
(٨) **صبح**، ج٣، ص١٨٩-١٩٠
(٩) **أخبار**، ج٤٠، ص٦١، وانظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩.
(١٠) **اتعاظ** ، ج٢، ص٢١.

وذكر ابن الطوير ان الوزراء في المواكب كانوا يظهرون " في أهْبَة عظيمة مـن الثيـاب الفاخرة" [١]. وذكر المقريزي أن أمراء الأتراك كانوا يدخلون على الظاهر بأفخر الثياب[٢]. كمـا ذكر المقريزي أن القاضي محمد بن النعمان كان " فاخر الزي". [٣]. وذكر ابن ميسر انه لما ولد للخليفة الآمر ولد، تزينت العساكر، ولبست أفخر ثيابها، وتوجهت إلى القصر لمشاركة الخليفـة سروره. [٤]

ومن تقاليد الخلفاء الفاطميين المتعلقة باللباس، المبالغة في لبس البيـاض، والخـضرة فـي الحياة الرسمية. كما عملوا على الزام أهل الدولة بلبسهما في حياتهم الرسمية. فقد لبس الخلفـاء البياض في المواكب الرسمية[٥]. ويذكر المقريزي أن الخليفة الفاطمي الحاكم كان يخرج بدراعة صوف بيضاء[٦]، وخلع الحاكم على القاضي أبي عبد الله الحسن بن النعمـان ثيابـا بيـضاء[٧]. وكان الظاهر يظهر للناس وعليه ثياب بيضاء، وعمامـة بيـضاء مذهبـة[٨]. وكـان الخليفـة المستنصر يرتدي في موكب فتح الخليج قميصا أبيض، وعمامة بيضاء[٩]. وعقب وصول جوهر الصقلبي إلى مصر عام (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) - الذي عمل على ارساء قواعد الحكـم الفـاطمي- الزم خطباء المساجد بلبس البياض[١٠].

وعندما وصل المعز لدين الله (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٢- ٩٧٥م) من المغرب الـى مـصر عام (٣٦٢هـ/ ٩٧٣م)، ظهر على الرعية بثوب أخضر[١١]. وكان الحافظ يظهر أمـام الرعيـة بعمامة خضراء، وثوبا أخضر[١٢]. وكانت طيالس القضاة خضراء[١٣]. ويـروي المقريـزي أن جوهرا قام بتمزيق عمامة كحلية لأحد الأشراف، وخلع عليه بدلاً منها عمامة خـضراء، وثوبـاً أخضر[١٤].

وترى الباحثة أن حرص الخلفاء الفاطميين على لـبس البيـاض والخـضرة فـي حيـاتهم الرسمية، والزامهم أهل الدولة بذلك، كان ذا بعد سياسي. فيبدو أن قدح العباسيين فـي انتـساب

(١) **نزهة**، ص١٦٠.
(٢) **اتعاظ**، ج٢، ص١٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٧. حول الطيالس انظر ص ٢١٠ من الأطروحة.
(٤) **أخبار**، ص ١٠٩.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧٠- ١٧١.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٨. حول الدراعة انظر ص ٢١٥ من الأطروحة.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٧.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠، حول العمامة انظر ص ٢٠٨ من الأطروحة.
(٩) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١١- ١١٢.
(١٠) ابن خلكان، وفيات ، ج١، ص١٩٥.
(١١) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٥، ص٢١٦.
(١٢) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٣٣.
(١٣) الكندي ، الولاة، ص٣٧٨.
(١٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠١.

الفاطميين لآل البيت[١]، هو الذي دفع الفاطميين إلى لبس البياض؛ حتى يؤكدوا إنتسابهم لآل البيت، حيث عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم، كثرة ارتدائه للبياض، وقد حث الرسول على ذلك فقال: " البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم"[٢].

ولعل الفاطميين أرادوا من لبس الخضرة أن يعبروا عن الطابع الأساسي الذي ينشدونه، وهو تأكيد البعد الديني في ميولهم وأذواقهم، لا سيما وان الامام عند الاسماعيلية هو ممثل الله على الارض [٣]، فجاء حرص الخلفاء على تأكيد هذا المعنى من خلال لبس الخضرة، الذي ورد في القرآن الكريم انه من ثياب أهل الجنة[٤].

وقد تدل الملابس على الطبقات الاجتماعية وتمايزها، فيذكر العمري: " فأما أخلاط عامة الناس فتختلف أحوالهم في الملابس والزي، حتى أن الفقراء وان جمعهم زي الفقر ... فإنهم تتباين حالاتهم في الملابس، وأطوارهم في التشكلات" [٥]. وذكر ابن شاهين : " اذا لبس أحد من طائفة قماش أحد من طائفة غيرها خرج عن الهندام، وصار منسوبا الى تلك الطائفة"[٦].

وقد كان لوزراء الاقلام زي خاص، فكانت الملابس هي علامة الوزارة للوزراء من اصحاب الأقلام، فكان " زي وزرائهم أصحاب الأقلام أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم[٧]... وينفردون بلبس الدراريع[٨] مشقوقة من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرى، وهذه علامة الوزارة" [٩].

وقد اورد ابن الطوير عنواناً تحت " زي الوزير صاحب السيف"، ذكر فيه : " وزيد للوزير صاحب السيف عن الوزير صاحب القلم، الحنك مع الذؤابة المرخاه[١٠] والطيلسان، زي قاضي القضاة"[١١]، إشارة إلى استحواذه على منصب القضاء، حيث أسند منصب قاضي القضاة إلى الوزراء أصحاب السيوف منذ مجيء بدر الجمالي إلى مصر عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) [١٢].

ويذكر الهيتمي، أن الطيلسان والعمامة كانا ضمن شعار القضاة الخاص[١٣]. وعرف أعلى الأمراء منزلة بالأستاذين المحنكين؛ لتميزهم عن غيرهم بزي الحنك، كما عرفوا بالمطوقين،

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١١٨- ١٢٥، القرشي، عيون، ج٤، ص٣٥١- ٤٠٤.
(٢) ابن سعد، طبقات، ج١، ص١٤.
(٣) السجلات، المستنصرية، ص ٣٥.
(٤) انظر سورة الانسان، آية ٢١، الكهف، آية ٣١، الرحمن، آية ٧٦.
(٥) مسالك ج٣، ص٤٥٠.
(٦) زبدة كشف الممالك، ص٨٨- ٨٩.
(٧) حول زي الأحناك انظر ص ٢٠٩ من الأطروحة.
(٨) حول الدراعة انظر ص ٢١٥ من الأطروحة.
(٩) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٥٦٢- ٥٦٣.
(١٠) حول زي الحنك مع الذؤابة المرخاة انظر ص ٢٠٩ من الأطروحة.
(١١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٢١.
(١٢) ابن الصيرفي، **الإشارة**، ص٥٦.
(١٣) در الغمامة، ورقة ٢٠.

حيث كان يُخلع عليهم أطواق في أعناقهم[١].

وكان للفقهاء زي خاص، فذكر المقريزي في أحداث عام (٥١١هـ/ ١١١٧م)، " خرج محمد بن تومرت [٢] من مصر في زي الفقهاء"[٣]. وكان للتجار زي خاص فقد أشار المقريزي إلى رجل " انتهى إلى مصر، وأقام مستتراً بزي التجار" [٤]

وقد اختص الأغنياء بالملابس المصنوعة من الحرير[٥]، في حين اختص الفقراء بالملابس المصنوعة من القطن، ففي احدى الخطابات المرسلة من الاسكندرية الى التاجر نهراي بن نسيم، يقول فيها الراسل: " سيدي! يوجد هنا في المنزل الذي أقطنه، إمرأة شابة فقيرة، لا يوجد لديها ما ترتديه في برد الشتاء، وكما تعلم، فإنني لا يمكنني حالياً اعطائها أية ملابس خارجية، وربما يمكنك جمع مبلغ نصف دينار من أصدقائك؛ لشراء قطعة قماش من القطن تكفي لعمل رداء لها، فتنال حسنة في مقابل ذلك"[٦].

وقد اقتصد الفقراء في شراء الملابس، فكانوا لا يشترون الملابس في الغالب الا في الاعياد[٧].

أما الأغنياء فكانوا يبالغون في شراء الملابس في الأعياد وغيرها، ويظهر أن ذلك كان للبذخ والمفاخرة. فقد وجد للوزير الأفضل بن بدر الجمالي بعد وفاته " من أصناف الديباج تسعون ألف ثوب، وثلاث خزائن كبار مملوءة صناديق كلها دبيقي وشرب عمل تنيس ودمياط، على كل صندوق شرح ما فيه وجنسه"[٨].

ووجد للوزير المأمون بن البطائحي بعد وفاته " مائتا صندوق مملوءة كسوة بدنه" [٩]. وخلف برجوان بعد وفاته " ألف قميص[١٠]، والف سروال [١١]، ومائة منديل شرب معممة" [١٢].

وتركت رشيدة بنت المعز بعد وفاتها ثلاثين ثوبا من الخز، واثني عشر الفا من الثياب المختلفة الألوان، بالاضافة إلى الكثير من العمائم المرصعة بالجوهر[١٣]. ووجد لعبدة بنت المعز

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص٨٩.
(٢) محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب. لمزيد من التفاصيل، انظر ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص٣٧.
(٣) **اتعاظ**، ج٢، ص١٧٧.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٤.
(٥) المسبحي، **أخباراً** ج٤٠، ص١٣-١٤.
(٦) Goitein: op.cit, v.4, P 170
(٧) Ibid, v.4,pp 156- 157
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٩.
(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٣ – ٢١٤.
(١٠) حول القميص، انظر ص ٢١٢ من الأطروحة.
(١١) حول السروال، انظر ص ٢١٢ من الأطروحة.
(١٢) ابن تغري بردي، **مورد** اللطافة، ج١، ص٢٧٦.
(١٣) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤١، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٣٧٣.

بعد وفاتها ثلاثين ألف ثوب[١]. وخلفت زوجة الحسين بن جوهر ما لا يوصف مـن الثيـاب[٢]. ورغم ما في هذه الأخبار من مبالغة، فهي تنبىء عن نزعة إكثار المترفين مـن الأغنيـاء مـن اقتناء الملابس.

ان مبالغة الطبقة الثرية في شراء الملابس، إلى جانب كثرة الأعياد[٣] التـي كـان الفقـراء يقبلون فيها على شراء الملابس، أدى إلى ازدهار تجارة الملابس، " فكانت دكاكين البـزازين ... مملوءة ... بالملابس المذهبه والمقصبة، بحيث لا يوجد فيها متسع لمـن يريـد أن يجلـس" [٤]. وكان في سوق أمير الجيوش " عدة حوانيت للخياطين، ومعظمها لسكن البزازين .. ويبـاع فـي هذا السوق سائر الثياب المخيطة"[٥].

إن إقبال الناس على شراء الملابس أدى إلى ارتفاع قيمتها المادية، بحيث لجأ البعض إلـى بيع ملابسهم في أوقات الضنك حتى يسدوا نفقاتهم، فقد اضطرت الـشدة المستنـصرية الخليفـة المستنصر الى بيع ما لديه من غالي الثياب حتى يتمكن من سد نفقاته[٦]. وكان بيع قطعة واحـدة من ملابس المرأة كافيا لسد نفقات المنزل شهور عديدة[٧].

إن ارتفاع القيمة المادية للملابس، جعلها تورث، فكانت الملابس تنتقل من الأم إلـى ابنتهـا بعد وفاتها، ففي عقد زواج ورد في أوراق الجنيزة، تعهد فيه الأب بأن يعطي للعروس – وكانت ابنته الكبرى – الملابس الخاصة بزوجته المتوفية[٨]. ان ارتفاع ثمن الملابس جعل من العـسير على الناس اتلافها، فكان الأثرياء- أحياناً- يفرقون ملابسهم المستعملة على الفقراء[٩].

أما الاعتناء بالمظهر فقد كان يختلف باختلاف أذواق الناس من جهة، وامكاناتهم المالية من جهة اخرى. فمن الناس من كانوا يلبسون الملابس الرثة[١٠] " وقل ما يلبسون ثوباً غـسيلاً"[١١]، ومن الناس من كانوا "يحسنون هيئتهم ويأخذون عند كل مسجد زينتهم" [١٢] ، " ويتزيـوا بـأفخر زيهم"[١٣]، ويلجئون الى شخص محترف؛ ليقوم بكي ملابسهم، حتى تصبح ملـساء وبراقـة[١٤]،

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٣٧٤.
(٢) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٩٢-٩٣.
(٣) حول الأعياد في مصر في العصر الفاطمي انظر ص ٢٣٦-٢٥١ من الأطروحة.
(٤) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١٢١.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج ٣، ص٣٣٥.
(٦) المقريزي ، اغاثة، ص٥٢٥.
(٧) Goitein: op.cit, v.4, p184
(٨) Ibid, v.3, p85.
(٩) Ibid,v.4,p.190
(١٠) Ibid, v.4,pp 156-157
(١١) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٥.
(١٢) ابن المأمون، **أخبار**، ص ٤٨- ٥٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٧.
(١٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٦.
(١٤) Goitein: op.cit, v.4,pp 177

ويعتنون بنظافة ملابسهم ويحفظونها في صناديق خاصة(١)، ويحرصون على غسلها بالصابون، وكانت عملية التنظيف يقوم بها غالبا متخصصون(٢).

وكان الخلفاء يضعون في صناديق ثيابهم ورود الياسمين والنسرين؛ لتجميل رائحتها(٣)، أما المترفون فكانوا يضعون بين ملابسهم أكياس معطرة، ويخرجونها من خزائنها على فترات منتظمة؛ لتنظيفها وتهويتها(٤).

لقد وسمت تقاليد الناس في التزيي بالازدواجية. فكان الخليفة يفرق في مظهر أزيائه بين حياته الرسمية، وحياته الخاصة. فالحياة الرسمية للخلفاء أكثر غنى وزخرفة مقارنة مع حياتهم الخاصة. فقد حرص الخلفاء عند خروجهم على ارتداء الملابس التي تضفي عليهم الهيبة والوقار، فكانوا يلبسون الملابس الفخمة التي تشتمل على عدة قطع(٥)، في حين كانت أزيائهم المنزلية تتسم بالبساطة، وقلة مكوناتها، فكانوا يلبسون في قصورهم ثياباً قصيرة الأكمام والطول(٦).

كما أن ملابس الخلفاء في حياتهم الرسمية تفاوتت درجة فخامتها بتفاوت المناسبات الرسمية. فقد تميزت ملابس الخلفاء في مواكب الأعياد بالفخامة المفرطة، فكانوا يلبسون " الثياب المذهبة البياض"(٧)، في حين كانت ملابسهم في ركوبهم لصلوات الجمع أقل فخامة فكانوا يلبسون " ثياب الحرير البيض؛ توقيرا للصلاة من الذهب"(٨).

وقد اعتاد الناس في المناسبات المفرحة على لبس الثياب المذهبة، والعمامة، والطيلسان، والحذاء، في حين لم يكن من المستحسن لبس هذه الملابس في المناسبات الحزينة؛ ربما لما يبدو فيها من التكلف الذي لا يتناسب مع المناسبات الحزينة. فلما مات الشاعر ابن الحباب شمت به المهذب بن الزبير(٩)، ومشى في جنازته بثياب مذهبة، فاستقبح الناس فعله، ونقص بهذا السبب(١٠).

ولما " مات الأمير عبد الله بن المعز ... وجلس المعز للتعزية، دخل الناس عليه بغير

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٩، Goitein: op.cit, v.4, p183-184

(٢) Goitein: op.cit, v.4,pp 183-184

(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٩.

(٤) Goitein: op.cit, v.4, pp.183-184

(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٠.

(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٢٩.

(٧) المصدر نفسه، ص١٧١.

(٨) المصدر نفسه، ص١٧٢.

(٩) المهذب بن الزبير، الحسن بن علي بن ابراهيم، شاعر محكم الشعر، وكان كاتبا مليح الألفاظ، وكان المهذب قد مضى رسولاً إلى اليمن عن بعض الخلفاء الفاطميين. توفي سنة (٥٦١هـ/١١٦٦م). انظر الكتبي، فوات، ج١، ص٣٣٧.

(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٣٣٧-٣٤٠.

عمائم واظهروا الجزع"[١]. وخرج الحافظ في جنازة وزيره بهرام الأرمني بغير طيلسان[٢]. ولما قتل الخليفة الظافر " دخل طلائع (والي الغربية وقتئذ) القاهرة، وشقها بعساكره، وهو لابس ثيابا سوداء... حافي القدم"[٣].

ان مظاهر اللباس تؤكد أهمية إنفتاح مصر على الخارج، فمن خلال عادات الاستهلاك الرفيعة المستوى، يتبين وجود صلات ثقافية وتجارية مع العالم المسيحي، ولم يفلح التعصب الديني في وأد قنوات التواصل الحضاري. حيث أن نسيج السقلاطون[٤] والبوقلمون[٥]، اللذين شاع استعمالهما في المنسوجات الفاطمية، من المنسوجات التي اشتهرت بها في الأصل بلاد الروم وانتقلت إلى مصر زمن الفاطميين[٦].

لقد ضاعفت تيارات الهجرة المتوالية من المغرب إلى مصر - وبأعداد كبيرة[٧]- من فرص التواصل الحضاري بين البلدين،فساهمت هذه الهجرات في نقل جزء من تراث المغرب الى مصر. فلبس المصريون لباس البرنس[٨]، الذي اختص به البربر البرانس، حتى انه نسب اليهم[٩]. وذكر ناصر خسرو أن الخليفة المستنصر كان يرتدي بعض الملابس التي تعود لأصول مغربية، فرأى عليه عندما زار مصر " قميصا ابيض عليه فوطة فضفاضة كالتي تلبس في بلاد المغرب"[١٠]. ونهلت مصر من ثقافة البحر الابيض المتوسط، فقد ورد في رسائل الجنيزة أن الملابس كانت تصدر في العصر الفاطمي من صقلية إلى مصر[١١]، ويؤكد ذلك ما خلفته عبدة بنت المعز بعد وفاتها من الثياب الصقلية[١٢].

وقد أخذت التأثيرات الايرانية تحتل بعض الفضاءات في عادات وتقاليد المجتمع المصري، وتجلت في اللباس، حيث أكد خطاب ورد في رسائل الجنيزة - أرخ في القرن الخامس الهجري- أن مصر كانت تستورد الملابس من جنوب إيران[١٣].

---

(١) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٦٦.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣٣.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص٧٢.
(٤) السقلاطون: نسيج من الحرير مخلوط بخيوط الذهب. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٥٤٦.
(٥) البوقلمون: نسيج رقيق امتاز بألوانه البراقة التي تتلألأ، وتتغير اذا انكسرت عليها أشعة الشمس. انظر ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١١.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٥٤٦.
(٧) حول الهجرات المغربية إلى مصر انظر ص ٣٣ – ٣٧ من الأطروحة.
(٨) حول البرنس انظر ص ٢١٥ من الأطروحة.
(٩) ابن خلدون، **العبر**، ج٦، ص١١٦- ١١٧.
(١٠) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١١.
(١١) Goitein: op.cit, v.4, p.184.
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٤.
(١٣) Goitein: op.cit, v.4,p170

ويمكن تقسيم الملابس التي ارتداها الناس إلى ثلاثة أقسام: لباس الــرأس، ولبــاس البــدن، ولباس القدم.

١ - لباس الرأس:

*** العمامة:**

يقول المقري في تعريف العمامة: (١)

ما لــف فــوق الــرأس كالعصــابة   سمــي العمــامــة ذو الاصــابــة

وقد أخذ العرب العمامة عن آبائهم منذ الجاهلية، فهي تيجانهم، " فكما قيل في العجــم تــوج من التاج، قيل في العرب عم".(٢) والعمامة تكاد تكون لباس الرأس الشائع بــين جميــع النــاس، رجالاً ونساءً. وقد بالغ الأغنياء في تزيين عمائمهم، فكانت رشيدة بنت المعــز تلــبس العمــائم المرصعة بالجوهر(٣). وكان المترفون يطرزون عمائمهم، يقول ظافر الحداد(٤):

والنيــــــل مثــــــل عمامــــــة   نــــشرت محــــشاة بأخــــضر

وقد اعتنى الخلفاء الفاطميون بعمائمهم، فاختص بتجهيزها لهم خادم عرف بشاد " التاج"(٥)، وارتدوا العمائم المنظومة بالجوهر، والمنسوجة من الحرير الأبيض الرقيق(٦).

ولبس القواد العمائم الكبيرة المنسوجة بالقصب والمرصعة بالذهب، فذكر المسبحي ان القائد ابا الفوارس معضاد كان يخرج " وعلى رأسه عمامة كثيرة الذهب، خمرية اللون"(٧).

ولما كانت العمامة رمزا للهيبة والوقار، فقد كانت لباس رجال الدين الرسمي، حتى أطلــق عليهم أرباب العمائم(٨). وكانت العمامة متممة لهيبة القاضي، ولذا ما كان يقبل منــه أن يخــرج بدون عمامة، فعندما علم الخليفة الحافظ بخروج القاضي هبة الله الأنصاري إلى الأســواق دون عمامة، أمر بعزله عن القضاء(٩).

وكان القضاة يلبسون العمائم الفخمة المذهبة، فيذكر المقريزي أن الحاكم خلع على قاضــي قضاته الحسن بن النعمان في سنة (٣٨٩ هــ / ٩٩٩م)، عمامة مذهبة(١٠). كما خلع الحاكم على

---

(١) زهرة الكمامة في العمامة، ورقة ١٠٠، انظر شكل العمامة، الملاحق، لوحة (٢)، (٣)، (٧)، (٩)، (١١)، (١٢)، (٢٨)
(٢) ابن منظور، لسان، مج١٢، ص٤٢٣.
(٣) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٣.
(٤) ظافر الحداد، **ديوان**، ص١٣٠.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٢.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٣-١٤، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٦.
(٧) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٤٤.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٧ -١١٩. أرباب العمائم: هم قاضي القضاة، وداعي الدعاة، ونقيب الأشراف الطالبيين، والمحتسب، والقراء. انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٧- ١١٩.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٣٢، ابن ظافر الأزدي، **أخبار**، ج١، ص٢٤٨.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٧، ابن حجر، **رفع**، ص١٤٠.

القاضي مالك بن سعيد الفارقي – سنة (٣٨٩هـ/ ١٠٠٧م)- عمامة مذهبة[١]. وخلع الحاكم على القاضي أحمد بن أبي العوام بعمامة كبيرة مذهبة[٢].

وكانت العمائم تتخذ أشكالاً مختلفة في طريقة وضعها ولوثها، فكان البعض يسدل طرفاً من العمامة خلف الكتفين، ويسمى بالذؤابة[٣]، وفي ذلك نوع من انواع العظمة، يقول المقري[٤].

وحكمة الإرخاء حسن الحال ... به لما فيه من الجمال

ولما كان إرخاء الذؤابة دلالة عز ونفوذ، فقد حرص الخلفاء على إرخائها، فكانوا في المواكب الرسمية يسدلون الذؤابة من جانبهم الايسر[٥]. وقد أضيفت الذؤابة المرخاة إلى خلع الوزير عند تعينه " إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام"[٦].

ولما كان إرخاء الذؤابة يدل على العظمة، فعندما أراد الوزير رضوان بن ولخشي الحط من مكانة الذميين، فرض عليهم قيودا تتضمن منعهم من ارخاء الذؤابة خلف الكتفين[٧].

ويعتبر المقري من سنة العمامة الإرخاء مع التحنيك، وهو التلحي أي إدارة العمامة من تحت الحنك، وفي ذلك يقول[٨]:

والأخذ باليمين وامتثال ما ... في صفة التعميم يروي العلما

عن سنة حازت علو المرتبة ... من التحنك وفعل العذبة

حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم، إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه[٩]، ونهى الرسول عن ترك التحنيك [١٠]. ولما كان الارخاء مع التحنيك من فعل الرسول، فقد حرص بعض الخلفاء على الإرخاء مع التحنيك؛ توكيدا لانتسابهم لآل البيت – الذي طالما طعن فيه العباسيون- فكان العزيز " أول من ركب منهم (أي الخلفاء) بالذؤابة الطويلة والحنك"[١١]. وذكر المقريزي ان الحاكم ركب يوم عيد الفطر عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)، وهو "محنك بذؤابة"[١٢]. وقد لبس القضاة العمائم بالأحكناك مع الذؤابة المرخاة[١٣]. وعرف كبار أمراء الدولة الفاطمية بالأستاذين

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٨، ابن حجر، **رفع**، ص٣١٦.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٣، ابن حجر، **رفع**، ص٧٢.
(٣) ابن منظور، لسان، مج١٠، ص٤١٦. انظر شكل العمامة بالذؤابة من الخلف، الملاحق، لوحة (١٠).
(٤) زهرة الكمامة، ورقة ١٠٣.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧١. انظر شكل العمامة بالذؤابة من الجانب، الملاحق، لوحة (٨).
(٦) المصدر نفسه، ص١٢١.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٤٧.
(٨) زهرة، ورقة، ١٠١- ١٠٤ انظر العمائم بالاحناك، الملاحق، لوحة (٧٠).
(٩) الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، ص٢٢٥.
(١٠) الهيتمي، در الغمامة، ورقة ١٦.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢١.
(١٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٠.
(١٣) المقريزي، **المقفى**، ج٢، ص٣٩٧.

المحنكين، لأنهم كانوا يدورون أطراف عمائمهم على أحناكهم[١]. وكان وزراء الأقلام يلبسون العمائم بالأحناك تحت حلوقهم[٢].

* **الطيلسان**:

ذكر ابن منظور أن الطيلسان قطعة من القماش المربع، تجعل على الرأس فوق العمامة[٣]. في حين ذكر دوزي أن الطيلسان عبارة عن قطعة من القماش تلقى فوق الملابس على الكتفين فقط[٤]. وقد جانب دوزي الصواب في ذلك؛ لأن الطيلسان لباس يضاف إلى العمامة - كما ذكر ابن منظور - وهذا ما أشار إليه ظافر الحداد في قوله:

عمامة شرب في حواش بخضرة   أضيف اليها طيلسان مقور[٥]

وقد كان الطيلسان زي القضاة الرسمي، بحيث سموا " بأصحاب الطيالس"[٦]. ويبدو أن خلع الطيالس على القضاة كان من مراسيم تقليدهم منصب القضاء. فقد قلد الحاكم بأمر الله مالك ابن سعيد بن مالك الفارقي، عمامة وطيلسانا مذهبين عند توليته القضاء[٧].

ويبدو أن لبس الطيالس كان دلالة عز ونفوذ، فلما أراد الوزير العادل بن السلار الحط من شأن الذميين، اصدر قرارا – عام (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) - بمنع الذميين من لبس الطيالس [٨].

* **التاج**: عبارة عن طاقية عالية[٩]، استخدمه الرجال والنساء على حد سواء، زينة لرأسهم وقد كانت المرأة يوم زفافها تضع على رأسها تاجاً[١٠]. كذلك كان الرجل يضع على رأسه يوم زفافه تاجاً خاصاً بالزواج[١١]. وذكر المقريزي أن ست الملك أهدت أخاها الحاكم بأمر الله تاجا مرصعاً بنفيس الجوهر[١٢].

* **الخمار**: عبارة عن قطعة كبيرة من الكتان أو الحرير، تغطي بها المرأة رأسها، وعنقها، وصدرها[١٣]. ويحوي متحف برلين تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي، قوام زخرفتها رسم

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٦.
(٢) المصدر نفسه، ص١٠٦.
(٣) لسان، ج٢، ص١٢٥.
(٤) معجم، ص٢٢٩.
(٥) **ديوان**، ص١٤٥. المقور: المقطوع من وسطه خرقاً مستديرة. انظر ابن منظور، لسان، مج ١١، ص٣٤٣- ٣٤٤.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١١٩.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٨.
(٨) ساويرس بن المقفع، **تاريخ**، ج٣، مج٢، ص١٣٥٤- ١٣٥٥.
(٩) انظر شكل التاج، الملاحق، لوحة (١٣)، (١٤)، (١٥)، (١٦).
(١٠) العيني، عقد الجمان، ص٥٠٧، Goitein: op.cit, v.1, p161.
(١١) Goitein: op.cit, v.1, p.161, Neufeld: op.cit, p.149
(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢١١.
(١٣) ابن منظور، لسان، ج٦، ص٤٤٤.

لسيدة ترتدي خماراً [١].

* **القناع والنقاب**: تغطي بهما المرأة وجهها. والقناع عبارة عن قطعة من القماش الرقيق تغطي الوجه بتمامه[٢]. أما النقاب، فهو عبارة عن قطعة من قماش تثقب في موضع العينين تبصر المرأة منهما[٣]، ويطلق عليه أحيانا اسم البرقع[٤]، وكان – على ما يبدو - يعد من لوازم المرأة الجميلة، اذ تغزل ظافر الحداد في شعره بجمال عيون المرأة التي ترتديه، فقال[٥]:

لعمرك لو نظرت مقلتاك   فتور العيون من البرقع

ويبدو أن ستر المرأة لوجهها بالقناع والنقاب، كان يعبر عن الوقار والاحتشام، فعندما وصل تهتك النساء في عهد الحاكم إلى درجة من القوة، فرض عليهن تغطية وجوههن[٦] كوسيلة؛ للمحافظة على الآداب العامة في المجتمع.

٢ - ملابس البدن:

* **المئزر (الازار)**[٧]: وهو قطعة قماش كانت تلف او تعقد على وسط الانسان[٨]، لما تحت السرة[٩]. وقد اقتضت السنة النبوية الا يزيد طول الازار عن الكعبين، بل أن يكون محصورا ما بين الكعبين ومنتصف الساق[١٠]. وكان الازار يلبس عند الدخول إلى الحمام، ويعتبر الدخول إلى الحمام بغير إزار تبذلاً وعدم احتشام[١١].

ولم يقتصر لبس الازار على ستر العورة فقط، بل استخدم فوق ملابس النساء أيضاً، فقد أرسل وكيل لرئيسه، أن امرأة اتته " وعليها الازار وفي يدها خاتم الذهب، فتطلب مني، أفأعطيها؟ فقال له: من مد يده اليك فأعطه" [١٢] فالازار هنا قد استعمل فوق اللباس، فليس من المعقول أن تأتي المرأة إلى الوكيل وقد اقتصرت على ستر عورتها فقط. ولعل ما ورد على لسان الوكيل يدل على أن الازار قد تطور بشكل أصبح الاتزار أو التلفع به يعبر عن ترف صاحبه، ويكسبه شكلاً جميلاً.

---

(١) انظر شكل الخمار، الملاحق، لوحة ٦.
(٢) ابن منظور، لسان، ج٨، ص١١٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٧٦٨.
(٤) ظافر الحداد، **ديوان**، ص٢٠٤.
(٥) المصدر نفسه، ص٢٠٤.
(٦) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٤، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٧.
(٧) المئزر والازار شيء واحد. انظر ابن سيده، المخصص، ج٤، ص٧٦-٧٧.
(٨) الفيروز آبادي، القاموس، ص٢١١ ، مصطفى جواد، (١٩٦٤م) أزياء العرب، مجلة التراث الشعبي، ع٨، ص٥.
(٩) انظر شكل المئزر، الملاحق، لوحة (١)، (١٧)، (٢٣)
(١٠) ابن منظور، لسان، ج٤، ص١٧.
(١١) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٧، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٧.
(١٢) ابن خلكان، وفيات، ج١، ص١٥٥-١٥٦.

* **الفوطة**: عبارة عن قطعة من النسيج الغليظ غير مخيط[١]، تشد في الوسط على الجزء الأسفل من الجسم[٢]. ويبدو أنها كانت واسعة، فيروي ناصر خسرو ان " الخليفة المستنصر ارتدى قميصاً ابيض عليه فوطة فضفاضة"[٣]. ويبدو أن الفوطة شكلت جزءاً أساسياً من لباس الناس، فنظرا لأهميتها كانت تدخل ضمن الخلع التي كانت تخلع على الخاصة والعامة في المناسبات المختلفة[٤].

* **السروال**: لباس يستر أسفل الجسم[٥]، ارتداه الناس عموما، رجالاً ونساء[٦]. ويبدو أنه كان من الملابس الدارجة بكثرة في اللباس، حتى أن ظافر الحداد استخدمه في تشبيهاته، فشبه البحر بالسروال، فقال:[٧]

والبحر في رأس الجزيرة كالسراويل المحرر

وكانت بعض السراويل لا تتعدى الركبتين[٨]، بينما يطول بعضها حتى يصل إلى القدمين[٩]. وقد يكون السروال ضيقاً، أو شديد الاتساع، بحيث لا يستر العورة، مما اضطر المحتسب عام (٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) إلى منع النساء من لبس السراويل الواسعة[١٠].

* **القميص**: لباس للرجال والنساء على حد سواء. وهو عبارة عن ثوب يلبس فوق السروال، وله كمان واسعان للغاية، يهبطان إلى المعصم، ويتدلى القميص إلى منتصف الساقين[١١].

وقد تعددت أنواع القمصان من البساطة إلى التعقيد، فكانت قمصان الفقراء تتخذ من القطن، وتبعاً لذلك لم يتجاوز سعرها التسعة دراهم[١٢]، والستة عشر درهماً[١٣]، بينما كانت قمصان المترفين فخمة، ومنسوجة بخيوط الذهب، فذكر المقريزي أن الظاهر كان يرتدي القمصان المذهبة[١٤].

---

(١) ابن منظور، لسان، ج١٢، ص٢١٠.
(٢) ابن بطوطة، **رحلة**، ص٢٧٢ انظر شكل الفوطة، الملاحق، لوحة (٣)، (٨).
(٣) **سفرنامة**، ص١١١.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٤، ٣٦٨.
(٥) انظر شكل السروال، الملاحق، لوحة (٢)، (٣)، (٩)، (١٩)، (٢٦) ، سليمة عبد الرسول، (١٩٨١). ملابس العمل لذوي المهن والحرف، مجلة سومر، ع ٣٧، ص٢٤٢.
(٦) **ديوان**، ص١٣٠.
(٧) جروهمان، **أوراق** البردي، ج٦، ص٧٩، دوزي، معجم، ص١٧٢.
(٨) انظر شكل السروال الذي لا يتعدى الركبتين، الملاحق، لوحة (١٩).
(٩) انظر شكل السروال الذي يطول الى القدمين، الملاحق، لوحة (٣)، (٩)
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٦٦.
(١١) دوزي، معجم، ص٣٠٠، انظر صورة تقريبية للقميص، الملاحق، لوحة (٦٧).
(١٢) Goitein: op.cit, v.1, p159.
(١٣) جروهمان، **أوراق** البردي، ج٦، ص٨١.
(١٤) **اتعاظ**، ج٢، ص١٠.

ونظرا لأهمية القمصان في ألبسة الناس، فقد كانت تدخل ضمن الخلع التي تخلع على القضاة، فذكر المسبحي أن الحاكم خلع على القاضي مالك بن سعيد الفارقي قميص مصمت(١)، وخلع على القاضي أبي العباس بن أبي العوام قميص دبيقي(٢).

* **الغلالة**: - ثوب رقيق شفاف، يلامس الجسد مباشرة(٣). وقد تعددت تفاصيل الغلائل من البساطة إلى التعقيد، فكانت غلائل الفقراء تتخذ من نسيج القطن، ولا يتجاوز سعرها الأربعة دراهم وربع(٤)، في حين كان المترفون يلبسون الغلائل المذهبة، فذكر المقريزي أن أبا عبد الله محمد النرسي – نقيب الطالبيين – كان يرتدي غلالة مذهبة(٥).

* **الصدار**: - قميص صغير، يغطي صدر المرأة، ومنكبها(٦). وقد ظهر على التحف الخزفية التي ترجع إلى العصر الفاطمي(٧).

* **التبان**: - وهو عبارة عن سروال صغير مقدار شبرين يستر العورة(٨)، وقد ظهر على الآثار التي ترجع إلى العصر الفاطمي(٩)

* **الثوب**: - هو زي الخروج للنساء والرجال على حد سواء. وهو عبارة عن رداء طويل، واسع، فضفاض، ففي خطاب ورد في اوراق البردي مؤرخ من القرن الرابع الهجري، أرسله أحد الأشخاص إلى صديق له يطلب منه شراء ثوب واسع العرض، من تسعة أشبار(١٠).

وكانت الأثواب تصنع من مختلف الأقمشة، فكانت أثواب الفقراء تتخذ من القطن(١١)، وكانت أثواب المترفين تتخذ من الحرير، فكان الخلفاء يلبسون في الجمعة الأخيرة من رمضان ثوباً من الحرير الابيض، ويلبسون في عيد الفطر ثوباً حريري(١٢).

وذكر المقريزي أن الأفضل بن بدر الجمالي وجد له بعد وفاته من أصناف الديباج(١٣) تسعون الف ثوب(١٤). وذكر ابن الزبير، أن رشيدة بنت المعز بعد وفاتها تركت ثلاثون ثوباً من

---

(١) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٦.
(٢) ابن حجر، **رفع**، ج١، ص١٠٢.
(٣) دوزي، معجم، ص٢٩٥، صلاح العبيدي، الملابس، ص٢٢٤.
(٤) جروهمان، **أوراق** البردي، ج٦، ص٧٣-٧٤.
(٥) **اتعاظ**، ج٢، ص١٠.
(٦) ابن منظور ، لسان، ج٤، ص٤٤٣.
(٧) انظر شكل الصدار، الملاحق، لوحة (٢٥).
(٨) ابن منظور، لسان، ج ٣، ص١١١.
(٩) انظر شكل التبان، الملاحق، لوحة (٢٤)، (٢٥)
(١٠) جروهمان، **أوراق**، ج٥، ص٧٠-٧٢.
(١١) Goitein: op.cit, v.4, p.170
(١٢)المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص١٣-١٤.
(١٣) الديباج: نوع من انواع الحرير الغليظ. انظر ابن منظور، لسان، ج٤٠، ص٢٧٨.
(١٤) **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٩.

الخز[١]. وذكر ناصر خسرو أن بعض المصريين تزيوا بالثياب المصنوعة من الكتان[٢].

ولما كانت الثياب هي زي الخروج، فقد بالغ الناس في تطريزيها [٣]. فقد زين المترفون ثيابهم بخيوط الذهب، ويعتبر العزيز هو أول من اتخذ الثياب المثقلة[٤]. وكان الخلفاء يلبسون في موكب فتح الخليج ثوب " كله ذهب وحرير"[٥]. وكان الاتراك يدخلون على الظاهر " في أفخر ثياب من المثقل"[٦].

ويبدو أن فخامة الثوب كانت تنعكس بالدرجة الأولى على أناقة أكمامه؛ ولذا كانت الأكمام محط اهتمام الناس، حيث بالغوا في تزينها بالتطريز، وفي توسعتها[٧]. فذكر ناصر خسرو أن الديلم كانوا يلبسون ثياباً " أكمامها واسعة، كما يلبس رجال مصر"[٨]. وذكر المقريزي، أن الأمير صبيح ابن شاهنشاه - أحد أمراء الدولة الفاطمية في أيام طلائع بن رزيك- " كان يلبس .. أكمام واسعة على زي المصريين يومئذ (أي في العصر الفاطمي)"[٩]

ويبدو أن لتوسعة أكمام الثياب، فضلاً عن الأساس الجمالي، أساساً عملياً، حيث أن سعة الأكمام أتاحت للناس أن يتخذونها جيوباً؛ لحمل كثير من الأشياء فيها، فكان مُبخر مواكب الخلفاء الفاطميين يحمل " في كمّه فحم برسم تعجيل المدخنة"[١٠]، وكان علية القوم يحضرون سماط سحور شهر رمضان الذي يُقيمه الخليفة " فيأكلون، ويملأون أكمامهم"[١١].

ولأن الكم هو الجزء الأهم في الثوب؛ فقد كان من الممكن تقديمه هدية منفصلة عن الثوب، فيذكر المقريزي أنه خلع على القاضي ثقة الملك الرسعني عام (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) ، اثوابا، وكمّ[١٢]، وخلع على الشيخ ولي الدين أبو البركات – متولي ديواني المجلس والخاص- في نفس العام أثواباً وكمّ[١٣].

---

(١) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤١، وانظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٣. الخز: نسيج مخملي ثقيل مصنوع من خيوط حريرية، وخيوط صوفية، فكانت السدى حريرا، واللحمة صوفاً. انظر ابن الميداني، السامي، ص١٣٢.
(٢) **سفرنامة**، ص١٠١.
(٣) انظر شكل الثياب المطرزة، الملاحق، لوحة (٦)، (٧)، (١١)، (١٦)، (١٨)، (٢٠)، (٢١)، (٢٢)، (٢٧)، (٢٨)، (٢٩)، (٣٠)
(٤) ابن ظافر، **أخبار**، ج١، ص١٨٦.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٩٨.
(٦) **اتعاظ**، ج٢، ص١٥.
(٧) انظر شكل الكم الواسع والمطرز، الملاحق، لوحة (٦)، (٧)، (١٨)، (٢٠)، (٢١)، (٢٢)
(٨) **سفرنامة**، ص١٢٧.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٥٧.
(١٠) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٨٩.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩٥.
(١٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٦٤.
(١٣) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٦٥.

* **الدراعة**: ثوب قصير " مشقوق أمام الوجه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعرى"[١]. وقد ميزت الدراعة لباس الخاصة، فقد لبسها الخلفاء، فذكر المقريزي أن الحاكم بأمر الله خرج في جنازة والده العزيز وعليه دراعة[٢]. كما كانت الدراعة الزي الرسمي للوزراء، فقد كانت علامة الوزارة لوزراء الأقلام[٣]، كما كانت الزي الرسمي للقضاة[٤].

* **العباءة**: معطف يشبه الكيس، مفتوح من الامام، لا أكمام له، وإنما توجد فتحتان به في الزاويتين العلويتين لامرار الذراعين منهما[٥]، تتخذ من الكتان مختلط الألوان، ومن القطن[٦].

ويبدو أن العباءة كانت من البساطة، بحيث لم يكن من الممكن التفريق بين عباءة الرجل والمرأة. فقد ورد في رسالة في وثائق الجنيزة أن رجلاً فقدت عباءته، وقد ابدى أسفه لذلك، حيث لم يكن له ولزوجته سواها[٧].

* **البرنس**: كل ثوب رأسه منه[٨]، وكان اللباس المفضل لدى الرهبان النصارى[٩]؛ ولذلك كرهه بعض المسلمين[١٠]؛ واستعمله الفاطميون للتشهير بالقرامطة، ففي عام (٣٦٣هـ/ ٩٧٤م)، " طيف بتسعة من القرامطة على الابل بالبرانس"، وعام (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) ، " طيف (بالقاهرة) بأسارى من القرامطة على الإبل بالبرانس، وعدتهم الف وثلاثمائة"[١١].

٣ - لباس القدم: -

* **الجوارب**: - وهي لفافة القدم[١٢]. تلبس تحت الاحذية وتلف جزءاً من الساق[١٣].

* **الأحذية**: مع إقبال الناس على شراء الأحذية، ظهرت بالقاهرة أسواق تخصصت في بيعها[١٤]، وتصليحها[١٥]. وإن ما تمتعت به مصر من رقي في صناعة الاحذية، ادى إلى ازدهار التجارة

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٦.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢٥.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٦.
(٤) قائم الزمان، الرسالة، ورقة ٥٦٢، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٠٧.
(٥) دوزي، معجم، ص٢٣٨. انظر صورة تقريبية للعباءة، الملاحق، لوحة (٦٩).
(٦) Goitein: op.cit, pp 179-180
(٧) Ibid, v.4, p154-155.
(٨) ابن منظور، لسان، مج٨، ص١٢٦، انظر شكل تقريبي للبرنس، الملاحق، لوحة (٦٨).
(٩) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ١٠، ص٣٣٤، دياب، فكري محمد، (١٩٩٤م): زي الرهبان على رسوم الفرسكو في الكنيسة المصرية بعد الفتح الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، مصر، ص١١٠.
(١٠) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١٠، ص٣٣٤.
(١١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٦٢.
(١٢) الخليل بن أحمد، العين، ج٦، ص١١٣، أدى شير، الألفاظ الفارسية، ص٣٨.
(١٣) أدى شير، الألفاظ الفارسية، ص٣٨.
(١٤) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٢٩٢، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٩.
(١٥) جروهمان، **أوراق**، ج٦، ص٩٠، ١١٣

الخارجية للأحذية، فورد في رسائل الجنيزة ان بضاعة ضخمة أرسلت من مصر إلى المغرب – عام (٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م) – فيها أحذية[١].

وقد تعددت تفاصيل الأحذية من البساطة إلى التعقيد. فكان بعضها مزيناً بالتوكات أو الحليات، فوصلت أسعارها إلى ١١ دينار[٢]، ولعل هذه كانت أحذية الاغنياء. أما فقراء العامة، فالأرجح أنهم لبسوا أحذية غير مزينة، ولذا كانت أسعارها منخفضة، فتراوحت بين الربع دينار والدينارين[٣].

وكانت الاحذية على ثلاثة أنواع، وهي: القبقاب، والخف، والنعل. أما القبقاب فقد استخدمه الرجال والنساء على حد سواء، وهو حذاء من خشب[٤]. ويصفح أحياناً بالحديد؛ للحفاظ على صلابة الخشب، ويوشى بغطاء من جلد مطرز بالحرير، والأكثر جمالاً وأناقة يتخذ من خشب الليمون والعناب، والأكثر صلابة ومتانة من خشب التوت[٥]. ويبدو أن صلابة القبقاب كانت من القوة، بحيث تمكنت نساء الظافر من قتل نصر بن الوزير عباس الصهناجي بالقبقاب[٦]. وقد ذكر دوزي أن علو القبقاب يتراوح بين (٨ و ١٠ و ٣ و ٤ سم)[٧].

لما كان الطول من معالم جمال المرأة في الذوق المصري في العصر الفاطمي[٨]، فإن ذلك يدعو إلى القول أن لارتداء النساء للقبقاب أساساً جمالياً مرتبطاً بالزينة، حيث تتجلى قيمة القبقاب الرمزية في العلو الذي يمنحه للابسه.

ويمكن القول أن لارتداء القبقاب فضلاً عن الأساس الجمالي، أساساً عملياً، مرتبطاً بظروف الطقس، خاصة في فصل الشتاء، إذ تكون الأزقة موحلة، مما يستوجب اتخاذ القبقاب[٩]. وقد كان القبقاب من لباس الأعيان – أيضاً - فيذكر المقريزي أن المستنصر شوهد في إحدى حجراته في العصر الفاطمي لابساً قبقاباً[١٠].

ومن لباس القدم – أيضاً - " الخف"، وهو ما يلبس في القدمين إلى الكعبين، وقد يطول إلى نصف الساق، أو يقترب من الركبتين[١١]، ويتخذ من جلود أنواع مختلفة من الحيوانات[١٢].

---

(١) Goitein: op.cit, v.4, p.163- 164
(٢) Ibid, v.1, p162
(٣) جروهمان، **أوراق** البردي، ج٦، ص١٩٥ – ١٩٦.
(٤) الفيروز آبادي، القاموس، ص١٥٦.
(٥) ليون الافريقي، وصف افريقيا، ج ٢، ص٢٤٣.
(٦) ابن تغري، بردي، **النجوم**، ج٥، ص٣١٠-٣١١.
(٧) دوزي، معجم، ص١١٥ انظر رسم تقريبي للقبقاب، الملاحق، لوحة (٧٢).
(٨) انظر العماد الأصفهاني، الخريدة، ج٣، ص٧٣.
(٩) ليون الافريقي، وصف افريقيا، ج١، ص٢٤٣.
(١٠) المقريزي، اغاثة، ص٢٥.
(١١) ابن أبي زيد القيرواني، متن الرسالة، ص٦٩. انظر شكل الخف، الملاحق، لوحة (١٧)، (١٨).
(١٢) الفيروز أبادي، القاموس، ص١٠٤١.

ويبدو أن الخف كان من الصلابة، حيث أنه استخدم في صفع المذنبين، فذكر ابن الطوير: أن الخليفة الآمر غضب على والي القاهرة؛ لجرم ارتكبه، وأمر بخلع أخفافه من رجليه، وصفعه بهما[١].

ومن لباس القدم، النعل: وهو ما وقيت به القدم من الأرض[٢]، يتكون من فراش من الجلد أو نحوه، توضع فوقه القدم، ويشد إليها بواسطة سيرين، قد يمر أحدهما وسط الرجل، والآخر بين الأصبع الأكبر والثاني الذي يليه[٣].

وقد لبس الخليفة الحاكم النعل، فذكر المقريزي أن الحاكم كان يرتدي في ركوبه " حذاء عربي بقبالين" [٤]. والقبالان – بكسر القاف – هما الزمام والسير الذي يعقد فيه الشسع[٥]، الذي يكون بين أصبعي الرجل[٦]. وقد كانت نعال المصريين من الأناقة، فذكر الرحالة المقدسي – الذي زار مصر في العصر الفاطمي – أن المصريين " قل ما يلبسون نعلاً مقتطعاً"[٧].

ثالثا: الزينة:

لقد اهتمت المرأة المصرية بزينتها، حتى وصفت بأنها " أرق نساء الدنيا طبعاً، وأحلاهن صورة"[٨]. وأن مبالغة المرأة المصرية بالاعتناء في زينتها؛ كان سبباً في تسميتها بالأسماء التي تعبر عن الجمال، مثل: جميلة، قمر، وغزال[٩].

لقد كان اتخاذ الجواري عاملاً في شيوع أصناف الزينة، إذ انهن دأبن على اظهار جمالهن وإخفاء عيوبهن، وليس هذا بالغريب، إذ أن الجارية تباع وتشترى أو تهدى. ولما كانت الحرائر على اتصال بهن، فلا بد من تولد الغيرة منهن على أزواجهن[١٠]، مما دفعهن إلى استخدام وسائل التزين للظهور أمام أزواجهن بمظهر حسن؛ كي لا يقدموا على اقتناء الجواري.

وكانت المرأة تتزين بوسائل مختلفة، وهي:-

* **الوشم**: يفيد غرز الإبرة في البدن، وذر النيلج عليه، وهو دخان الشحم، يعالج به الوشم ليخضر، أو تغرز الإبرة في البدن حتى يسيل الدم، ثم يحشى الكحل في موضعه[١١]. وقد كانت

---

(١) **نزهة**، ص١٦.
(٢) الفيروز آبادي، القاموس، ص١٣٧٤.
(٣) دوزي، معجم، ص١٢٠.
(٤) **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٨.
(٥) شسع النعال – بكسر حرف الشين – قبالها الذي يشد إلى زمامها، والزمام هو السير الذي يعقد فيه الشسع. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص ٨٣٠.
(٦) ابن حجر العسقلاني، فتح، ج١٠، ص٣٨٣.
(٧) **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٥.
(٨) ابن ظهيرة، الفضائل، ص٨٠ - ٨١
(٩) Goitein: op.cit, v.3, p.316 – 318.
(١٠) حول نظرة المرأة الحره للجارية، انظر: ص ١٥٦، ٢٧٦ من الأطروحة.
(١١) الفيروز آبادي، القاموس، ص١٥٠٦، الخفاف، ليث، (١٩٧٧م). وشم جسم المرأة، مجلة التراث الشعبي،ع٦، ص٢١٠- ٢١١.

عادة الوشم شائعة لدى النساء، حيث صور القاضي الفاضل زينة المرأة برسم الحية على خـدها، فقال: [١]

حـدثنا يـا فتـى وأخبرنـا ... وأيمـا شـئت منهمـا فقـل
عـن حيـة فـي الخـدود ظالمـة ... تمنـع مـن وشـم وردهـا الخـضل

* **الخضاب**: هو التلوين[٢]. وقد استعملت المرأة الحناء في تخضيب يديها ورجليها، ففـي عقـد زواج ورد في وثائق الجنيزة، تعهد فيه العريس بتزويد العروس قبل الزفـاف بالحنـاء، لـصبغ يديها ورجليها[٣]. وقد أشار ظافر الحداد في شعره إلى عادة تخضيب النساء لأيديهن بالحناء[٤].

ولما كانت حمرة الخدود من معالم جمال المرأة في الذوق المصري [٥]، فقد استعملت المرأة أصباغ الخدود؛ لتكسبها حمرة، كما استعملت أصباغاً أخرى للشفاه، ففي عقـد زواج ورد فـي رسائل الجنيزة، تعهد فيه العريس بتزويد العروس قبل الزفاف بـورود، وزعفـران ممزوجـة بالحناء؛ لصبغ وجهها[٦].

* **التكحل**: اما الكحل، فهو ما وضع في العين[٧]، ويتم بمادة الإثمد[٨]. ولما كانت العيون الواسعة من معالم جمال المرأة في الذوق المصري[٩]، فقد اهتمت المرأة بتكحيل عيونها، حتى تبدو أكثر اتساعاً. وقد حوى متحف الفن الاسلامي مكاحل ترجع إلى العصر الفاطمي[١٠]، وظهرت رسـوم نساء على تحف خزفية ترجع للعصر الفاطمي، بالغ راسمها في تسويد حدود العينين فيها[١١].

وشمل هذا النوع من التزيق الحاجبين أيضاً، إذ يتم تدقيقهما وإطالتهما بالإثمد، وتعرف هذه الطريقة بالتزجيج[١٢]. ومن أوضح الأمثلة على التزجيج ما هو متمثل في رسوم النساء التي على التحف الخزفية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، حيث بـالغ راسـمها فـي تـسويد الحـاجبين واطالتهما فيها[١٣].

---

(١) القاضي الفاضل، **ديوان**، ج١، ص٨٧.
(٢) الفيروز آبادي، القاموس، ص١٢١٠.
(٣) Goitein: op.cit, v.3, p77.
(٤) ظافر الحداد، **ديوان**، ص٧، ١٣٦.
(٥) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج٢، ص٨٨.
(٦) Goitein: op.cit, v.3, p.77
(٧) ابن منظور، لسان، مج١١، ص٥٨٤.
(٨) الاثمد: حجر أسود يسحق قبل استعماله. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص١٣٠٩.
(٩) العماد الأصفهاني، الخريدة، ص٢٦، ٨٧.
(١٠) انظر شكل المكحلة، الملاحق، لوحة (٥٩).
(١١) انظر الملاحق، لوحة (٧)، (١١)، (١٤)، (١٥)، (٢٩)، (٣١)
(١٢) ابن منظور، لسان، مج٢، ص٢٨٥.
(١٣) انظر الملاحق، لوحة (٧)، (١١)، (١٥)، (٢٢)، (٢٨)، (٢٩)، (٣١)

* **تصفيفات الشعر**:

اعتنت المرأة بشعرها، فحرصت على تجميله باستعمال الصبغ، ففي عقد زواج ورد في رسائل الجنيزة، تعهد الزوج فيه بتزويد العروس بتكاليف صبغة الشعر قبل الزفاف[١].

كما اعتنت المرأة في تصفيف شعرها، وقد كانت تصفيفات الشعر متنوعة، فبعض النساء كن يجمعن بعض شعرهن إلى الخلف، ويسدلن بعض خصلات الشعر على الجبهة[٢]، وغالباً ما كن يعرقبن بعض شعرهن على أصداغهن[٣]، حتى يبدو الوجه أكثر امتلاء، لا سيما وأن الوجه الممتلىء كان من معالم جمال المرأة في الذوق المصري[٤]. وبعض النساء كن يجعلن شعرهن ضفاير عن طريق تفريق الشعر إلى أجزاء، وفتلها مع بعض[٥]، وبعضهن كن يجمعن شعورهن فوق رؤوسهن بشكل السنم، ويعظمنها بالعمائم والتيجان[٦].

ويبدو أن تصفيفات الشعر كانت معقدة، بحيث لم يتسن لأي امرأة أن تقوم بنفسها بتصفيف شعرها، مما كان يضطر كثيراً من النساء للذهاب إلى الماشطة، التي كانت على درجة من المهارة في تصفيف الشعر[٧]. وحتى تبدو تسريحة الشعر أكثر جمالاً، فقد اعتنت المرأة بتزيين شعرها بزينات فاخرة من التيجان، وعقود اللؤلؤ، والعمائم المطرزة، والمزينة بالرسوم[٨].

ويبدو أن تصفيف الشعر لم يتوقف على النساء، حيث اعتنى الرجال أيضاً بتصفيف شعورهم، فمن بين الحرف التي احترفها الرجال، حرفة " المزين"، الذي يقوم بحلق شعر الرجل، وتصفيفه، فقد كان لاولاد الحاكم بأمر الله مزينون مختصون بتهذيب شعورهم[٩]. وقد ظهر على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي، وجه رجل شعره منسدل على كتفيه على هيئة ضفيرتين طويلتين[١٠].

وقد حوى متحف آثار الاسماعياية في القاهرة نماذج من الأمشاط، ترجع إلى العصر الفاطمي، استخدمت في تنظيف وتصفيف الشعر، وكانت متقنة الصنع حيث صنعت من الخشب،

---

(١) Goitein:op.cit, v.3, p.77
(٢) انظر الملاحق، لوحة (١٥)، (٢٢)، (٣١)
(٣) انظر الملاحق، لوحة (١١)، (١٤)، (١٥)، (١٦)، (٢٢)، (٢٨).
(٤) انظر العماد الأصفهاني، الخريدة، ص٢٦.
(٥) انظر الملاحق، لوحة (١٥).
(٦) انظر الملاحق، لوحة (١١)، (٢٨).
(٧) ابن الأخوة، معالم، ص١٥٥.
(٨) انظر الملاحق، لوحة (١٣)، (١٤)، (١٥)، (١٦)، (٢٢)، (٣١).
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٨.
(١٠) انظر الملاحق، لوحة (٣٢).

وزخرفت بالرسوم، وكان لها أسنان من جهتيها، جهة للأسنان الرفيعة ، والجهة الأخرى للأسنان السميكة[١].

* **الحلي**[٢]: لقد بلغ تهافت أفراد المجتمع على اقتناء الحلي حداً كبيراً، مما أدى إلى ازدهار تجارة الجواهر، فيذكر ناصر خسرو، أن دكاكين مصر كانت مملوءة " بالذهب والجواهر ... بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس"[٣].

وقد أنشأ الفاطميون في القصر الشرقي خزانة سميت " بخزانة الجوهر"؛ لتخزين الجواهر والحلي النفيسة[٤]، وذكر ابن الأثير أن في تلك الخزانة " من الجواهر التي لم توجد عند غيرهم"[٥]. وذكر المقريزي أن الظاهر كان مغرماً بالجواهر. فاستكثر من شرائها[٦].

وخلف بدر الجمالي عقب وفاته " من الجوهر والياقوت أربعة صناديق ... وخلف الف قصبة زمرد؛ لأنه كان له به غرام عظيم، جمعت له من جميع الأقطار"[٧]. ووجد للمأمون بن البطائحي بعد وفاته " سبعون سرجاً من ذهب مرصع"[٨]، ووجد في تركة برجوان " من الحلي والمصاغ ما لا يحصى كثرة"[٩].

ووجد لست الملك – أخت الحاكم – بعد وفاتها، " النفيس من الجوهر، والذي كان منه قطعة ياقوت، وجد فيها عشرة مثاقيل" [١٠]، وخلفت زوجة القائد الحسين بن جوهر ما لا يوصف من الجواهر[١١].

وقد أقبل الناس على اقتناء الحلى؛ للتزين بها والمفاخرة من جهة؛ ولقيمتها المادية التي كانت تبعث على التصرف فيها في أوقات الضنك والشدة من جهة أخرى. ففي أيام الشدة المستنصرية، باع المستنصر مقتنيات ضخمة من خزانة الجوهر، وفرق قيمتها على الجند الاتراك؛ رغبة منه في احتوائهم[١٢]. ومن أنواع الحلي، الأقراط، والخواتم، والأساور، والخلاخيل.

---

(١) انظر الملاحق، لوحة (٥٨).
(٢) الحلي: ما يزين به من معدن نفيس أو جوهر، أو ما شابه ذلك. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص١٦٤٧.
(٣) **سفرنامة**، ص١٢١.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٢٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٠-٣٧١.
(٥) **الكامل**، ج٩، ص٢٤٤.
(٦) **المواعظ**، مج٢، ص١٩٣.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٤٩.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٣ -٢١٤.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٢.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٥.
(١١) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٩٢-٩٣.
(١٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧١.

* **الخواتم**:- من حلي اليد[(١)]، تصنع من الذهب والفضة، وترصع بالفصوص. وقد حوت خزانه جواهر الفاطميين " الفا ومائتي خاتم ذهباً وفضة، فصوصها من سائر انواع الجوهر المختلف الألوان والأنواع"[(٢)].

وقد استخدمت الخواتم رمزاً للخطوبة، فقد جاء في عقد قران ورد في رسائل الجنيزة أن العريس تقدم إلى والد العروس، وقال له: هل تسمح بأن تزوجني ابنتك بهذا الخاتم[(٣)].

وكانت الخواتم تدخل ضمن الصداق الذي يقدمه الزوج لزوجته، ففي عقد قران ورد في رسائل الجنيزة اتفق الزوج مع وكيل العروس، على أن تكون الشبكة عبارة عن ثلاثة خواتم[(٤)].

* **الأساور**:- من حلي المعصم[(٥)]، وقد ظهر على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي صورة سيدة بيدها سوار[(٦)]. كما يوجد في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة أساور ترجع إلى العصر الفاطمي، محلاة بالأحجار الكريمة[(٧)].

* **الاقراط**: حلي تعلق في شحمة الأذن[(٨)]. ويوجد في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، قرط من الذهب مستدير الشكل، يرجع إلى العصر الفاطمي[(٩)].

* **القلائد**: وهي ما يجعل في العنق[(١٠)]، ويبدو أنها كانت من أساسيات التزين بحيث " لا توجد بأرض مصر امرأة، وأن سفلت الا ولها قلادة"[(١١)]. وظهر على تحف خزفية من العصر الفاطمي، رسم لسيدات يزين عنقهن عقد منظوم باللؤلؤ[(١٢)].

* **الخلاخيل**:- لفظ عام يطلق على كل ما يلبس في الساق من حلي، وقد أشار ابن قلاقس إلى الخلخال، في قوله: [(١٣)]

وإنما الشروق أقرض الغرب دينا   راً فأعطاه رهنه خلخالا

(١) ابن منظور، لسان، مج٣، ص٢٩٢.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧١ انظر نماذج من خواتم الذهب التي ترجع الى العصر الفاطمي، الملاحق، لوحة (٦١)، (٦٢).
(٣) Goitein: op.cit, v.3, pp.87 - 88
(٤) Ibid: v.3, pp, 70-71
(٥) ابن منظور، لسان، مج٣، ص٢٩٢.
(٦) انظر الملاحق، لوحة (٢٢).
(٧) انظر الملاحق، لوحة (٦٣)
(٨) ابن منظور، لسان، مج٧، ص٣٧٤.
(٩) انظر الملاحق، لوحة (٦٦)
(١٠) ابن منظور، لسان، ج٣، ص٣٦٥
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص١٣٠. انظر نماذج من القلائد التي ترجع الى العصر الفاطمي، الملاحق، لوحة (٢٢)، (٣١)، (٦٤).
(١٢) انظر الملاحق، لوحة (٢٢) ، (٣١)
(١٣) العمري، مسالك، ج١، ص٢١١

* **المنطقة**: تشد بها المرأة وسطها، يتجلى ذلك في قول الشريف العقيلي:[١]

النيل قد لاحت على خصره منطقة من صيغة البدر

وقد ظهرت المنطقة على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي[٢]

* **الطيب**: - وتشمل كلمة الطيب العطور[٣]، التي كانت تعتبر من أظهر الأدلة على كمال المروءة، بعد أن يكمل المرء نظافته[٤]؛ ولذا كان استعمالها شائعاً بين الرجال والنساء. وقد بالغ الخلفاء الفاطميون في استعمال العطور، فأنشاؤا في القصر الشرقي خزانة سميت بـ " خزانة الطيب"[٥]، كانوا يخزنون بها الروائح والعطور، مثل الكافور[٦]، والمسك[٧]، والعود[٨]، والعنبر[٩] والند[١٠]. وقد كان يصرف لنساء القصر، من خزانه الطيب كميات وفيرة من العطور[١١].

وكان الخليفة الظاهر يؤثر الطيب، فكان " العنبر يبخر بين يديه في المباخر الذهب والفضة والجوهر"[١٢]. ووجد للوزير الجرجرائي بعد وفاته " ألف مثقال من العنبر، وغير ذلك"[١٣]. ووجد في تركة برجوان الصقلبي من الطيب ما لا يحصى كثرة[١٤]، وكان لدى الأفضل بن بدر الجمالي شغف بالطيب والبخور[١٥]، فقد وجد له بعد وفاته من " العود والعنبر والمسك ما أذهل الناس"[١٦].

وكان القاضي محمد بن النعمان كثير الاستعمال للطيب في مجلسه[١٧]. وقد تركت رشيدة

---

(١) الشريف العقيلي، **ديوان**، ج١، ص١٤٧.
(٢) انظر الملاحق، لوحة (٢٧)
(٣) ابن منظور، لسان، ج١، ص٥٦٥
(٤) البيروني، الجماهر، ص٢٢.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٢٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٠
(٦) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٤٤. الكافور: نبت طيب الرائحة، له زهر كزهر الاقحوان، ويستخرج الكافور من أحواف شجره. انظر ابن منظور، لسان، ج١، ص٥٦٥.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٩.
(٨) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠-٩١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٧- ٣٨٩.
(٩) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠- ٩١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٧- ٣٨٩. العنبر: ينبع من عيون وصخور في الأرض، فيجتمع في البحر، فإذا تكاثف طغى على الماء، وقطعته الريح، وأمواج البحر إلى قطع صغيرة وكبيرة. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص١١٧.
(١٠) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٠-٩١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٧-٣٨٩. الند: كان قوام الند، العنبر، وماء الورد، والمسك، والعود. انظر الغزولي، مطالع، ج١، ص٦٣-٦٤.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٩.
(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩.
(١٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨.
(١٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٢.
(١٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٨.
(١٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨.
(١٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٧.

بنت المعز بعد وفاتها مائة قارورة مملوءة كافورا[١]. وتركت ست الملك أخت الحاكم بعد وفاتها ثلاثون جرة مملوءة بالمسك[٢].

ولم يقتصر استخدام العطور على الخاصة، بل استخدمها أيضاً العامة، فكانوا يتطيبون بالخلوق[٣]، فيذكر المقريزي أنه في عام (٤١٥ هـ/ ١٠٢٤م)، " زين العامة أسواق البلد، وخلقوا[٤] وجوه الصبيان"[٥]. وكان العوام يؤثرون دهن البنفسج[٦] على كل طيب، ويقبلون على شرائه، مما دفع التجار إلى رفع ثمنه، حتى بيعت كل أوقية منه بدينار[٧].

ولم يقتصر تطييب الناس على أنفسهم، بل حرصوا أيضاً على تطييب منازلهم، ومجالسهم، وقصورهم، ولتحقيق ذلك استخدموا المبخرة التي يحرق فيها أصناف الطيب، وتعطر من بخورها[٨]، المنازل والمساجد والمجالس، كما يتطيب الناس من تلك البخور. فكانت تطلق في المساجد كميات وافرة من البخور " في المحراب، وعن يمين المنبر وشماله، وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة"[٩]. وكانت مجالس الخلفاء تبخر بالند، والعود، والكافور[١٠]. كما كان لمواكب الخلفاء نصيب وافر من البخور[١١].

وقد كانت المباخر تصنع من الذهب والفضة والجوهر[١٢]، وقد حوى متحف الفن الاسلامي في القاهرة مباخر متباينة الاشكال، تعود إلى العصر الفاطمي[١٣].

إن استكمال الحديث عن الزينة في العصر الفاطمي، يقتضي الحديث عن الحمامات؛ باعتبارها مظهراً من مظاهر الاعتناء بالنظافة، والزينة. والحمامات: مفردها حمام، وهو يعني الماء الحار: والاستحمام هو الاغتسال بالماء الحار، والحميم العرق، واستحم الرجل: عرق. ويقال للخارج من الحمام طاب حميمك، أي طاب عرقك، وهو دعاء بالصحة؛ " لأن الصحيح يطيب عرقه"[١٤].

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٣.
(٢) المصدر نفسه، مج٣، ص٢١١.
(٣) الخلوق: عطر يحضر من الزعفران، مضافاً اليه انواع اخرى من الطيب. انظر بن منظور، لسان، ج٤، ص٣٢٤.
(٤) خلقه بالخلوق، أي طيبه. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص٥٢٠.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٣
(٦) البنفسج: زهر لونه مثل اسمه. انظر الوشاء، الموشى، ص١٧٧.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٧٣.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٩.
(٩) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٨٩.
(١٠) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٨٨.
(١١) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٨٩.
(١٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٩.
(١٣) انظر الملاحق، لوحة (٦٠).
(١٤) ابن سيدة، المحكم، ج٢، ص٣٨٥- ٣٨٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٦١.

لقد احتلت الحمامات مكاناً مهماً في الحياة اليومية للناس، فما " كان يتوصل إليهـا الا بعـد عناء من الزحام"[١]. وليس هذا بغريب، فالحمام وسيلة أساسية في تأمين طهـارة المـسلم التـي تمكنه من تأدية واجباته الدينية، وهذا يفسر اقتران رغبة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) في بناء جامع وحمام معاً[٢].

كما كانت للحمام أهمية علاجية، جعلته يساهم في المحافظة على سلامة أفـراد المجتمـع، والعمل على رفع مستواهم الصحي، فكان للحمام الفضل الأول في ترطيب البدن، والـشفاء مـن كثير من الأمراض الجلدية الخطيرة كالجرب والهرش[٣]. وكان الحمام الـسبب المباشـر فـي استمرار ايقاظ الوظائف الجلدية في المجتمع المصري الذي يـسود جـوه الحـرارة المرتفعـة، والتراب، والغبار المثار، وتكاثر الروائح الكريهة. فيـصف ابـن رضـوان (ت ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١م)، جو القاهرة والفسطاط، فيقول: " وأزقتها (أي القاهرة) وشوارعها بالقياس إلى أزقـة الفسطاط وشوارعها، أنظف وأقل وسخاً، وأبعد عن العفن... وإذا هبّت ريح الجنوب، أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيئاً كثيراً، وقرب مياه آبار القـاهرة مـن وجـه الأرض موجـب ضرورة أن تكون يصل إليها بالرشح من عفونة الكنف شيء ما. وبين القاهرة والفسطاط بطـائح تمتلىء من رشح الأرض في أيام فيض النيل، ويصب فيها بعـض خـرّارات القـاهرة، وميـاه البطائح هذه رديئة، وسخة أرضها، وما يصب فيها من العفونة يقتضي أن يكون البخار المرتفـع منها على القاهرة والفسطاط زائداً في رداءة الهواء بهما، ويطرح فـي جنـوب القـاهرة قـذر كثير..."[٤].

وقد كانت الحمامات محلاً للتجميل والتزين، سواء كان ذلك للرجال أم للنساء. فكان الرجال يحلقون رؤوسهم عند المزين (الحلاق) الذي يكون وجوده دائماً في الحمام[٥]. وكانت المرأة تقبل على الحمام للتزين، وقد إعتادت أثناء زيارتها للحمام أن تصطحب بلانتها، أو ماشطتها، وتؤجر لصديقاتها خلوة خاصة، وتظل النسوة وقتاً طويلاً تحت أيدي البلانة، فتدلكهن، وتزيل مـايترائى لهن من شعر الوجه والبدن[٦].

كما لعبت الحمامات دوراً في مجال الخطبة، فكانت الخطابة تحرص على التردد على هـذه

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص١٢٥.
(٢) ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٦٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٦١، مج٤، ق١، ص١٠٧-١١١.
(٣) الشيزري، **نهاية**، ص٨٦.
(٤) دفع مضار الابدان، ص١٦١- ١٦٢.
(٥) الشيزري، **نهاية**، ص٨٨.
(٦) ابن الحاج، المدخل ، ج٢، ص١٦٧.

الحمامات؛ لترى الفتيات وهن يستحممن؛ لتصفهن لزبائنها[١].

وقد جمعت الحمامات بين الجانب العملي المفيد، والجانب الترفيهي، حيث كان الحمام المكان المفضل للنساء؛ للترفيه والترويح عن النفس خارج المنزل[٢]. فكن يجتمعن به، ويقمن بالغناء، وورد أن الحاكم حين مر على أحد الحمامات، وسمع غناء النساء وصيحاتهن تملكه الغضب، وأمر باغلاق الحمامات الخاصة بالنساء فترة من الزمن[٣].

وقد بالغت بعض النساء في التبرج في الحمامات، فيبدو أنهن كن يجلسن بها، وعوراتهن مكشوفات لبعضهن البعض، وقد أغضب الحاكم بأمر الله ذلك، فأمر بمعالجة هذه الحالة في الحمامات، فأصدر أمره بعدم السماح للنساء في الدخول إلى الحمام بدون مئزر[٤].

لقد تفاوتت الحمامات من حيث مستوى خدماتها وشكلها، ومرافقها، وحجمها، فكانت على نوعين: حمامات جيدة كان جل روادها من المترفين، وحمامات رديئة تردد عليها العامة[٥].

والحمامات الجيدة شيدت على نظام يضمن للمستحم عدم تعرضه للإيذاء بالانتقال السريع من البرد إلى الحر أو العكس، فقد كانت تشتمل – كما يصفها الشيزري – على عدة بيوت، يكون البيت الثاني منها أكثر حرارة من الأول، وأقل حرارة من الثالث الذي يغتسل فيه[٦]. وكانت بيوت الحمام تسخن عن طريق النار الموقدة تحت أرضها بدرجات تجعل كل واحدة منها ذات درجة حرارة معينة لا تؤذي المستحم[٧].

وكانت الحمامات الجيدة تزين بالرسوم والزخارف[٨]، وتتميز برائحتها الزكية، فقد كانت تستعمل فيها البخور في كل جمعة، حيث كان يصرف للحمامات من خزانة الطيب، نداً وعوداً[٩].

والحمام الجيد يتواجد فيه مدلك يقوم بتدليك أجسام الناس، وقد يأمر المحتسب، المدلك، أن يدلك يده بقشور الرمان؛ لتصير خشنة، فتخرج الوسخ، علاوة على أنها تلذ المستحم[١٠]. وقد ظهر على جدران حمام فاطمي، رسم بالألوان المائية – محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة – لسيدة تقوم مدلكة بتدليك أرجلها[١١].

---

(١) ابن دانيال، طيف الخيال، ورقة ٣٠٤.
(٢) Goitein: op.cit, v.3, pp. 343-344.
(٣)ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص٧١، الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٢٥٨.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٧.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٦٣ – ٢٧٦.
(٦) **نهاية**، ص٨٦.
(٧) البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٦٩-٧٠.
(٨) انظر الملاحق، لوحة (١٢)
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٨٨.
(١٠) الشيزري، **نهاية**، ص٨٨-٨٩.
(١١) متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، سجل رقم ١٣٠٨٠.

والحمام الجيد في نظر الناس هو الحمام الحار، العذب الماء، المتميز بأضوائه الكثيرة، وفنائه الواسع، وتصاويره البديعة الصنعة، وأحواضه الصافية، ورخامه المنقوش، ورائحته الزكية، وقد وصف ظافر الحداد الحمام الجيد في قوله:[١]

وروضة في هجير   وجنة في سعير
خصت كل نعيم   ولذة وسرور
منيرة بشموس   مضيئة ببدور
كأنما سقفها ال   زهر غب يوم مطير
والماء صاف غزير   كأدمع المهجور
كأنما كل حوض   مودة في ضمير
تحكي الموازين منها   صوالح البلور
قد رصعت برخام   كنقش بسط الحرير
نحيا بها ويحيي ال   نفوس طيب البخور

اما الحمام الرديء، فماؤه بارد، ورائحته كريهه، وظلامه دامس، وجدرانه متشققة، والماء يقطر فيها كأنه الحبر الأسود، وهذا ما أشار إليه ظافر الحداد في قوله:

حمامنا هذا حمام   وإنما صحف الكلام
أقل أوصافها ثلاث   البرد والنتن والظلام
يلسع برد البلاد فيها   فالناس في وسطها قيام
وبين جدرانها شقوق   يكمن في جوفها الهوام
والبراغيث في نواحي   بيوتها عسكر لهام[٢]
والماء فيها أقل شيء   يدرك بالجهد أو يرام[٣]

رابعا: المسكن:

لم تنل قصور سكنى الخلفاء عناية المؤرخين؛ لأنها قامت داخل أسوار القصر الكبير الشرقي[٤]، الذي كان مركزاً للحياة السياسية في القاهرة، " وداراً للخلافة الفاطمية"[٥]، ومعقلاً

---

(١) **ديوان**، ص١٣٤.
(٢) لُهَامُ: الجيش العظيم. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص٦١١.
(٣) **ديوان**، ص٢٦٩.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٤.
(٥) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٨٤- ٢٨٧.

لنشر المذهب الاسماعيلي[١]. ومن ثم تركزت أوصاف المؤرخين للقصر الشرقي على مؤسساته السياسية والدينية والإدارية[٢]، ولم يكن لقصور الخلفاء الكائنة في القصر الشرقي، نـصيبا مـن أوصاف المؤرخين، وما جاء عنها ورد مبعثرا في بطون المصادر بشكل عرضي.

يتبين من الأخبار الشحيحة المبعثرة في المصادر عن قصور سكنى الخلفاء، أنها تميـزت بالفخامة، حتى سميت " بالقصور الزاهرة"[٣]؛ لأنها حوت " جميع ما يكون للملوك"[٤]. وقد قـدم مبعوثا ملك بيت المقدس – اللذان سمحت لهما الظروف بالدخول إلى القصر، ولأسباب سياسـية - أوصافاً مقتضبة لقصور الخلفاء[٥]، يتجلى منها روعة هذه القـصور. فـذكرا أن فـي هـذه القصور دور واسعة ومقاصير للحرم، وحجرات للخدم، وقباب، وأروقـة[٦] حليـت بالفسيفـساء المذهبة، والرسوم الملونة، وحيطانها بالوشي والديباج، وتحيط بها البساتين المظللـة بالأشـجار. وفي هذه القصور نوافير يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة، وأرضية هـذه القصور مرصوفة بأنواع من الرخام المتعدد الألوان، وفيها تذهيب بهيج بنضارته، وبهائه.

وقد وصف أمية بن أبي الصلت قصر اللؤلؤة[٧]، وقد جلس الخليفة الآمر في أحد أركانـه، فعرض لكل ما حواه القصر من قباب مرتقعة، وأنوار ساطعة، وأعمدة رخامية موشية[٨] .

وبنى المعز قصرا سماه " العروسين"، تدل تسميته على أنه من القصور الجميلة من حيـث هندسه البناء، والتزويق حتى شبه بالعروس، وقد أشار الشاعر علي بن يوسف الايادي إلى علـو هذا القصر، وإلى أضوائه وقبابه[٩].

لقد اعتنى الفاطميون بأثاث قصورهم، حتى أن المعز رحل معه فرش عظيم مـن المغـرب إلى مصر[١٠]. وأنشأ الفاطميون في قصورهم خزائن للفرش والأمتعة[١١]، كانت تعج بـ "

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١١، ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٢٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٥.
(٢) انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٢٧- ١٣٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٤- ٣٠٥.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٤.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٣- ٢٠٤.
(٥) وصلت الينا هذه الأوصاف فيما سجله وليم أسقف صور، وترجمه زكي محمد حسن في كتابه كنوز الفاطميين، ص١٦٢- ١٦٣.
(٦) الرواق: السقف، انظر عبد الرحيم غالب، موسوعة، ص٢٠٧.
(٧) قصر اللؤلؤة: من قصور الخلفاء الفاطميين، يقع داخل أسوار القصر الكبير الشرقي. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٨٤.
(٨) النويري، **نهاية**، ج١، ص٤٠٧.
(٩) المصدر نفسه، ج١، ص٤٠٧.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٩.
(١١) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٥٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٧.

الفرش، والبسط، والستور، والتعاليق التي لا تحصى كثرة"[١].

وقد فرشت قصور الخلفاء بالوسائد والمخاد والبسط المختلفة الانواع[٢]، كما فرشت بالحصر المطرزة بالذهب والفضة، والمصورة بسائر الصور[٣].

وكان الخلفاء يزينون قصورهم بستور السندس الأخضر المذهبة[٤]، والستور الحرير المنسوجة بالذهب التي فيها صور الدول وملوكها، والمشاهير فيها، مكتوب على صورة كل واحد منهم اسمه، ومدة أيامه، وشرح حاله[٥].

ومن جملة أثاث القصور – أيضا- الأدوات المستعملة في المطبخ، كالأقداح، وكيزان الفقاع المصنوعة من البلور، وصحون المينا، والصواني المنقوشة بسائر النقوش[٦]، والكؤوس[٧] والأزيار[٨] والسكاكين[٩].

ومن أثاث القصور، الأدوات المستعملة في غسل الأيدي كالطست والابريق، ويروي المقريزي أن الوزير اليازوري أعجب بطستٍ وابريقٍ في خزانة الفرش، والأمتعة؛ ولفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما، فوهبهما له[١٠].

وقد استعملت في القصور أدوات أخرى للزينة أكثر منها للضرورة، مثل اواني الفضة والذهب[١١]، والاحجار الكريمة، والجواهر النفيسة[١٢]، والتماثيل البديعة، مثل تماثيل العنبر والكافور، وتماثيل الحيوانات، والفواكه، المرصعة بنفيس الجوهر[١٣]. وزينت القصور بالثريات المعظمة بالجوهر الفاخر[١٤].

أما بيوت عامة الناس، فكانت تبنى من الحجر، والآجر[١٥]، والقصب[١٦]، وكتل الطين

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧١- ٣٧٢.
(٢) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٥٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٩.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٨.
(٤) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٧٩.
(٥) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٥٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٩.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٢.
(٧) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٥٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٢.
(٨) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٥٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٣.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٢.
(١٠) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤٢- ٢٤٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٤.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٢.
(١٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٧٠.
(١٣) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٧٥- ٣٧٦.
(١٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٩.
(١٥) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٨٩.
(١٦) ابن سعيد، **النجوم**، ص٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٨.

واللبن[١]. وأثبتت التنقيبات الأثرية التي قام بها عباس حلمي أن سقوف البيوت في العصر الفاطمي، كانت تغطى بالخشب أو جذوع النخيل[٢].

وكانت البيوت تتألف من عدة طوابق، فقد ذكر الرحالة المقدسي أن البيوت في مصر في العصر الفاطمي، تكونت من أربع، أو خمس طبقات[٣]، وذكر ناصر خسرو أن طبقات بعض الدور تكونت من سبع طبقات إلى أربعة عشر طابقاً[٤].

كانت بيوت القاهرة في الفترة التي اقتصرت الإقامة فيها على الخاصة، بعيدة عن بعضها، بحيث لا تنمو أشجار بيت على سوربيت آخر[٥]، ويبدو ذلك منطقيا، حيث أن مستوى الكثافة السكانية في ذلك الوقت سمح بإبعاد البيوت عن بعضها. إلا أن التكدس السكاني الذي شهدته المدينة بعد انتقال العامة إليها- عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) – حال دون ترك مسافات بين البيت والآخر، فأصبحت البيوت قريبة من بعضها بحيث " لا يتخللها خراب"[٦]، و " لا دائر أو دارس"[٧].

أما شكل الدار من الداخل، فأول ما يبدو منها بعد الباب الخارجي، دهليز مسقف يوصله الى داخل الدار، وهو عبارة عن ممر يوصل باب الدار بفنائه (أي وسطه). وكان بعض الناس يتأنقون في بناء الدهليز، ويعتبرونه " وجه الدار، ومنزل الضيف، وتجليس المستأذن"[٨]، ومما يثبت أن دهليز الدار كان يستخدم – في بعض الاحيان – للاستقبال، ما رواه أسامة بن منقذ(ت٥٨٤هـ/١١٨٨م)، حيث ذكر أنه: " جلس في دهليز داره – التي في مصر - فدخل عليه شاب سلم وجلس"[٩].

وفي نهاية الدهليز يكون في بعض البيوت باب آخر يسمى باب الفناء، وبعد عبور هذا الباب يكون الداخل في فناء الدار، وهناك يجد غرف الدار مشرفة على هذا الفناء، وعدد هذه الغرف لم يكن ثابتا، وكان من المعتاد أن يزداد، كلما اتسعت مساحة الدار[١٠].

وقد ارتبط تخطيط الدور في العصر الفاطمي بالتقاليد الاجتماعية السائدة، فقد أثر حرص الناس على ضرورة الفصل بين نساء الاسرة، والغرباء من الرجال على تخطيط المساكن، حيث

---

(١) ابن سعيد، **النجوم**، ص٢٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٨، علي بهجت، حفريات، ص١٠١- ١٠٣، عبد الوهاب، حسن، (١٩٤٠م). البناء بالطوب في العصر الاسلامي، مجلة العمارة، مج٢، ع٣-٤، ص٢٢٠.
(٢) كامل، عباس حلمي، (١٩٦٨م). تطور المسكن المصري الاسلامي من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ص١٣٠.
(٣) **أحسن التقاسيم**، ص١٩٨.
(٤) **سفرنامة**، ص١١٦.
(٥) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٨٩-٩٠.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٣٢، ٣٣٣.
(٧) المصدر نفسه، مج٣، ص٥٧.
(٨) الغزولي، مطالع، ج١، ص٣٥.
(٩) الاعتبار، ص٦٢.
(١٠) عباس حلمي، تطور المسكن، ص١١٣- ١١٤.

صارت الفكرة الأساسية التي حرص عليها الناس في هندسة بيوتهم عندئذ، هي عدم تمكين أي فرد بالخارج أن يرى شيئا من داخل المنزل، ويتضح ذلك من خلال احاطة المنزل بسور لبن عالي؛ ليحجب ساكني الدار عن أعين المتطفلين(١). وكان يراعى عند التخطيط أن يكون مدخل الدار على خط منكسر، على شكل كوع؛ لحجب ما يجري في الفناء عن أنظار من بالخارج(٢).

كما كان يراعى في تخطيط البيوت ايجاد ممرات خلفية في الدار؛ للاتصال بين قاعات الجلوس الخاصة بالضيوف، وأماكن إقامة النساء، فهي تحقق التنقل بين أجزاء الدار دون اختراق مكان الجلوس الخاص بالضيوف، فيسهل على النساء التنقل بين أرجاء الدار، والقيام بخدمة الضيوف، دون أن تصل اليهن العيون(٣).

وتبدو الاعتبارات الصحية في تخطيط المنازل، فكان يراعى في تخطيط المساكن درجة حرارة المكان، فكان الناس يتخذون في مساكنهم كل الوسائل التي تؤدي الى تلطيف الجو، فقد روعي في تشييد فناء الدار أن يكون مواجهاً لتيار الهواء البحري، نظراً لطبيعة الجو الحار صيفاً، ولطول فترة الصيف(٤). وكان يوضع في المساكن مجاري واسعة داخل الجدران، كان الغرض منها توصيل الهواء الطلق إلى الايوانات التي في الطوابق المرتفعة عن الفناء(٥).

وكان يراعى في تخطيط البيوت ايجاد طاقات تطل على الطريق، تكون منفذا يدخل منه النور والهواء، علاوة على أنها تستخدم؛ للتفرج على الطريق أو المارة، فقد ذكر المقريزي - في أحداث عام (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)- أن الحاكم تشدد في منع النساء من التطلع في الطاقات(٦).

وكانت الدور تحتوي على مرافق صحية، كالمرحاض، وقد كشفت الحفريات الأثرية عن وجود قنوات رأسية قطاعها مربع أو مستطيل داخل الجدران قرب المراحيض؛ لتصريف الفضلات البشرية(٧)، كما وجدت قرب المراحيض أنابيب فخار مستديرة القطاع داخل الجدران؛ لامداد دورات المياه بالماء(٨).

وقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن البيوت كانت تستمد مياهها عن طريق آبار خاصة بها، وكانت المياه ترفع من الآبار الأرضية إلى خزانات علوية بالدار، توزع المياه منها على كل

---

(١) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٨٩-٩٠.
(٢) علي بهجت، حفريات، ص١٠١- ١٠٣.
(٣) عباس حلمي، تطور المسكن، ص١١٨، عليوه، حسين، (١٩٨١م)، المكان والفن الاسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة،ع٢، ص٩٣.
(٤) عباس حلمي، تطور المسكن، ص١١٣.
(٥) المرجع نفسه، ص١١٤- ١١٥.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٩٤.
(٧) عباس حلمي، تطور المسكن، ص١٢٨.
(٨) محرز، جمال، (١٩٧٠). منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط، مقال في كتاب ابحاث الندوة الدولية ل**تاريخ**القاهرة، ص٣٢٨- ٣٢٩.

أجزاء الدار عن طريق توصيلات من المواسير المصنوعة من الفخار[١]. ويوجد تطابقا بين ما أسفرت عنه الحفريات بخصوص وجود الآبار في البيوت، وبين ما ذكره الرحالة ناصر خسرو، الذي روى أن في القاهرة منزلاً غرس صاحبه حديقة على سطحه، وحمل اليها عجلاً ورباه فيها حتى كبر، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها، ويرفع الماء الى الحديقة من البئر[٢].

وكانت هذه الدور إما أن يسكنها مالكها[٣]، او ان يؤجرها لغيره[٤]، وقد أشار ناصر خسرو الى أن للخليفة في القاهرة والفسطاط ثمانية ألف بيت يؤجرها، ويحصل أجرتها كل شهر[٥].

ولم يكن ايجار البيوت أمراً ميسوراً بالنسبة لفقراء العامة، بل كان يثقل كواهلهم؛ ولهذا كان يشترك عدد من العوام في إيجار غرفة في دار وسكناها، فيذكر ناصر خسرو أن " بمصر بيوت مكونة من اربع عشرة طبقة، وبيوت من سبع طبقات، فيها دور كثيرة، فيها حجرات الاستغلال – أي للايجار - ومساحتها ثلاثون ذراعا[٦] في ثلاثين، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصاً"[٧].

ويبدو أن مساحة هذه الحجر كانت لا تتناسب مع عدد نزلائها، فتضيق بهم، وقد إضطرت الظروف الشاعر ظافر الحداد إلى النزول في أحد هذه الغرف، فبات في حجرة صغيرة رافقه فيها عدد كبير من النزلاء، فضاق بهم، وضاقوا به[٨].

وقد تعبر المساكن عن الطبقات الاجتماعية وتمايزها، فكانت بيوت الخاصة، كما وصفها ناصر خسرو " من النظافة، والبهاء، بحيث تقول انها بنيت من الجواهر لا من الجص والآجر والحجارة"[٩]. في حين كانت مساكن العامة تعوزها النظافة، ففي بيت من بيوت عامة الناس يلتقط ظافر الحداد هذا المنظر الذي كونه من البق، والبراغيث، والعنكبوت، فيقول:[١٠]

وللبق فيها والبراغيث خلطة ... كبزر قطون ذر في حب سماق
اذا ما أرانين البعوض تجاوبت ... لنا وقعوا بالرقص ايقاع حذاق

ويصف ظافر الحداد براغيث دار عامي دعي اليها هو وأصدقائه، فيقول:[١١]

أمنا براغيثه أن تضر ... ولو حاولت ما أطاقت حراكا

كما كانت بيوت العامة شديدة الضيق، فقد قال ظافر الحداد على لسان عامي شكا اليه ضيق

---

(١) عباس حلمي، تطور المسكن، ص١٢٨- ١٢٩.
(٢) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١٦-١١٧.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٩.
(٤) المصدر نفسه، ص٩٩.
(٥) **سفرنامة**، ص٨٩.
(٦) الذراع: يساوي، ٤و٥٤ سم بالضبط. انظر فالترهنتس، المكاييل، ص٨٣.
(٧) **سفرنامة**، ص١١٦-١١٧.
(٨) **ديوان**، ص٩٧-٩٨.
(٩) **سفرنامة**، ص٨٩.
(١٠) **ديوان**، ص١١١.
(١١) المصدر نفسه، ص١١٥.

بيته:[١]

بيــــت كــــصدري ورزقــــي	ضـــيقا كخلقـــي وخلقـــي
ملأتــــه مــــه هـــزال	معـــي وســـقمي ودقـــي
فـــالتز عـــضو بعـــضو	منـــي وعـــرق بعـــرق
حتـــى لقـــد كـــاد فيـــه	كعبـــي يـــصافح فرقـــي
فمـــا يطيـــق لـــساني	يـــدور فـــي وســـط شـــدقي

ويصف ظافر الحداد ضيق دار أحد العامة، دعي اليها هو وأصدقاؤه، فيقول: [٢]

وبيـــت دعيـــت لـــه ثـــم لـــم	أجد لـــي عـــن الكـــون فيـــه فكاكـــا
فـــزاد بنـــا فيـــه فـــرط الزحـــام	م والحـــر حتـــى اشـــتهينا الهلاكـــا
فلـــو دخلـــت بيننـــا ذرة	تـــشقق حائطـــه عنـــد ذاكـــا

في حين كانت منازل الأغنياء واسعة جدا، فقد كانت دار الأمير صبيح ابن شاهنشاه فسيحة، حتى أن المقريزي أشار اليها تحت عنوان " الدار التي أول البرقية من القاهرة التـي حيطانهـا حجارة بيض منحوتة". وقد تحدث تحت هذا العنوان عن إتساع هذه الدار، وتعجب النـاس مـن سعتها[٣].

وكانت دار الوزير اليازوري واسعة، فرأى فيها المستنصر عندما زارها " ما يقـصر عنـه الوصف"[٤]. وكانت دار طلائع بن رزيك عظيمة الاتساع، فيها الحـدائق والبـرك والعيـون[٥]. وكانت دار المؤرخ المسبحي واسعة جدا، فيها الرياض الواسعة، والمجالس العظيمة[٦].

وقد نعمت بيوت الاغنياء بوسائل التبريد في الصيف، ووسائل التدفئة في الشتاء، فكانت دار المسبحي:

فـــي الـــصيف ثلجـــة، فـــإذا القـــر	رتبـــدى فهـــي اللحـــاف الـــوثير
بـــارد ظلهـــا إذا احتـــدم الـــصي	ف، وفـــي القـــر كلـــه وحـــرور[٧]

في حين افتقدت بيوت العامة لوسائل التدفئة في الشتاء، ووسائل التبريد في الصيف، فيصف أحد العوام بيته الذي لا يقيه برد الشتاء ومائه، يقول:

---

(١) **ديوان**، ص١٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٥.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٢٥٧.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٨٤.
(٥) عمارة اليمني، النكت، ص١٠٣-١٠٤.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، القسم الادبي، ص٥٠-٥١.
(٧) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، القسم الأدبي، ص٥١، وحرور: بارد، انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص١٢٦٠.

ولمـــا بـــدا ركـــب الـــسحاب تـــسوقه حـــداة الريـــاح الهـــوج وهـــي تزمجـــر
ركنـــت لبيـــــت استجن[١] من الحيـــا بـــه وإذا غيـــــث من الســـقف يقطـــر

فلا فرق مـــا بـــين الـــسحاب وبينـــه ســـوى أن ذا صـــاف وذاك مكـــدر

ويصف ظافر الحداد حرارة دار عامي دعي اليها هو واصدقائه، فيقول: [٢]

فـــزاد بنـــا فيـــه فـــرط الزحـــا م والحـــر حتـــى اشـــتهينا الهلاكـــا

وكانت منازل العامة فقيرة الأثاث، وقد شكا أحد العوام من قلة أثاث منزله، الذي جعلــه لا يخشى اللصوص، فقال:[٣]

فمـــن رأنـــي فقـــد أحـــاط بمـــا في الدار علمـــا هـــذا هـــوا العجـــب
ســـــراجي البــــدر بالعـــــشى وإن أنـــــام لـــــيلاً وســـــادتي خـــــشب
وخيمتـــــي خيمـــــة بـــــلا عمـــــد ولا لهـــــا قبـــــــة ولاطنـــــــب
فلـــست أخـــشى اللـــصوص إن قطنـــوا فـــي منزلـــي مـــا حييـــت أو ذهبـــوا

ويكاد يقتصر أثاث العوام على صندوق خشبي لحفظ الملابس[٤]، ووســـادة مـــن قطـــن[٥]، وحصيرة يتخذونها فرشاً لنومهم، وكرسيا لجلوسهم، ومائدة لطعامهم[٦]، هذا بالاضافة الى بعض أدوات الطهي والشرب التي صنعت من الفخار أو النحـــاس[٧]. وكانـــت دور الفقـــراء تـــضاء بالقناديل[٨]، والشموع[٩].

أما الأغنياء فكانت بيوتهم أكثر أثاثاً، حيث أرخيت فيها أنواع الستور والفرش، فقـــد كانـــت مجالس الوزير اليازوري تفرش بالديباج الابيض والبسط الثمينة[١٠]. وكان منزل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي يعج بالستور والفرش، والمطـــارح، والمخـــاد، والمـــساند الـــديباج والـــذهب، والبسط[١١].

وقد وصف عمارة اليمني ستور وفرش منزل طلائع بن رزيك، فقال: [١٢]

ألبـــستها بـــيض الـــستور وحمرهـــا فأتـــت كزهـــر الـــورد أبـــيض أحمـــرا

---

(١) استجن: استتر. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص٥٠.
(٢) **ديوان**، ص١١٥.
(٣) ابن قلاقس، **ديوان**، ج٢، ص٣٤٨.
(٤) Goitein: op.cit, v.4, pp 183-184
(٥) ابن قلاقس، **ديوان**، ج٢، ص٣٤٨.
(٦) البغدادي، **أخبار** والاعتبار، ص٣٠.
(٧) الشيزري، **نهاية**، ص٧٩.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٧.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢٠.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٨٤.
(١١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٦-١٨٧.
(١٢) عمارة اليمني، النكت، ص١٠٢- ١٠٣.

فمجالس كسيت رقيماً أبيضاً ومجالس كسيت طميماً أصفرا

وكان الطبيب صقر اليهودي يسكن داراً مفروشة، ومزينة، ومعلق على أبوابها الستور[١].

وعندما وصف ابن الخياط دار المؤرخ المسبحي أشار إلى روعة فرشها، وستورها[٢].

ومن جملة أثاث بيوت الأغنياء، الأدوات المستعملة في غسل الأيدي، كالإبريق[٣] والطست[٤]، والأدوات المستعملة في المطبخ كالأطباق الخزفية[٥]، والأكواب[٦]، والقدور، والزبادي[٧]. وهناك أدوات أخرى استعملها الأغنياء للزينة أكثر منها للضرورة، مثل أواني الذهب والفضة[٨]، والتحف[٩]. وكانت دور الأغنياء تضاء بالمسارج الخزفية[١٠].

وتكاد تخلو منازل العامة من وسائل الزينة، بينما اكتظت مساكن الأغنياء " بشهوات السمع والبصر "[١١]، فقامت وسط بساط أخضر من الأشجار[١٢].

وقد أسهب عمارة اليمني في وصف الحديقة التي كانت تحيط بدار طلائع بن رزيك، التي كانت تحوي أنواع الطيور، والحيوانات، والوان الثمار، فقال:

فيها حدائق لم تجدها ديمة أبداً ولا نبتت على وجه الثرى

والطير مذ وقعت على أغصانها وثمارها لم تستطع أن تنفرا

لا تعدم الأبصار بين مروجها ليثاً ولا ظبياً بوجرة[١٣] أعفرا [١٤]

وكان في دار المؤرخ المسبحي:[١٥]

الغانيات والشرب والرو ض ووحش الفلا وطير يطير

ونخيل بواسق وثمار ووحوش رواتع وطيور

كما أقام بعض المترفين على أسطح دورهم، الحدائق الغناء التي غرست بمختلف انواع الاشجار، والازهار، فصارت متنزهات، رفعت اليها المياه لريها، فروى ناصر خسرو: " أن

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٦٩.
(٢) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، القسم الأدبي، ص٥٠.
(٣) انظر شكل الابريق لوحة (٥٤)، (٥٥).
(٤) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٤٢- ٢٤٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٤.
(٥) انظر نماذج من الأطباق الخزفية اللوحات المدرجة في ملاحق الرسالة.
(٦) انظر نماذج من الأكواب، الملاحق، لوحة (٨)، (٩)، (١٢)، (٢٢)، (٢٩)، (٥١).
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٦- ١٨٧.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص١٨٦-١٨٧.
(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص٨، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٦-١٨٧ انظر نماذج من التحف، الملاحق، لوحة (٦)، (١٣)، (٢٠)، (٢١)، (٢٢)، (٢٣)، (٣٩)، (٤٠)، (٤١)، (٤٢)، (٤٣).
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٨٧.
(١١) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٣.
(١٢) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٩٠.
(١٣) الوجرة: الحفرة. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص١٢٦١.
(١٤) عمارة اليمني، النكت، ص١٠٢- ١٠٣.
(١٥) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، القسم الادبي، ص٥٠-٥١.

شخصاً غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار، وحمل اليها عجلاً رباه فيها حتى كبر، ونصب فيها ساقيه كان هذا العجل يديرها، ويرفع الماء إلى الحديقة من البئر، وزرع على هذا السطح شجر النارنج، والموز، وغيرها، وقد أثمرت كلها، كما زرع فيها الورود والريحان، وأنواع الزهور الأخرى"(١).

وكان بعض المترفين يزينون حدائق بيوتهم بوضع سرج على الأشجار أو النخيل تضيء بالليل، يصف ابن قلاقس نخلة عليها زينة من أنواع السراج، فيقول:(٢)

ما عهدنا النخل لولا هذه ... باسقات في قنواتها من ذهب
تلعب السرج على حافاتها ... وتحاكي أنمل المرتعب
ولقد أحسبها السنة ... هزّها للسكر خمر الطرب

وكان المترفون يزينون بيوتهم بالبرك، فقد وصف ابن الخياط بركة دار المسبحي، فقال:(٣)

ولها بركة تدافع فيها ... موجهاً مصعدا وفيه حدور

ووصف عمارة اليمني عيون الماء التي في مسكن طلائع بن رزيك، فقال:(٤)

أنشأت فيها للعيون بدائعاً ... زفت فأذهل حسنها من أبصرا

وقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن المترفين كانوا يزينون منازلهم بالنوافير(٥)، ويبدو أن تزيين المنازل بالنوافير كان منتشراً، حيث حرص الشعراء على إظهارها، فخعلوا عليها أوصافاً متباينة ومختلفة(٦).

ويمكن القول ان لاقامة النوافير في البيوت، فضلاً عن الأساس الجمالي، أساساً عملياً، مرتبطا بظروف الطقس في فصل الصيف، اذ يكون الجو حاراً، مما يستوجب اقامة النوافير؛ لتلطيف درجة الحرارة.

وكان المترفون يجملون أرضيات بيوتهم بالرخام، فقد وصف عمارة اليمني الرخام الذي كان يكسو أرضية دار طلائع بن رزيك، فقال:(٧)

فمن الرخام مسيراً ومسهماً ... ومنمنماً ومدرهماً ومدنراً

---

(١) ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص١١٦-١١٧.
(٢) ابن قلاقس، **ديوان**، ج٢، ص٢١١.
(٣) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، القسم الأدبي، ص٥٠.
(٤) عمارة اليمني، النكت، ص١٠٢-١٠٣.
(٥) علي بهجت، حفائر، ص٤٩، علي، محمود عبد الباسط، (١٩٩٢). النافورات والفساقي في منازل ومساجد القاهرة منذ الفتح الاسلامي حتى **نهاية**العصر العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة،ص١٧٣.
(٦) انظر عمارة اليمني، النكت، ص١٥٥، ابن قلاقس، **ديوان**، ج٢، ص٢٠٦.
(٧) عمارة اليمني، النكت، ص١٠٢- ١٠٣.

ووصف ابن الخياط رخام أرضية منزل المسبحي، فقال:

وتماثيـــل راقـــصات علـــى المـــا ء لهـــا فيـــه رنـــة ونعيـــر
وسدلاتهـا[١] تخـر عـلـى نقـ ـش رخـــام كأنـــه الكـافـور[٢]

خامساً: الأعياد والاحتفالات:-

لقد تعددت الأعياد التي احتفلت بها مصر في العـصر الفـاطمي، وهـي أعيـاد مختلفـة المصادر، متعددة النزعات. بعضها إسلامية[٣]، والأخرى مسيحية ويهودية[٤]. كما احتفلت مصر الفاطمية بوفاء النيل الذي يرجع أصل الاحتفال به إلى العصر الفرعوني[٥]. واحتفلت – أيـضاً- بعيد النيروز الذي أخذته عن الفرس[٦].

أولاً: أعياد المسلمين:

لقد احتفل المسلمون بمصر الفاطمية بعيد رأس السنة الهجرية - في الأول مـن المحـرم- وبليالي الوقود- ليلة مستهل رجب، وليلة نصفه[٧]، وليلة مستهل شعبان، وليلة نصفه- واحتفلـوا في شهر رمضان، وفي عيدي الفطر، والأضحى[٨].

واستحدث الفاطميون أعياداً خاصة بهم، أوجدتها بواعث مذهبيه[٩]، حاولوا من خلالها تأكيد عقيدتهم الشيعية، ففي ثامن عشر ذي الحجة، احتفلوا بعيد الغدير وهذا العيد عندهم بمثابة احيـاء لذكرى الخطبة التي القاها النبي صلى الله عليه وسلم، في الموضع المسمى بـ " غـدير خـم" – بين مكه والمدينة – الذي يقول الشيعة أن النبي ولي علياً بن أبي طالب عهده فيها[١٠].

واحتفل الفاطميون بذكرى استشهاد الحسين بن علي بكربلاء في العاشر من المحـرم. كمـا احتفلوا بعيد النصر (في اليوم السادس عشر من المحرم) الذي يحيي خلاص الخليفة الحافظ مـن السجن الذي اعتقله فيه الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل، حتى تمكن حرس الخليفة الخاص من القضاء على الوزير، وإطلاق سراح الخليفة في السادس عشر من المحـرم سـنة (٥٢٦هـ/

---

(١) السدلات: الملابس. انظر الفيروز أبادي، القاموس، ص٤٢٠.
(٢) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، القسم الأدبي، ص٥٠.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص٣٤- ٣٥، ١٧٦، ١٨٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩١.
(٤) البيروني، الآثار، ص٢٧٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٣.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٩.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٤٤٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٢، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٣.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٣ – ٥٢٤.
(٨) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٢-٨٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩١.
(٩) عبد المنعم ماجد، نظم، ص١٢٥.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٩٨- ٣٠٠، عاشور، سعيد، (١٩٧١). صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى، المجلة ال**تاريخ**ية المصرية، مج١٨، ص١٦٤.

١١٣١م)(١). وكان هذا العيد بمثابة انتصار للمذهب الاسـماعيلي، واسـتعادة الدولـة الفاطميـة لمكانتها، والقضاء على أخطر أعدائها، فالوزير أبو علي أحمد كان من غلاة الامامية، وحـاول خلال فترة وزارته القضاء على المذهب الاسماعيلي، "فأظهر مذهب الإمامية.. ورفض الحـافظ وأهل بيته"(٢).

كما احتفل الفاطميون بالمواليد الستة، وهي: مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (١٢ ربيـع الأول)، ومولد علي بن أبي طالب (١٣ رجب)، وزوجته فاطمة (٢٥ جمادى الآخـرة)، ومولـد الحسين (٥ ربيع الأول)، ومولد الحسن (١٥ رمـضان) ومولـد الخليفـة الحاضـر(٣)، ولعـل الفاطميين أرادوا من الاحتفال بالخمسة الاولى من هذه المواليد، أن يؤكدوا انتسابهم لآل البيـت، الذي طالما قدح به العباسيون(٤).

وقد كان الاحتفال بالأعياد الدينية يتم على الصعيدين الرسمي والشعبي: -

١ - الاحتفال بالأعياد الاسلامية على الصعيد الرسمي:

لقد أولت الحكومة الأعياد الاسلامية اهتماماً بالغاً، فكان احتفالها في هذه الأعياد يأخذ مظهراً اجتماعياً واضحاً في المدينة، يشمل موكباً " وخطبة وصلاة، وتوسعة في النفقة"(٥). على النحـو التالي: -

*** عيد رأس السنة الهجرية: -**

لقد " كان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة أول المحرم في كل عام؛ لأنها أول ليـالي الـسنة، وابتداء أوقاتها"(٦). فقد استن المعز لدين الله ركوب الخلفاء الفـاطميين فـي بدايـة كـل عـام هجري(٧)، وحذا الخلفاء الفاطميون حذوه في ذلك. يبدأ الاحتفال في رأس السنة الهجريـة، مـع بداية الأيام العشرة الأخيرة من ذي الحجة في كل سنة، فتدب الحركة فـي خـزائن القـصور؛ لاخراج مهمات ومعدات الموكب، فتخرج من خزائن السلاح ما تحمله العـساكر مـن أسـلحة وآلات(٨)، ويخرج من خزانة التجمل العماريات(٩)، وتعد الخيول التي ستـسير فـي الموكـب،

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص٣٤-٣٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٢- ٣٠٣، ٥٩٣.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص٣٣، ابن ميسر، **أخبار**، ص١١٦، عبد المنعم سلطان، المجتمع، ص١٦١- ١٦٢.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٦٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٢٣.
(٤) حول قدح العباسيين في نسب الفاطميين، انظر ابن حزم، جمهرة، ص٥٩-٦٠، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١١٨-١٢٥.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٣.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩١.
(٧) ابن تغري بردي، **النجوم**، ج٤، ص٧٩-٨٠.
(٨) آلات الركوب: هي الصماصم الذهبية للسيوف والبنود، وآلات يقال لها المستوفيات، وهي أعمدة حديدة مربعة الشكل، كذلك الرماح وغيرها، انظر ابن الطوير، **نزهة**، ص١٤٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٦٣.
(٩) عمارية: جمعها عماريات، وهي الهودج الذي يجلس فيه. انظر ناصر خسرو، **سفرنامة**، ص٩٤-٩٦.

وعددها مائه فرس في أعناقها أطواق، وفي أرجلها خلاخيل من الذهب والفضة[١]. وفي التاسع والعشرين من ذي الحجة يجلس الخليفة لعرض خيوله، ويسمى هذا العرض " بعرض الخيول"، ويستفتح بقراءة القرآن، ثم تعرض الدواب - المقدم ذكرها - دابة، دابة، إلى أن يكتمل عرضها، فيقرأ القراء لختم ذلك الجلوس[٢].

ثم يعلم الناس بطريق الموكب " وسلوكه لا يتعدى دورتين، احداهما كبرى، والأخرى صغرى. أما الكبرى، فمن باب القصر إلى باب النصر... والأخرى إذا خرج من باب النصر، سار حافاً بالسور، ودخل من باب الفتوح"[٣]، حتى يصل إلى القصر الشرقي[٤].

ويبدأ سير الموكب في اول المحرم، ويتقدمه الخليفة، وكبار رجال الدولة، فتسير طوائف الجند كل طائفة أمامها قائدها، والرايات والبنود ترفرف حولهم بتنسيق بديع[٥]. وجميع تجار القاهرة والفسطاط من الجوهريين، والصيارف، والصاغة، والبزازين، وغيرهم، قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه؛ لطلب البركة بنظر الخليفة[٦].

وكانت الموسيقى تصحب الموكب، فكان الموسيقيون يسيرون أمام طوائف الجند ينفخون في الأبواق، ويضربون الطبل والمزمار[٧]؛ لاثارة الحمية والنخوة في نفس الجنود؛ لأن " النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل الصعب، ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه... ويزيد ذلك تأثيراً اذا كانت الأصوات متناسبة كما في الغناء"[٨].

كما أن الموسيقى العسكرية لها هدف آخر، وهو اثارة الرهبة والهيبة في صدور الرعايا؛ وهذا ما أشار اليه المستنصر في احدى رسائله التي وجهها إلى أحد دعاته في اليمن، واصفاً له أثر الموسيقى التي رافقت موكب عيد الفطر في نفوس الرعية، فقال: " وفي الموكب زجل البوقات، وطبول تشق أفئدة الصدور"[٩].

ومن رسوم الفاطميين في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية، التوسعة في النفقة، فكانت الدولة في هذا العيد تفرق على الخاصة والعامة الأموال الوفيرة[١٠]، " ويعمل بمطبخ القصر عدة

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٦٦.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٣-١٥٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٦٧-٤٦٨.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٦٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٧١.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٦٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٧١.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٦٢-١٦٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٧١-٤٧٥.
(٦) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٦٢.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٦٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٧٣.
(٨) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص٢١١.
(٩) السجلات المستنصرية، ص٥٧.
(١٠) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٦٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٧٧.

كثيرة من الخراف، والكثير من الرؤوس، وتفــرق علـــى جميـــع أربـــاب الرتـــب، وأصـــحاب الدواوين.. فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة ... وينتقل ذلك فـــي أيـــدي أهـــل القـــاهرة والفسطاط"[١].

* **الاحتفال في شهر رمـــضان**:- كان التقليد المتبع في الدولة الفاطمية، الاحتفال بحلـــول شـــهر رمضان بخروج الخليفة في موكب في أول هذا الشهر على شاكلة موكب رأس السنة الهجريـــة، من حيث الالات والأسلحة والعرض والترتيب. حيث يخرج الخليفة فـــي غـــرة رمـــضان مـــن قصره، ويحيط به كبار رجال الدولة، ورجال الجيش، فيمر في شوارع القاهرة حتى يصل الـــى أحد جوامعها الكبيرة، فيصلي فيه، ويخطب خطبة، ثم يعود إلى القصر[٢].

وقد كان ركوب الخليفة الفاطمي في أول شهر رمضان بمثابة الاعلان عن بـــدء رمـــضان، حيث كان يقوم مقام رؤية الهلال، فيذكر المقريزي، : " فإذا انقضى شعبان اهـــتم (أي الخليفـــة) بركوب أول شهر رمضان، وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين"[٣]. فبدخول الفاطميين مـــصر في شهر شعبان سنة (٣٥٨هـــ/ ٩٦٩م)، حدث تغيير جوهري بالنسبة لبدء صوم شهر رمـــضان برؤية الهلال، فقد أقام جوهر النظم الشيعية في مصر، ومنع ما جرى عليه أهل مصر من رؤية هلال شهر رمضان قبل بدء الصوم، وأمر الناس بالصوم على الحساب دون رؤيـــة، وصـــارت أشهر السنة بالعدد، شهراً ثلاثين يوماً، وشهراً تسعاً وعشرين يوماً [٤].

وقد تشدد المعز لدين الله في إجبار الناس على الإفطار على الحساب بغير رؤيـــة الهـــلال، ففي يوم عيد الفطر ركب المعز لصلاة العيد، فلما فرغ من خطبتـــه انـــصرف فـــي عـــساكره وموكبه، ولما وصل إلى قصره " أحضر الناس فأكلوا ونشطهم إلى الطعام، وعتـــب علـــى مـــن تأخر، وتهدد من بلغه عنه صيام العيد"[٥]. وهذا يعني أن بعض أهل مصر أصروا على الـــصوم في يوم العيد؛ لأن الخليفة ومن تبعه من شيعته أفطروا على حسابهم بغير رؤية الهـــلال، وأبـــى هؤلاء الصائمون الالتزام بأمر الخليفة في تحديد يوم عيد الفطر.

أما الخليفة الحاكم، فقد سمح لأهل مصر بأن يصوموا بحسب ما يعتقدون، فالذين يعتقـــدون في الحساب يصومون بالحساب، والذين يعتقدون بالرؤية لا يعارضون في الصوم برؤية الهلال؛ فيذكر المقريزي أنه في شهر رمضان سنة (٣٩٩هـــ/ ١٠٠٩م)، قرئ سجل، فيـــه: " يـــصوم

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩١.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥.
(٤) الكندي، الولاة، ص٥٨٢، ٥٨٤.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٠٦.

الصائمون على حسابهم، ويفطـــرون، ولا يعـــارض أهـــل الرؤيــــة فيمــــاهم عليــــه صـــائمون ويفطرون..."(١).

وبعد انقضاء ركوب أول شهر رمضان يستريح الخليفة في أول جمعة، ويركب في الجمعـــة الثانية إلى الجامع الأنور، على المنوال الذي بيناه، ويخطب خطبة قصيرة. وفي الجمعة الثالثـــة يركب إلى الجامع الأزهر بالقاهرة، ويخطب بالناس خطبة قصيرة، فإذا كانت الجمعـــة الرابعـــة أعلم بركوبه إلى الفسطاط للخطابة في جامعها(٢).

ومن مراسيم احتفال الدولة في شهر رمضان، إغداق الأموال على الخاصـــة والعامـــة(٣)، " أول يوم من شهر رمضان يرسل لجيمع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم، لكل واحـــد طبق، ولكل من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء، وبوسطه صرة من ذهب، فيعم ذلك ســـائر أهـــل الدولة"(٤).

* **الاحتفال في عيد الفطر**: وتصحبه رسوم فخمة، فيعد له موكب لا يختلف في شكله العام عـــن موكب رأس السنة(٥)، الا في ناحية واحدة، وهي أن اعداد الجند المشتركين فـــي هـــذا الموكـــب كانت أكثر قليلا من موكب أول العام. وكان الخليفة الفاطمي يخرج صبيحة عيد الفطر من بـــاب العيد – أحد أبواب القصر الشرقي – فيجد أمامه العساكر، وقد اصطفت في رحبة واسعة أمـــام هذا الباب، تسمى رحبة باب العيد، فيركب على دابته، وبصحبته كبار رجال الدولة والعـــساكر، حتى يصل إلى مصلى العيد، فيؤم المصلين، ويلقي خطبة العيد(٦).

وكانت الدولة تنفق الأموال الوفيرة على المصريين في عيد الفطر، فكان عند النـــاس هـــو الموسم الكبير، وسمي بـــ " عيد الحلل"؛ لأن الحلل (٧) التي توزعها الدولة تعم فيـــه الجماعـــة، وفي غيره تكون للأعيان خاصة"(٨). وبلغت قيمة الكسوة التي وزعتها الدولة على الناس في عيد الفطر سنة (٥١٦هـــ/ ١١٢٣م)، حوالي العشرين ألف دينار(٩).

* **الاحتفال في عيد النحر**: يشمل احتفالاً موكبياً يركب فيه الخليفة، ويبدأ الاستعداد لهذا الموكب منذ اليوم السابع من شهر ذي الحجة، على نفس الرسوم المتبعة في موكب عيد الفطر(١٠). وبعـــد

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٧٢.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧٢- ١٧٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص ٥٩٥-٥٩٦.
(٣) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٢-٨٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥- ٥٩٦.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٤.
(٥) انظر موكب رأس السنة الهجرية، ص ٢٣٧-٢٣٨ من الأطروحة.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٧٦-١٨٢، القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٥٠٨.
(٧) الحلل، جمع حلة، وهي مجموعة من الثياب. انظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٠.
(٨) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٨.
(٩) المصدر نفسه، ص٣٨.
(١٠) المصدر نفسه، ص٤٠-٤٣، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٢-١٨٥.

فراغ الخليفة من صلاة العيد، يتجه مع كبار رجال الدولة إلى المنحر(١)، ويقوم بنحر العديد من الذبائح احتفالاً بهذه المناسبة(٢)، ويوزعها على فقراء القاهرة والفسطاط. كما كانت الدولة في عيد النحر توزع أموال الصدقة على الفقراء والأطفال والأيتام(٣).

* **الاحتفال بليالي الوقود**(٤): من المراسيم المتبعة في هذه الليالي، ايقاد الوقود في الجوامع والمساجد، حتى لا يبقى في الجامع قنديل الا وأوقد(٥). ولعل ازدياد الوقود في الجوامع والمساجد في تلك الليالي؛ هو سبب تسميتها " بليالي الوقود".

أما الاحتفال الموكبي بليالي الوقود، فكان يتسم بالبساطة، مقارنة مع المواكب الاخرى. فكان يغيب عنه الخليفة، ويتقدمه قاضي القضاة، وبصحبته الفقهاء، ويحيط بهم حملة شموع الموكب، ويتوجه الجميع إلى الجامع الأزهر، ويجلسون مدة لسماع القرآن، ثم يتجه الموكب إلى القصر الشرقي، ويحتشد لمشاهدته " من العالم ما لا يحصى كثرة ، رجالاً ونساء، وصبياناً، بحيث لا يعرف الرئيس من المرؤوس" (٦). ويكون الخليفة في انتظار الموكب جالساً في منظرته التي في القصر الشرقي، وعقب وصول الموكب، تفتح طاقات المنظرة، ويطل منها وجه الخليفة، ثم يطل كبير الأمراء من طاقة أخرى، ويبلغ الحشود سلام الخليفة(٧)، ويحضر بين يدي الخليفة الخطباء، ويلقي كل منهم خطبة بهذه المناسبة(٨).

وكانت في ليالي الوقود " توسعة وبر ونفقات"(٩)، فكانت الدولة في هذه الليالي توزع الأموال على الفقراء والأيتام والأطفال، وتقيم الأسمطة للفقراء في الجوامع والمساجد(١٠).

* **الاحتفال بذكرى مقتل الحسين**: كانت مظاهر الحزن تعتري الاحتفال الرسمي بذكرى مقتل الحسين؛ لتتناسب مع هذه المناسبة الحزينة، فكان الخلفاء يمتنعون عن مقابلة الناس في هذا اليوم، ويأنفون من السير في موكب هذا الاحتفال. وينيبون عنهم قاضي القضاة، فيتقدم الموكب، وبصحبته وجوه الدولة، فيتوجهون إلى الجامع الأزهر، ويجلسون مدة لسماع القرآن، ثم يعود الموكب إلى القصر الشرقي، ويبدأ الاحتفال بقراءة القرآن، ثم يتنافس المنشدون في ذكر المراثي

---

(١) المنحر: عبارة عن فضاء واسع لابناء فيه، بجوار القصر الشرقي الكبير: انظر ابن عبد الظاهر، **الروضة**، ص١٠٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٣١- ٤٣٢.
(٢) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٠-٤٣، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٢-١٨٥.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٤-١٨٥، المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٤٣٦-٤٣٨.
(٤) حول ليالي الوقود، انظر ص ٢٣٦ من الأطروحة.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٣-٥٢٤.
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٧.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٧.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٧.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٤.
(١٠) ابن المأمون، **أخبار**، ص٦٣-٦٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٦.

في الحسين، وأهل البيت. وكان القصر في هذه المناسبة يظهر بمظهر رث، فيجرد من البسط الضخمة، ويفرش بالحصر، ويقدم للحاضرين سماط تقشفي، يطلق عليه " سماط الحزن"[(١)].

* **الاحتفال بالمواليد الستة**[(٢)]: كان الخليفة يغيب عن المواكب الرسمية لهذه الاحتفالات، وينوب عنه قاضي القضاة، فيتقدم هذه المواكب، وبصحبته كبار رجال الدولة، فيتوجهون إلى الجامع الأزهر، ويجلسون مدة لسماع القرآن، ثم يعود الموكب إلى القصر الشرقي، حيث يكون الخليفة في انتظاره، جالساً في منظرته التي في القصر الشرقي، فتفتح طاقات المنظرة، ويطل منها وجه الخليفة، ثم يطل كبير الأمراء من طاقة أخرى، ويبلغ الحشود سلام الخليفة[(٣)]. ثم " يستفتح قراء الحضرة بالقراءة... فيقدم خطيب الجامع الأنور، فيخطب كما يخطب فوق المنبر (خطبة بكل مولد)، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يؤخر، ويقدم خطيب الجامع الأزهر، فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر، فيخطب كذلك، والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرأون، فإذا انتهت خطبة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته، ورد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان، فتنفض الناس"[(٤)]. وكانت الدولة في المواليد الستة، توزع الهبات على الخاصة والعامة[(٥)].

* **الاحتفال بعيد الغدير**: ويشمل احتفالاً موكبياً يركب فيه الخليفة، فيخرج من القصر بدون المظلة والالات، ويحيط به الامراء والعساكر بأسلحتهم، ويحملون الرايات والبنود، ويتوجه الموكب نحو المشهد الحسيني، ثم يرجع إلى القصر الشرقي، فيجلس الخليفة وكبار رجال الدولة؛ للاستماع إلى الخطبة التي يقوم بالقائها قاضي القضاة، التي تتلاءم مع مناسبة الاحتفال[(٦)] "فتتضمن نص الخلافة من النبي عليه السلام، إلى علي بن أبي طالب بزعمهم"[(٧)]. ثم يصلي القاضي بالحضور ركعتين، ثم ينفض الحاضرون[(٨)]. وكانت الدولة في عيد الغدير تنفق الأموال الجليلة على العامة والخاصة، حتى أصبح عيد الغدير " موسماً يرصده كل أحد، ويرتقبه كل غني وفقير"[(٩)].

---

(١) ابن الطوير، **نزهة**، ص ١٨٠ ، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٢٠- ٤٢١.
(٢) حول المواليد الستة انظر ص ٢٣٧ من الأطروحة.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢١٧ – ٢١٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٢٥.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢١٧-٢١٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٢٥.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٣.
(٦) حول مناسبة الاحتفال بعيد الغدير انظر ص ٢٣٦ من الأطروحة.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٢.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٢.
(٩) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٣.

* **الاحتفال بعيد النصر**:- يتم الاحتفال في هذا العيد في ايوان القصر، فيفرش الايوان بأحسن فرش، ويجتمع فيه أرباب الدولة، فيخرج الخليفة راكباً إلى الايوان، وبين يديه الخواص، فيجلس على المرتبة، ويلتف حوله الأمراء والأعيان، ثم يصعد قاضي القضاة، ويشرع في القاء خطبة تنسجم مع مناسبة الاحتفال(١)، تتضمن " فصولاً كالفرج بعد الشدة، بنظم مليح، يذكر فيه كل من أصابه من الأنبياء والصالحين والملوك شدة، وفرج الله عنه، حتى يصل إلى الحافظ" (٢). وكان من رسوم الدولة في الاحتفال في هذا العيد " التوسعة في النفقة"(٣) على الخاصة والعامة(٤).

إن رسوم احتفال السلطة في الأعياد – التي بيناها- المتمثلة بالموكب " والخطبة والصلاة .. والتوسعة في النفقة"(٥)، تعكس المغزى السياسي، لمبالغة الفاطميين في إحياء الأعياد والمواسم.

فكانت المواكب بالنسبة للخلفاء مسرحاً يستظهرون فيها قوتهم. وقد أكد هذا المعنى سجل صادر من دار الخلافة، ورد فيه أن الخلفاء كانوا يحيطون مواكبهم في تلك الأعياد بالعساكر والخيول التي " قد تجاوزت الحد، وكثرت عن الاحصاء والعد"(٦)؛ حتى تروع الاعداء بهيبتها، "فإذا تأملها الطرف انقلب عنها خاسئاً وارتد"(٧).

وقد بعث الخليفة المستنصر كتاباً إلى أحد دعاته في اليمن، وصف فيه ركوبه في عيد الفطر، وعظمة العساكر المحيطة بموكبه؛ حتى يؤكد عظمة دولته، فقال: أنه وصل " إلى المصلى في عساكر تدك الأرض بسنابك خيلها، وجيوش تغطي الفضاء بمديد ذيلها.. وبريق سيوف، وأسنة تدع عيون البرق قائمة"(٨).

وكانت عساكر الفاطميين في مواكب الأعياد تحمل رايات من الحرير على رماح طويلة، مكتوب عليها " نصر من الله وفتح قريب"(٩)، يراد بها – على ما يبدو – تأكيد قوة الدولة وتغلبها على من عاداها، وبهذه المثابة تصبح المواكب، عنصراً من عناصر الدعاية السياسية للدولة.

كما رأى الفاطميون في تزعمهم للمواكب، وفي صلاتهم وخطبتهم بالناس في الأعياد؛ مجالاً لتأكيد السلطة الدينية، والزعامة الروحية في شخص الامام. فرأوا في ركوبهم، والتفاف الناس حولهم، مظهراً من مظاهر المشايعة لهم، فهم يسيرون في مواكبهم، ويستمعون إلى خطبتهم،

---

(١) حول مناسبة الاحتفال بعيد النصر انظر ص ٢٣٦- ٢٣٧ من الأطروحة.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص٣٤-٣٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٢- ٣٠٣.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٣.
(٤) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩٣.
(٥) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩٣.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٨، ص٣٢٢.
(٧) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٢٢.
(٨) السجلات المستنصرية، ص٥٥٧.
(٩) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٧٠.

ويصلون خلفهم، متضرعين إليهم، وكأنهم يقرون ببيعتهم، أي أنهم ما زالوا يـشايعونهم. ويبـدو أثر ذلك في الكتاب الذي بعثه المستنصر إلى أحد دعاته في اليمن بمناسبة عيـد الفطـر، حيـث وصف فيه التفاف الناس حوله وصلاتهم خلفه ومشايعتهم له، فقال أنه: " برز إلى مصلى العيـد في أنصار دعوته، محفوفاً بأوليائه وجنوده، وجيوش دولته وعبيده، وهم في أكمل عدة، وأوفـر عدة، وأحسن هدى، وأكمل تضرعاً في صلواتهم"[١].

كما ورد في سجل صادر من دار الخلافة بمناسبة ركوب الخليفة لموكب الجمعة الثالثة مـن رمضان، انه عندما خرج الخليفة في الموكب المذكور " النفـوس قـد ابتهجـت، واستبـشرت، والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوقرت"[٢].

ولما كانت الاعياد مجالاً لتأكيد السلطة، فقد كانت الخطوة الاولى التي اتخذها بدر الجمـالي وابنه الافضل للاستبداد بالسلطة[٣]، هي تقليص دور الخليفة في الأعياد، فيـذكر المقريـزي أن ركوب الخليفة لصلاة العيد في المصلى ظاهر باب النصر والقائه خطبة العيد " كان قد بطل فـي الأيام الجيوشية والأفضلية"[٤].

إن دور الأعياد في تعزيز سلطة الخليفة، جعل الآمر يسعى فور وفاة الـوزير الأفـضل - الذي استبد في السلطة دون الخليفة الآمر - إلى محاولة استعادة عظمة الأعياد التي قلص الوزير دوره فيها، فمن بين الاشتراطات التي طلبها الآمر من الوزير المأمون - الـذي شـغل منـصب الوزارة بعد وفاة الوزير الأفضل بن بدر الجمالي – تجديد رسوم الأعياد [٥]. وقد أجابه المأمون إلى ذلك " فجدد رسوم الدولة وأعاد بهجتها"[٦].

أما " التوسعة في النفقة " [٧] التي وسمت احتفالات الفاطميين في الأعياد، فكانت ذات بعـد سياسي، هدف الفاطميون منها أن يظهروا عظمة دولتهم ومدى ثرائها، هذا من جهة. ومن جهـة أخرى، فإن اغداق الفاطميين الاموال والأطعمة على العامة في تلك الأعياد كان بهدف التقـرب منهم، حتى يكسبوا ولاءهم.

---

(١) السجلات المستنصرية ، ص٣١.
(٢) القلقشندي، **صبح**، ج٨، ص٣٢٣.
(٣) حول محاولات بدر الجمالي وابنه الافضل للاستبداد بالسلطة. انظر المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٩٠-١٩٨.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١٥.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٢٢-٢٣، المقريزي، **المقفى**، ج٦، ص٤٨٢ - ٤٨٣.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥١١.
(٧) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٩٣.

٢ - الاحتفال بالأعياد الاسلامية على الصعيد الشعبي:

أما مراسيم الاحتفالات في الأعياد الدينية، على المستوى الشعبي، فقد تنوعت بتنوع الاحتفالات، فكانت احتفالات العامة في شهر رمضان، وفي ليالي الوقود، وعيد الغدير، تتسم بالطابع الديني المحض، فتخلو من مظاهر الفرح والبهجة، فكانوا يمارسون في تلك المناسبات شعائر دينية، ففي شهر رمضان ربما انقطعوا عن الممارسات العادية في حياتهم اليومية، لينصرفوا الى المسجد الذي يصبح مكانهم الرئيس، يقيمون فيه صلاة التراويح(١)، وكانت تستخدم في رمضان أعداد وفيرة من الشموع " برسم ركوب الصبيان لصلاة التراويح"(٢).

ويحتشد الناس في ليالي الوقود في المساجد للتعبد، يقرأون السيرة النبوية في جميع المساجد(٣). وفي عيد الغدير يعتق الشيعة الرقاب، ويكثرون من توزيع الصدقات، ويذبحون الذبائح، ويوزعون لحومها(٤).

لقد غلبت مظاهر الحزن والأسى على احتفالات الشيعة بذكرى مقتل الحسين؛ لتتناسب مع هذه المناسبة الحزينة، فكان الشيعة " يتخذونه (أي يوم مقتل الحسين) يوم حزن، فتتعطل فيه الأسواق"(٥)، ويمعنون فيه بإظهار الحزن، فيصيحون ويبكون، وينوحون، ويعتدون على أموال الناس، ففي عام (٣٦٣هـ/ ٩٧٣هـ)، هاجم الشيعة الأسواق، وأتلفوا أواني السقائين، ومزجوا روايا الماء، مما أدى إلى الاشتباك مع أصحاب الحوانيت، لولا تدخل الدولة(٦).

وكانت مظاهر الفرح والبهجة تعم البلاد في عيد الفطر والأضحى. فكانت الاسواق تكتظ بأصناف الزينة(٧) والحلوى(٨)، التي يحرص الناس على شرائها على سبيل التباهي واستشعار أثر العيد في نفوسهم.

ومن تقاليد العامة في عيد الفطر والأضحى " التزيي بأفخر زيهم"(٩)، حيث كانوا يقبلون في الأعياد على شراء الملابس الجديدة، يؤكد ذلك خطاب ورد في رسائل الجنيزة- أرخ في العصر الفاطمي – لأحد التجار، فعندما طلب منه أحد عماله أن يشتري له عباءه اعتذر عن توفيرها؛ بسبب خلو مدينة الاسكندرية في تلك الفترة من الملابس؛ نظراً لإقبال المسلمين على شرائها؛

(١) Grunebaum, mohammadan Festivals, p54- 56
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣٢٠.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢٠-٢٢٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٧- ٥٢٨.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ١٨٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٩.
(٥) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤١٨.
(٦) المصدر نفسه، مج٢، ص٤١٨.
(٧) المصدر نفسه، مج٣، ص٣٢٠.
(٨) ابن الطوير، **نزهة**، ص٢٢٠- ٢٢٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٨.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٣٦.

بسبب اقتراب عيد فطرهم[١].

ويخرج الناس في صبيحة اليوم الأول من عيد الفطر والأضحى، إلى المساجد لأداء صلاة العيد " ويأخذون عند كل مسجد زينتهم"[٢]. وعقب صلاة عيد النحر ينشغل الميسورون من الناس، بنحر الأضاحي، وتوزيع لحومها على الفقراء والمحتاجين[٣].

وكان الناس في عيد الفطر والأضحى يتبادلون التهاني[٤]، وهذا ما أشار اليه تميم بن المعز في سياق تهنئته للخليفة بقدوم عيد النحر، فيقول:[٥]

ولما رأيت الناس تبادلوا التهانيا بعثت به مني اليك القوافيا.

وكان العوام يتوافدون في عيد الفطر والنحر على الجوامع، وقصر الخلافة؛ لحضور الأسمطة، التي كانت تقيمها الدولة في الجوامع والقصور، " فيأكلون منها، ويملئون أكمامهم"[٦].

وكان العامة يخرجون في عيد الفطر والنحر إلى المنتزهات؛ للأحتفال بليالي العيد[٧]. ويلهون ويمرحون، ويقبلون على مجالس الطرب والغناء، وهذا ما أشار اليه ظافر الحداد في قوله:[٨]

هلل فهذا هلال العيد عاد بما قد كنت تعيد من لهو ومن طرب

ثانيا: أعياد الذميين:-

ان التسامح الديني الذي انتهجته الدولة الفاطمية – في الغالب – مع أهل الذمة من رعاياها[٩]، أتاح لهم الاحتفال بأعيادهم الدينية، وممارسة طقوسها، على النحو الآتي:-

* **أعياد النصارى**:

لقد احتفل النصارى بذكرى ميلاد المسيح في ليلة الخامس والعشرين من كانون الأول [١٠]. واحتفلوا بعيد الفصح وهو العيد الكبير عندهم، ويوم الفطر من صومهم الأكبر[١١]. ويذكر أن خلافاً كان يقع بين سائر النصارى في تحديد موعد يوم عيد الفصح[١٢]. واحتفل النصارى بعيد الغطاس، ويصادف في اليوم السادس من شهر كانون الثاني، ويحتفل النصارى به، لأنهم

---

(١) Goitein:op.cit, v.4, p156.
(٢) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٨ - ٥٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٦٧.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٤٣٦ - ٤٣٨.
(٤) ظافر الحداد، **ديوان**، ص٣٨، ابن الطوير، **نزهة**، ص١٨٩.
(٥) تميم بن المعز، **ديوان**، ص٤٦١.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥.
(٧) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٢٤.
(٨) **ديوان**، ص٧، ص١٣٦.
(٩) انظر ص ١٥٩ – ١٦٢ من الأطروحة.
(١٠) البيروني، الآثار، ص٢٩٢.
(١١) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢٢٥- ٢٢٦.
(١٢) انظر تفاصيل هذا الخلاف في: الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٧١-٢٧٤.

يعتقدون أن يحيى بن زكريا عليه السلام، قام بتعميد المسيح، وغمسه في ماء المعمودية في نهر الأردن، عندما بلغ سن الثلاثين[١]. واحتفلوا بعيد الزيتونة الذي يصادف سابع أحد من صوم النصارى، وهو يحيي ذكرى ركوب السيد المسيح لحماره، ودخوله إلى بيت المقدس، ومن حوله النصارى يسبحون، وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[٢].

واحتفل النصارى في عيد الصليب، الذي يقع في اليوم الرابع عشر من أيلول في كل عام، وهو يحي ذكرى عثور الملكة هيلانة – أم الامبراطور قسطنطين – على الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح، الذي أمرت بأن يغلف بغلاف من ذهب، ويودع في كنيسة بيت المقدس[٣].

واحتفل النصارى بخميس العهد، قبل الفصح بثلاثة أيام، والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي: احياء ذكرى غسل السيد المسيح أرجل حواريه؛ ليعلمهم التواضع، لأخذ العهد عليهم أن لا يفترقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض[٤].

كانت أعياد النصارى بصفة عامة مهرجاناً للمرح واللعب، فكان النصارى في عيد الفصح، يجتمعون في قنطرة المقس يأكلون ويشربون ويلهون طول نهارهم [٥]، وفي خميس العهد كان النصارى يخرجون الى الأديرة يلهون فيها[٦]، وفي عيد الميلاد كان النصارى يظهرون بهجتهم بايقاد منازلهم وكنائسهم ومحلاتهم " شموعا ومصابيح وأحطابا بجملة كبيرة"[٧].

وكان النصارى يظهرون بهجتهم في عيد ميلاد المسيح بشراء الشموع، والتماثيل البديعة الشكل، مما دفع التجار الى التغالي في اثمانها؛ لتحقيق المزيد من الارباح[٨].

أما عيد الغطاس فقد كان جانب اللهو فيه كبيرا، فكان النصارى لا ينامون في ليلة الغطاس، ولا تغلق فيها الدروب، ويغطس أكثر أهل مصر في النيل، " ويزعمون أن ذلك أمان من المرض"[٩]، وبسبب ذلك سمي هذا العيد بـ "عيد الغطاس"[١٠]. وفي هذا العيد يخرج النصارى الى شاطيء النيل بالمراكب المزينة، ويلهون ويغنون[١١] ويشربون الخمور[١٢].

---

(١) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢١- ٢٢٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٦٢٦.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٦.
(٥) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٢.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٧١٩-٧٢٠.
(٧) ابو صالح الأرمني، **كنائس**، ص١٢٩.
(٨) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٧١٧.
(٩) مجهول مراكشي، الاستبصار، ص٤٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٤.
(١٠) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢٢٠.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٤.
(١٢) مجهول مراكشي، الاستبصار، ص٤٩، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٤.

أما عيد الصليب، فقد وصل تهتك النصارى فيه إلى حد تجاوز القيم الاجتماعية، فكانوا في هذا العيد يقبلون على شرب الخمور، ويظهرون " فيه من المنكرات والفسوق ما يتجاوز الوصف"[١]. مما دفع الخليفة العزيز الى محاولة الحد من المظاهر الاجتماعية السيئة التي كانت تحدث في هذا اليوم، فقد أصدر عام (٣٨١هـ/ ٩٩١م)، مرسوما في هذا العيد يقضي بضبط الطرقات والدروب، وتشديد الرقابة عليها؛ خشية من تفشي المنكرات والفسوق[٢].

وأصدر الحاكم مرسوماً عام (٤٠٢هـ/ ١٠١١م)، منع فيه النصارى من الاحتفال بعيد الصليب، نظراً لخروجهم فيه عن الحد في اللهو والخلاعة[٣]. ويبدو أن هذا المنع استمر حتى نهاية العصر الفاطمي، اذ لم يرد ما يشير الى احتفال النصارى بهذا العيد بعد عهد الحاكم.

*** أعياد اليهود:**

لقد احتفل اليهود بأعياد عديدة، اتسمت بالطابع الديني المحض، بمعنى انه لم يكن لأعيادهم مظاهر الفرح والبهجة، وإنما كانوا يصومون فيها، أو يعتقون الأرقاء، أو يحجون إلى بيت المقدس. فكان عيد رأس السنة اليهودية - الذي يحتفل به اليهود في الحادي والعشرين من أيلول- هو عيد عتق وحرية عند اليهود[٤].

أما عيد صوماريا، فيوافق العاشر من شهر تشري اليهودي – اكتوبر- ومناسبته التاريخية هي إحياء ذكرى فرض الله الصوم على اليهود، وتبعاً لديانة اليهود، فمن لم يصم في هذا اليوم وجب قتله[٥].

وعيد المظلة، يحتفل به اليهود لمدة سبعة أيام، أولها: اليوم الخامس عشر من شهر تشري[٦]. ومناسبته التاريخية، هي إحياء ذكرى الغمام الذي ظلل الله به أجدادهم في التيه[٧]. وفي هذا العيد يصوم اليهود[٨].

وعيد الفصح: يكون في الخامس عشر من نيسان، ومدته عند اليهود سبعة أيام. ويحتفلون بهذا العيد؛ لأن الله نجى بني اسرائيل في هذا اليوم من فرعون مصر[٩]، ويحجون فيه إلى بيت المقدس، ويضحون[١٠].

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٠.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٧١٧.
(٥) البيروني، الآثار، ص٢٧٦- ٢٧٧، القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٤٣٦.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٢٢٥.
(٧) البيروني، الآثار، ص٢٧٧.
(٨) القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٢١٧- ٢١٨.
(٩) البيروني، الآثار، ص٢٨١، القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٤٣٧.
(١٠) القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٢٢٠، ناريمان عبد الكريم، معاملة، ص١٦٠-١٦٢.

ويحتفل اليهود في عيد الأسابيع بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح، ومناسبته التاريخية، هي إحياء ذكرى اليوم الذي خاطب الله فيه موسى عليه السلام من طور سيناء، وأنزل عليه الفرائض، والأوامر، والنواهي(١). وفي هذا العيد يحج اليهود إلى بيت المقدس(٢).

ثالثا: الاحتفال بوفاء النيل: لما كان وفاء النيل – أي بلوغ زيادته ستة عشر ذراعاً – يترتب عليه الخصب المؤدي إلى عمارة الأرض، وانتظام أمور الرعية(٣). فقد حرص الخاصة والعامة على اظهار الفرح والسرور في هذا اليوم، فكان لهذا اليوم "مقام مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص"(٤).

كان الاحتفال بوفاء النيل تصحبه رسوم فخمة، فيعد له موكبان، بينهما ثلاثة أو أربعة أيام. الموكب الأول يسمى " موكب تخليق المقياس" يخرج فيه الخليفة وكبار رجال الدولة إلى النيل، لتطييب مقياس النيل بطيب يسمى الخلوق. أما الموكب الثاني، ويسمى " موكب فتح الخليج" فيخرج فيه الخليفة وكبار رجال الدولة، وعامة الناس إلى الخليج؛ للاحتفال بوفاء النيل(٥).

* **موكب التخليق**: كان الموكلون بالمقياس يرفعون إلى ديوان الانشاء كل يوم رقعة بها مقدار الزيادة، فلا يطلع عليها إلا الخليفة والوزير، فإذا بلغت الزيادة ستة عشر ذراعاً، يبيت في جامع المقياس ليلة الوفاء قراء الحضرة، والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة والفسطاط؛ لختم القرآن الكريم، وتمد لهم الأسمطة. وفي الصباح يلبس الخليفة الملابس الفاخرة، ويخرج من القصر في موكب زاخر، وفي ركابه الوزير والأمراء والجند، فيشق القاهرة، ويمر من باب زويلة، ثم يعرج على جامع ابن طولون إلى أن ينتهي به السير إلى دار صناعة الجزيرة(٦)، ويشق الفسطاط حتى يصل الى شاطىء النيل، وتكون سفينته الخاصة معدة في النيل " وقد حمل اليها من القصر بيت مثمن من العاج والأبنوس، كل جانب منه ثلاثة أذرع، وطوله قامة رجل تام، فيركب في السفينة وعليه قبة من خشب محكم الصنعة، وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب... "(٧)، ثم يخرج الخليفة ومعه الوزير وبعض خاصته إلى هذه السفينة، ويجلسون في هذا البيت المثمن، وتسير بهم إلى المقياس، فينزلون ويدخلون إلى الفسقية التي فيها المقياس،

---

(١) البيروني، الآثار، ص٢٨١، القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٤٧٠.
(٢) البيروني، الآثار، ص٢٨١، المقدسي، البدء، مج٢، ج٤، ص٣٧، ابن الوردي، **تاريخ**، ج١، ص١٠٣.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٩١، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٥٢.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٤١.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٩٥- ٢٠٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٣٨- ٥٥٧.
(٦) دار صناعة الجزيرة:- مكان مخصص لصناعة السفن، تقع قبال الفسطاط، انظر المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص ٢٩٠-٢٩٢.
(٧) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٢٩- ١٩٣، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٥٣.

ويصلي كل منهم ركعتين، ثم يتناول الخليفة إناءً بيده، ويذيب فيه الزعفران، ويتناوله صاحب بيت المال، فيعيطيه لابن أبي الرداد متولي المقياس، فيلقى هذا بنفسه، وهو بملابسه في الفسقية، ويمسك بالعمود برجليه ويده اليسرى، ويخلق المقياس بيده اليمنى، وبعد التخليق يعود الخليفة إلى حراقته التي تقله إلى البر حيث يعود إلى القاهرة " ويكون في البحر في ذلك اليوم ألف قرقورة[١] مشحونة بالعالم فرحاً بوفاء النيل، وبنظر الخليفة.."[٢]

* **موكب فتح الخليج**: وبعد ثلاثة أو أربعة، تخرج خيمة الخليفة الكبيرة، فتنصب على البر الغربي للخليج، وتنصب حولها خيام أخرى للأمراء والخاصة حسب مراتبهم[٤].

وفي الصباح يلبس الخليفة ملابس فاخرة، ويخرج في مثل موكبه السابق في أجمل هيئة وأكمل أبهة؛ ويسير في موكبه من القصر وحوله الوزير والأستاذون المحنكون في الطريق السالف الذكر، إلى أن يصل جامع ابن طولون، حيث يجده قاضي القضاة، والشهود في انتظاره على بابه، فيسلم عليهم، وينضمون إلى موكبه الذي يستأنف السير إلى أن يصل إلى الخيمة؛ وقراء الحضرة هناك يتلون القرآن الكريم لمدة ساعة، فإذا انتهوا استأذن صاحب الباب للشعراء، فيدخلون حسب مراتبهم، وينشد كل واحد ما يناسب الحفل[٥].

رابعا: احتفال النوروز:

احتفل الناس في مصر بعيد النوروز، الذي يرجع إلى أصول فارسية[٦]. وكان النيروز ومعناه اليوم الجديد، يحل عند الانقلاب الصيفي، وذلك في ابتداء كل ربيع من السنة الجديدة[٧]. وهو اليوم الحادي والعشرون من شهر آذار[٨]، وكانت مدته عند الفرس ستة أيام، ويسمى اليوم السادس منها بالنيروز الأكبر[٩].

وقد حظي النوروز باهتمام اجتماعي، فكانت " تتعطل فيه الأسواق، ويقل فيه سعي الناس في الطرقات"[١٠]. وقد جعلت الدولة لهذا العيد رسوماً مقررة من الأطعمة والكسوات والفاكهة، تمنح لرجال الدولة وأولادهم ونسائهم[١١].

---

(١) قرقورة: السفينة. انظر الفيروز آبادي، القاموس، ص٥٩٣.
(٢) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٥٤.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٩٦، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٥٥- ٥٥٦.
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٩٧- ٢٠٠، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٥٥- ٥٥٧.
(٦) القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٤٤٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٢، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٤.
(٧) البيروني، الآثار، ص٢١٦، المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٤.
(٨) محفوظ، حسين، (١٩٤٦م) النوروز في الأدب العربي، مجلة التراث الشعبي، ع٨، ص١١.
(٩) القلقشندي، **صبح**، ج٢، ص٤٠٨.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٠.
(١١) ابن المأمون، **أخبار**، ص٦٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٠.

وقد وصل تهتك الناس في يوم النوروز إلى حد تجاوز القيم الاجتماعيــة، فكــان النــوروز بمثابة عطلة عامة يتحرر فيها الناس من قيود حيــاتهم، فكــان " مــن مواســم بطــالاتهم (أي المصريين) ومواقيت ضلالاتهم، فكانت المنكرات ظاهرة فيه، والفواحش صريحة فــي يومــه.. وفيه يتجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلوة، بحيث يشاهدهم الخليفة، وبأيديهم الملاهــي، وترتفع الأصوات، وتشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم، وفي الطرقات؛ ويتــراش النــاس بالماء، والخمر بالماء ممزوجاً بالأقذار " [١].

إن خروج الناس في هذا العيد عن الحد في اللهو والخلاعة، دفع بعض الخلفاء إلى محاولــة الحد من المظاهر الاجتماعية السيئة التي كانت تحدث خلال هذا العيد، فقد أصدر الخليفة المعــز مرسوماً سنة (٣٦٣هــ/ ٩٧٢م)، منع فيه الناس " من وقود النيران ليلة النوروز فــي الــسكك، ومن صب الماء يوم النوروز "[٢].

والظاهر أن هذا المنع ضاعف من شوق الناس إلى هذا العبث، لأنهم في السنة التالية تمادوا في إيقاد النيران، وصب المياه، وأتوا من السخافات ما جعل المعز يعــود إلــى تحــذيرهم [٣]. وأصدر الظاهر عام (٤١٥هــ/ ١٠٢٤م)، مرسوماً منع فيه الناس من اللعب بالمــاء فــي يــوم النوروز [٤].

****

إن مظاهر الاحتفال بالأعياد في مصر في العصر الفاطمي، تدل على أن الاتجاه العام كــان نحو تعايش الطوائف الدينية في جو من الانفتاح والعيش المشترك. فقــد شــارك أهــل الــسنة، الاسماعيلين الجانب الاجتماعي في طقوسهم الدينية، طمعــاً بالهبــات والــصدقات التــي كــان الفاطميون يوزعونها في أعيادهم الخاصة، حتى أن " التوسعة فــي النفقــة التــي ســار عليهــا الفاطميون في عيد الغدير، جعلته موسماً " يرصده كل أحد، ويرتقبه كل غني وفقير "[٥]. فيــذكر المقريزي أن المصريين شاركوا عام (٣٦٢هــ/٩٧٣م) الشيعة في الاحتفال بعيد الغدير، ودعــوا للمعز " فأعجب المعز ذلك "[٦].

وذكر المأمون انه في عيد الغدير من عام (٥١٦هــ/١١٢٢م)، " هاجر إلى بــاب الأجــل (يعني المأمون بن البطائحي) الضعفاء والمساكين من البلاد، ومن انــضم الــيهم مــن العــوالي

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠١- ٦٠٢.
(٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٦٠٠.
(٣) المصدر نفسه، مج٢، ص٦٠٠.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٣.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٣.

والأدوان على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الأيامى"[١].

وقد اهتم الفاطميون بأعياد النصارى، فكان من رسومهم في عيد الميلاد (النصراني)، تفرقة الأطعمة على جميع أرباب الدولة من القبط والمسلمين[٢]. كما كان من رسوم الفاطميين في عيد الغطاس، تفرقة الأطعمة على جميع رجال الدولة من القبط والمسلمين[٣].

وقد شارك الخليفة الظاهر النصارى في الاحتفال بعيد الغطاس، فروى المقريزي أنه في سنة (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، "نزل الظاهر بنفسه لنظر الغطاس، وضربت له ولحرمه الخيام، وأمر بأن توقد النار والمشاعل ليلاً"[٤]. وكان من رسوم الفاطميين في خميس العهد "ضرب خمس مائة دينار ذهباً ... وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم"[٥].

وشارك عامة المسلمين النصارى في الاحتفال بأعيادهم، حيث وصف المسبحي مشاركة المسلمين للنصارى في الاحتفال بعيد الفصح عام (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، فقال: اجتمع في عيد الفصح بقنطرة المقس من النصارى والمسلمين في الخيام المنصوبة وغيرها خلق كثير؛ للأكل والشرب واللهو، ولم يزالوا هناك إلى أن انقضى ذلك اليوم[٦].

ويصف ابو صالح الأرمني احتفال المسلمين والنصارى في عيد الميلاد، قائلاً: "وفي ليلة عيد الميلاد المقدس من كل سنة يوقد المسلمون والنصارى شموعاً ومصابيح، وأحطاباً بجملة كبيرة"[٧].

وقد وصف الأنطاكي مشاركة المسلمين للنصارى في عيد الغطاس، قائلاً: "وكان يكون لسائر أهل مصر، وأهل الملل والمذاهب بمصر في هذا العيد (أي عيد الغطاس) من الفرح ما لا يكون لهم في غيره من أيام السنة وأعيادها"[٨].

وفي الوقت الذي اهتمت فيه الدولة بأعياد النصارى، لم يرد ما يشير إلى اهتمامها في أعياد اليهود؛ ربما لأن النصارى كانوا أكثر عدداً من اليهود، وبالتالي أقوى تأثيراً من اليهود في الأوضاع العامة[٩]، وتبعاً لذلك فقد كان حرص الدولة على مجاملتهم، والاهتمام بأعيادهم، أكثر من حرصها على مجاملة اليهود.

---

(١) ابن المأمون، **أخبار**، ص٤٢، وانظر المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٠٣.
(٢) ابن المأمون، **أخبار**، ص١٠٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٣.
(٣) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٥.
(٤) المصدر نفسه، مج٢، ص٦٠٤.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٦٠٥.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٣٩-٤٠.
(٧) ابو صالح الأرمني، **كنائس**، ص١٢٩.
(٨) الأنطاكي، **تاريخ**، ص٢٨٥- ٢٨٦.
(٩) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٢٠١-٢٠٢.

ولم يرد ما يشير إلى مشاركة عامة المسلمين لليهود في الاحتفال بأعيادهم، كما شاركوا النصارى في ذلك. ربما لأن أعياد اليهود اتسمت بالطابع الديني المحض، ولم يكن لأعيادهم مظاهر الفرح والبهجة[١]، ومن ثم لم تجذب أنظار عامة المسلمين مثلما جذبتهم أعياد النصارى، التي كان جانب التسلية والمتعة فيها كبيراً[٢].

سادسا: وسائل التسلية:

اكتسبت القاهرة في العصر الفاطمي شهرة واسعة في اللهو والمرح، حتى أصبح المثل يضرب بأيام العزيز في مصر؛ لأنه كان يكثر فيها اللهو والأعراس[٣]، حيث أفرط الناس في " الانهماك في الشهوات والامعان في الملاذ"[٤]، وانفق المترفون الأموال الوفيرة على اللهو[٥].

ولعل إقبال الناس على اللهو في المجتمع المصري في العصر الفاطمي، كان تقليدا للخلفاء وكبار رجال الدولة؛ الذين كانوا يميلون إلى الترف، والاسراف في ملذات الحياة، حيث بلغوا مبلغاً عظيماً من " الحضارة والترف"[٦].

وقد أدى ولع الناس باللهو إلى تنوع وسائل التسلية، على النحو الآتي:

أولاً: المجالس: تعد المجالس أهم مجالات التسلية، حيث كان يشترك في أنواعها المتعددة جميع فئات المجتمع، وتقسم إلى ثلاث أنواع:

*** مجالس الطرب والغناء:**

لقد حظي الغناء باهتمام اجتماعي كبير، وعد حاجة من حاجات الانسان الضرورية، يقول ابن خرداذبة (ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٦م)، " الغناء من أكبر اللذات، وأسر للنفس من جميع الشهوات، يرق الذهن، ويلين العريكة، ويبهج النفس ويسرها، ويشجع الجبان، ويسخي البخيل، ويحيي القلب، ويزيد في العقل ويفتح بالرأي.. "[٧] . كما أن " النفس عند سماع النغم والأصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك، فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل الصعب، ويستميت في ذلك الوجه الذي هو فيه، ويزيد ذلك تأثيراً اذا كانت الاصوات متناسبة كما في الغناء"[٨].

---

(١) انظر ص ٢٤٨ من الأطروحة.
(٢) انظر ص ٢٤٧ من الأطروحة.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٢٢.
(٤) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص١٣٠.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٨.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٣١٦.
(٧) اللهو والملاهي، ص١٩- ٢٠.
(٨) ابن خلدون، **العبر**، ج٣، ص٢١١.

وقد صورت المنتجات الفنية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، رسوم المطربين والمطربات، والعازفين والعازفات، والراقصين والراقصات[١]، ويعد ذلك انعكاسا لانتشار الغناء والطرب في المجتمع المصري في العصر الفاطمي.

إن اهتمام الناس بالغناء في العصر الفاطمي، أدى إلى إزدهاره، فأصبح فناً قائماً بذاتـه، لـه أصول مستقرة. يؤكد ذلك ظهور التأليف في الموسيقى والغناء، فقد الف المسبحي (ت ٤٢٠ هـ /١٠٢٩م) كتاب اسمه " مختار الأغاني ومعانيها"[٢]، والف الملحن أبو الحسن بن الطحان كتاباً في التلحين والغناء، سماه " جامع الفنون وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنين"[٣].

ولما كان الغناء فن، فقد أصبحت له قواعد معروفه، من المغنين من أجادها، ومنهم من جهلها، فقد ظهر مغنون اتقنوا صناعتهم، حتى أن الخليفة الظاهر أهدى بعضهم إلى عماله على الولايات، مجاملة وملاطفة، فقد أرسل إلى المعز بن باديس – والي المغرب وقتئذ- هدية فيها جواري مغنيات[٤]، كما أرسل إلى واليه على صقلية هدية، فيها مغنيات من القصر[٥]. بينما يذم ابن قلاقس مغنين آخرين، فيقول: إن ايقاع نغماتهم لا يتفق مع نبرات أصواتهم، فهذا يزيد وذا ينقص [٦].

إن ولع الخاصة والعامة في الغناء، جعلهم يعقدون مجالس للطرب والغناء، غايتها اللهو، وسماع الغناء والموسيقى، فذكر الأنطاكي أن الحاكم كان يستدعي إلى مجلسه المغنين، وأصحاب الملاهي، ويتبسط معهم[٧]. وقد قلده العامة في ذلك، فعقدوا مجالس للطرب والغناء[٨].

وكان الظاهر " مشتغلاً بالأكل والشرب والنزه وسماع الأغاني، وفي زمانه تأنق أهل مصر والقاهرة في اتخاذ المغاني والرقاصات، وبلغوا من ذلك مبلغاً عجيباً"[٩].

وعرف عن الأمر حبه للهو والغناء والعزف، وكان له الكثير من المغنيات والراقصات[١٠]،

---

(١) انظر الملاحق، لوحة (٦)، (٧)، (٢٠)، (٢١)، (٢٦)، (٢٨)، (٣٠)، (٣١)، (٤٢)، (٤٣)، (٤٤)
(٢) ابن خلكان، وفيات، ج٤، ص٣٧٨.
(٣) ابن سعيد، **النجوم**، ص٣١٥- ٣١٦.
(٤) ابن الزبير، الذخائر، ص٧٠- ٧١.
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١١.
(٦) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج١، ص١٦٢.
(٧) **تاريخ**، ص٢٦٩.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٨.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٩٦.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢ ، ص٢١٥

وكان الحافظ يميل إلى اللهو والطرب[١]، وكان الظافر كثير اللهو، مقبلا على سماع المغنى[٢].

وقد صور تميم بن المعز طرفاً مما كان يجري في مجالس الطرب والغناء، فقد وصف في أشعاره مجالس الغناء التي كان الندماء يتبادلون فيها كؤوس الخمر، مستمعين لغناء المغنيات، فيذهب حزنهم، وتزول همومهم، يقول:[٣]

لسان العود أفصح من لساني — وحسن بيانه فوق البيان
ودارت أكؤس الصهباء صرفا — وحركت الغواني للأغاني
فيالك من منادمة وقصف — تزول بها ملمات الزمان

كما أن الشاعر تميم بن المعز يبين أن الحياة بدون اللهو لا قيمة لها، وأن اللهو بدون سماع الموسيقى والغناء، مع شرب الخمر لا يعد لهواً، يقول:[٤]

خليلي لا عيش سوى اللهو والصبا — ولا لهو الا في سماع وفي خمر

*** مجالس الشعر**

لقد عقد الخلفاء مجالس للشعر في قصورهم؛ للتلذذ بسماع مدائح الشعراء، فقد جعل للشعراء في مجالس الخلفاء نظام في الانشاد يتعاقبون عليه، فذكر ابن الطوير - في سياق حديثه عن فتح الخليج – انه بعد جلوس الخليفة يؤمر صاحب الباب بتقديم الشعراء واحداً بعد واحد " ولهم منازل على مقدار أقدارهم، فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد"[٥]. وكان الحاكم بأمر الله يميل إلى مجالس الشعر، فكان الشعراء ينهضون وينشدون القصائد بين يدي الخليفة، ويتبارون في مدحه، ومدح أجداده[٦].

وعقد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي مجالس للشعر في قصره، فكان الشعراء يقصدون داره، وينشدون القصائد بين يديه[٧]. وجمع المأمون بن البطائحي الكثير من الشعراء في مجالسه، فكانوا يقصدون داره، ويهنئونه بالأعياد، وينشد له كل منهم ما سمحت به قريحته[٨]. وكان طلائع بن رزيك يعقد للشعراء مجالس في قصره، يتبارى الشعراء فيها بمدحه[٩].

---

(١) ابن اياس، **بدائع**، ج١، ق١، ص٢٢٧.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٧٣، ابن إياس، **بدائع**، ج١، ق١، ص٢٢٧.
(٣) **ديوان**، ص٤٤٥.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٣٥.
(٥) **نزهة**، ص١٩٩.
(٦) **اتعاظ**، ج١، ص٣٣٢.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص١٠١.
(٨) المصدر نفسه، ص٢٦-٢٧.
(٩) عمارة اليمني، النكت، ص٤٨.

وقد كان للشعراء مجالس للمناظرة خاصة بهم، وصف أحدها ابن ظافر الأزدي، فـذكر أن الشعراء كانوا يعقدون في الرياض مجالس، يتبارون في وصف أزهارهـا ارتجـالاً؛ ليظهـروا براعتهم في الوصف، وقدرتهم على النظم، ومن ذلك اجتماع عدة شعراء على وصف ضمة من الياسمين على لجة ماء، فأخذ كل واحد منهم يصفها، مصوراً إياها صوراً تزيدها جمـالاً علـى جمالها[١].

* **مجالس الوعظ**:-

أقبل الناس عليها في أوقات فراغهم، وكان يترأسها الواعظ، الذي يقوم بالتذكير بالله، وببـث المواعظ المحركة إلى الله تعالى[٢].

وكانت بعض مجالس الوعظ تعقد في المساجد، وقد أشار الرحالـة المقدسـي إلـى هـذه المجالس، التي شاهدها بنفسه في أقاليم مصر أثناء رحلته إليها في العصر الفاطمي، اذ يقـول : " ودخلتها (أي مصر) مع جماعة من المقادسة، فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء مـن الـوجهين: دوروا وجوهكم إلى المجلس، فننظر فإذا نحن بين مجلسين، على هذا جميع المساجد"[٣]، وكانـت هذه المجالس تعج بالناس[٤].

وكان للوعاظ حضور في مجالس الخلفاء، الذين كانوا يستدعونهم في بعـض المناسـبات؛ لاحياء لياليها، مثل ليلة عاشوراء[٥]، وليالي رمضان، فبعد انقضاء السحور تقدم المخاد للوعاظ، فيلقون دروسهم في فضائل شهر رمضان[٦].

ويبدو أن مجالس الوعظ، فضلاً عن دورها الارشادي، قد لعبت دورها السياسي والديني في الترويج للدعوة الفاطمية، فكان الوعاظ عقب سحور شهر رمضان يسهبون فـي مـدح الخلفـاء الفاطميين، وفي الاشادة بكرمهم[٧]، وكانوا في يوم عاشوراء يسهبون في رثاء شهداء أهل البيت، وفي الحديث عن مصرع الحسين[٨].

ثانيا: **النزهة والرحلات**: لقد حرص الخاصة والعامة على الخروج للتنزه والـرحلات؛ لقـضاء الأوقات. ويبدو أن خروج الخلفاء للتنزه كان كثيراً، اذ أشار المقريزي في كتابه المـواعظ الـى

---

(١) ابن ظافر الأزدي، **بدائع**، ص٢٤٧.
(٢) السبكي، معيد، ص١١٢- ١١٤.
(٣) **أحسن التقاسيم**، ص٢٠٥.
(٤) المصدر نفسه، ص٢٠٥.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٥٩.
(٦) المصدر نفسه، ص٨٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥.
(٧) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٢، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٩٥.
(٨) ابن المأمون، **أخبار**، ص٣٥.

نزه الخلفاء تحت عنوان " ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين، ومواضع نزهم، وما كان لهم فيها من امور جميلة"، وعدد تحت هذا العنوان الأماكن التي كان يقصدها الخلفاء للتنزه [١].

ويبدو أن نزه العامة كان يشوبها بعض الانحلال الاجتماعي، مما جعل بعض الخلفاء يصدرون قوانين وقتية، منعوا فيها الناس من الخروج للنزهة، ففي عام (٤٠١هـ/١٠١٠م)، منع الحاكم الناس من الركوب في الخليج[٢]، ومنع الحاكم -في عام (٤٠٢هـ/١٠١١م)- الناس من الاجتماع على شاطىء النيل[٣]، ونودي عام (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) بالأ تخرج النساء من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة، وأن تنزه هذه الأشهر الشريفة عن المناكر، والا يجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجزيرة، وبالقرافة على شيء منها[٤].

وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى النيل، فقد بنى الخلفاء على شاطىء النيل مناظر كانوا يخرجون اليها للاستمتاع بمنظر النيل[٥]. واتخذ العامة أمكنة على شاطىء النيل للنزه، والاستمتاع بمنظره، وبنوا البيوت حتى يُسَرّوا عن أنفسهم اذا ضاقت عليهم حياة المدينة[٦].

وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى القرافة، حيث موقعها الخلاب، ظاهر جبل المقطم[٧]. وقد وصفها ابن سعيد، فقال: " لا تكاد تخلو من طرب ولا سيما في الليالي المقمرة، وهي معظم مجتمعات أهل مصر، وأشهر متنزهاتهم"[٨]. وأشار المقريزي- في أحداث عام (٤٠٢هـ/ ١٠١١ م) - إلى "اجتماع الناس بالقرافة على عادتهم في كثرة اللعب والمزاح" [٩].

وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى البرك، التي كانت تشتهر بجمالها الأخاذ، ومنها بركة الفيل[١٠]، وهي " من متنزهات مصر، وكان من عادة ... الخلفاء أن يركبوا إليها بالليل، وحولها المناظر التي تكون منظراً عجيباً"[١١].

وخرج أهالي القاهرة للتنزه إلى بركة الحبش، وهي من أجل منتزهات مصر، تقع خلف القرافة[١٢]. وكانت محط لهو تميم بن المعز، الذي كان يملك قصراً وبساتين تطل عليها[١٣].

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٢٢.
(٢) الدواداري، **كنز**، ج٦، ص٢٨٢.
(٣) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨١.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١١.
(٥) ابن المأمون، **أخبار**، ص٩٦- ١٠٢، المقريزي، **المواعظ**، مج ٢، ص٥٢٢- ٥٨١.
(٦) ظافر الحداد، **ديوان**، ص٢٣٠.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص٨٤٩.
(٨) المصدر نفسه، مج٤، ق٢، ص٨٤٩.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨٠.
(١٠) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٣٣٩، علي مبارك، الخطط، ج١، ص٣٧.
(١١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٢٢٥.
(١٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٩٠.
(١٣) المصدر نفسه، مج٢، ص٢٩٨.

وجرت عادته أن يجتمع بأصحابه في تلك الرياض، ويختلط بعامة الناس، ويقدم إليهم الطعام والشراب على سبيل الهدية[(١)].

وخرج أهل القاهرة للتنزه إلى الخليج، فيقول تميم بن المعز ناصحاً لمن يريد التنزه في الخليج:

يا سيدي لا تسر إليه   إلا إذا هوم الظلام
والليل ستر على التصابي   عليه من فضله لثام[(٢)]

وخرج أهالي القاهرة للنزهة إلى الأديره، مثل " دير مهنا" بالجيزة[(٣)]. ودير " طرا" القريب من بركة الحبش، الذي كان " لا يخلو من قصف وشرب" [(٤)] ودير " شهران" ، وكان به قصر للخليفة الحاكم يقيم فيه عند خروجه للتنزهه والصيد[(٥)]. ومن أديرة التنزه، دير " مرحنا" - على شاطىء بركة الحبش – الذي كان " من مغاني اللعب، ومواطن القصف والطرب... حسن المنظر... لا يكاد يخلو من المتنزهين"[(٦)].

ومن أديرة التنزه، دير القصير، في أعلى جبل المقطم، الذي كان " أحد الديارات المقصودة والمتنزهات المطروقة؛ لحسن موضعه"[(٧)].

ومن أماكن التنزه، البساتين والرياض، " فكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها"[(٨)]. كما أن الشعراء أعجبوا بجمال البساتين، واستراحوا بالجلوس فيها، وكانوا يذهبون اليها مع ندمائهم للنزهة، فتميم بن المعز يقول عن رحله له في جماعة من الندماء، قاصداً بستانا له[(٩)]:

نحن من البستان في نزهة   ولفظنا مثل حلاه سوا
تذاكر يطفى غليل الجوى   كأدمع المشتاق يوم النوى

ثالثا / الألعاب: لقد تسلى الخاصة والعامة بألعاب متنوعة، وهي:

* **الشطرنج**: لهذه اللعبة فوائد صحية، فهي تعلم الحرب، وتدرب الانسان على التفكير، وتعلمه شدة البصيرة [(١٠)]. ولعل ذلك هو سبب شيوعها، بحيث احتلت فضاءات في تشبيهات الشعراء، فقد شبه الشريف العقيلي قوماً برخاخ الشطرنج، وشبه أعاديهم بالبيادق في قوله:

---

(١) تميم بن المعز، **ديوان**، ص٢٤٢.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢٠.
(٣) الشابشتي، الديارات، ص١٩١.
(٤) ابن فضل الله العمري، مسالك، ج١، ص٣٧٣.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٦٦- ٣٦٩.
(٦) المقريزي، **المواعظ**، مج٤، ق٢، ص١٠٣١.
(٧) المصدر نفسه، مج ٤، ق٢، ص١٠٢٩.
(٨) المصدر نفسه، مج٢، ص٥٨٢. حول البساتين التي أقامها الخلفاء في القاهرة انظر ص ٢٩-٣٠ من الأطروحة.
(٩) تميم بن المعز، **ديوان**، ص٣٤.
(١٠) التنوخي، نشوار، ج٢، ص١٧١.

ونحن إن نصبت شطرنج معركة   رخاخهـا، وأعادينـا بيادقهـا[١]

وقد تلهى أهل القصر في الشطرنج، " ففي الشدة المستنصرية، أخرج من القصر الشطرنج، والنرد المعمولة من سائر أنواع الجوهر، والذهب، والفضة، والعاج، والأبنوس، برقاع الحرير المذهب، ما لا يحد كثرة ونفاسه"[٢].

وكانت هذه اللعبة تأخذ من لاعبيها أوقاتاً طويلة، حتى وصفت بأنهـا لعبـة المتعطلـين[٣]. وانشغل الناس بها عن أعمالهم، مما جعل الحاكم بأمر الله يأمر عام (٤٠٢ هـ/ ١٠١١م)، بـ " جمع الشطرنج من أماكن متعددة، وحرقه"[٤]. كما أمر عام (٤٠٣ هـ/ ١٠١٢م)، " بـالقبض على جماعة؛ بسبب اللعب بالشطرنج، وضربوا وحبسوا"[٥].

* **لعبة النرد**: لقد شبه الحكماء رقعتها بالأرض الممهدة لساكنها، وشبهوا منازل الرقعـة، وهـي أربعة وعشرون بساعات الليل والنهار، وبيادقها، وهم ثلاثون بعدد أيام الشهر، واختلاف ألوانهـا باختلاف بياض النهار، وسواد الليل، وأنها أقيمت على أربع مراتب، وهي الفـصول الأربعـة، وشبهوا اللاعب في اتباعه لما يخرج بفعل العباد في اتباع القضاة[٦].

وهذه اللعبة غير صحية؛ لأنها تثير طباع لاعبيها؛ نظراً لتحكم الفصين في تحديد اللعبـة[٧]. ولعل ذلك أدى إلى عدم شيوعها بين الناس، اذ لم يرد ما يشير إلى ممارسة الناس لهذه اللعبـة، سوى في خبر واحد، ورد فيه أنه أخرج من القصر أثناء الشدة المستنصرية النرد المعمول مـن سائر أنواع الجوهر[٨].

* **لعبة كرة الصولجان**: فهي لعبة الكرة على ظهور الخيل، وهي عبارة عن كرة تصنع من مادة خفيفة كالفلين ونحوه، وتلقى في أرض الميدان، فيتسابق الفرسان إلى التقاطها بالصولجان – وهو العصا الذي تضرب به الكرة – فمن سبق منهم إلى اصابتها وارسالها فـي الهـواء كانـت لـه الغلبة[٩].

ولهذه اللعبة فوائد حربية، فهي تعلم الحرب، حيث ذكر السبكي، أن " ما يعتاده الأمراء فـي هذا الزمان من لعب الكرة في الميدان حلال، وينبغي أن يقصدوا بـه تعلـيم الخيـل والاقبـال

---

(١) الشريف العقيلي، **ديوان**، ص١١٢.
(٢) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٥٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٥.
(٣) التنوخي، نشوار، ج١، ص٢٧٠- ٢٧١.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨١.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٣.
(٦) الراغب الأصفهاني، محاضرات، ج١، ص٣٤٦.
(٧) المسعودي، مروج، ج٢، ص٥٦٥- ٥٦٦.
(٨) ابن الزبير، الذخائر، ص٢٥٧، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٣٧٥.
(٩) ابن قتيبة، عيون، ج١، ص١٣٣- ١٣٤.

والادبار والكر والفر"[١]. وان تعدد مستلزمات هذه اللعبة من خيول وأدوات، وميادين، جعلها لعبة ارستقراطية لا يمارسها سوى الخلفاء والامراء، فذكر المقريزي أن العزيز هو " أول من ضرب بالصوالجة"[٢]، كما مارس هذه اللعبة العسكريون من أرباب السيوف، ومنهم الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل[٣]، والوزير ضرغام[٤].

* **السباحة**: من وسائل الترفيه المرغوبة عند المصريين، الذين كانوا يعهدون بأولادهم الى معلمي السباحة؛ لتدريبهم على اتقانها[٥]، وقد اتخذ أهل مصر من الخليج مكاناً للسباحة، فقد وصف الأسعد بن مماتي بعض النساء وهن يسبحن فيه، فقال: [٦]

خليج كالحسام له صقال ولكن فيه للرائي مسره

رأيت به الملاح تجيد عوماً كأنهم نجوماً في المجرة

* **المصارعة**: من الرياضات المهمة التي تسلى بها الناس في العصر الفاطمي، ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة بصحن خزف، يرجع الى العصر الفاطمي، قوام زخرفته رسوم تمثل صراعاً بين اثنين، يحيط بهما جمهور المتفرجين، حيث يغلب على بعضهم الحماس، الذي يتجلى من خلال ايماءات الأذرع[٧]. مما يشير إلى أن هذه اللعبة أصبحت من الأهمية بمكان، بدليل انها استحقت أن تكون موضوعاً تصويرياً على أناء يستعمل بكثرة في المنازل وغيرها.

وقد وصف الانطاكي (ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦م) مباراة مصارعة حضرها جمهور كبير، ومن شدة اندماج الناس في التشجيع لكل فريق، قام بينهم قتال؛ وقتل من الفريقين الكثير، وتطور الأمر إلى خلع ملابس المشاهدين، وكان يوماً سيئاً[٨].

* **المبارزة**: وهي لعبة المبارزة بالعصا، ويبدو أن هذه اللعبة كانت من الألعاب الشائعة، بدليل انها سجلت على آنية من الخزف، ترجع إلى العصر الفاطمي، يشاهد عليها رسم لرجلين يتبارزان بعصا[٩].

---

(١) السبكي، معيد، ص١١٤.
(٢) **اتعاظ**، ج١، ص٣٢١.
(٣) ابن سعيد، **النجوم**، ص٤٨.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج ٢ ، ص٣١٢
(٥) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٦-١١٧.
(٦) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج١، ص١٠١.
(٧) انظر الملاحق، لوحة (٢)
(٨) انظر **تاريخ**، ص٢٥٥.
(٩) انظر الملاحق، لوحة (٤٥).

* **الألعاب البهلوانية:**

لقد ضاعفت تيارات الهجرة المتوالية من المغرب إلى مصر، وبأعداد كبيرة، مـــن فـــرص التواصل الحضاري بين البلدين، فساهمت هذه الهجرات في نقل جزء من تراث المغـــرب إلـــى مصر، وشمل ذلك مختلف نواحي الحياة بما فيها الألعاب.

فقد وفد من المغرب إلى مصر مع مجيء الفاطميين إليها، جماعات من أهل برقة، عرفوا " بصبيان الخف"، كانوا يبدون فنوناً تذهل العين رؤيتها، فيركبون في مواكـــب الأعيـــاد، "علـــى خيول، فيركضون، وهم يتقلبون عليها، ويخرج الواحد من تحت إبط الفـــرس، وهـــو يـــركض، ويعود يركب من الجانب الآخر، ويعود وهو على حاله لا يتوقف، ولا يسقط منـــه شـــيء إلـــى الأرض، ومنهم يقف على ظهر الحصان، فيركض به، وهو واقف"(١).

كما مارست فرقة عرفت بـــ " النختبارية" ، ألعاباً بهلوانية(٢). ولا يستبعد أن أصـــول هـــذه الفرقة كانت مغربية، جلبها معهم الفاطميون إلى مصر، أسوه بفرقة صبيان الخف.

وكان أصحاب السماجة(٣) مغاربة، وفدوا إلى مصر مع مجيء المعز اليها عام (٣٦٢هـــ/ ٩٧٣م)(٤)، وكانوا يهزلون ليضحكوا الناس، حتى سموا " بالضاحكية"(٥).

وقد حظي السماجة باهتمام اجتماعي كبير، نظراً لدورهم في إدخال السرور علـــى النـــاس، فعند طوافهم بالاسواق " يتعطل الناس .. عن أشغالهم ومعايشهم، ويجتمع في الأسواق خلق كثير لنظرهم"(٦). وكان القائد معضاد الأسود " يضحك منهم (أي السماجة) ويستظرفهم"(٧).

وكان السماجة محط اهتمام الدولة، التي منحتهم حق ممارسه العابهم بحرية تامـــة، فكـــانوا يخرجون إلى الأسواق، ومعهم سجل قد كتب لهم " الا يعارض أحد منهم في ذهابه وعوده، وأن يعتمد إكرامهم وصيانتهم"(٨)، وكان لهم " جار ثقيل ورسوم كثيرة"(٩)

* **خيال الظل:-**

المقصود بخيال الظل، الصورة الظلية التي يعكسها الخيال المادي للشخوص من الدمى التـــي تقوم بالأدوار أمام الضوء الخلفي، فيشاهدها النظارة، وكأنها خيالات تتحرك أمامهم(١٠).

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٩٤.
(٢) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٩٨، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٥٥٦.
(٣) السماجة: أصحاب الأقنعة المضحكة. انظر دوزي، معجم، ص١١٥.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٧٧- ١٧٨.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧٧- ١٧٨.
(٦) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٤٢-٤٣، المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٥٦٤.
(٧) المقريزي، **المواعظ**، مج١، ص٥٦٤.
(٨) المصدر نفسه، مج١، ص٥٦٤.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص١٧٧-١٧٨.
(١٠) احمد تيمور، خيال، ص١٩-٢٠، ابراهيم حمادة، خيال، ص١٥-١٦.

كان للناس شغف بالخيال، حيث كانت له سوق رائجة في الأعياد، فكـان " النـاس بمـصر يخرجون في الأعياد، ويطوفون الشوارع بالخيال"[١]. وكانت دمى الخيال ترافق أسمطة الأعياد، فيذكر المقريزي في أحداث عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، أن نجيب الدولـة الجرجرائـي، حمـل " سماط العيد على العادة، وفيه مائتا قطعة من التماثيل السكر، وسبعة قصور كبار مـن الـسكر، وشق البلد بالخيال"[٢].

لقد روى الغزولي أن صلاح الدين، خلال توليه وزارة العاضد، أخرج من القصر الفـاطمي من " يعاني خيال الظل؛ ليفرجه للقاضي الفاضل، فقام القاضي الفاضل، فقال له صـلاح الـدين: إن كان حراماً فما تحضره، وكان حديث عهد بخدمته، قبل أن يلي السلطنة، فما آثـر أن يتكـدر عليه، فقعد إلى آخره، فلما انقضى ذلك، قال له السلطان: كيف رأيـت ذلـك؟ فقـال: موعظـة عظيمة؛ رأيت دولاً تمضي ما كأنها كانت، ودولاً تأتي"[٣].

ورواية الغزولي تدل على أن الخيال كان على نوعين: نوع جاد مفيد، يقدم الموعظة، حـاز على اعجاب القاضي الفاضل[٤]، ونوع هزلي ماجن، ويبدو أنه السائد، حتى أن القاضي الفاضـل لم يفترض وجود سواه.

رابعاً : الصيد:

لقد حظي الصيد بإهتمام اجتماعي كبير، فقد صورت المنتجات الفنية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، رسوماً لرحلات الصيد[٥]، ويعد ذلك انعكاساً لانتشار هوايـة الـصيد فـي المجتمـع المصري في العصر الفاطمي.

لقد تعددت الإشارات في المصادر التي تدل على ولع الناس بالصيد، فورد أن العزيز كان " جيد المعرفة بالخيل والجارح، محباً للصيد"[٦]. وكان الحاكم يركب " عـدة مـرار إلـى ناحيـة سردوس، وإلى بركة الجب، وإلى عين شمس، وحلوان، للصيد وغيره"[٧]. وذكر المقريزي فـي أحداث عام (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، أن الظاهر " ركب إلى الصيد بـسردوس وعـاد"[٨]. وكـان

---

(١) المسبحي، لطائف الحكمة، ص٥١٦.
(٢) **اتعاظ**، ج٢، ص٣٠.
(٣) مطالع، ج١، ص٧٨-٧٩.
(٤) عبد المنعم سلطان، المجتمع، ص٢٢٢، حسن، هبة الله، (١٩٨٣). الفنون الشعبية في مصر الاسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص٣٤.
(٥) انظر الملاحق، لوحة (١)، (٥)، (١١)، (١٧)، (٢٣)، (٤٧)، (٤٨)
(٦) القضاعي، عيون، ص٢٦٨، ابن ظافر الأزدي، **أخبار**، ج١، ص١٩٣.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٣.
(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٤.

الحافظ كثير الخروج للصيد[١]، وينزل إلى البحر، ويصيد السمك[٢]، وكان الآمر محباً للصيد كثير الخروج في رحلات خارج القاهرة لهذا الغرض[٣].

ويمكن أن يعزى ولع الناس بالصيد؛ إلى فوائده الصحية، " فللصيد فضائل جمة، وملاذ ممتعة، ومحاسن بينة، وخصائص في تهذيب النفس ونزاهتها، وجلالة المكاسب وطيبها كثيرة، به يستفاد النشاط والأريحية والمنافع الظاهرة والباطنة، والمران، والرياضة"[٤]. كما أن الصيد، كما يقول تميم بن المعز: [٥]

فيه ضرب من السياسة والعزم   وفيه للحزم عقد وحل

وقد اتخذ البعض من الصيد حرفة، فقد أشار المقريزي إلى حرفة الصياد، فروى في أحداث عام (١٤٠٢هـ/١٠١١م)، أن الصيادين جمعوا، وحلفوا أن لا يصطادوا سمكاً بغير قشر، ومن فعل ذلك ضربت رقبته[٦].

وقد رأى البعض في الصيد مجالاً للشهرة، وميداناً للتفاخر، فهذا تميم بن المعز يستعرض بطولاته في الصيد، ويفتخر بإراقته دماء الطيور التي اصطادها، ليظهر شجاعته وقوته[٧].

إن اهتمام الناس بالصيد في العصر الفاطمي، أدى إلى ازدهاره، فأصبح فناً قائماً بذاته، له أصول مستقرة، وقواعد معروفة، يؤكد ذلك ظهور التأليف في الصيد، فقد وضع ابن الحسين- بازيار[٨] الخليفة العزيز - كتاباً في تربية الجوارح، التي تستخدم في الصيد، أطلق عليه اسم " البيزرة"، أي علم أحوال الطيور الجارحة المستخدمة في الصيد[٩].

لقد كان للصيد أوقات معلومة، فقد كان الخروج للصيد عادة في الصباح الباكر، قبل أن تبكر الطيور من أعشاشها، والحيوانات من أوكارها[١٠].

وكانت تستخدم في الصيد الطيور الجارحة الضخمة، المدربة على الصيد كالباز[١١]، والصقر[١٢]. حيث ظهر على تحفة خزفية ترجع إلى العصر الفاطمي، بازيار يحمل على يده

---

(١) اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص٢٩٨- ٢٩٩.
(٢) ابن إياس، **بدائع**، ج١، ص٢٧٨.
(٣) ابو صالح الأرمني: **كنائس**، ص٦٥.
(٤) ابن الحسين، البيزرة، ص١٨.
(٥) **ديوان**، ص٣٥٥- ٣٥٦.
(٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٨١.
(٧) **ديوان**، ص٢٠-٢١.
(٨) البازيار: مدرب الحيوانات والطيور على الصيد. انظر القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٥٩-٦٠.
(٩) ابن الحسين، البيزرة، ص١٨.
(١٠) ابن قلاقس، **ديوان**، ج١، ص٢٧٨.
(١١) اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص٢٩٩.
(١٢) المصدر نفسه، ص٢٩٨- ٢٩٩.

صقر الصيد[١]، وظهر على تحفة أخرى شخص يمسك بباز، ويجري حوله كلبان[٢].

واستخدمت الكلاب المدربة للصيد[٣]، ويصف تميم بن المعز هذه الكلاب، بأنها مرفوعة الأنف، واسعة الأشداق، سريعة، تقهر الوحوش من شدة سرعتها [٤]. كما استخدمت الرماح للصيد، فقد ظهر على تحف خزفية رسم أشخاص يصطادون بالرمح[٥].

وقد اهتم الخلفاء بطيور الصيد وكلابها على اختلاف أنواعها، وعينوا لها من يقوم على خدمتها من البيازرة[٦]. وأن دور البيازرة في تدريب الحيوانات والطيور على الصيد، جعل لهم مكانة رفيعة في الدولة، فقد أجزلت الدولة العطاء لهم، فبلغت نفقات البيازرة خمسين ألف دينار سنوياً[٧]. وكتب الحاكم في عام (٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، أمانات لسائر البيازرة، أسوة بكبار خدم القصر[٨]. كما خصصت الدولة في عهد الآمر، حارة للبيازرة في القاهرة[٩].

خامسا: تربية الحيوانات: كان الناس مولعين بتربية الحيوانات؛ من أجل التفرج عليها، حيث جذبتهم اشكالها، يدل على ذلك حرص فناني العصر الفاطمي على تسجيل صور الحيوانات المحببة اليهم على منتجاتهم الفنية[١٠].

كان الميسورون من الناس ينشئون في بيوتهم حدائق للحيوانات، فيصف عمارة اليمني حديقة الحيوانات التي أنشأها بنو رزيك في قصورهم، ويسترعيه الزراف بخلقته الغريبة، التي تجمع بين الغزلان والنوق، فيقول: [١١]

فيها حدائق لم تجدها ديمة ... أبداً، ولا نبتت على وجه الثرى
والطير قد وقعت على أغصانها ... وثمارها لم تستطع أن تنقرا
لا تعدم الأبصار بين مروجها ... ليثاً، ولا ظبياً بوجرة أعفرا
وبها زرافات كأن رقابها ... في الطول ألوية تؤم العسكرا

وقد كان لدى الخلفاء ولع شديد بتربية الحيوانات، حتى أن الهدايا التي كانت تقدم اليهم كثيراً ما كانت تشتمل على حيوانات، فذكر المقريزي أنه وصلت للعزيز عام (٣٦٩هـ/٩٨٠م)،

---

(١) انظر الملاحق، لوحة (١١)
(٢) انظر الملاحق، لوحة (٥)
(٣) الانطاكي، **تاريخ**، ص٢٥٨.
(٤) **ديوان**، ص٢٣٩-٢٤٠.
(٥) انظر الملاحق، لوحة (١٧)، (٤٧)
(٦) ابن الحسين، البيزرة، ص١١١- ١١٢.
(٧) المصدر نفسه، ص١١١- ١١٢.
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٥٨- ٣٥٩.
(٩) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٧٢.
(١٠) انظر الملاحق، لوحة (٣٦)، (٣٧)، (٣٨)، (٣٩)، (٤٠)، (٤١).
(١١) النكت، ص١٠٣.

هدية من برقة فيها، مائتا فرس، ومائة بغل، وخمسمائة نجيب[١]، كما وصلت للظاهر عام (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) " هدية من أسوان، وهي عشرون فرساً، وثمانون بختياً .. وفهد وغنم نوبية، وأنياب فيلة"[٢]، وأهدى ملك الروم سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، هدايا جليلة للمستنصر من جملتها " دباب عظام"[٣].

وقد أنشأ الخلفاء اسطبلين في القاهرة؛ لحفظ دوابهم[٤]، التي أنشأوا لها المطاعم، وعينوا لها من يقوم على خدمتها، وجعلوا لهذه الحيوانات ديواناً خاصاً، كانت مهمة العاملين فيه الاشراف على تربية الدواب الخاصة بالخليفة، وتوفير المطاعم لها[٥].

ومما يدل على ما للحيوانات من أهمية، أن أصبح عرضها جزءاً من رسوم الخلافة الفاطمية، فكان يخصص بعض الوقت في المواكب الرسمية؛ لعرض الحيوانات، ففي موكب عيد الفطر كان يحضر متولي كل اصطبل، ويقوم بعرض دوابه أمام الخليفة وجيوشه، وكانت تلك الدواب تزين بأبهى زينة، فكانت تعرض " الوحوش بالأجلة الديباج، والدبيقي بقباب الذهب، والمناطق المذهبة" [٦]. وفي موكب صلاة الجمعة، كانت تعرض أمام الخليفة وعساكره " الفيل والزرافات"[٧].

وكان الناس يقضون بعض وقتهم في مشاهدة الحيوانات التي تقوم بالألعاب المضحكة، فيجد الكثير عند ذلك مجالاً للمتعة. فقد كان للحيوانات مروضين من مهامهم تدريب الحيوانات على الألعاب المضحكة، فذاع صيت المروض " الابزاري"، الذي كانت لديه مقدرة فائقة على تدريب الحيوانات على الألعاب المسلية، فكان يدرب القرود على صفع الخارجين على الدولة في موكب التشهير بهم، وكان العامة يحتشدون للفرجه على هذه القرود، وهم في قمة انبساطهم[٨].

سادساً: اللعب بالطيور: المقصود بالطيور هو الحمام الذي يألف السكنى في البيوت، وقد أصبح الاعتناء به، وتربيته في البيوت، هواية محببة لكثير من الناس تملأ عليهم فراغهم، وتشعرهم بلذة خاصة[٩].

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٩١.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٠.
(٣) ابن الزبير، الذخائر، ص٧٦-٧٧.
(٤) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٣٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٥٧، ٥١٨.
(٥) القلقشندي، **صبح**، ج٣، ص٢١٢.
(٦) ابن المأمون، **أخبار**، ص٨٤-٨٥، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٨٣.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج ٢، ص٣٠
(٨) ابن ظافر الأزدي، ج١، ص١٩٧.
(٩) الدميري، حياة الحيوان، ج١، ص٣٢٧.

وكان للطيور سوق في الفسطاط[١]، يتردد عليها أهل هذه الهواية، لشراء الطيور منها أو بيعها. وكان محبو اللعب بالطيور، يبذلون في سبيلها الأموال الطائلة، فذكر المقريزي - في أحداث عام (٤١٥ هـ/ ١٠٢٤م)- أن الظاهر " طلب الببغاء من الطيور، فحمل اليهم منها شيء كثير، فاتباع ما أحب بأوفر الأثمان"[٢]. وكان عند الظافر في قصر الروض ببغاء باهظة الثمن، بيضاء، تقرأ المعوذتين، وتستدعي كثيراً من الاستاذين بأسمائهم ونعوتهم[٣].

إن المنتجات الفنية التي ترجع إلى العصر الفاطمي، تدل على ولع الناس بالطيور، حيث حرص فنانو العصر الفاطمي على تسجيل صور الطيور المحببة اليهم على منتجاتهم الفنية، فقد ظهر على شريط منسوج يعود إلى العصر الفاطمي، رسوم طيور متقابلة[٤]. وقد نقش على أحد أزيار الماء التي تنسب إلى العصر الفاطمي رسم طاووس[٥]، وقد ظهر على مخطوط ورقي ملون ينسب إلى العصر الفاطمي، رسم ديك باللون الأحمر والأخضر والبني[٦]، وظهر على شريط من الحرير رسوم طيور داخل حلقات، ويعلوها كتابات تنسب إلى العصر الفاطمي[٧]، وظهر على طبق خزفي فاطمي رسم طائرين متدابرين بوجه آدمي[٨].

وكان العزيز يقضي بعض وقته في مشاهدة الطيور وهي تسابق بعضها، فكان يملك مجموعة من الطيور المدربة على السباق، وكذلك وزيره يعقوب بن كلس، وكانت تجري مباريات في السباق بين حمام الخليفة والوزير، وحدث أن سبق حمام الوزير - في إحدى السباقات - حمام الخليفة، وأراد أعداء ابن كلس استغلال الفرصة للطعن فيه لدى الخليفة، فكتبوا إلى العزيز أن الوزير قد اختار من كل صنف أعلاه، ولم يترك للخليفة الا أدناه حتى الحمام، فعندما بلغ هذا الأمر ابن كلس، كتب للخليفة:

قل لأمير المؤمنين الذي ... له العلى والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه ... لم يأت الا وله حاجب

فأعجب الخليفة العزيز بذكاء وزيره، وزال ما بنفسه منه[٩].

---

(١) المقريزي، **المواعظ**، مج٣، ص٧٢.
(٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢١.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٣.
(٤) انظر الملاحق، لوحة (٤٩)
(٥) انظر الملاحق، لوحة (٣٤)
(٦) انظر الملاحق، لوحة (٣٥)
(٧) انظر الملاحق، لوحة (٤٩)
(٨) انظر الملاحق، لوحة (١٤)
(٩) الغزولي، مطالع، ج٢، ص٢٦٠-٢٦١.

وإلى جانب الولع باللعب بالحمام، كان البعض مولعاً كذلك بتربية انواع أخرى من الطيور؛ من أجل مهارشتها ومناقرتها، كالديوك، فيجد الكثير عند ذلك مجالاً للمتعة وقضاء للوقت. فكانوا إذا أرادوا مهارشتها، جعلوا الواحد مقابل الآخر، فتبدأ هذه الديوك بالمهارشة، وقد ظهر على صحن خزفي فاطمي، رسم مهارشة الديوك(١).

سابعاً : **سباق الخيل**: إن الجري على الخيل، فيه فوائد صحية وحربية، لما فيه " من التمرن على القتال، والحذق فيه، ورياضة الأعضاء"(٢)، وذلك جعل الدولة الفاطمية تحرص على جعل عساكرها تتسابق على الخيول، فأصبح عرض الخيل جزءاً من رسوم الخلافة الفاطمية، فكان يخصص يوم قبل الموكب الرسمي؛ لعرض الخيل، يحضره الخليفة، وكبار رجال دولته، للتفرج على الخيول وهي تسابق بعضها(٣).

سابعا: الأسرة:

وجود الأسرة مرهون بالرباط الشرعي الذي يجمع بين الطرفين الزوج والزوجة. وكان تشجيع الزواج سياسة معمولاً بها، فقد كان متولي كتابة عقود الزواج، يلقي خطبة على الحاضرين، تحض على الزواج، وتبين أهميته(٤). وقد ورد في وثائق الجنيزة، رسالة كتبها شخص ارمل الى احد اقاربه في الفسطاط، يذكر فيها: أن القاضي اليهودي نسيم، كان يلومه يومياً، لكونه أعزباً بدون زوجة، وربما يتزوج نتيجة لهذا الالحاح، الا ان هذا الزواج سيكون ضد رغبته(٥). ولاهمية الزواج في المنظور الاجتماعي، فقد كان يدعى للبنت عند ولادتها بأن يكون لها بيت مبارك(٦).

كان الرجال حريصين على اختيار الزوجات المناسبات، اللواتي يحققن لهم الشرف، والمكانة الاجتماعية المرموقة، ولذلك كانوا يفضلون الحرائر على الجواري، فروى عمارة اليمني، ان الوزير ضرغام حضر دفن امرأة له ماتت، فسأله: أعندك حرة غيرها؟ فقال له: لا، فرد عليه " فلا خير في دار ليست فيها حرة مهيبة"(٧).

وقد وردت رسالة في وثائق الجنيزة، أرسلها أخ من المهدية بتونس إلى أخيه بمصر " يهود بن موسى"، يهنأه فيها على مصاهرته لخير الأسر، فقال له : " لقد أخذت ملحوظة من وصفك

---

(١) انظر الملاحق، لوحة (١٠)
(٢) السخاوي، القول التام في الرمي بالسهام، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ٢٤ ب.
(٣) ابن الطوير، **نزهة**، ص١٥٣- ١٥٤، المقريزي، **المواعظ**، مج٢، ص٤٦٧- ٤٦٨ انظر صورة فارس منطلق بفرسه، الملاحق، لوحة (٣٣)
(٤) القلقشندي، **صبح**، ج١، ص٣٠٠-٣٠١.
(٥) Goitein: op.cit., v.3, p48
(٦) Ibid, v.3, p.49
(٧) عمارة اليمني، النكت، ص١٤٧.

لزفافك السعيد والمبشر بالنجاح، وفهمت أن الله قد بارك لارتباطك بأكثر الناس شهرة، واولئك الذين يستطيع الإنسان أن يتباهى بهم في الشرق والغرب، فهذا لا يقدر بثمن، أكبر من الارض وما تملؤها، أشكر وسبح الرب الذي أعطاك الكثير، وجعلك مثل كبار بني اسرائيل ... وفي الحقيقة يجب ان تقول: ... الله ... يكمل ما أعطاه لك، ويجعل سعادتك دائمة، ويقويهم من خلالك، ويقويك من خلالهم، ويبارك كل منكما بالآخر..."[١].

وعندما هنأ عمارة اليمني الخليفة العاضد بمناسبة زواجه، من ابنة الصالح بن رزيك، لم ينس أن يشير إلى عائلتها الكبيرة، فهنأه قائلاً:[٢]

زانت قصورك بنت قصر لم تزل　　رحب الفناء بصادر أو وارد

وقد كان التكافؤ في زيجات الأشراف مطلوباً، ففي ضوء التمايز الاجتماعي بين الأشراف والعامة، فقد منعت الدولة الاشراف من التزواج من العامة، فكان على نقيب الاشراف الطالبيين أن " يحتاط في أمر المناكح (أي مناكح الطالبيين) ويصنها من العوام"[٣].

وأحياناً كان يتم تزويج البنات، وفقاً لمصالح شخصية، فقصد الصالح بن رزيك من تزورج ابنته للعاضد " أن يرزق منه ولداً، فيجتمع لبني رزيك الخلافة مع الملك" [٤].

وكان الشركاء يزوجون بناتهم لأحد شركائهم عندما يكون متمتعاً بحالة مالية جيدة، حتى تضمن العائلات زواج بناتها من الميسورين لمواجهة متطلبات الحياة، وكذلك لاتمام صفقة، او مصلحة معينة، أو لضمان المشاركة، والمحافظة على علاقة العمل[٥].

وكان الرجال يرغبون في الزواج من الفتاة صغيرة السن، ولذلك كان سن زواج الفتيات مبكراً[٦]، وجاء في عقود الزواج الواردة في وثائق الجنيزة، زواج فتيات دون سن البلوغ[٧].

كان الرجل إذا أراد الزواج، إما أن يكلف الخطابة، لتختار له فتاة صالحة يتخذها زوجه له، يكون قد سبق وأن وضع لها المواصفات الواجب توافرها فيها[٨]، وكان الرجال – في بعض الأحيان- يدخلون في سفارة الزواج لأصدقائهم[٩]. وقد يختار الرجل عروسه بنفسه، فقد ورد في

---

(١) Goitein: op.cit.,v.3, pp56-57
(٢) عمارة اليمني، النكت، ص ٢١٠
(٣) القلقشندي، **صبح**، ج٦، ص١١٣.
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٨٩.
(٥) Goitein: op.cit, v.3, p.90
(٦) Ibid: v.3, p71-72
(٧) Ibid: v.3, p.77
(٨) ابن دانيال الموصلي، طيف الخيال، ورقة ٣٠٤.
(٩) عمارة اليمني، النكت، ص١٤٧.

رساله في وثائق الجنيزة خطاب من أب لابنه يقترح عليه، أن يختار بين ثلاث بنات، كان الابن على معرفة بهن(١).

وقد كانت عادة زواج الأقارب متفشية في مصر بالعصر الفاطمي؛ لتقوية الروابط الاسرية، فمن المفضل زواج الأبناء من بنات عمهم أو خالهم، ومن الممكن أن تتزوج أخت الزوج أحد أشقاء الزوجة(٢).

ومن عادات الزواج، وجود ممثل للعروس، فكانت العروس بعدما تكون قد وافقت على العريس تختار ممثلاً لها، يقوم بالاتفاق أو تقريب وجهات النظر بين ما تطلبه، وما يطلبه العريس. وهذا يظهر من معظم اتفاقات عقود الزواج الواردة في وثائق الجنيزة، فقد كانت تشتمل على عبارات تشير إلى أن العروس قد اختارت فلان كممثل لها؛ لكي يفاوض ويتمم زواجها(٣).

ويكون الأب عادة هو الممثل، وفي حالة غياب الأب، كانت الأم عادة تقوم بترتيب الزواج لابنتها، وعندما يكون الأبوان متوفين كانت العمة أو الجدة- في الغالب- تقوم بترتيب الزواج(٤).

أما المرأة ذات الخبرة مثل الأرملة، أو المطلقة، فكانت تستطيع – كما تذكر الوثائق – أن تقوم بالتفاوض مع الزوج على متطلباتها، كما كانت تستطيع أن تقوم بكتابة عقد الزواج مع الزوج بنفسها، دون أن يكون هناك ممثل لها(٥).

كان الزواج يتم بكتابة عقد في حضور اثنين من الشهود على الأقل(٦)، تعطيهم الفتاة موافقتها على الزواج قبل كتابة العقد(٧)، ويتولى كتابة عقد الزواج أحد القضاة، أو الشهود، أو العدول، الذين يمنحهم القاضي حق ممارسة هذا العمل(٨). أما الخلفاء وكبار رجال الدولة، فإن قاضي القضاة بنفسه كان يتولى كتابة عقد الزواج لهم(٩).

ويشتمل عقد الزواج على بعض الالتزامات والحقوق بالنسبة للزوجين، كما يتم فيه تحديد يوم الزفاف، وقيمة الصداق(١٠). وقد تبين للباحثة من خلال دراستها لعقود الزواج الواردة في أوراق البردي، ووثائق الجنيزة، أن الصداق الذي يدفعه الزوج للزوجة، كان مقدماً، ومؤخراً(١١). ويقبض

---

(١) Goitein: op. cit, v.3, pp60-61.
(٢) Ibid, v.3, pp.40, 76
(٣) Ibid, v.3, p.72
(٤) Ibid: v.3, pp.72, 77, 84
(٥) Ibid: v.3, pp.72, 87-88
(٦) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص١٠٠- ١٠٣.
(٧) Goitein: op.cit, v.3, p.72
(٨) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٨٠- ٨١.
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٩٣.
(١٠) Goitein, op,cit, v.3, p69-70
(١١) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٩٦-١٠٠، ١٠٣، Goitein: op.cit., v.3, pp57, 77, 84

المقدم عند اتمام العقد[١]، أما المؤخر، فيدفع للمرأة على قسط أو أقساط في مواعيد محددة بعد الزواج[٢]؛ تيسيراً على الزوج الذي قد لا تسمح له أوضاعه المادية بدفع المهر دفعة واحدة. وفي حالات أخرى لا يدفع المؤخر للمرأة إلا في حالة طلاقها؛ وذلك لتأمين أوضاع المرأة المادية بعد طلاقها، وللحد من تعسف الزوج ضد الزوجة، بحيث يعيقه عن طلاقها دفع مؤخر صداقها، وذلك ما حدث مع أحد الشعراء المصريين، الذي جعله العوز ملولاً من زوجته، إلى حد دفعه إلى التفكير في طلاقها، ولم يثنه عن عزمه، سوى مؤخر صداقها، فقال:[٣]

ولــه زوجــة متــى نظرتــه ... حبلــت ليتهــا عجــوز عقــيم
ظــل فــي أســرها لأجــل كتــاب ... معلــم يقتــضى بــه المعلــوم
فهــو يــخشــى الطــلاق فقــداً... ....

ويتبين من عقود الزواج أن قيمة الصداق قد تفاوتت بتفاوت الاوضاع المادية للأزواج، ففي عقد زواج عقد عام (٤١٩هـ/ ١٠٢٨م) كان الصداق دينارين، دينار يقبض عند إتمام العقد، وهو بمثابة مقدم الصداق، والآخر مؤخر يدفع بعد انقضاء سنة واحدة على العقد[٤]. وفي عقد زواج آخر، كان الصداق ١٠ دينار مقدم، و٦٠ ديناراً مؤخر[٥].

وفي عقد زواج عقد بالفسطاط عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م)، حدد المقدم بمائة دينار، والمؤخر بمائة وخمسين ديناراً[٦]. وفي عقد زواج عقد عام (٥٤١هـ/ ١١٤٦م) كان المقدم ٤٠ ديناراً، والمؤخر ١٠٠ دينار[٧].

أما ما يمهره الخلفاء وكبار رجال الدولة؛ فقد كان كبيراً جداً، فعندما عقد العزيز قرانه على ابنة عمه سنة (٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)، أمهرها مائتي الف دينار ذهباً[٨]، وعندما عقد الآمر قرانه على السيدة علم الآمرية، أمهرها أربعة عشر ألف دينار[٩]. وبلغ مهر ابنتي القائد الحسين بن جوهر الف دينار[١٠]. وعندما عقد بلتكين قرانه على أخت كاتب السيدة العزيزية، أمهرها مائة ألف دينار[١١].

---

(١) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٩٦-٩٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٩٦-١٠٠، ١٠٣ Goitein: op.cit, v.3 p85
(٣) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٨.
(٤) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٩٦-٩٩.
(٥) Goitein: op.cit, v.3, p.77
(٦) Ibid: v.3, p.57
(٧) Ibid: v.3, p84
(٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٢٩٣.
(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢١.
(١٠) المصدر نفسه، ج١، ص٣٨٦.
(١١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٥.

ويتبين من وثائق الجنيزة، أن العريس كان يتكفل فضلاً عــن دفــع المهــر، بتــأمين دار الزوجية، وبتكاليف الزواج، مثل الاحتفال الذي يقام ليلة الدخلة، وتكاليف تزيين العروس في ليلة زفافها[١]، كما يتكفل العريس بتقديم هدية عقد القران، والتي عادة ما كانت تتكون من خــاتم، أو عدة خواتم[٢]. في حين تتكفل أسرة الزوجة بإعداد الجهاز اللازم للدار، فقد تعهد والد العــروس في عقد زواج – يرجع إلى العصر الفاطمي- بمستلزمات الفرش، وأدوات المطبخ[٣].

ولما كان الجهاز الذي تحمله العروس إلى دار الزوجية، تتوقف قيمته علــى المهــر الــذي يعطيه العريس للعروس، وعلى الإمكانات المالية لأسرة العروس – التي كان يقع عليهــا عــبء توفير قسم من الجهاز- فقد تفاوتت قيمته تبعاً لتفاوت الإمكانات المالية للزوجين، فبلــغ جهــاز بعض العرائس مائة دينار، واحتوى على أدوات الطعام المصنوعة من المعادن الثمينة، في حين كان جهاز بعض العرائس زهيداً، قلما توجد فيه ملابــس حريريــة، أو أدوات مــصنوعة مــن المعادن الثمينة[٤].

أما جهاز بنات العاملين في السلطة، فكان يساوي مبالغ باهظة، فقد جهز الوزير يعقوب بــن كلس ابنته بحوالي مائتي الف دينار[٥]. وجهز طلائع بن رزيك ابنتــه التــي زوجهــا للخليفــة العاضد، بجهاز لم يسمع بمثله[٦]، وقدر جهاز أخت كاتب السيدة العزيزية، بمائة الف دينار[٧].

أما الأقسام الرئيسية التي كان يشملها جهاز العروس، فتتكون من الملابس، والحلي، وفرش السرير ولوازمه، والأدوات المنزلية الأخرى[٨].

وبعد أن تنتهي العروس من إعداد الجهاز، تبدأ الاستعدادات للاحتفال بالزواج في حفــل عــام. وكان الاحتفال بالزواج شيئاً أساسياً لكل العائلات، وتختلف مظاهر الحفل من أســرة إلــى أخــرى، حسب مستوى الدخل. فكان حفل العرس بالنسبة للفقراء يقام في منزل العروس[٩]. أمــا المترفــون، فكانت حفلات أعراسهم تقام في دور مخصصة لإقامة حفلات الزفــاف، يؤجرهــا ملاكهــا بمبــالغ كبيرة[١٠]، وبعد أن يتكامل عدد المدعوين في هذه الدور، تقدم إليهم الأسمطة الشهية[١١].

---

(١) Goitein: op.cit, v.3, pp70-71, 77
(٢) Ibid, v.3, pp 70-71
(٣) Ibid, v.3, p85
(٤) Ashtor, Histoire des prix et des salaries dans L'orient medievale, p.165
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٢.
(٦) ابن سعيد، **النجوم**، ص٤٦١.
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٥.
(٨) Goitein: op.cit, v.3, p.129
(٩) الشربيني، هز القحوف، ص٩-١٠.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٠٧-٢٠٨.
(١١) Goitein: op.cit, v.3, p114

وكانت هذه الدور تقسم إلى قسمين، قسم للرجال، وقسم للنساء، يحتفل كل منهم على إنفراد، حيث تشير وثائق الجنيزة، إلى أن المآدب في هذه الدور كانت تقام للرجال والنساء بقاعتين مختلفتين[(١)].

وكانت العروس تذهب في يوم الزفاف إلى البلانة، التي تقوم بإعدادها اعداداً كاملاً لتلك الليلة، فتدلك جسمها جيداً، وتزيل منه الزائد من الشعر[(٢)]. وبعد انتهاء دور البلانة من عملها يبدأ دور الماشطة، فتأتي إلى العروس، ومعها أصناف كثيرة من الزينة، وتقوم بعمل اللازم لتجميل العروس، وتكحيلها، وتمشيطها[(٣)]، والباسها أفخر الثياب، وتضع على رأسها تاجا مرصعا بالجواهر[(٤)]. والعرائس اللائي يندرجن ضمن فقراء العامة يستعرن الثياب والحلي[(٥)].

وكان العريس يذهب في يوم الزفاف إلى الحمام، في صحبة أصدقائه، ويقوم الحلاق بحلاقة شعره، وتهذيب لحيته وتزيينه، استعداداً لحفلة الزفاف[(٦)]، ويلبس العريس ملابس فاخرة[(٧)].

وكانت العروس تزف في هودج[(٨)]، ويطاف بها في شوارع المدينة، وأسواقها، وسط ضجيج الطبول والزمور[(٩)]، وكانت تجلس في مكان الاحتفال على دكة عالية بمفردها، بحيث تصل اليها أنظار الحاضرات[(١٠)]، وهي في أبهى زينة، وأجمل ثياب، وقد التف حولها أفراد أسرتها، والمدعوات[(١١)].

وكانوا يدورون بالعريس في الشوارع، والطبول تدق من حوله، والشعراء والمغنون حوله " والجدعان تخبط بالنبابيت"[(١٢)]، ولا يزالوان به حتى يصل إلى دار العروس مصحوباً بأفراد عائلته، وأصدقائه. ويكون في صحبة العروس أيضاً عائلتها وصديقاتها[(١٣)]، فيقام حفل صاخب، يشترك فيه أصحاب الرباب، والنساء يزغردن، وينشرن الملح على العروس، خوفاً من عين

---

(١) Goitein: op.cit: v.3, p114
(٢) الشيزري، **نهاية**، ص١١٢.
(٣) العيني، عقد الجمان، ص ٥٠٧.
(٤) Neufeld: op.cit, p.149
(٥) العيني، عقد الجمان، ص ٥٠٧.
(٦) Goitein: op.cit, v.3, p.56
(٧) Neufeld: op.cit, p.149
(٨) الهودج: من مراكب النساء، انظر الفيروز آبادي القاموس، ص١٢٠٩. انظر شكل الهودج، الملاحق، لوحة (٥٢)
(٩) ابو صالح الأرمني، **تاريخ**، ص١٢٩.
(١٠) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٠٧.
(١١) Heufeld: op.cit, p.149
(١٢) الشربيني، هز القحوف، ص٩-١٠.
(١٣) Neufeld: op.cit,p.149

الحسود[١]. ثم يأخذ العريس عروسه إلى منزله، وسط هذا الحشد، في زفة تـضيئها الفـوانيس، وتصحبها الموسيقى والأغاني [٢].

وتتبلور متانة الأسرة بعد الزواج بمجيء الأولاد. ويبدو أن كثرة الأولاد لم تكن من الأمور المرغوبة، ولذلك كان تنظيم النسل شائعاً في العصر الفاطمي، وربما أصـبح يكـرس ظـاهرة اجتماعية، دفعت المحتسب إلى أخذ العهد على الأطباء أن " لا يذكروا للنساء الدواء الذي يـسقط الأجنة، ولا للرجال الدواء الذي يقطع النسل"[٣].

وقد تتضاءل الفرحة بالانجاب لدى البعض بازدياد عدد الاولاد، وضيق ذات اليد، فيتمنـون عقم الزوجة، يعبر عن ذلك احد الشعراء المصريين، فيقول:[٤]

ولـــه زوجـــة متـــى نظرتـــه	حبلـــت ليتهـــا عجـــوز عقـــيم

ويشتكى ظافر الحداد من كثرة العيال وسوء الحال، فيقول: [٥]

وتكـــاثر الأطفـــال فـــاق تجلـــدي	لكننـــي كـــم قـــدر مـــا أتجلـــد
فكأننـــا لبكـــائهم فـــي مـــأتم	طول الزمـــان ومـــا لنـــا مـــن نفقـــد

ولما كانت رؤية الناس لأهمية الزواج تنبع من وجود الابنـاء؛ " لتعميـر الـديار، وإدراك الثأر، ومورد ضد الفاقة والعوز" [٦]، فقد كان الناس يفضلون المولود الذكر على الأنثـى، فـإذا جاء المولود ذكراً عمت الفرحة، وأغدق الجميع علـى الأم الهـدايا، وأصـبحت أثيـرة لـدى زوجها[٧]. ويتضح تفضيل الناس المولود الذكر على الأنثى، في خطاب ورد في وثائق الجنيـزة، أرسله أخ إلى أخيه بمصر " يهود بن موسى بن سيغمار"، عندما وصل إلى علمه أنه قد تـزوج في مصر، فبعد أن هنأه بزواجه، قال له: " الله يكمل ما أعطاه لك، ويجعـل سـعادتك دائمـة، ويبارك كل منكما بالآخر، وربما يباركك بولد ذكر.." [٨]

ويلاحظ أن الإحتفال بالمواليد كان قاصراً على المولود الذكر، إذ لم يرد مـا يـشير إلـى احتفالات خاصة بالمواليد الإناث، ويؤكد ذلك فرحة الناس بالمولود الذكر أكثر من الانثى. فكـان من عادة الخلفاء عندما يرزقون بولد ذكر، الجلوس في اليوم السابع للمولود في ايـوان القـصر،

---

(١) Goitein, op.cit, v.3, p70.
(٢) Ibid, v.3, p70
(٣) الشيزري، نهايه، ص٩٨.
(٤) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٨.
(٥) **ديوان**، ص١٨٠.
(٦) ابن دانيال، طيف الخيال، ورقة ١٦٤.
(٧) المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص٣٤٢.
(٨) Goitein: op.cit, v.3, pp56-57.

ويقيمون إحتفالاً عظيماً بهذه المناسبة(١). وقد وصف ناصر خسرو مظاهر الاحتفال العام بمولود للخليفة المستنصر، فقال: أن الخليفة المستنصر عندما رزق بمولود عام (٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م)، " أمر الناس بإقامة الأفراح، فزينت المدينة، والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد الناس صحة ما أقول، ولما صدقوني"(٢).

ويمكن القول أن سرور الخلفاء بالمولود الذكر، يعزى إلى دوره في تأمين سلطانهم، وبقاء السلطة في نسلهم، حيث كان الذكر يتولى منصب ولي العهد في بعض الأحيان.

وقد تضم العائلة فضلاً عن الزوجين والأولاد – حسبما ورد في وثائق الجنيزة – الجد والجدة، والبنت المطلقة، والحماة، والابن وزوجته. وقد يضم البيت زوجتين، (ضرتين)(٣) ويبدو أن تعدد الزوجات لم يكن من الأمور المستحسنة، ولهذا كان الخليفة المعز يحث حاشيته وأعوانه على عدم الاستكثار من النساء، والاكتفاء بزوجة واحدة، فخاطبهم قائلا: " الزموا الواحدة التي تكون لكم، ولا تشرهوا إلى التكثير منهن، والرغبة فيهن، فيتنغص عيشكم، وتعود المضرة عليكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكم، فحسب الرجل الواحد الواحدة"(٤).

ومن الطبيعي أن يكون تعدد الزوجات من الأمور المتعبة للرجل، فعليه أن يرضيهن جميعاً، وكان الرجل إذا تزوج أكثر من واحدة، فكل امرأة تصبح بالنسبة للأخرى (ضرة)، وعند ذلك تشتد بينهن العداوة، وعداوة الضرائر من الأمور المشهورة؛ لذلك يقال للناس الذين تشتد عدواتهم، " كأن بينهم منافسة الضرائر"(٥).

كان الأب يتحمل مسؤولية الأسرة كرب لها في كل ما يخص بيته، وأولاده، فهو المسؤول عن توفير سبل العيش الكريم لأسرته(٦). الا أن سلطة الأم داخل أسرتها – على ما يبدو – فاقت سلطة الأب، حيث كانت غلبة النساء على الرجال في العصر الفاطمي أمراً مسلماً به، " فغلب النساء الرجال على الخروج"(٧). وقد كانت الأم في حالات عديدة هي المسؤولة عن اختيار التعليم لابنائها، وليس الأب(٨).

---

(١) ابن ميسر **أخبار**، ص١٠٩، المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص٢٢٤.
(٢) **سفرنامة**، ص١١٧.
(٣) Goitein: op.cit, v,3, p.33-47
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص١٧٢.
(٥) عمارة اليمني، النكت، ص١٤٧-١٤٨.
(٦) Goitein: op.cit, v.3, pp33-47, 72
(٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٤٨.
(٨) Goitein: op.cit, p.185, v.3, p.246

وقد تعبر الشروط القوية التي كانت تفرضها المرأة على الزوج في عقود الزواج[١]، عن موقعها داخل أسرتها. وأن الدعوة في المجالس الدينية إلى تكريم الأم، والبر بها[٢]، تدل على مكانة الام داخل اسرتها.

وقد إستمدت المرأة مكانتها في أسرتها، من دورها الفاعل في بيتها، حيث كانت تقوم بالأعمال المنزلية في نطاق أسرتها كربة بيت، وتقوم بأعمال عديدة خارج نطاق اسرتها؛ لتأمين حياة كريمة لعائلتها[٣]. ويقع على عاتقها دور كبير حين يسافر زوجها خارج البلاد، أو اذا طلب للحرب، فكانت تقوم بمهام كثيرة، فتدير المنزل، وتنظم، وتبيع، وتشتري، وتغزل، وتنسج[٤].

لقد عكست بعض الروايات التاريخية والأشعار، الصلات الحميمة بين الزوج، وزوجته، وما جعل الله بينهما من مودة ورحمة. فقد حزن الخليفة العزيز على وفاة زوجته حزناً كبيراً، ولشدة تعلقه بها كان يزور قبرها كثيراً [٥].

ومن الأزواج الذين عرفوا بحبهم لزوجاتهم، الخليفة الآمر، فروى المقريزي أن زوجته غضبت عليه حينما وهب غلاميه ثمانين الف دينار، ولم يخصها بما خصهما، فمنعته أن يدخل عليها القصر، الا حينما يهبها ما وهبه للغلامين، ولم يلبث الآمر أن حقق لها مطلبها، فأحضر الفراشين، وأرسل لها معهم مائتي الف دينار ذهب، ولما صار اليها هذا المال رضيت عنه، وفتحت له باب القصر[٦]. وقد ارتبط ابو الحسن الكاتب البزاز بزوجته ارتباطاً كبيراً، فحين توفيت حزن عليها حزنا كبيرا[٧].

وقد تعلق المؤرخ المسبحي بزوجته أيما تعلق، فرثاها قائلاً:[٨]

وقد حكمت أيدي المنايا بجورها ... وقد سلبت من كان في القلب يودع
فيا ليتني للموت قدمت قبلها ... والا فليت الموت أذهبنا معا

وهذا عمارة اليمني في رثاء زوجه، يصحو على حزنه وآلامه عند السحر، ويصف الوحشة التي خلفتها الزوجة برحيلها، فأضحت الديار مقفرة، موحشة بعد أن كان الانس يملؤها، فيقول:[٩]

---

(١) حول هذه الشروط، انظر ص ١٤٩ من الأطروحة.
(٢) ال**مجالس** المستنصرية، ص٨٣.
(٣) حول الاعمال التي مارستها المرأة خارج أسرتها، انظر ص ١٤٩-١٥١ من الأطروحة.
(٤) Goitein: op. cit, v.3, p.319
(٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢١.
(٧) المسبحي، **أخبار**، ج٤٠، ص٢٢٤.
(٨) المصدر نفسه، ج٤٠، ص١٧، الصفدي، الوافي، ج٤، ص٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص٢٩.
(٩) عمارة اليمني، النكت، ص٣٧٧.

نبهتني حمامة بسحير عند تغريدها على الأغصان
زدت هماً بنوحها فوق همي واعتراني حزن على أحزاني
وخلت بعدها الديار فأضحت موطناً للذئاب والغربان
بعد عهدي بها أنيسة رسم فرمتها المنون بالشنان

وتعد الهدايا التي كان يرسلها الأزواج إلى زوجاتهم في القاهرة، أثناء سفرهم[١]، صورة أخرى من صور الوفاء للزوجة.

والحياة الزوجية لا تدور في فلك الحب والانسجام دائماً، وانما قد يتخلل هذه العلاقة شيء من الفتور، قد يصل إلى الخلاف فالخصام. وربما كان أقوى الاسباب في وجود المشاكل الزوجية، هو اتخاذ الرجل جارية للتسري، وتركه حقوق زوجته، فقد استطاعت بعض الجواري استمالة الازواج اليهن، وجذبهم، والايقاع بهم في حبائلهن، فوردت في رسائل الجنيزة أمثلة عديدة على ترك الازواج لزوجاتهم وأطفالهم، بسبب حبهم للجواري[٢]، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث مشاكل بين الأزواج، فروى عمارة اليمني أن رجلاً مصرياً أهدى اليه جارية؛ بسبب ما جرى بينه وبين زوجته من شر عليها[٣].

وقد تحدث المشاكل الزوجية؛ نتيجة لطمع الزوج بأموال الزوجة، أو تصرف المرأة بأموال زوجها دون علمه[٤]. وقد تحصل الخصومة بين الزوجين؛ نتيجة لصعوبة تكاليف المعيشة، التي تضطر الزوج إلى التقتير، وعدم إعطاء أهله ما يكفيهم، مما يدفع المرأة أن تلجأ إلى القضاء؛ للحصول على نفقة من زوجها الممتنع عن الانفاق عليها، وعلى أولادها[٥].

أما إذ استحال ايجاد وفاق بين الزوجين فإنهما يلجآن إلى الطلاق[٦]، وقد كانت المرأة تلجأ إلى طلب الطلاق حين تعرضها للضرب، أو نهب أموالها من قبل الزوج[٧].

وكانت ثمة عواطف رقيقة نحو البنوة، فمحبة الابناء على علاتهم طبيعة فطر الله الناس عليها، يعبر عن هذه الحقيقة أحد الشعراء المصريين بقوله:[٨]

لا فرق بينكم وبين فؤادي في حال قربي منكم وبعادي
فلقد حببتكم على علاتكم كمحبة الآباء للأولاد

---

(١) Goitein, New light on the begining of the Karim Merchants, JEsHo1, 1958, p.179
(٢) Goitein: op. cit, v.1, pp.135- 136.
(٣) عمارة اليمني، النكت، ص١٤٤.
(٤) Goitein, op.cit, v.3, p.187
(٥) Ibid, v.2, p.174
(٦) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص١٠٠-١٠٣.
(٧) Goitein: op.cit, v.3, p.187
(٨) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج٢، ص١.

وخير من وصف عواطف الأبوة، وحنانها تلقاء الولد، الشاعر ظافر الحداد، فكان يتوسل إلى من يمدحهم بإثارة عاطفة الأبوة، وهي عاطفة تقوم على اثارة نوازع الرحمة والشفقة، فأخذ يعدد لممدوحه عدد اولاده، ويشكو عسر حالهم، وضيق أمرهم، وأنهم لا يريحهم من ذلك العناء الذي هم فيه الا عطاء الممدوح:(١)

ولي حاجة يرضى بها الله اولا ... وفيها ثناء شائع ومديح
فلي عيلة عشر، وجاري خمسة ... وباطن احوالي بذاك قبيح
وأحوالهم في فرط عسر وضيقة ... وليس لهم الانداك مريح

وفي شكوى أخرى لأحد ممدوحيه من الأمراء، يزداد صراخه من كثرة العيال، وسوء الحال، وخوف المآل، فيقول:(٢)

مولاي قد أوليت عبدك نعمة ... فله عليك بها ثناء سرمد
والآن قد أضحت حواشي حاله ... هدبا فلا ترضى، ولا هي تعقد
وتكاثر الاطفال فاق تجلدي ... لكنني كم قدر ما اتجلد
فكأننا لبكائهم في مأتم ... طول الزمان وما لنا من نفقد

ومن مظاهر حب الأب لابنته، تزينها والباسها أحسن اللباس وأغلاه عند الزواج، حتى ترتفع في عين زوجها وأهله، ففي عقد زواج ورد في اوراق الجنيزة، تعهد فيه الأب بأن يعطي للعروس، وكانت ابنته الكبرى، الملابس الخاصة بزوجته المتوفية، والمجوهرات، وذلك بعد أن يقسمها مع أختها الصغرى، كما تعهد بمستلزمات الفرش، وقد قيمت هذه الهدايا بين (٤٠ و ٥٠ ديناراً)، كذلك تعهد الأب أن يعطى العروس – ابنته – نحاسا قدر بنفس القيمة(٣).

وقد جهز يعقوب بن كلس ابنته بجهاز عظيم، قدر ثمنه بمائتي الف دينار(٤)، وجهز بدر الجمالي ابنته " بجهاز عظيم، وأكثر من شراء الجواهر القيمة القدر لها"(٥). كما نقل طلائع بن رزيك جهازاً مع ابنته – التي زوجها للعاضد – لم يسمع بمثله(٦).

ومن مظاهر المودة بين الآباء وأبنائهم، سرورهم بزواجهم، فقد كان ابتهاج بدر الجمالي بزواج ولده عظيماً؛ فتعبيرا عن فرحته بهذه المناسبة، نثر الاموال الجليلة على الناس، وقد أشار ظافر الحداد إلى ذلك في قوله:(٧)

---

(١) **ديوان**، ص٩٩-١٠٠.
(٢) **ديوان**، ص١٠١ – ١٠٢.
(٣) Goitein: op.cit, v.3, p.85
(٤) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص٣٠٢.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٢.
(٦) ابن سعيد، **النجوم**، ص٤٦١.
(٧) ظافر الحداد، **ديوان**، ص٩٩-١٠٠.

فتحــت للنــاس أبــواب الــسرور بــه فالعرس فــي كــل قلــب غيــر مختــصر
نثــرت للنــاس مــن عــين ومــن ورق فيــه فلــم يبــق مــن لــم يحــظ بالبــدر

وكان سرور القاضي محمد بن النعمان بزواج ابنته كبيراً، فقام تعبيراً عن فرحته بزواجها؛ بإطعام الناس ثلاثة أيام متوالية(١).

ومن علامات عطف الأب على أبنائه، تحمله مسؤوليتهم حتى بعد أن يكبروا، فقد ورد فـي وثائق الجنيزة، أن بعض الآباء كانوا يبنون لابنائهم بيوتا ملائمة ليتزوجوا فيها، وأحيانـاً كـان الأب يبني لابنته أيضاً، وليس لابنه الذكر فقط(٢).

ومن مظاهر حب الآباء لابنائهم الحزن عليهم، والجزع لفقدهم، فعمارة اليمني يرثـي ولـده حسيناً بدمع غزير، وقلب ملوع، فقد كان مؤنسه، وعدته، وبه كان سيصول، ويجول، فـإذا بـه صفر اليدين:(٣)

الــدمع يهمــل والفــؤاد عليــل والقلــب فــي غمراتــه متبــول
ولقــد أبيــت وفــي حــشائي جمــره متــأجج بــالحر لــيس يــزول
من فقد طفــل كــان لــي ومؤنــسي وبــه علــى الأيــام كنــت أصــول

إن عاطفة الأبوة التي تجيش في صدر أسامة بن منقذ، جعلته يفزع من تلك الحجارة التـي أهيلت على جسد ابنه، وكان أكثر ما يثير جراحه زيارة قبر ابنه ابي بكر(٤).

واعتنت الام بأبنائها عناية كبيرة، فكانت تحرص على تعليمهم(٥)، فترسلهم إلـى الكتاتيـب، واعتنت باكسابهم بعض المهارات، فكانت تعهد بهم إلى بعض معلمي السباحة؛ لتـدريبهم علـى اتقانها(٦).

وكان للأم دور فاعل في الحفاظ على سلطان ولدها، فعندما وقع تشكك في أحقية المـستعلي للخلافة من قبل الفرقة النزارية، سعت أم المستعلي الى اثبات احقية ابنها بالخلافة دون اخوتـه، فكتبت سجلاً شرحت فيه كيفية اختيار المستعلي دون اخوته، وارسلته الى البلاد التابعة للخلافـة الفاطمية(٧).

ومن الامهات اللواتي عرفن بحرصهن على أولادهن، أم الوزير الافضل بن بدر الجمـالي، فعندما كان ابنها غائباً عن القاهرة في مهمة القضاء على ثورة نزار، وأعوانه في الاسكندرية،

---

(١) المقريزي، **المقفى**، ج٧، ص٣٤٨.
(٢) Goitein: op.cit., v.3, p.38
(٣) عمارة اليمني، النكت، ص٣٢٩.
(٤) أسامة بن منقذ، **ديوان**، ص٢٩٨-٢٩٩.
(٥) Goitein: op.cit,v.2, p185 v.3, p.240
(٦) ابن الطوير، **نزهة**، ص١١٦-١١٧.
(٧) السجلات المستنصرية، ص١٠٩-١١٨.

كانت تندس بين الناس في الاسواق، والجوامع، وهي متنكرة، وتلقي على أسماع الناس ذماً في الأفضل، مدعية أن لها ابناً في جيشه تخشى عليه من الحرب، وتستمع إلى ما يعلق به السامعون، ولما عاد الأفضل بعد انتصاره، نقلت اليه ما كان يقال عنه، وانتقم الأفضل من الذين قدحوا فيه، وأحسن إلى من قال فيه خيراً[١].

وكانت العلاقة بين الابناء ووالديهم، تقوم على المودة والاحترام، فكانت المجالس الدينية تدعو الى تكريم الأم والبر بها[٢]، وكان الابناء يحترمون أمهم، فيقبلون يديها، وينادونها " سيدتي"[٣].

ومن مظاهر حب البنت لوالديها، خوفها عليهم، فعند زواجها، وفي حالة كبر سن أمها وأبيها، وعدم وجود من يرعاهم، كانت - أحياناً - تشترط على الزوج في عقد الزواج العيش في منزل عائلتها، لرعاية والديها؛ نظراً لكبر سنهم[٤]. وكانت البنت تشترط – أحياناً - على زوجها في عقد الزواج، ألا يمنعها من زيارة أهلها، ولا يمنع أهلها من زيارتها[٥]. وكان تعلق بعض الابناء بأمهاتهم سبباً في اشتراطهم على زوجاتهم في عقود الزواج، أن يعشن مع أمهاتهم في دار واحدة[٦].

ويظهر الترابط بين الابن وأبيه واضحاً، في تبادل المسؤوليات، والأعمال بينهما، فكان الابن – كما تشير وثائق الجنيزة- غالبا ما يعمل في تجارة أبيه، أو وظيفته[٧].

ومن مظاهر حب الأبناء لوالديهم؛ الحزن عليهم، والجزع لفقدهم، حتى أن احد الابناء- كما تشير وثائق الجنيزة – مات حزناً على وفاة أمه[٨]. وقد حزنت ابنة الخليفة العزيز على وفاة أمها حزناً عظيماً، وأقامت عند قبرها شهراً تقيم العزاء[٩].

ورأى المسبحي في موت أبيه خطباً عظيماً، جاء به الزمان، فرثاه قائلاً:[١٠]

خطب ألم من الزمان عظيم　　　فالدمع سح للمصاب سجوم

أما تميم بن المعز، فلا يرى للحياة معنى، ولا جمالاً بعد فقد أبيه:[١١]

فليذق غيري الحياة فإني　　　لا أرى للحياة بعدك طيبا

---

(١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ١٥٥- ١٥٦.
(٢) ال**مجالس** المستنصرية، ص٨٣.
(٣) Goitein: op.cit., v.3, p.240
(٤) Ibid: v.3, p.90
(٥) جروهمان، **أوراق**، ج١، ص٧٣، ٧٨، ٨٩، ٩٧.
(٦) Goitein: op.cit, v.3, p86
(٧) Ibid: v.3, p40
(٨) Ibid., v.3, p22
(٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص
(١٠) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٢٦٥.
(١١) تميم بن المعز، **ديوان**، ص٥٧.

كانت العلاقة بين الاخوة تقوم على الاحترام، يدل على ذلك شيوع عادة تقبيل يد الاخ الأكبر[١]. وكانت الروابط بين الاخوة متينة، فعندما تحدث مشادة بين الاخ وأخيه، يتراجع أحدهما، معلناً تمسكه بالآخر[٢].

إن صدق العاطفة عند الأخ تجاه أخيه، تبدو جلية في شعر الرثاء، والذي يبين حالة اليأس والحسرة التي يصل اليها الأخ الذي فقد أخاه، فقد بكى تميم بن المعز أخاه الشاب عقيل، فقال:[٣]

فسأبكيك ياعقيل بقلب فيه من حزنه عليك سعير

وهذا القاضي الفاضل، يستعيد بأسى ذكرياته مع أخيه، حين كانا يتخاصمان، فيصد عنه، فليته يعود، ويعود معه ذلك الخصام، الذي أضحى حبيباً إلى قلبه، يقول:[٤]

وكان أجل الخطب عندي صده فمن لي؟ وطوبى لو رجعت إلى الصد

وكان تعلق بعض الاخوة بإخوانهم، سبباً في اشتراطهم على زوجاتهم في عقود الزواج، أن يعشن مع امهاتهم، واخوانهم في دار واحدة[٥].

ومن مظاهر حرص الأخ على اخيه، تقديم المساعدة المادية له، فقد بلغ من توالي إنعام الخليفة العزيز على أخيه تميم بن المعز، أن تميماً كاد يدركه الافحام من لطائف بره به، حتى عبر عن ذلك بقوله:[٦]

أفحمتني بلطيف البر منك فما ادري بأي مكافأة أكافيكا
حارت براعة فهمي فيك فانحصر عن وصف معنى وحيد من معانيكا

كما كانت علاقة الأخت بأخيها متينة، فكانت عندما تتزوج، أو تلد يقوم اخوها بمجاملتها، باعطائها بعض النقود " كنقوط" لهذه المناسبة[٧]. وكان الأخ يتكفل بأخته عند وفاة والديه، ولا يطمع في ارثها، وعندما يقسمان الارث يكتبان اقرارا بأن كل منهما اخذ حقه، وأنهما اقتسما ميراثهما حسب شريعة الله سبحانه وتعالى، ويشهدان الشهود على ذلك[٨].

وقد تعلق المستنصر بأخته أيما تعلق، فكان يطلعها على أمور الدولة، فقد استدعاها قبيل وفاته، وقبل يديها، واستوصاها بولاية العهد لابنه المستعلي[٩].

---

(١) Goitein: op.cit, v.3, p18
(٢) Ibid: v.3, p15.
(٣) تميم بن المعز، **ديوان**، ص٢٨٨.
(٤) القاضي الفاضل، **ديوان**، ج٢، ص٣٩٢.
(٥) Goitein: op.cit, v.3, p86
(٦) تميم بن المعز، **ديوان**، ص٨٥.
(٧) Goitein: op.cit, v.3, p22
(٨) جروهمان، **أوراق**، ج٦، ص١٩٧-١٩٩.
(٩) ابن ميسر، **أخبار**، ص١٠٠-١٠١.

ان عاطفة الاخوة التي تجيش في صدر أخت الظافر، جعلتها تسعى فور مقتل أخيها الظافر، للثأر من قتلته، فاستنجدت لتحقيق ذلك، بطلائع بن رزيك، وبالفرنج[١].

(١) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج٣، ص٤٠٠، رنسيمان، **تاريخ**ج٢، ص٥٩١.

الخاتمة

توصلت الباحثة من خلال دراستها للحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة في العصر الفاطمي، إلـى النتائج التالية:

* اختير موقع القاهرة؛ لاعتبارات اقتصادية وعسكرية، فروعي وقوعه على طـرق التجـارة، وهذا يوفر التمويل اللازم للجند، وللناس. وشكل جبل المقطم وخليج القاهرة في الموقـع موانـع طبيعية أمام أية هجمات خارجية.

* يتضح التكامل بين أسباب إنشاء المدينة وتخطيطها ، فيلاحظ من التخطيط العناية بالتحـصين؛ إذ إنّ المدينة بنيت لتكون حصناً للفاطميين، وأنصارهم يحتمون بها من الأعداء؛ ولأجـل ذلـك شيدت للمدينة الأسوار التي تضمن لها الأمن والحماية.

* كان القصر الشرقي والجوامع محاور أساسية ثابتة في التخطيط، قامت مباني المدينة حولهما.

* تخلصت القاهرة من محتواها السكاني الطبقي، وفقدت مكانتها كمدينة " رسـمية" مخصـصة للخاصة بعد أن أباح بدر الجمالي – عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) – للمدنيين على اختلاف طبقـاتهم بسكانها. فجمعت حينئذ بين التحصينات العسكرية، والأغراض المدنية، وصارت مركز التكتـل للكثافة السكانية بعد أن كانت الفسطاط تمثل ذلك.

* لم يكن النمو العمراني للقاهرة عملية متصلة، فثمة فترات متناوبة من النمو والتقلص عاشـتها المدينة، توقفت على الظروف السياسية، أو الاقتصادية التي سادت بها.

* كان العصب الرئيس لسكان القاهرة عند تأسيسها من حيث العدد والمكانة من العسكر؛ لانهـا بنيت لتكون مركزا للخليفة والقوة العسكرية التي تسنده، وظل التفوق العددي في المدينة للعسكر، حتى بعد السماح للمدنيين بسكناها عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م).

* قام حضور العناصر البشرية في المجتمع على أساس مقدرة رجالاتهـا العـسكرية، إذ عمـل الفاطميون على اصطناع العناصر التي تميـزت بالمقـدرة القتاليـة، كالمغاربـة، والـصقالبة، والاتراك، والسودان، والأرمن.

* لقد تراوحت أهمية العناصر السكانية في القاهرة حسب قوة مشاركتها في الاحـداث العامـة، وتأثيرها على المجتمع؛ الأمر الذي ارتبط ارتباطا كبيراً بحجمها، ودرجة قوتها.

* كونت جيوش الفاطميين قوى فاعلة في المجتمع، من حيث احداث الاستقرار والفوضى معـاً، حيث استندت عليهم الخلافة في الاطاحة بالمتآمرين عليها، وكان لهم دور في حفظ الأمـن فـي المجتمع، كما تحولوا أحياناً إلى عصابات تثير الفوضى، وتقلق الأمن، فقاموا بحركـات تمـرد، وعصيان، ساهموا من خلالها في إحداث الارباكات الاجتماعية، لما يرافق حركاتهم مـن قتـل

وسلب واثارة الرعب بين السكان، وغالبا ما تكون هذه الحركات؛ لتلبية احتياجاتهم بأيـــة وســـيلة من خلال مطالبتهم الخلفاء بصرف رواتبهم المتأخرة، وبزيادة أرزاقهم، مما ساهم فـــي تـــدهور الأحوال الاقتصادية.

* لم تكن نظرة الناس إلى جيوش الفاطميين نظرة ايجابية، فلم يرضوا عن اعمـــالهم، وضـــاقوا بتصرفاتهم، فاشتد كرههم لهم، وخاصة بعدما ثبت لهم أنهم لا يسعون الا الى الاستئثار بالأموال، وتحقيق أطماعهم.

* لم يعمل الفاطميون على تثبيت التوجهات التي تؤمن الاستقرار والانسجام بين جيوشهم الـــذين جاءوا من أماكن عديدة مع تقاليدهم، وأساليب حياتهم المتنوعة، فقد أخفقوا في تكوين جـــو مـــن التفاهم والتعاون بينهم، حيث قامت سياسة الدولة الفاطمية على أساس حفظ توازن القـــوى فـــي الدولة، فإذا زاد نفوذ عنصر من عناصر الجيش، واشتدت شوكته لجأ الفاطميون إلى الاســـتعانة بعنصر آخر، للحد من نفوذه. مماجعل علاقة تلك العناصر مع بعضها أقرب إلى التـــداخل منهـــا إلى التكامل، فاشتد النزاع بين عناصر الجيش؛ لمحاولة كل عنـــصر الاســـتئثار بالامتيـــازات، والنفوذ دون الآخر. وأصبح كل عنصر يحاول القضاء علـــى العنـــصر الآخـــر دون الاهتمـــام باستقرار الدولة. وأصبح الجيش الخطر الرئيس على الدولة، ومصدر البلاء على الرعيـــة، فقـــد أدت خصوماته إلى حدوث إرباك في الإدارة، وفي التنظيمات الاجتماعية والاقتـــصادية، وفـــي عرقلة الأعمال الحضرية المفيدة.

* لقد حرصت الدولة على إرضاء كافة الاتجاهات الدينية في المجتمع المصري، عـــن طريـــق تأكيد البعد الديني في سياستها إزاء العامة- الذين يمثلون كافة الاتجاهات الدينيـــة- مـــن خـــلال السير على مبدأ لا إكراه في الدين، اذ لم يرد ما يشير إلى تدابير قسرية مارستها الدولة لاجبـــار العامة على اعتناق المذهب الاسماعيلي.

كما تمتع أهل الذمة بحرية الدين، ولم تتدخل الدولة في شعائرهم الدينية. وكـــان الـــذميون جزءاً لا يتجزأ من النسيج الاجتماعي والاقتصادي، ولا تشير المصادر إلى معاملة خاصة لمهـــن وحرف الذميين، فقد مارسوا كافة أنواع النشاط الاقتصادي دون عقبات، مثل المسلمين. وأتاحت لهم الدولة قدراً من الحرية داخل نطاق الدولة، فكان لهم حضور في الوظائف العامة في الدولة، حيث أضحى أهل الذمة المتمرسون في شؤون الإدارة عنصراً لا غنى عنه في تصريف شـــؤون الدولة.

* كان الاتجاه العام نحو تعايش الطوائف الدينية في جو من الانفتاح، والعيش المـشترك، فقـد شارك أهل السنة الاسماعيلين الجانب الاجتماعي في طقوسهم الدينية، وارتبط أهل الذمـة مـع المسلمين بعلاقات اجتماعية متعددة.

* تميزت الحياة الاجتماعية بسيادة المظاهر الدينية، التي أظهرتهـا صـور النـشاط اليـومي، والممارسات الاجتماعية في الأعياد والاحتفالات، واللهو والألبسة والأطعمة، حيث قام الفاطميون بفرض قيود اجتماعية على الناس في حال تجاوزهم المبادىء الدينية، والآداب الاجتماعيـة فـي نشاطهم اليومي، لا سيما وان الامام عند الاسماعيلية هو ممثل الله على الارض، فجاء حـرص الخلفاء على تأكيد هذا المعنى من خلال التظاهر بالمحافظة علـى القـيم، والآداب العامـة فـي المجتمع.

* شهد المجتمع المصري في العصر الفاطمي، تكتلات اجتماعية قائمـة علـى أسـاس أثنـي، وحرفي، ومذهبي، حيث شكل ذو الأصول المشتركة، وأصحاب الحرفة الواحدة، والمنتمين إلـى مذهب واحد، كتلة اجتماعية كانت تربطها روابط تدفعها إلى اتخاذ موقـف واحـد وجمـاعي، ويظهر دور هذه الروابط في الفترات الصعبة، حيث يتضامن المنتمون إلـى هويـة أثنيـة، أو أصحاب الحرفة الواحدة، والمذهب الواحد، ويتخذوا موقفاً موحداً في كثير من الاحيان.

* لم ينعزل الفاطميون عن رعاياهم، بل حاولوا التقرب منهم، في اطار الدعاية للنظام السياسي، فعملوا على تدعيم الروابط الاجتماعية، بينهم وبين رعاياهم، عـن طريـق مـنحهم الأمـوال، والمآكل، والألبسة في المناسبات المختلفة؛ بهدف كسب ولائهم.

* لم يرتبط عامة المصريين بالخلافة بولاء روحي، فوقفوا إلى جانبها، وتصدوا لصلاح الـدين عندما حاول اسقاط الخلافة الفاطمية، لما تمتعوا فيه من عطف ورعاية في ظل الدولة الفاطمية، الا ان موقفهم من الخلافة ما لبث أن تبدل، عندما سعى صلاح الدين إلى التقرب منهم، والغـى عنهم ضرائب عديدة، فمالوا اليه وأحبوه، وعندما أسقط خلافة الفاطميين، لم يكـن لهـم أي دور ايجابي تجاه الخلافة الفاطمية؛ مما يؤكد أن المذهب الاسماعيلي لم يتغلغل بينهم بـشكل يجعلهـم يؤمنون به، ويدافعون عن بقائه.

* لقد بنيت الهرمية الاجتماعية في المجتمع المصري في العصر الفاطمي على أسـاس الـسلطة والثروة، حيث قسمت السلطة والثروة المجتمع المصري من الناحية الاجتماعية والاقتصادية إلى ثلاث طبقات:

طبقة الخاصة: وتضم جميع المشاركين في السلطة، الذين يتمتعـون بـالنفوذ والثـراء. وطبقـة العامة: وتضم غير المشاركين في السلطة، الذين يعانون من الفقر والعوز والحرمـان. والطبقـة

الوسطى: تنتمي اليها الفئات التي يفصلها عن الخاصة عدم مشاركتها في السلطة، ويرفعها عن العامة ثراؤها.

وثمة ترابط بين مؤشري الموقع من السلطة والثروة، المعتمد عليهما في تحديد المنزلة الاجتماعية، حيث أن العمل في السلطة يؤدي إلى زيادة الثروة، كما ان ازدياد الثروة قد يؤدي الى الاقتراب من السلطة. وكان عامل السلطة أقوى من عامل الثروة في تحديد المنزلة الاجتماعية، فرغم ثراء التجار، الا أنهم لم يندرجوا في طبقة الخاصة؛ لعدم مشاركتهم في السلطة.

* كانت الطبقة الاجتماعية الواحدة على مستويات، فهي قد تضم بين ثناياها أفراداً يتفاوتون من حيث درجة الثراء، أو يتفاوتون من حيث مستوى مهنهم.

* ويصح القول أن المجتمع المصري في العصر الفاطمي اعترف بمراتب اجتماعية كان بعضها مفتوحاً على بعض، فكان من الممكن أن يرتقي الفرد من طبقة أدنى إلى أعلى، أو ينحدر من طبقة أعلى إلى أدنى، تبعاً لموقعه من السلطة والثروة.

* لقد تمتعت نساء العصر الفاطمي بصفة عامة بالاحترام والنفوذ، فكان لهن دور على الساحة السياسية، وتمتعن بحرية العمل، حيث تعددت الأعمال التي قمن بها. كما كان للمرأة مكانة كبيرة في أسرتها، استمدتها من دورها الفاعل في بيتها، حيث كانت تقوم بالأعمال المنزلية في نطاق اسرتها كربة بيت، وتقوم بأعمال عديدة خارج نطاق أسرتها؛ لتأمين حياة كريمة لعائلتها.

* تنوعت أساليب المعيشة من مساكن وأطعمة وملابس، ووسائل تسلية؛ نتيجة للتنوع الاقتصادي والاجتماعي للأفراد، وبما يتناسب مع المستوى الحضاري لهم.

* لقد ضاعف اختلاط المصريين بالمغاربة والأرمن من فرص التواصل الحضاري بين بلاد المغرب والأرمن من جهة، ومصر من جهة أخرى، فساهم هذا الاختلاط في نقل جزء من تراث المغرب والأرمن إلى مصر، وشمل ذلك مختلف جوانب الحياة، بما فيها المأكل والملبس ووسائل التسلية.

الملاحق



لوحة (١): رسم لحشوة من العاج المنقوش، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين، نقلاً عن : Jean- Jacaques Aillagon:Tresors Fatimides du carue



لوحة (٢): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة".



لوحة (٣): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة".



لوحة (٤): رسم لحشوة من العاج المنقوش ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين، نقلاً عن: Jean- Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (٥): رسم لحشوة من العاج المنقوش ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن: Jean – Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (٦): رسم لحشوة من العاج المنقوش، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين. نقلا عن Jean – Jacaques Aillagon : op.cit



لوحة (٧): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة"



لوحة (٨): رسم مفصل لحشوة من العاج ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف
برلين. نقلاً عن Jean- Jacaques Aillagon : op.cit



لوحة (٩): رسم لحشوة من العاج، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين نقلا
عن: Jean- Jacaques Aillagon : op.cit



لوحة (١٠): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة"



لوحة (١١): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة"



لوحة (١٢): رسم بالألوان المائية على جدران حمام فاطمي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة"



لوحة (١٣): حشوة عاجية ترجع إلى العصر الفاطمي محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة".



لوحة (١٤): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي "من تصوير الباحثة".



لوحة (١٥): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة".



لوحة (١٦): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة".



لوحة (١٧): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين. نقلا
عن : Jean- Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (١٨): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمجموعة كليكان، نقلا عن: Jean- Jacaques Aillagon : op.cit



لوحة (١٩): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ بالمتحف البريطاني، نقلا عن:
Jean- Jacaques: Aillagon: op.cit



لوحة (٢٠): رسم لحشوة من العاج محفوظة بمتحف برلين، نقلاً عن:
Jean- Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (٢١): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين نقلا عن :
Jean- Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (٢٢): طبق من الخزف الفاطمي محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة".



لوحة (٢٣): رسم لحشوة من العاج ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف برلين، نقلا
عن Jean- Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (٢٤): ستارة منسوجة بخيوط الصوف والكتان ترجع للقرن الثالث وأوائل الرابع الهجري، محفوظة بمتحف الفن القبطي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٢٥): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٢٦): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة "تصوير الباحثة"



لوحة (٢٧): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



لوحة (٢٨): طبق من الخزف الفاطمي محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة"



لوحة (٢٩): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



لوحة (٣٠): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



لوحة (٣١): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



لوحة (٣٢): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة.
" من تصوير الباحثة"



لوحة (٣٣): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ بمجموعة الأرشيدوق رينر بالمكتبة الأهلية بفينا، نقلا عن Jean – Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (٣٤): زير ماء من العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصويرا الباحثة"



لوحة (٣٥): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي، محفوظ ضمن مجموعة شريف صبري نقلا عن Jean- Jacaques Aillagon: op.cit



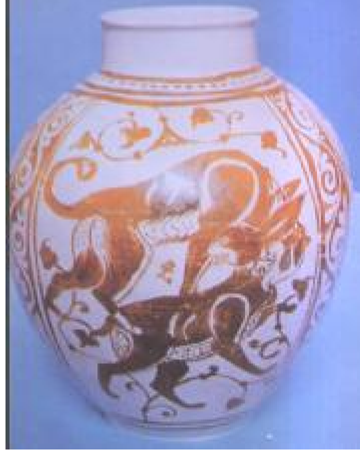
لوحة (٣٦): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



لوحة (٣٧): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن Jean- Jacaques
Aillagon : op.cit



لوحة (٣٨): مخطوط ورقي من العصر الفاطمي يمثل رسم حمار، محفوظ بمتحف برلين
نقلا عن : Jean – Jacaques Aillagon: op. cit



لوحة (٣٩): آنية من الخزف الفاطمي، تمثل رسم حيوان ينقض على أرنب، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة"



لوحة (٤٠): لوح من الخشب المطعم بزخارف عاجية لعقاب ينقض على أرنب، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٤١): حشوة خشبية ذات زخارف حيوانية، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٤٢): رسم لحشوة من العاج، محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن Jean- Jacaques Aillagon : op.cit



لوحة (٤٣): صورة على الخشب تمثل رجل وإمرأة، والرجل يعزف على آلة العود، ويسندها على ركبته، وينظر إلى المرأة التي ترقص أمامه، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة".



لوحة (٤٤): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف كلية الآثار بجامعة القاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٤٥): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



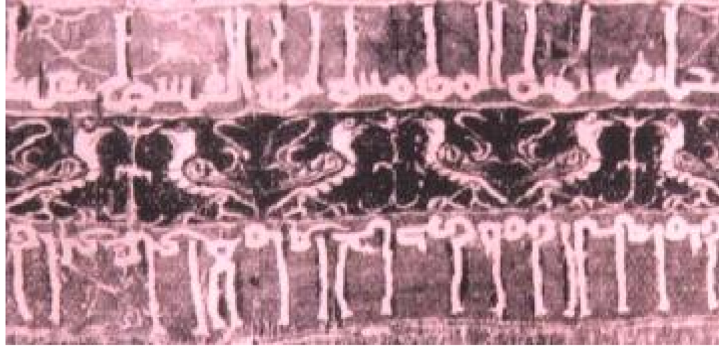
لوحة (٤٦): طبق من الخزف الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة،
" تصوير الباحثة"



لوحة (٤٧): صورة على الخشب محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" من تصوير الباحثة"



لوحة (٤٨): حشوة من العاج محفوظة بمتحف برلين، نقلا عن Jean – Jacques Aillagon : op.cit



لوحة (٤٩): قطعة من نسيج الكتان والحرير عليها رسوم طيور، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٥٠): جزء من زير ماء، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٥١): جزء من طبق خزف فاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



لوحة (٥٢): حشوة من العاج منقوش عليها رسم جمل وهودج، ترجع الى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة".



لوحة (٥٣): جزء من زير ماء من العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة
" تصوير الباحثة"



لوحة (٥٤): ابريق من البلور الصخري، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن: نقلا عن Jean- Jacaques Aillagon: op.cit



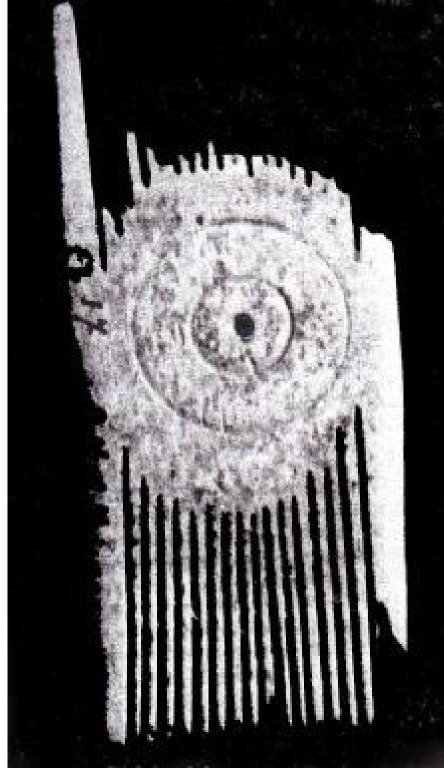
لوحة (٥٥): إبريق من البلور الصخري، محفوظ بكاتدرائية سان مارك بمدينة البندقية : نقلا عن Jean – Jacaques Aillagon: op.cit



لوحة (٥٦): ختم من الفخار قوام زخرفته نسر ناشر جناحيه، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة



لوحة (٥٧): ختم من الفخار يتوسطه رسم شجرة، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة.
" تصوير الباحثة"



لوحة (٥٨): مشط للشعر له أسنان من الجهتين، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف آثار الإسماعيلية بالقاهرة



لوحة (٥٩): مكحلة من الفضة ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة"



لوحة (٦٠): مبخرة ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٦١) : خاتم ذهب مرصع بفص من العقيق الأحمر يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٦٢): خاتم من الذهب به فص من الفيروز يرجع الى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



لوحة (٦٣): إسورة من الذهب ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة " من تصوير الباحثة"



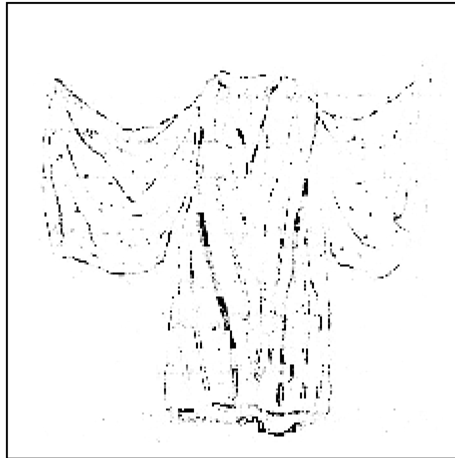
لوحة (٦٤): عقد ذهب بدلاية وجواهر، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " تصوير الباحثة"



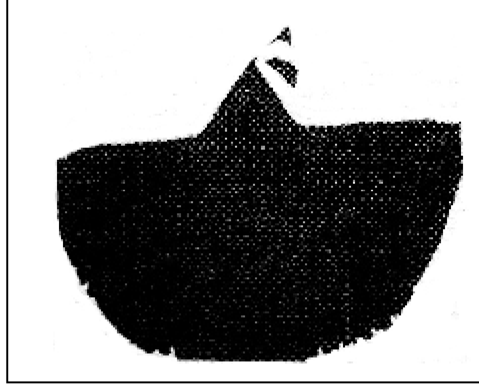
لوحة (٦٥): قارورة عطر مصنوعة من الفضة، ترجع إلى العصر الفاطمي، محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة"



لوحة (٦٦): قرط من الذهب مستدير الشكل، يرجع إلى العصر الفاطمي، محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة " من تصوير الباحثة"



لوحة (٦٧): صورة تقريبية للقميص " رسم الباحثة"



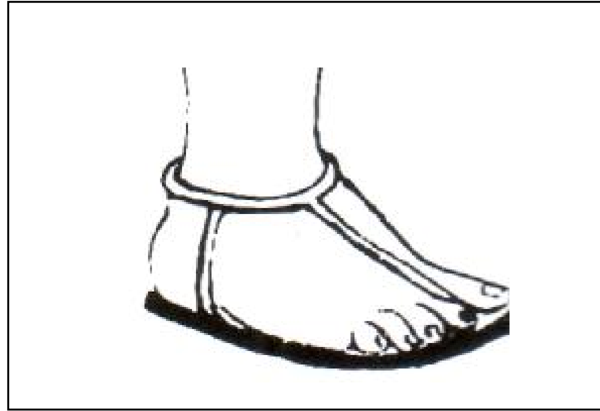
لوحة (٦٨): صورة تقريبية للبرنس " رسم الباحثة"



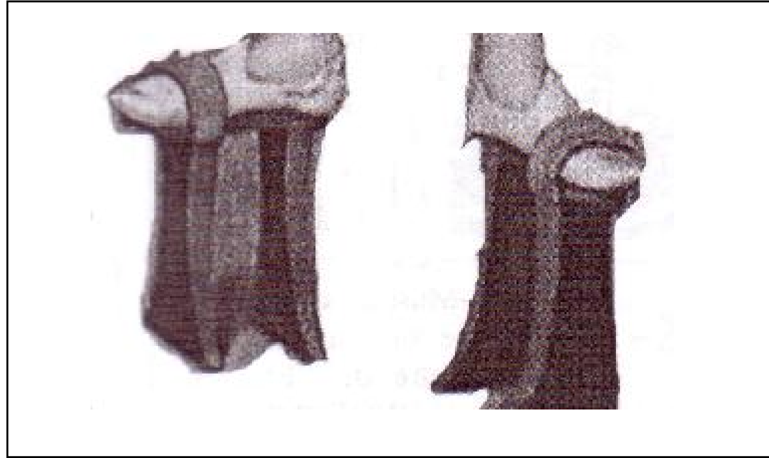
لوحة (٦٩): صورة تقريبية للعباءة " رسم الباحثة"



لوحة (٧٠): رسم لعمامة بحنك " رسم الباحثة"



لوحة (٧١): رسم تقريبي لشكل النعال " رسم الباحثة"



لوحة (٧٢): رسم تقريبي للقبقاب

قائمة المصادر والمراجع

١ - المصادر المخطوطة:

* ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف، (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، مخطوط في مكتبة جامعة مؤتة، مصور من مخطوطة ليدن.

* الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، مخطوط في جامعة القاهرة، تحت رقم ٢٤٠٣١.

* الخاصكي آق بغا، دوادار السلطان قانصوه الغوري، (ت ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٨م). التحفة الفاخرة بذكر رسوم خطوط القاهرة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس، ومنه نسخة مصورة بمعهد البحوث بجامعة أم القرى.

* ابن دانيال، شمس الدين محمد الموصلي، (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م). طيف الخيال، مخطوط في دار الكتب المصرية، تحت رقم ١٦.

* ابن زولاق ، أبو محمد الحسن بن ابراهيم، (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م). فضائل مصر وصفاتها، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الاردنية، شريط رقم ٤٦٨٣.

* السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن عثمان، (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م). القول التام في الرمي بالسهام، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢ فنون حربية.

* الشارعي، موفق الدين أبو محمد عبد الرحمن، (ت ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م). مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية في القاهرة، قسمان: القسم الأول برقم ٤٦٩، والثاني برقم ٧٩٨.

* قائم الزمان، حمزة بن علي، (ت ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م). الرسالة المنفذة إلى القاضي، مخطوط في مكتبة تشتسربيشي، دبلن، ايرلندا مع مجموعة رسائل، تحت رقم ٣٣٧٣، نسخة مصورة لدى الدكتور محمد محاسنة.

* الكافي الحنفي، أبي عبد الله محمد، سيف الملوك والحكام، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٤٢٦٣.

* مجهول، شرح اللمعة من أخبار المعز، مخطوط في جامعة القاهرة، تحت رقم ٢٤٠٢٢، نسخة مصورة من مكتبة الأسكوريال.

* مجهول، الوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ١٣ صناعات وأطعمة.

* المقري، أبو العباس أحمد بن محمد ، (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، زهرة الكمامة في العمامة، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٩٨٤.

* المكي، محمد شكري، (ت ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤م). مجمع الأمثال العامية، مخطوط في دار الكتب المصرية، تحت رقم ٥١٩ – ميكرو فلم ١٠٤٣٢.

* ابن موفق، زين الدين عمر، (٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥١٢٩.

* الهيتمي أبو العباس شهاب الدين، (ت ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)، در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكرو فيلم رقم ٥٧٩٠٢.

٢ - المصادر المطبوعة:

أ- العربية:

* القرآن الكريم.

* الأبشيهي، بهاء الدين محمد، (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م). المستظرف في كل فن مستظرف، ٢ج، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٩م.

* ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م). الكامل في التاريخ، ط١، ج٩، (تحقيق خليل مأمون شيحا)، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢

* اخوان الصفا، (ق ٤ هـ/١٠م) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء، ٤ج، (تحقيق علي زينهم) ، دار التسامح، القاهرة، ٢٠٠٠م.

* ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد القرشي، (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م). معالم القربة في أحكام الحسبة، ط٢، (تحقيق ابراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

* الادريسي، ابو عبد الله محمد الحسني، (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط٢، ٢ج، (تحقيق شيرولي وآخرون نابولي)، ليدن ، بريل، ١٩٩٠م.

* الأدفوي، أبو الفضل جمال الدين، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، (تحقيق سعد محمد حسن)، القاهرة، ١٩٦٦.

* الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد، (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م). حكاية أبي القاسم البغدادي، مطبعة كرل ونتر، هيد لبرج، ١٩٠٢م.

* الأسدي، محمد بن أحمد بن خليل، (ت بعد ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م). التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار، (تحقيق عبد القادر طليمات)، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٦٨م.

* الأسنوي، عبد الرحيم، (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م). طبقات الشافعية، (تحقيق كمال الدين يوسف)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

* الأصطخري، ابن اسحق ابراهيم بن محمد، (ت في القرن ٤هـ/ ١٠م). المسالك والممالك، (تحقيق محمد جابر عبد العال)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، ١٩٦١م.

* الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين، (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م). مقاتل الطالبيين، (تحقيق السيد أحمد صقر). دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩م.

* ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم، (ت٦٨٨هـ/ ١٢٦٩م).عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط١، (تحقيق عبد الحافظ البنا)، دار العلم، القاهرة، ٢٠٠١م.

* الأنطاكي، يحيى بن سعيد، (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م). تاريخ الأنطاكي " المعروف بصلة تاريخ أوتيخا"، (تحقيق عمر عبد السلام تدمري)، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠.

* ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي، (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م). بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق١، (تحقيق محمد مصطفى)، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٥.

* ــــــــــــ، نزهة، الامم في العجائب والحكم، ط٢، (تحقيق محمد زينهم)، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠٠١م..

* ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (تحقيق يسري زيدان)، د.م، ١٩٩٩م.

* البغدادي، محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب، الف كتابه سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م). الطبيخ، (تحقيق داود الجلبي)، مطبعة أم الربيعين، الموصل، ١٩٣٤.

* البغدادي، موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف، (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م). الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، (تحقيق حيدر البيات)، مكتبة العلا، القاهرة، ١٩٩٩م.

* البكري، ابو عبيد، (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). المسالك والممالك، ٢ج، (تحقيق ادريان فان ليوفن)، بيت الحكمة، تونس، ١٩٩٢م.

* ________، جغرافية مصر من كتاب المسالك والممالك، (تحقيق عبد الله يوسف الغنيم)، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٠.

* البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٣م). فتوح البلدان، (مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت

* البيروني، أبو الريحان محمد بن احمد، (ت ٤٤٠هـ/ ١١٠٨م) الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٥م.

* ________، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار صادر، بيروت، د.ت

* ابن البيطار، ضياء الدين ابو محمد عبد الله بن الحسن، (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). الدرة البهية في منافع الابدان الانسانية، ط٣، (تحقيق محمد عبد الله الغزالي)، مطبعة كرم، دمشق . د.ت.

* ________، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤ج، مطبعة محمد باشا توفيق، القاهرة، ١٢٩١م.

* التجاني، ابو محمد عبد الله بن محمد، (ت بعد سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م). رحلة التجاني، (قدم لها حسن حسني عبد الوهاب)، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م.

* ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف، (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط٢، ١٩ج، (تحقيق محمد حسن شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

* التنوخي، القاضي ابو علي المحسن بن علي، (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م). نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ٨ج، (تحقيق عبود الشالجي)، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

* الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م). الحيوان، ط١، ٧ج، (تحقيق عبد السلام محمد هارون)، ١٩٤٣.

* ________، العثمانية، (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٥٥م.

* ________، رسائل الجاحظ، ط١، ج٤، (تحقيق عبد السلام هارون)، مكتبة الفانجي، مصر ١٩٥٥م.

* الجرجاني، علي بن محمد، (٨١٦هـ/ ١٤٦١م). التعريفات، مكتبة مصطفى البابلي، القاهرة، ١٩٣٨م.

* جروهمان، أدولف، أوراق البردي العربية، (ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرون)، دار الكتب المصرية، ١٩٤٩م.

* الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد، (ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٥م). المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، (تحقيق وشرح احمد محمد شاكر)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦١هـ.

* الجوذري، أبو علي منصور العزيزي، (ت بعد ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م). سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، (تحقيق محمد كامل حسين ومحمد شعيرة)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤م.

* ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). المنتظم، ١٠ج، (تحقيق سهيل زكار)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

* ________، صيد الخاطر، (تحقيق الشيخ محمد الغزالي)، دار الكتب الاسلامية، ١٩٨٨م.

* الجوهري، اسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م). تاريخ اللغة وصحاح العربية، ٦ج، (تحقيق أحمد عطار)، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة ١٣٧٧هـ.

* ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد، (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م). مدخل الشرع الشريف على المذاهب، (تحقيق علي جاد الحق)، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٩٧.

* ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين احمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م). فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ١٧ج، (تحقيق مصطفى البابي)، القاهرة، ١٩٥٩م.

* ________، رفع الاصر عن قضاة مصر، (تحقيق محمد تدمري)، مكتبة النهضة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

* الحريري، ابو محمد القاسم بن علي، (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م). درة الغواص في أوهام الخواص، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٢٩٩م.

* ________، مقامات الحريري، ط٣، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٠٣.

* ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م). جمهرة أنساب العرب، (تحقيق عبد السلام هارون)، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧.

* الحسين بن عبد الله، محمد بن عمر، (ت ق ٨هـ/ ١٥م). آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩٥م.

* الحسين، أبو عبد الله الحسن، (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م). البيزرة، (تحقيق محمد كرد علي)، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٣م.

* ابن حماد، ابو عبد الله محمد بن علي، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٣٠م). أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، (تحقيق جلال البدوي)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م.

* الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت ق ٩هـ/ ١٥م). الروض المعطار في أخبار الأقطار، (تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٥م.

* ابن حوقل، ابو القاسم محمد، (ت في القرن ٤هـ/ ١٠م). صورة الارض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤.

* الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، (ت٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م). تاريخ بغداد، ١٧ج، ط١، (تحقيق بشارعواد معروف)، دار الغرب الاسلامي، ٢٠٠١م.

* ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م). اللهو والملاهي، (نشره الأب اغناطيوس)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦١م.

* ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م). تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ١٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦.

* ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد، (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨ج، (تحقيق احسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، دار الثقافة، ١٩٩٨م.

* الخليل بن أحمد، أبو عبد الله بن احمد الفراهيدي، (ت ١٧٥هـ/ ٧٩٢م)، معجم العين، (تحقيق مهدي المخزومي)، العراق، ١٩٨٠.

* الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف، (ت ٣٨٧هـ/ ١٩٩٧م). مفاتيح العلوم، (تحقيق ابراهيم الابياري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠.

* ابن دقماق، ابراهيم محمد المصري، (ت ٨٠٩ هـ/ ١٤٠٦م). الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٤، ج٥، (تحقيق محمد مدبولي)، ١٩٩٥م.

* الدمشقي، أبو الفضل جعفر بن علي (عاش في القرن ٦هـ/١٢م). الاشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، دمشق، ١٣١٨م.

* الدميري، كمال الدين محمد بن موسى، (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). حياة الحيوان الكبرى، ٢ج، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٦م.

* الدواداري، أبو بكر عبد الله بن ايبك، (ت ٧٣٦هـ/ ١٢٣٥م). كنز الدرر وجامع الغرر المسمي الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ج٦، (تحقيق صلاح الدين المنجد)، القاهرة، ١٩٦١، ج٧، المسمى الدر المطلوب في أخبار ملوك بني ايوب، (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المعهد الالماني للآثار، القاهرة، ١٩٧٢.

* الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد، (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). سير أعلام النبلاء، ٢٥ ج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦م.

* __________، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، (تحقيق عمر تدمري)، دار الكتاب العربي، ١٩٩٥م.

* الرازي، محمد بن أبي بكر، (عاش في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م). مختار الصحاح، (عني بترتيبه محمود خاطر بك)، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٢٦م.

* الراغب الأصفهاني، ابو القاسم حسين بن محمد، (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ٢ج، مكتبة سيدي محمد، تونس، ١٩٩٥م.

* ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، (تحقيق محمد شقرون)، بيروت، ١٩٨٤.

* ابن رضوان، أبو الحسن علي بن رضوان الطبيب المصري، (ت٤٥٣هـ/ ١٠٦١م). دفع مضار الأبدان بأرض مصر، (تحقيق عبد المجيد دياب)، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، ١٩٩٥.

* ابن الزبير، احمد بن الرشيد، (توفي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي). الذخائر والتحف، (تحقيق محمد حميد الله)، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٥٩م.

* الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م). أساس البلاغة، ط١، (تحقيق عبد الرحيم محمود). مطبعة اولاد اوفانر، ١٩٥٣م.

* ابن زولاق، أبو محمد الحسن، (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م). أخبار سيبويه المصري، (تحقيق محمد ابراهيم وحسن الديب)، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٣٣.

* ابن الزيات، أبو عبد الله محمد بن ناصر، (ت ٨١٤هـ/ ١٤١١م). الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة،(تحقيق ميساء خليفة)، دار العلم، القاهرة، ١٩٩٥م.

* السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م). معيد النعم ومبيد النقم، (تحقيق محمد علي النجار وآخرون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٣م.

* ________ ، طبقات الشافعية الكبرى، (تحقيق محمود محمد الطناجي)، مطبعة عيسى الحلبي، ١٩٩٥.

* السجلات المستنصرية، سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الامام المستنصر بالله إلى دعاة اليمن، (تحقيق عبد المنعم ماجد)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤.

* السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م). تحفة الاحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، هذا الكتاب في هامش ج٤، من نفح الطيب من غضن الأندلس الرطيب للمقري، المطبعة الأزهرية، القاهرة. د.ت

* ابن سعيد، علي بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م). النجوم الزاهرة في حلى القاهرة، (تحقيق حسين نصار)، مركز تحقيق التراث، ١٩٧٢.

* ________، المغرب في حلى المغرب، ج١ القسم الخاص بمصر الاغتباط في حلى مدينة الفسطاط، (تحقيق شوقي ضيف وسيدة كاشف)، مطبعة جامعة فؤاد الاول، ١٩٥٣.

* ابن سنان، ثابت بن قرة، (ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م). تاريخ أخبار القرامطة، (تحقيق ونشر سهيل زكار)، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط٣، ١٩٨٧م.

* ابن سيدة، أبو الحسن، علي بن اسماعيل النحوي، (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م). المخصص، ٥ج، ط١، (تحقيق مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

* السيوطي، جلال الدين أبو الفضل بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط١، ٢ج، (تحقيق أبو الفضل ابراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

* ________، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ٢ج، ط٢، (تحقيق محمد أبو الفضل)، دار الفكر، ١٩٧٩م.

* الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد، (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م). الديارات، ط٢، (تحقيق كوركيس عواد)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م.

* أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن، (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م). الروضتين في أخبار الدولتين، (تحقيق محمد حلمي)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.

* ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري، (ت ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م). زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، (صححه بولس راويس)، دار العرب، ١٩٨٩م.

* الشربيني، يوسف بن محمد بن عبد الجواد، (ت بعد عام ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م). هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٣م.

* الشريف العقيلي، (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨ م). الديوان، (تحقيق محمد عطا)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨م.

* الشيرازي، المؤيد في الدين هبة الله، (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م). المجالس المؤيدية، (تحقيق محمد المتولي)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٠.

* الشيزري، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٢م). نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ط٢، (تحقيق السيد الباز العريني)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٧١م.

* ابن صاعد الاندلسي، صاعد بن أحمد، (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م). طبقات الأمم، (تحقيق لويس شيخو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٢م.

* أبو صالح الأرمني، ابو المكارم سعد الله، (ت ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م). كنائس وأديرة مصر، اكسفورد، ١٨٩٥م.

* الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). كتاب الوافي بالوفيات، ج١٣، (تحقيق اسماعيل بيومي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

* ________، نكت الهميان في نكت العميان، (وقف على طبعة أحمد زكي بك، المطبعة المطبعة الحجالية، القاهرة، 1911م.

* ابو الصلت، أمية بن عبد العزيز، (ت ٥٢٨هـ/ ١١٣٢م). الرسالة المصرية، (تحقيق عبد السلام هارون)، القاهرة، ١٩٥٩.

* ابن الصيرفي، أمين الدين تاج الرياسة ابي القاسم، (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٨م). الاشارة الى من نال الوزارة، (تحقيق عبد الله مخلص)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٣٥.

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م). تاريخ الرسل والملوك، ١٠ج، (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم)، دار سويدان، بيروت، لبنان، د.ت

* الطرطوشي، ابو بكر محمد بن الوليد، (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م). سراج الملوك، ٢ج، (تحقيق محمد أبو الفتوح)، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٩٠م.

* ابن الطوير، ابو محمد عبد السلام القيسراني، (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م). نزهة المقلتين في اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية، (تحقيق ايمن فؤاد سيد)، دار النشر فرانتس شتاينر، ١٩٩٢.

* ابن ظافر الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي، (ت ٦١٢هـ/ ١٢١٥م). أخبار الدول المنقطعة، (تحقيق عصام الهزايمة وآخرون)، دار الكندي، اربد، ١٩٩٩م.

* ________، بدائع البدائة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

* ظافر الحداد، ظافر بن القاسم، (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م). الديوان، ط٢، (تحقيق حسين نصار)، مكتبة الفقي، القاهرة، ١٩٨٥م.

* ابن ظهيرة، (ت في القرن ٩هـ/ ١٥م). الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، (تحقيق محمد كامل)، دار العلم، القاهرة، ١٩٩١م.

* ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل المصري، (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م). الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، (تحقيق ايمن فؤاد سيد). الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

* ابن عبد ربه، احمد بن محمد، (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م). العقد الفريد، ٥ج، (تحقيق احمد أمين وآخرون)، دار الاندلس، بيروت، ١٩٩٦م.

* ابن العديم، كمال الدين ابو القاسم، (ت ٦٦٠هـ/ ١٢١٦م). زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٣ج، (تحقيق سامي الدهان)، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٦٨.

* ________، بغية الطلب في تاريخ حلب، ١١ج، (تحقيق سهيل زكار)، دمشق، ١٩٨٨.

* ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي، (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م). البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ٢ج، (تحقيق عمر السيد)، القاهرة، ١٩٩٥م.

* ابن عساكر، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م). تاريخ مدينة دمشق، ٨٠ج، (تحقيق محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي) دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

* العماد الاصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي الدين، (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (تحقيق محمد علي الطعاني)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٤م.

* العماد الأصفهاني، محمد أبو عبد الله، (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). خريدة القصر وجريدة العصر، ج١، تحقيق باسل العمري، مكتبة النهضة، القاهرة، ج٢، قسم شعراء الشام، د. ط، (تحقيق أحمد الألوسي)، دار العلم، القاهرة، ١٩٨٩م.

* ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٩ج، ط١، (تحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

* عمارة اليمني، نجم الدين أبو محمد الحكمي، (ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م). النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، (تحقيق هرتويج دربنرغ، شالون)، ١٨٩٧م.

* العمري، شهاب الدين أحمد، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث، ممالك الشرق الاسلامي والترك ومصر والشام والحجاز، (تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي)، المجمع الثقافي، الامارات، ٢٠٠٣م.

* ابن العميد، المكين جرجس ابي المكارم، (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م). تاريخ المسلمين،(تحقيق علي البدوي)، القاهرة، ١٩٩٩م.

* العيني، بدر الدين ابو محمد بن احمد، (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، (تحقيق محمد أمين)، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

* __________، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد " شيخ المحمودي" ، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م.

* الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله، (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م). مطالع البدور في منازل السرور، ٢ج، (تحقيق رضا عمري)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م.

* أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر، (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م). المختصر في أخبار البشر، ٢ج، ط١، (علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

* ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م). تاريخ ابن الفرات، م٤، ج١، (تحقيق حسن الشماع)، منشورات جامعة البصرة، ١٩٦٧م.

* ابن فضلان، أحمد بن العباس بن راشد، (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م). رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس، (تحقيق سامي الدهان)، دمشق، ١٩٨٧م.

* الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، (ت ٨١٧هـ/ ١٣١٨م). القاموس المحيط، (تحقيق حسان عبد المنان)، بين الأفكار الدولية، د.ت.

* القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، (ت ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م). الديوان ٢ج، (تحقيق متولي بيومي)، دار المدى، القاهرة، ١٩٩٠م.

* القاضي النعمان، محمد بن حيون التميمي، (ت ٣٩٣ هـ/ ٩٧٣م). رسالة افتتاح الدعوة الفاطمية، رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية، ط٢، (تحقيق وداد القاضي)، دار الثقافة، بيروت ١٩٩٨م.

* __________، المجالس والمسايرات، (تحقيق عبد الرحيم السيد)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

* __________، دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، ٢ج، (تحقيق آصف بن علي فيضي)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

* ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الكوفي، (ت ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م). عيون الأخبار، ٤ج، ط١، (تحقيق محمد الاسكندراني)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

* القرشي، ادريس عماد الدين، (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م). تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، (تحقيق محمد اليعلاوي). دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٥.

* __________، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، (تحقيق مصطفى غالب)، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٠.

* القضاعي، ابو عبد الله محمد بن سلامة، (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م). عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، (تحقيق عبد الرحيم محمد علي)، دار الينابيع للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧م.

* القفطي، جمال الدين أبو الحسن، (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م). أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (تحقيق علي الأسقا)، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٩٨م.

* ابن قلاقس، نصر بن عبد الله السكندري، (ت ٥٦٧هـ / ١١٧١ م). الديوان، ط٢، (تحقيق سهام الفريح)، مكتبة المعلا، الكويت، ٢٠٠١م.

* ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد، (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م). تاريخ دمشق (٣٦٠-٥٥٥هـ)، تحقيق سهيل زكار)، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٣.

* __________، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٨٠.

* القلقشندي، شهاب الدين احمد بن عبد الله الشافعي، (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٥ ج، (تحقيق زكريا بيومي)، دار نافع، القاهرة، ١٩٩٩.

* الكتبي، صلاح الدين محمد الدمشقي، (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م). فوات الوفيات، ٢ج، (تحقيق محسن الكثيري)، المكتبة التونسية، تونس، ١٩٨٠م.

* ابن كثير، أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م). البداية والنهاية، ط١، ١٤ج، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.

* الكندي، ابو عمر محمد بن يوسف، (٣٥٥هـ/ ٩٦١م). كتاب الولاة وكتاب القضاة، (تحقيق علي الصاوي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

* ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان، (ت ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)، وصف افريقيا، (ترجمة محمد عجمي)، بيروت، ١٩٨٣.

* المالكي، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله، (ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م). رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية، ٣ج، (تحقيق بشير البكوش)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

* ابن المأمون البطائحي، جمال الدين أبو علي موسى، (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م). نصوص من أخبار مصر، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٣.

* الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، (تصحيح السيد محمد بدر الحلبي)، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٠٩.

* مقتنيات متحف الفن الاسلامي في القاهرة.

* مقتنيات متحف آثار الإسماعيلية بالقاهرة.

* المجالس المستنصرية، (تحقيق محمد كامل حسين)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٦.

* مجهول مراكشي، (ق ٦هـ/ ١٢م). الاستبصار في عجائب الأمصار، (نشر وتعليق سعد زغلول)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

* مجهول، الف ليلة وليلة، ج١، راجعه سعيد جودة السحار، مكتبة القاهرة، ١٩٨٦.

* مجهول، المؤرخ، (فارس صليبي في جيش بوهيمند عاصر القرن ٥هـ/ ١١م). اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، (ترجمة حسن حبشي)، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨.

* المجوسي، علي بن العباس البرجيسي،(كان حيا قبل عام ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م). كامل الصناعة الطبية، ٢ج، المطبعة الكبرى، ١٢٩٤م.

* المسبحي، الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله، (ت ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م). أخبار مصر، ج٤٠، (تحقيق أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨.

* المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت ٣٤٥هـ/ ١٩٥٧م). التنبيه والاشراف، (عني بتصحيحه ومراجعته عبد الله الصاوي)، المكتبة التاريخية، د.م، ١٩٣٨م.

* ________، مروج الذهب، ٤ج، ط٣، (تحقيق محمد عبد الحميد)، مؤسسة سعادة، مصر، ١٩٥٨م.

* ابن المعز، تميم، (ت ٣٧٤هـ/ ٩٨٤ م). الديوان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

* المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله، (ت في القرن ٤ هـ/ ١٠م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (تحقيق عبد الحميد زكي)، دار النهضة، ١٩٩٠م.

* المقريزي، تقي الدين أحمد، (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م). اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٢ج، (تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

* ________، إغاثة الأمة بكشف الغمة، (تحقيق سيد بسطاوي)، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

* ________، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ط٢، (تحقيق عبد المجيد عابدين)، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١م.

* ________، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ٢٥ج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

* ________، المقفى، (تحقيق محمد العيلاوي)، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

* ________، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (تحقيق أيمن فؤاد سـيد)، ٤ مج، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، لندن، ٢٠٠٢م.

* ابن المقفع، ساويرس، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المعروف بـ " سـير البيعـة المقدسة"، (المنسوب إلى)، ٤ج، (تحقيق عبد العزيز جمال الدين)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦م.

* ابن مماتي، أسعد أبو المكارم، (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م). قوانين الدواوين، ط١، (تحقيق عزيز سوريال عطية)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١.

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م). لـسان العرب، ط١، ١٨ج، دار صادر بيروت، ٢٠٠٠م.

* ابن منقذ، أسامة، (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م). الاعتبار، ط١، (دقق نصوصه وقـدم لـه وعلق عليه عبد الكريم الأشتر)، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٩م.

* ابن الميداني، احمد بن محمد النيـسابوري، (ت ٥٣١هـ/ ١١٣٦م). الـسامي فـي الأسامي، (نشره ورتب اخراجه محمد هنداوي)، القاهرة، ١٩٦٧م.

* ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي، (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م). المنتقـى مـن أخبـار مصر، (تحقيق أيمن فؤاد سيد)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.

* النابلسي، علاء الدين أبو عمر عثمان، (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م). تجريد سـيف الهمـة لاستخراج ما في ذمة أهل الذمة، (نشره كلود كاهن)، د.ت.

* ناصر خسرو علوي، (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م). سفرنامة، ط١، ط٢، (ترجمـة يحيـى الخشاب)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ١٩٩٣م.

* ابن النقاش، ابو إمامة محمد بن علي ، (ت ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م). المذمة في اسـتعمال أهل الذمة، ط١، (تحقيق سعد بن حسين عثمان)، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٩م.

* النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م). نهاية الأرب في فنون الأدب، ط١، ج١، ج٢٨، ج٢٩، (تحقيق مجموعة من الباحثين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

* ابن واصل، جمال الدين محمد، (ت ٦٧٩هـ/ ١٢٩٧م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ج، من الجزء الأول إلى الجزء الثالث، (تحقيق جمال الدين الـشيال)، والجـزء

الرابع والخامس، (تحقيق حسنين محمد ربيع)، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ج١، ١٩٥٣، ج٢، ١٩٥٧، ج٣، ١٩٦٠، ج٤، د.ت، ج٥، ١٩٧٥.

* ابن الوردي، زين الدين عمر، (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م). تاريخ ابن الوردي، ٢ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦

* الوشاء، أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى، (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م). الموشى أو الظرف والظرفاء، ط٢، (تحقيق كمال مصطفى)، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٣م.

* وليم الصوري، (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، تاريخ الحروب الصليبية، (ترجمة وتعليق حسن حبشي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

* اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد، (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط١، ٤ج، (تحقيق خليل منصور)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.

* ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م). معجم الأدباء، ط١، ٧ج، (تحقيق عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩ م.

* ________، معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦.

ب/ المصادر الأجنبية:

* Goitein, S.D, Amediterranean Society: The jewish communities of the Arab World as Portrayed in the documents of the cairo Geniza, vol. 1-5, university of California Press, 1967,1971, 1978, 1983 and 1988.

٣- المراجع الحديثة:

أ- العربية والمعربة:

* أحمد، حسن خضيري، (١٩٩٨) علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب، القاهرة: مكتبة مدبولي.

* ادريس، محمد محمود، (١٩٨٦م). تاريخ الحضارة الاسلامية في العصر الفاطمي، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.

* ادى، شير، (١٩٨٨م)، الالفاظ الفارسية المعربة، القاهرة: دار العرب للبستاني.

* اسماعيل كاشف، سيدة، (١٩٧٠م)، مصر في عهد الاخشيديين، القاهرة: دار النهضة العربية.

* ايوب، ابراهيم رزق الله، (١٩٩٧م). التاريخ الفاطمي السياسي والاجتماعي، ٢ج، لبنان، الشركة العالمية للكتاب.

* بارتولد، فاسيلي، (١٩٥٨). تاريخ الترك في آسيا الوسطى، (ترجمة أحمد السعيد سليمان)، القاهرة: الانجلو المصرية.

* الباشا، حسن، (١٩٦٥م). الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة: دار النهضة.

* ________، (١٩٧٠م). القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة: مطابع الأهرام التجارية.

* ________، (١٩٨٩م). الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع.

* البقلي، محمد قنديل، (١٩٨٣م). التعريف بمصطلحات صبح الاعشى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* بنمليح، عبد الاله، (٢٠٠٤م). الرق في بلاد المغرب والاندلس، بيروت، الانتشار العربي.

* بهجت، علي، (١٩٢٨م). حفريات الفسطاط، القاهرة، دار الكتب.

* بيومي، علي، (١٩٥٢م)، قيام الدولة الايوبية في مصر، القاهرة، دار الفكر الحديث.

* تامر، عارف، (١٩٨٢م). المعز لدين الله الفاطمي، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.

* ________، (١٩٨٢م). الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله قاهر القرامطة وافتكين، بيروت، منشورات دار الافاق الجديدة.

* تيمور، أحمد، (١٩٨٦م)، الامثال العامية، القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر.

* الجهيني، محمد، (٢٠٠٠م). احياء القاهرة القديمة وآثارها الاسلامية، القاهرة: دار نهضة الشرق.

* جومار، (١٩٨٨م). وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، (ترجمة أيمن فؤاد سيد)، القاهرة.

* حسن، حسن ابراهيم، (١٩٥٩م). الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة: نشر وزارة المعارف العمومية.

* حسن، زكي محمد، (١٩٨١م). كنوز الفاطميين، بيروت، دار الرائد العربي.

* ______، (١٩٣٥م). الفن الاسلامي في مصر، القاهرة: دار الكتب المصرية.

* حسن، علي، (١٩٩٣م). تاريخ جوهر الصقلبي قائد المعز لدين الله، القاهرة، مطبعة حجازي.

* حسين، محسن، (١٩٨٦م). الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، تركيبه، تنظيمه، اسلحته، بحريته، وابرز المعارك التي خاضها، بيروت، مؤسسة الرسالة.

* حسين، محمود ابراهيم، (١٩٨٣م). المرأة في انتاج المصور المسلم، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق.

* حمادة، ابراهيم، (١٩٦٣)، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، القاهرة.

* حمزة، عبد اللطيف، (١٩٦٨م). الحركة الفكرية في مصر في العصر الايوبي والمملوكي الاول، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي.

* خرابشة، سليمان، (٢٠٠٣م). أسرة بني رزيك ودورهم في تاريخ الدولة الفاطمية، عمان، منشورات جامعة اليرموك.

* خطاب، عطية مصطفى، (١٩٤٧م). التعليم في مصر في العصر الفاطمي الاول، القاهرة، دار الفكر العربي.

* دراجي، بوزياني، (٢٠٠٠ م). القبائل الامازيغية، ادوارها، مواطنها، اعيانها، ٢ج، الجزائر، دار الكتاب العربي.

* الدشراوي، فرحات، (١٩٩٤م). الخلافة الفاطمية بالمغرب التاريخ السياسي والمؤسسات، (نقله إلى العربية حمادي الساحلي)، بيروت: دار الغرب الاسلامي.

* الدوري، عبد العزيز، (١٩٤٥م). دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد: مطبعة السريان.

* ______، (١٩٤٥م). العصر العباسي الأول، بغداد: مطبعة التفيض.

* ________، (١٩٥٠م). النظم الاسلامية ، الخلافة، الضرائب، الدواوين، والــوزارة، بغداد: وزارة المعارف العراقية.

* ________، (١٩٧٤م). تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابــع الهجــري، ط٢، بيروت: دار الشرق.

* ________، (١٩٨٤). التكوين التاريخي للأمة العربية، ط١، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.

* دوزي، رينهارت، (١٩٧١م). معجم مفصل في أسماء الألبسة عند العرب، عربــي – فرنسي، (ترجمة أكرم فاضل)، بغداد: دار الحرية.

* دينيت، دانييل، (١٩٦٠م). الجزية والاسلام، (ترجمة فوزي جاد الله)، بيروت، ١٩٦٠.

* رزق، عاصم محمد، (٢٠٠٠م). معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية: القاهرة، مكتبة مدبولي.

* رنسيمان، ستيفن، (١٩٨١)، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، (ترجمــة الــسيد البــاز العريني)، بيروت، دار الثقافة.

* ريمون، اندريه، (د.ت). القاهرة تاريخ حاضرة، (ترجمة لطيف فرج)، القــاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

* الزركلي، خير الدين، (١٩٩٠م). الاعلام، ٨ج، ط٩، بيروت: دار العلم للملايين.

* زيدان، عبد الكريم، (١٩٨٢م). أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، بيــروت، مؤسسة الرسالة.

* ستانلي، لين بول، (١٩٩٣م)، سيرة القاهرة، (ترجمة حسن ابراهيم حسن)، القــاهرة، مكتبة النهضة المصرية.

* أبو سديرة، طه، (١٩٩١). الحرف والصناعات في مصر الاسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* سرور، محمد جمال الدين، (١٩٩٥). تاريخ الدولة الفاطميــة، القــاهرة: دار الفكــر العربي.

* ________، (١٩٧٦). سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة، دار الفكر العربي.

* سلطان، عبد المنعم، (١٩٨٥م)، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، القاهرة: دار المعارف.

* ________، (١٩٩٧م). الاسواق في مصر في العصر الفاطمي، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.

* السيد، أديب، (١٩٧٢م)، في التاريخ العربي، حلب، المطبعة الحديثة.

* سيد، أيمن فؤاد، (١٩٩٧م). التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ انشائها وحتى الآن، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

* ________، (٢٠٠٠م). الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للطباعة.

* سيمينوفا، (٢٠٠١م) تاريخ مصر الفاطمية، (ترجمة حسن بيومي)، المجلس الاعلى للثقافة.

* شافعي، سلام، (١٩٩٥م). أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

* الشوربجي، امينة، (١٩٩٤)، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب.

* الشيال، جمال الدين، (١٩٥٨م). مجموعة الوثائق الفاطمية، القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

* عاشور، سعيد، (١٩٧٧م). بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، جامعة بيروت العربية.

* عامر، توفيق، (١٩٩٦م). الحضارة الاسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، تونس، الجامعة التونسية.

* عبد العظيم، هويدا، (١٩٩٤م). المجتمع في مصر الاسلامية من الفتح العربي الى العصر الفاطمي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

* عبد الكريم، نريمان، (١٩٩٣). المرأة في مصر في العصر الفاطمي، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

* ________، (١٩٩٦). معاملة غير المسلمين في الدولة الاسلامية، القــاهرة: الهيئــة العامة للكتاب.

* العبيدي، صلاح حسين، (١٩٨٠). الملابس العربية في العصر العباسي، بغــداد: دار الرشد.

* عثمان، فتحي، (١٩٦٦م). الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتلال الحربي والاتصال الحضاري، ٣ج، القاهرة، الدار القويمة للطباعة والنشر.

* غالب، عبد الرحيم، (١٩٨٨م). موسوعة العمارة الاسلامية، بيروت: جروس برس.

* فالتر، هنتس، (١٩٧٠). المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتــري، (ترجمة كامل العسلي)، عمان: الجامعة الاردنية.

* قاسم، قاسم عبده، (١٩٧٧م). أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، القاهرة: دار المعارف.

* القوصي، عطية، (١٩٧٦م). تاريخ دولة الكنوز الاسلامية، القاهرة: دار المعارف.

* كازانوفا، بول، (١٩٢٦). تاريخ ووصف قلعة القاهرة، (ترجمة أحمد دراج)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

* كاهن، كلود، (١٩٧٢م). تاريخ العرب والشعوب الاسلامية منذ ظهور الاسلام حتــى بداية الامبراطورية العثمانية، (ترجمة بدر الدين قاسم)، دار الحقيقة.

* كحالة، عمر، (١٩٥٩م). أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ٥ج، ط٢، دمشق: المطبعة الهاشمية

* لقبال، موسى، (١٩٧٩م). دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

* لويس، ارشيبالد، (١٩٦٠م). القوى البحرية والتجارية في حــوض البحــر المتوســط (٥٠٠- ١١٠٠م). (ترجمة أحمد محمد عيسى)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

* ماجد، عبد المنعم، (١٩٥٥م). نظم الفاطميين ورسومهم في مــصر، ٢ ج، القــاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

* ________، (١٩٨٢م). الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

* مبارك، علي، (١٣٠٦هـ) . الخطط التوفيقية، القاهرة: المطبعة الأميرية.

* متز، آدم، (١٩٨٦م)، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام، ٢ج، (نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة) تونس: الدار التونسية.

* محمد، سعيد مغاوري، (٢٠٠٠م). الألقاب واسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

* مشرفه، عطية مصطفى، (١٩٤٨م). نظم الحكم بمصر في العصر الفاطمي، القاهرة، دار الفكر العربي.

* المناوي، حمدي، (د.ت). الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، القاهرة: دار المعارف.

* هاينزهالم، (١٩٩٩م)، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، (ترجمة سيف الدين القصير)، دمشق: دار المدى.

ب- المراجع الأجنبية:

* Arthur Gold Schmidt: OConcise History of the Middle East (second Edition) cairo, the American university, 1983.

* Ashtor. E., A social and Economic History of the Near East in the Middle Ages, London, Collins, 1976.

* ________, Histoire des Prix et des salaries dans L' orient médiévale , paris, 1969.

* Ayman Fu'ad Sayyid, La capitale de L' Egypte Jusqu, alepoque fatimide (al- Qahira et al – Fusta)- Essai de reconstitution topographique, Beirut, 1996.

*chase F. Robinson, Amedieval Islamic city Reconsidered An Interdisciplinary approach to samarra, published by oxford university press for the Board of Faculty of orlental studies university of oxford, without Date.

* Grunebaam.G.E. Von, Mohammadan Festivals, New York, (1951).

* Hamblin, William James: The Fatimid Army During the early crusades, the university of Michigan, 1985.

* Jean – Jacaques Aillagon : Trésors Fatimides du Carue, exposition présentée àl'institut du mond arabe du 28 Avril 30 Aôut, 1998.

* Lanne Pool, Stanley, AHistory of Egypt in the Middle Ages, London, 1901.

*___________, saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem, Beirut, 1964.

* Mann, J., The jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid caliphs, vol.1, KTAV Publishing house, New York, 1970.

* Neufeld, E., Ancient Hebrew marriage laws, Williams, Lea, and Go, London, 1944.

* Osman A. Ismail, Mutasim and Turks, Leiden, Brill, (1960).

* R. Stephen Humphre: Islamic History AFrame work for inquiry, cairo, the American university, 1992.

* Wiet, G., Album du musee Arabe du caire, Cairo, 1930.

٤ - المقالات والدوريات:

أ- العربية:

* الأطرقجي، رمزية، (١٩٧٩م). الأزهر في ظل الفاطميين، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع٢٥.

* الباشا، حسن، (١٩٥٦م). طبق من الخزف باسم (غين) مولى الحاكم بأمر الله، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج١٨.

* جواد، مصطفى، (١٩٦٤م). أزياء العرب، مجلة التراث الشعبي، ع٨.

* حسين، محمد كامل، (١٩٥٣م) التشيع في الشعر المصري في عصر الايوبيين والمماليك، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٥.

* خرابشة، سليمان، (٢٠٠١م). المأمون بن البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي، مقال في كتاب أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، المكتبة الوطنية، عمان.

* خضير، محمد، (١٩٧٦م). يعقوب بن كلس التاجر الذي أصبح وزيرا وفقيها للفاطميين، مجلة الدارة، ع٢.

* الخفاف، ليث، (١٩٧٧م). وشم جسم المرأة، مجلة التراث الشعبي، ع٦.

* دفتري، فرهاد، (١٩٩٩). حسن الصباح وأصول الحركة الاسماعيلية، بحث بكتاب الاسماعيلين في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم، دار المدى للثقافة.

* الدوري، عبد العزيز، (١٩٥٩م). نشوء الأصناف والحرف، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ج٨، ع١.

* ـــــــــ، (١٩٨٩م). اليهود في المجتمع الاسلامي عبر التاريخ، بحث في كتاب القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، ج١.

* زكي ، عبد الرحمن، (١٩٨٠م). امتداد القاهرة من عصر الفاطميين الى عصر المماليك، بحث منشور بكتاب أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة، القاهرة، ج٢.

* عاشور، سعيد عبد الفتاح، (١٩٨٠م). الحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر، مج١١، ع١.

* ـــــــــ، (١٩٧١م). صور من مجتمع القاهرة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج١٨.

* العبادي، عبد الحميد، (١٩٥٥م). كتب الحسبة وفائدتها في وضع المعجمين الوسيط والكبير، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٨.

* عبد الرسول، سليمة، (١٩٨١م). ملابس العمل لذوي المهن والحرف، مجلة سومر، ع٣٧.

* عبد الوهاب، حسن، (١٩٤٠م). البناء بالطوب في العصر الاسلامي، مجلة العمارة، مج٢، ع٣-٤.

* عثمان، محمد عبد الستار، (١٩٨٨م). المدينة الاسلامية، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع١٢٨.

* العريني، السيد الباز، (١٩٥٠م). الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، مج٣، ع١.

* عليوه، حسين، (١٩٨١م). المكان والفن الاسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع٢.

* القوصي، عطية، (١٩٧٧)، صلاح الدين واليهود، المجلة التاريخية المصرية، مج٢٤.

* كرسويل، (١٣٣٥هـ). تأسيس القاهرة، مجلة المقتطف، القاهرة، مج٨٥، ج٤.

* ل. سيمنوف، (١٩٧٢م) . حول الرق في عهد الدولة الفاطمية في مصر، المجلة التاريخية، بغداد، ع٢.

* محاسنة، محمد حسين، (٢٠٠٣م). الألقاب الفاطمية، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الاردنية، م٣٠، ع٢.

* ________، (٢٠٠٤م). القضاء في مصر في خلافة الحاكم بأمر الله، مجلة مؤتة، م١٩.

* محرز، جمال، (١٩٧٠م). منازل الفسطاط كما تكشف عنها حفائر الفسطاط، مقال في كتاب ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة.

* محفوظ، حسين، (١٩٤٦م). النوروز في الأدب العربي، مجلة التراث الشعبي، ع٨.

ب- الدوريات الأجنبية:

- Beshir, B.J: Fatimid Military orgnaization, Der Islam, Berlin, New York, 1978.

- Goitein, New Light on the begining of the Karim Merchants, JEsh01, 1958.

٥- الرسائل الجامعية:

* الشامي، عبد العال، (١٩٧٣م)، مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* الصاوي، أحمد، (د.ت)، المجاعات وتأثيرها على النواحي المالية والحضارية زمن الفاطميين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* العمايرة، محمد، (١٩٩٩م)، الجيش الفاطمي (٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩- ١١٧١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان، الأردن.

* بوخالفة، نور الهدى، (١٩٨٦م). الاسلام والتعريب في الشمال الافريقي في القـــرون الثلاثة للهجرة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

* بني خالد، موسى أحمد، (١٩٩٠م)، ثورة أبي زيد الخارجي ضد الفــاطميين، رســـالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

* أحمد، أميرة، (١٩٩٥م). الأوضاع الادارية والاقتــصادية فـــي الـــدولتين الفاطميـــة والايوبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* الأحمدي، خلود، (٢٠٠٦م). سامراء عاصمة الخلافـــة العباســـية (٢٢١- ٢٧٩هـــــ/ ٨٣٦- ٨٩٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الاردن.

* سليم، عبد الله، (١٩٧٨م)، العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفــاطمي (٣٥٨- ٥٦٨هــ/ ٩٦٩- ١١٧١م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحـــوث والدراســـات الافريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* بني عامر، هارون، (٢٠٠٢م)، الأسرة الجمالية ودورها في الدولة الفاطمية، رســـالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

* مرقص، عاطف، (١٩٨٦م)، الأرمن وعلاقـــاتهم بـــالبيزنطيين والمـــسلمين، رســـالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر.

* النعيمات، محمد، (٢٠٠٦). ابن الصيرفي كاتبا، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الاردن.

* دياب، فكري محمد، (١٩٩٤م). زي الرهبان على رسوم الفرسكو في الكنيسة المصرية بعد الفتح الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، طنطا، مصر.

* هبة الله، حسن، (١٩٨٣م). الفنون الشعبية في مصر الاسلامية، رسالة ماجستير غيـــر منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* الطواهية، فوزي، (٢٠٠٣م). الزراعة في مصر في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاردنية، عمان، الاردن.

* ادريس، محمد محمود، (١٩٧٦م). الحياة الزراعية في مصر في العـــصر الفـــاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* كامل، عباس حلمي، (١٩٦٨م). تطور المسكن المصري الاسلامي من الفتح العربـــي حتى الفتح العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

* عبد الباسط، محمود، (١٩٩٢م). النافورات والفساقي في منازل ومساجد القاهرة منـــذ الفتح الاسلامي حتى نهاية العصر العثماني، رسالة ماجستير غيــر منـــشورة، جامعـــة القاهرة، القاهرة، مصر.

* اسميسة، سعد رحومة، (٢٠٠٣م). انتقال الدولة الفاطمية الى مصر، الأسباب والدوافع، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من ابريل، ليبيا.

٦. الأبحاث المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخــرون، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، د.ت:

* بارتولد، مادة (ترك) ج٥.

* __________، مادة (أرمينية)، ج١.

* بروفنسال، مادة (الصقالبة)، ج٧.

Cairo, The capital of The Fatimid Caliphate (358-567 A.H/ 969-1171 A.D)

A Study In Social Life

By

Kholoud Mohammad Al Ahmadi

Supervisor

Dr. Abdul Aziz Al Douri- Prof

Abstract

This study handled social life in cairo city in the Fatimid Period. It aimed at Showing ting the demographic status, basis of the urbanic Life and its aspects in cairo.

The study attempted to focus on some aspects that did not obtain full care or attention in research.

It studied The topography of cairo with a focus on the population, their ethnic origins, social levels, and showed the city's expansion and development.

The study sought to trace the ethnic origins of the population, their roles, and investigated their social status.

The study showed the influence of authority and wealth on the social position, and studied the social classes of Cairo community, and showed the social and economic position of people of each class.

The study talked about the people, way of living – for the various social classes-, regarding their residence, food, Clothes, feasts, occasions and their entertainment.